

قُرْآنًا

# الترانيم المجهول

إطالة على عالم الخطوط



أحمد يوسف زيدان

  
 Bibliotheca Alexandrina  
 0196339



١٣٥٠  
للإدارة العامة

١٣٥٠

شركة مصر للبريد

البريد

١٣٥٠

١٣٥٠ / ١٣٥٠

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
المنظمة العامة لأكاديمية مكتبة الإسكندرية



التراث المجهول  
٢٠٠٤  
إطلاق على العالم بخطوطك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَمَّا زَاغَ الزُّرُوعُ فَسَدَ هَبُّ الْحَقَاءِ وَأَمَّا  
مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُتُّكَ وَالْأَرْضُ  
صَدَقَاتُ الْقَطْرِ

# حار الأملين

طبع \* نشر \* توزيع

٨ شارع أبو المعالي

( خلف المعهد البريطاني ) المعجزة

تليفون / فاكس : ٣٤٧٣٦٩١

١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق

( خلف قاعة سيد درويش ) الهرم

تليفون / فاكس : ٥٦٣٤٦٩٩

ص.ب: ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس

جزء منه بدون إذن كتابي من الناشر .

الطبعة الثانية

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

رقم الإيداع ١١٦٦٨٩ / ١٩٩٧

ISBN

977-279-168-4

اهداءات ١٩٩٧

د/ يوسف زيدان

تراثنا

التراث المجهول  
إطلاقاً على عالم المخطوطات

دكتور يوسف زيدان

مكتبة الاسكندرية
تم الاضطلاع على 3192
رقم التسجيل: 5/104



# تراثنا

سلسلة كتب تصدرها دار الأمين بإشراف  
الدكتور يوسف زيدان ، تُعنى بنشر  
الأعمال الأصيلة في مجال التراث العربي،  
مما لم يسبق نشره من أعمال تراثية محققة  
أو مؤلفة ؛ وتراعى السلسلة فيما يصدر  
عنها من كتب ، القواعد العلمية الرصينة ،  
المعمول بها في مجاىء التأليف والتحقيق  
التراثى الجاد .

صدر منها :

- التراث المجهول

للدكتور / يوسف زيدان ( تأليف )

- حديقة الحقيقة ، لسنانى

تحقيق الدكتور / إبراهيم الدسوقى شتا

- حقيقة العبادة عند ابن عربى

للدكتور / كرم أمين أبو كرم ( تأليف )

- ابن القطاع الصقلى

للدكتور / أحمد محمد عبد الدايم



General Organization Of the Alexan-  
dria Library (GOAL)  
*Bibliotheca Alexandrina*

## الإهداء

إلى المثقف المصرى الأصيل

الصادق / سامى خشبة

.. اعتزازاً برفقة جمعتنا على درب:

الوعى بالماضى

وفهم الحاضر

واستشراف المستقبل .

يوسف زيدان





## مقدمة الطبعة الثانية

كان لصدور هذا الكتاب ، في طبعته الأولى ، صداه الطيب .. حتى إنني دُهِشْتُ من الصدى الواسع لهذا الكتاب ، سواء لدى المتخصصين في فنون التراث وعلومه ، أو لدى جمهرة المثقفين والقراء . وقد نفذت الطبعة الأولى في زمن يسير ، مما حدا بنا لتقديم هذه الطبعة الثانية التي تأتي بعد فترة طويلة من نفاذ طبعته الأولى ، والتي أرى من المناسب ، التقديم لها بالوقوف عند بعض الآراء التي أثارها الكتاب في طبعته الأولى .. فمن ذلك :

\* رأى البعض أن الكتاب يمثل مقدمةً عامة في التراث العربي ، لكنه لا يغوص في بواطن هذا التراث على نحو تفصيلي مشبع ، فهو محضُ تلويح من بعيد ، لا يكاد يقترب من المواطن البعيدة ، حتى يرحل عنها إلى غيرها .. والحق ، فلا أجد عندي اعتراض على هذا الرأي ، بل هو عين ما أردته ! وقد نصَّ عنوان الكتاب على أنه ( إطلالة ) على العالم التراثي الفسيح ، المتنوع ، المجهول .. ولم يكن المراد استكناه أعماق التراث وسبُر أغواره ، فقد فعلت ذلك - أو حاولت فعله - في أعمال أخرى ، تنوعت ما بين فهرسة ، وتحقيق ، ودراسات أكاديمية متخصصة .. غير أنني انتبهت إلى أن الشقة تبعد ما بين القارئ المعاصر وتراثه ، الذي هو في حقيقة الأمر : عالمه الجؤاني العميق . فأردتُ وُضَلَّ ما انقطع ، وتنوير ما أظلم ، وتقريب ما ابتعد ؛ ولم تكن الغاية الغوص في الدقائق والرقائق التراثية .. فالكتاب ، بالفعل ، تلويحٌ وتشويقٌ .

\* واعتبرني البعض مغاليًا في قولي إن التراث ( مجهول ) واحتجُّوا علىَّ بهذا القدر الكبير من الكتب التراثية التي أخرجتها المطابع ، ولا تزال تخرجها كل يوم ، فالتراثُ معروفٌ مألوفٌ .. وأصحاب هذا الرأي ، هم المشتغلون بالتراث ، أو هم - بالأحرى - البقيةُ الباقية من المشتغلين بالتراث . والحقُّ ، فهذا الكتاب لم يوضع لهم ! وإن كانوا بالفعل في حاجةٍ إليه .. فالعمل التراثي ، ظل دومًا عملاً تخصصيًا ، يغرق صاحبه في بحرٍ من البحور التراثية ، ولا يهتم بها سواه .. مما أدى به إلى انصراف نظره عن المنظومة المتكاملة للتراث ، تحت وَهْمِ التخصص الدقيق ! وما هذا التخصص المزعوم إلا خرافة ، منعت الرؤية المعاصرة من فهم التراث ، وعاقها من نقل التراث من مستوى ( النص ) إلى مستوى ( الخطاب ) المعرفي المتواصل . ومن هنا كانت النظرة العصفورية المحلقة ، للتراث ، تصيب هؤلاء بالدوار .. لارتفاعها من جهة ، ولإطلالها على جوانب أخرى - لم يتعودوها - من الجهة الأخرى . ولعلمهم انزعجوا من قولي إن التراثُ مجهولٌ ، لما أدركوا أنهم كانوا يجهلون - بالفعل - رحابته ! ولا يعنى ذلك تقليلاً من شأن المتخصصين ، وإنما هي مجرد دعوة : أن اخرجوا من المسارب الضيقة ، إلى المسالك الفسيحة .

\* وأخيرًا .. فقد قرَّرَ البعض أن المخطوطات ( الثلاثين ) التي ضمَّها الكتاب ، لا تكفى رغم تنوعها ، للإطلال على العالم التراثي الزاخر ، الحافل بالآلاف الكتب البديعة المطوية في نُسخها الخطية ، فكان لا بُدَّ من تقديم المزيد .. والحقُّ ، فهؤلاء لم يُجانبوا الصواب كثيرًا ، بيد أن المزيد من فصول الكتاب ، كان سيخرج به عن الشكل اللائق به ، من حيث أن الغرض هو استكشاف التراث ، لا تقديم موسوعة تراثية . وما اشتمل عليه الكتاب ، هو محض نماذج من زوايا مهجورة ، وفي كل زاوية منها ، الكثير من التراث المجهول .

---

.. وبعد ، فلا يسعنى فى ختام هذا التقديم ، إلا الترحيب بكل الآراء النقدية التى أثارها الكتاب عند هؤلاء الإخوة ، وهم جميعًا - وهذه ثقتى - مخلصين فى كل رأى قرّروه ؛ وما أرادوا فى نهاية الأمر إلا التمام والاكتمال ، لكن الكمال لله . ولا يسعنى أيضًا ، إلا التوجّه بالشكر لهذه النخبة من مثقفينا ، الذين تلقّوا الكتاب بكل ترحاب ، وفاضت أقلامهم بمقالات بديعة عن الكتاب ومؤلفه ، ربما بأكثر مما يستحقان .. وقد اختار ناشرُ الكتاب مجموعة من تلك المقالات ، جعلها بمثابة ملحق فى هذه الطبعة الثانية ؛ وهو شعورٌ طيبٌ منه .. فجزاه الله خيرًا .

والله ولى التوفيق ،،،

**دكتور / يوسف زيدان**  
الإسكندرية فى ربيع الأول ١٤١٨ هجرية  
الموافق شهر أغسطس ١٩٩٧ ميلادية



## مقدمة عامة

### هل التراث مجهول؟

هناك أسبابٌ عديدة دعتنى لاختيار هذا العنوان للكتاب ( التراث المجهول ) برغم ما يبدو فيه من استفزاز للقارئ العام ، بل والقارئ المتخصص .. فالتراث ، على ما أرى ، لم يزل مجهولاً ، وأقصد بالتراث هنا : ما تركه السابقون من كتابات وكُتُب خَطُّوها بأيديهم أو نسخها النُّسَّاح على امتداد قرون الحضارة العربية الإسلامية ذات التاريخ الطويل .

تراثنا - بهذا المعنى - لا يزال مجهولاً بحكم الواقع الإحصائي ، وذلك لأن إحصاء ما نُشر من تراثنا - محققاً أو بدون تحقيق - ومقارنته بما لم يزل مخطوطاً ، وبما ضاع مع الزمان ؛ يدل على أن نسبة المنشور المعلوم من التراث لا يزيد على خمسة بالمئة من مجموع التراث ، أو أقل من ذلك .. وعلى ذلك فالجانب الأعظم من تراثنا مجهول ، لأنه رهين النسخ الخطية الحبيسة في خزائن المخطوطات ببلدان الشرق والغرب .

وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم الوعى به ، وذلك لأننا حين ننظر في أعمال الأساتذة المعاصرين الذين قدموا رؤية للتراث ، أو بحسب ما نسميه اليوم : قراءات التراث ؛ لا نجد في مراجع هؤلاء الأساتذة مخطوطةً واحدة ، ومعنى هذا أنهم اعتمدوا على المنشور المعلوم ، ليكون هو ( المقروء ) بينما هذا المنشور لا يمثل إلا أقل القليل من جملة التراث .. وهكذا تأتى القراءات متضاربة ، مردودة ؛ لأنها أغفلت الشُّقَّ الأكبر ، المخطوط ، من التراث .

وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم منطلق الإلغاء والتغيب ، هذا المنطق الذى ساد اليوم وأباد النظرة الموضوعية للتراث .. وذلك لأن تراثنا رحيبٌ متنوع ، لكن

التوظيف المعاصر للتراث يقتضى الانحياز التام لجانب من التراث وإلغاء الجانب المقابل له ، فنرى بعض البلدان التى تأخذ بمذهب معين ، تؤكد مذهبها وتنشر كتب المتن والشروح حوله ، وتلغى لصالحه تراث الفرق الإسلامية الأخرى ، وفى بلد آخر ، يكون الانتصار للمذهب السلفى والترويج لكتب ابن تيمية ومن سار على نهجه من علماء الحنابلة ؛ فى الوقت الذى يصل إلغاء التصوف إلى حد الخطر والمنع ومخاصمة دور النشر العربية التى تقوم بطبع كتب الصوفية .. ولا يقف الأمر عند حد الحكومات وجماعات المصلحة ، بل يتعدى منطلق الإلغاء والتغيب إلى أفراد الناس ، سواء من المتخصصين أو عوام الخلق ؛ فبعض الذين تخصصوا فى دراستهم وتوفروا على تراث فرقة أو شخصية كبيرة فى التراث ، ينحازون تمامًا إلى ما درسوه ، ويهدرون لصالحه كل ما لا يوافقهم ؛ وقد يصل الإلغاء والتغيب عندهم إلى حدّ مَرَضِيٍّ ، مثاله هذا الأستاذ الذى ظنّ أنه الآن المتحدث الوحيد باسم ( ابن رشد ) فإذا به ينهمك فى الخلاف ويُلْعَن كل أعلام التراث المختلفين مع ابن رشد ، ويُعلن الأستاذ فى محفل ثقافى كبير ، صائِحًا : لا يوجد أماننا طريقًا إلا ابن رشد ، وليذهب الغزالى وابن تيمية إلى الجحيم ! وعلى مستوى عوام الناس ، يرفض ذهن الواحد منهم الاعتراف ببراء التراث ، فيتخيل عهود الخلفاء الأوائل فى دول الإسلام عهدًا نقيّة طاهرة من كل الشوائب ، فإذا واجه وعيه المتواضع صورًا مناقضة لما استقر بذهنه ، صورًا عن خلاف الأئمة أو مجون القدماء أو منحط الأعمال ؛ أخذته الأزمة وأصرّ على إلغاء وتغيب كل ما يكدر الصورة الهنية التى لا توجد إلا فى خياله الخاص .

وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم اغترابنا عنه ، وذلك لأن التراث العربى الإسلامى ظل ممتدًا فى الزمان والمكان ردحًا طويلاً من الوقت ، فمرّ بمنحنيات كثيرة وارتفع

وانخفض في معدلات التحضر ولم يعرف ثبات الأحوال ، لكنه لم ينقطع .. حتى جاءت الحملة الفرنسية ، ومن بعدها الاستعمار ، فلَوَّت أعناق الأجيال الجديدة ، بقوة ، بعيداً عن تراثها المتصل ؛ موجهةً لها ، بنفس القوة ، نحو سياق الحضارة الغربية المعاصرة ، فكان ما كان من تقسيم لدول الإسلام وفقاً لأغراض الغرب ، وتحقير التراث .. وغير ذلك من مظاهر الاغتراب عن ( التراث ) الذي صار عند هؤلاء ، ليس مجهولاً فحسب ، بل هو مذمومٌ مكروهٌ مرتبطٌ بالتخلف الحضارى .

وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم انعدام الخطة المنهجية للتعريف به ، وذلك لأنه بعد انقضاء الفترة النشطة في نشر التراث ، أيام كانت مطابع بولاق الرائدة تخرج أمهات الكتب التراثية ، ومعها دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، والجمعيات العلمية العربية والاستشرافية ، وأعلام الرجال المتحمسين للتراث ونشره .. صار نشر التراث اليوم عملاً تجارياً لدى دور النشر ، دعائياً لدى أصحاب الأغراض ، غنّاً لدى المرتزقين من متأخري المحققين ، رديئاً في ثوب طباعته ، وبالقطع ، فهناك استثناءات قليلة ، لكن الغالب الأعم هو فوضويات نشر التراث ، وانعدام الجهة التي تنظم عملية الاهتمام بالتراث ، فهرسةً ونشرًا ودراسةً ، ولكن ناديتُ طيلة السنوات الماضية بإنشاء هيئة عربية - أو مصرية - للتراث تتولى هذه المهام ، ناديتُ حتى جَفَّ حلقى وكَلَّ القلم ، ثم اكتشفت أنني أصرخُ في بشر قديم .. فسكْتُ .

على هذا النحو صار التراث مجهولاً ، وعلى ذلك اخترتُ عنوان الكتاب ، فهل سيظل التراث كذلك ؟ إذا كانت الإجابة التي نتمناها ، بالنفى .. فالواجب علينا إذا أردنا تبيد حالة الجهالة العامة بالتراث ، أن نطلَّ على

المخطوطات ؛ ومن هنا جاء العنوان الجانبي : إطلالة على عالم المخطوطات .

الإطلالة على المخطوطات تعنى : أن نتعرّف على الكثير من ذخائر التراث العربى المنزوى فى الخزانات الخطية ، يشكو الإهمال ويتهدده الفقد وتتصرّف فيه يد الزمان ، فلعلنا بذلك نقبل على تحقيقه ونشره فتزيد نسبة المعروف من تراثنا ويقل المجهول . وتعنى : أن نعى التراث وعياً موضوعياً علمياً ، ونتمكن من ( قراءة ) التراث قراءةً صحيحة تكشف عن حقيقة تكوين العقلية العربية الإسلامية وتلمس ملامح شخصيتنا الحضارية على نحو دقيق لا يركن إلى إصدار الأحكام الإطلاقيه العامة استناداً إلى وقائع جزئية ؛ فيسعى الوعى المعاصر لاكتشاف ورؤية ( الماضى ) على نحو متكامل ، فيكون وعيه هذا مقدمة لفهم الحاضر وقاعدة لاستشراف المستقبل ، وتعنى : أن ندرك كمّ الثراء والتنوع فى تراثنا ، وأنه من غير الصواب إلغاء جانب منه لصالح جانبٍ مقابل ، فكل الجوانب محكومة بسياقٍ تاريخيٍّ واحدٍ أبرز هذا وذاك معاً وفقاً لشروط تاريخية خاصة ، فلولا الغزالي لما كان ابن رشد ، ولو لم يكن ( تهافت الفلاسفة ) ما كان ( تهافت التهافت ) وبدون مدرسة ابن عربى لا يكون فكر ابن تيمية ، وبعيداً عن وجود المعتزلة ما كانت الأشعرية لتوجد .. وهكذا نعرف أن التراث متساند ، ومؤسس على نحو عضوى داخل بناء معرفى خاص به ، بناء محكوم بالتاريخ .. وهكذا نتحرر من أوهام الجهالة بالتراث ، ونتأكد من استحالة الفصل بين كون ابن رشد فيلسوفاً عقلانياً ، وكونه فقيهاً مالكيًا - بل قاضى قضاة المالكية فى عصره - وندرك أن نصيب ابن سينا والفارابى وابن رشد من العقلانية ، وهم الفلاسفة ، لا يقل عن نصيب الصوفية من أمثال السهروردى وابن سبعين .. وهكذا نرى حقيقة أن الماضى أنتج



متون الفقه ورفائق الزهد ، في نفس الوقت الذي أنتج فيه ماجن الشعر وساقط الأغنيات ؛ وأن الإسهام العلمى العربى - المدوّن - لا يقل في حجمه أو أهميته عن الجانب الدينى واللغوى والأدبى ، فالكل موجود ، والكل لا يمكن إغفال بعضه لصالح البعض الآخر ، والكل لن يتكرر في مقبل الأيام فما كان كان ، ولن نفيده منه إلا بمقدار ما يؤدي إلى فهم ما هو كائن ، والتخطيط لما نرجو أن يكون ، ذلك هو درس التراث الأول ، والاعتبار الموضوعى لطبيعته .

وأخيراً ، فالإطلالة على المخطوطات قد تفضى إلى تخطى الهوة التى أدت إلى اغتراب وعينا المعاصر ، وقد تطلعننا على نهج للتعامل مع الحضارة الغربية المعاصرة ، وقد تدعونا إلى إنشاء هيئة قومية للتراث ! .



بدأت عندى فكرة هذا الكتاب منذ سنوات ، حين طلبت منى إحدى الجرائد العربية كتابة مقال يومى فى التراث ، فكتبت مجموعة من مقالات التعريف بالمخطوطات ، فلاقت قبولاً طيباً وصارت من بعد ذلك نهجاً سار عليه غيرى ، فى تلك المقالات - القصيرة - كنت أكتفى بالتعريف بالمخطوطة الواحدة والإلماح إلى أهميتها ، وفى أثناء الكتابة كانت تثور فى ذهنى قضايا كثيرة تتعلق بهذه المخطوطة أو تلك ، فقممت بتدوين تلك القضايا وما يدور حولها من أفكار ووجهات نظر ، ثم أعدت الكتابة لتكون فصول هذا الكتاب .

يقع الكتاب فى ثلاثين فصلاً ، قد يطول كل فصلٍ منها أو يقصر ، بحسب مقتضيات التعريف بالنص المخطوط ، ومؤلفه ، وما يدور حولها من أفكار ، ومع

أن جملة فصول الكتاب تسعى لإلقاء نظرة عامة على التراث من خلال الجمع بين مخطوطاتٍ من شتى العلوم والفنون ، إلا أن مخطوطات العلوم كالطب والفلك والكيمياء سنراها أكثر من مخطوطات المعارف الدينية والأدب والتصوف .. وليس في الأمر انحيازاً أو إهداراً وإلغاءً ، وإنما هي محاولة ( التوازن ) في رؤية التراث الذي زعمتُ أنه لم يزل مجهولاً . ذلك أن الاهتمام ينصبُّ دومًا على التراث الديني والأدبي ، دون التراث العلمي .. مع أننا في عصر العلم ، وفي العالم الغربي اهتمامٌ كبير بتاريخ العلوم العربية ! من هنا كانت العناية بالتراث العلمي العربي متمثلةً في هذا القدر من المخطوطات ، والموضوعات ، التي تناولتها أكثر فصول الكتاب .. وأزعمُ أن بعض هذه الفصول تتعرض لأموٍ لم تُطرح من قبل ، وفيها من التراث المخطوط ما لم يكتب عنه قبل ذلك سطرٌ واحدٌ -رغم أهميته - ومن الشخصيات التراثية من طواهم الزمان وسها عنهم المعاصرون ، وتلك هي حدود المحاولة المخلصة التي أقدمها بغية تضيق مساحة المجهول التراثي .

وعلى ذكر المجهول ؛ سوف يلاحظ القارئ أن بعض المخطوطات التي تناولتها الفصول ، هي لمؤلفين مجهولين .. وفي التراث العربي الكثير من المخطوطات مجهولة المؤلف ، والمواقف الرائعة والأقوال البديعة مجهولة الصاحب . ولكم تفكرتُ في هؤلاء المجهولين الذين كان أثرهم في بعض الأحيان أبلغ من المشهورين ، ففي خضم الوقائع الكثيرة في التراث عن شجاعة الأبطال وروائع الأعمال ، أشعر أن أكثر المسلمين شجاعة في التاريخ هو ذلك الرجل المجهول الذي وقف في المسجد أمام أشهر سفاح في تاريخنا ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان الحجاج آنذاك يُلقى إحدى خطبه الرهيبة المتوَعِّدة ، فأنهاها بما معناه أنه

سيفعل ما يريد رغم أنف كل معارض ، فقام الرجل المجهول وقال : أنا مرغمٌ أنفه !  
 وفي سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الخليفة المهيب الذى أعز الله الإسلام به ،  
 وهاجر علانية يوم كان المسلمون يتسللون للمدينة ؛ أنه كان فى المسجد يلقي خطبة  
 ينهى فيها الناس عن المغالاة فى المهور ، فترد عليه امرأة مجهولة ، وتورد الآيات  
 القرآنية الدالة على عدم تقييد المهور بمقدار كقوله تعالى : ﴿ وإن أردتم استبدال  
 زوج مكان زوج وآتيتن إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ فإذا بالخليفة يسلم  
 بالأمر ، قائلاً : ويحك يا عمر ، كل الناس أفقه منك ! أو يقول : أصابت المرأة  
 وأخطأ عمر ! وفى تاريخ الزهد والتصوف ما لاحصر له من أقوالٍ وأشعارٍ ، على  
 بلاغتها ، مجهولة المؤلف .. وفى التاريخ الفكرى عددٌ كبير من الكتب  
 التى أثرت تأثيراً كبيراً ، مثل كتاب أثولوجيا ( = الربوبية ) ، ظلت مجهولة  
 المؤلف .. بل إن أشهر موسوعة إسلامية ، ولعلها أول موسوعة فى تاريخ الإسلام ؛  
 أعنى ( رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ) مجهولة المؤلف ! فله در هؤلاء  
 المجهولين .



وفصول الكتاب مرتبة على حسب التسلسل الألفبائى لعناوين المؤلفات  
 الثلاثين التى نعرض لها ، وأغلبها مؤلفات مخطوطة لم تنشر من قبل ، لكن فيها عدد  
 ضئيلٌ من المؤلفات التى نُشرت قديماً فى طبعات محدودة اختفت مع الأيام وصارت  
 فى حكم المخطوط .. وقبل الفصول الثلاثين ، أوردنا مجموعة من النماذج المزخرفة ،  
 بديعة التلوين والتأطير المذهب والخطوط العربية المختلفة ؛ وهى مجموعةٌ منتقاة  
 من نواذر المخطوطات القرآنية ، أردنا بها أن تكون للقارئ وقفةً تأملٍ مع جماليات  
 التراث العربى ، قبل الدخول فى رحلة الفصول الثلاثين ..

---

وبعد .. فما هذا الكتاب إلا دعوة للقارئ العام كى يتعرّف على الجوانب  
الرحبية فى التراث .. وللمثقف المعاصر كى يتفكر فى القضايا المطروحة بين الشنايا ..  
وللمحققين الجدد كى يُقبلوا على نشر نصوص تراثية جيدة .. وللدارسين  
المتخصصين كى يتعمّقوا فيها ورد هنا من موضوعات .

والله الموفق ،،،

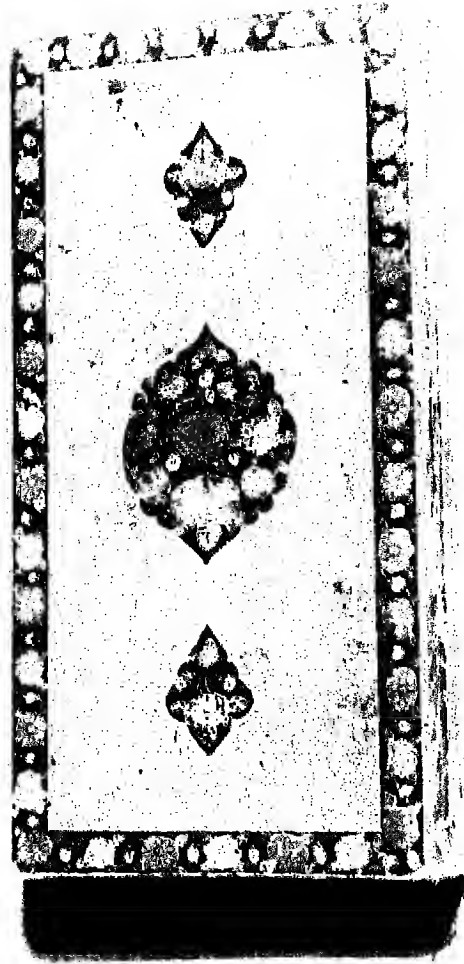
**دكتور / يوسف زيدان**

الإسكندرية فى ربيع أول ١٤١٥ هجرية

الموافق شهر أغسطس ١٩٩٤ ميلادية

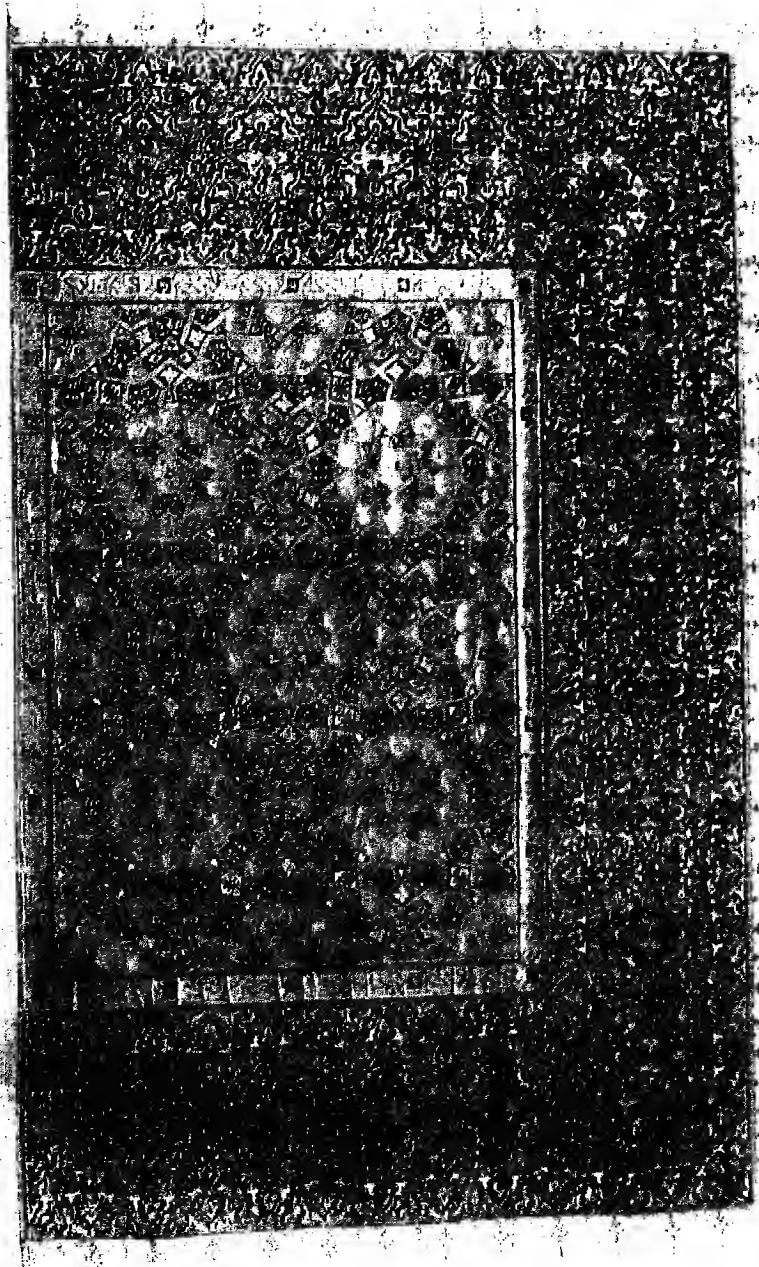
نَمَازُ فَنِيَّةٍ  
مِنْ مَخْطُوطَاتِ قُرْآنِيَّةٍ





غلاف خارجي مذهب

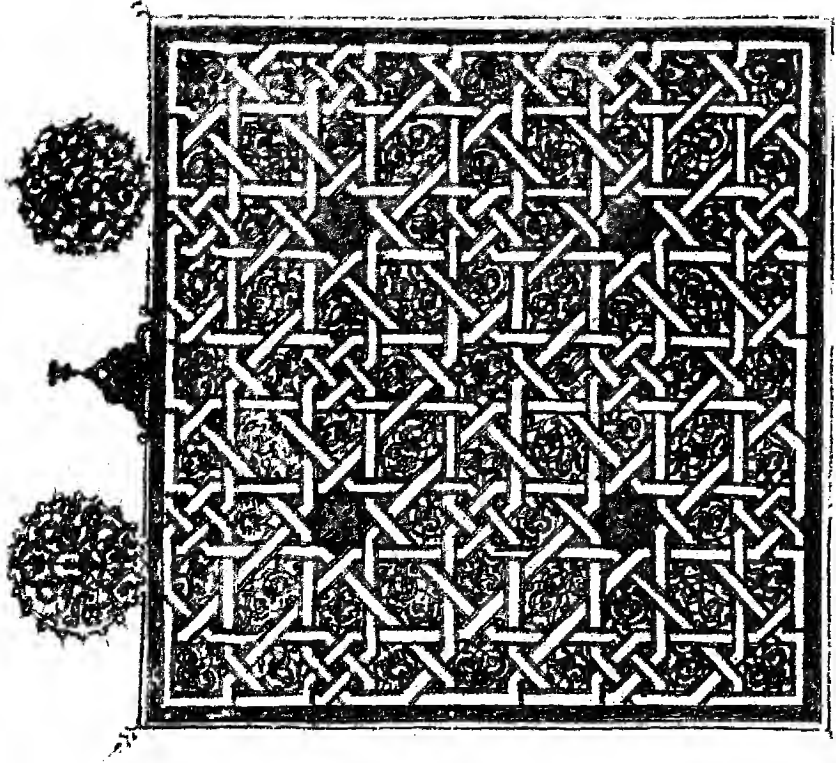
مكتبة جامعة الإسكندرية



غلاف داخلي مزخرف

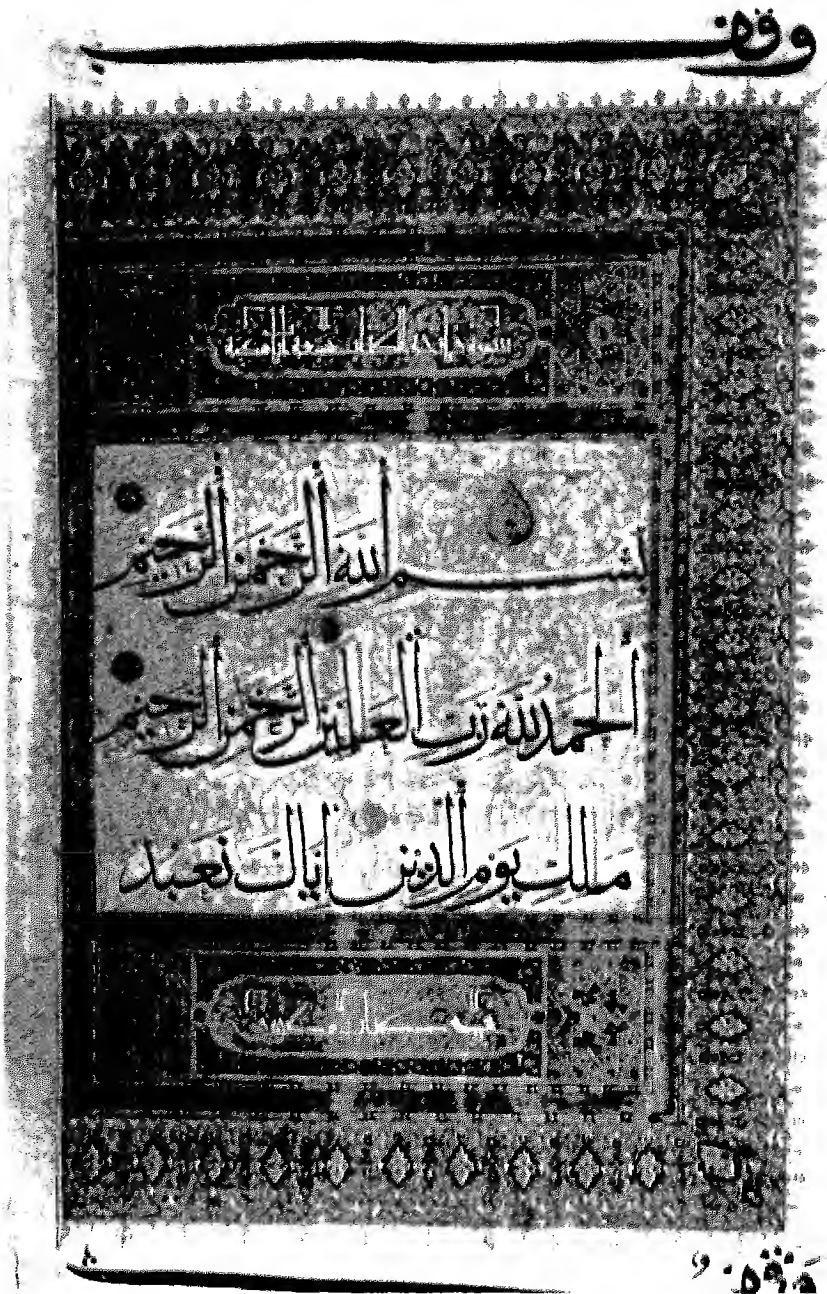
دار الكتب المصرية





غلاف داخلي مزخرف

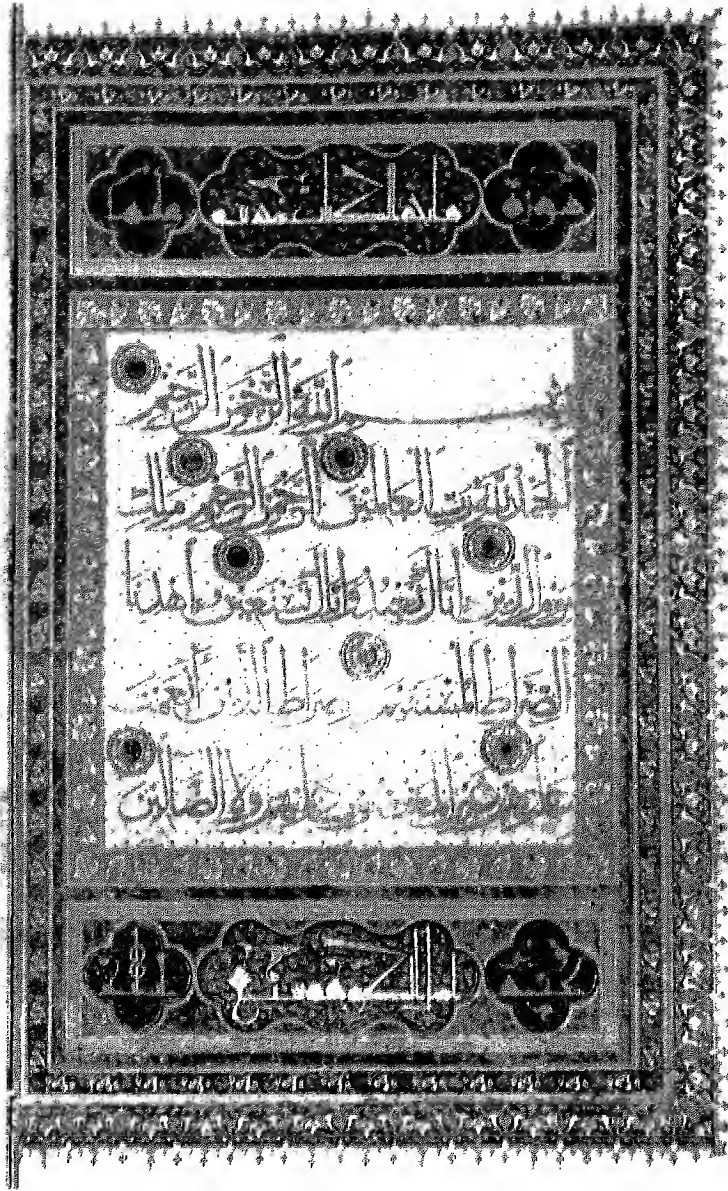
المكتبة الوطنية (باريس)



أول الفاتحة

خط ثلث

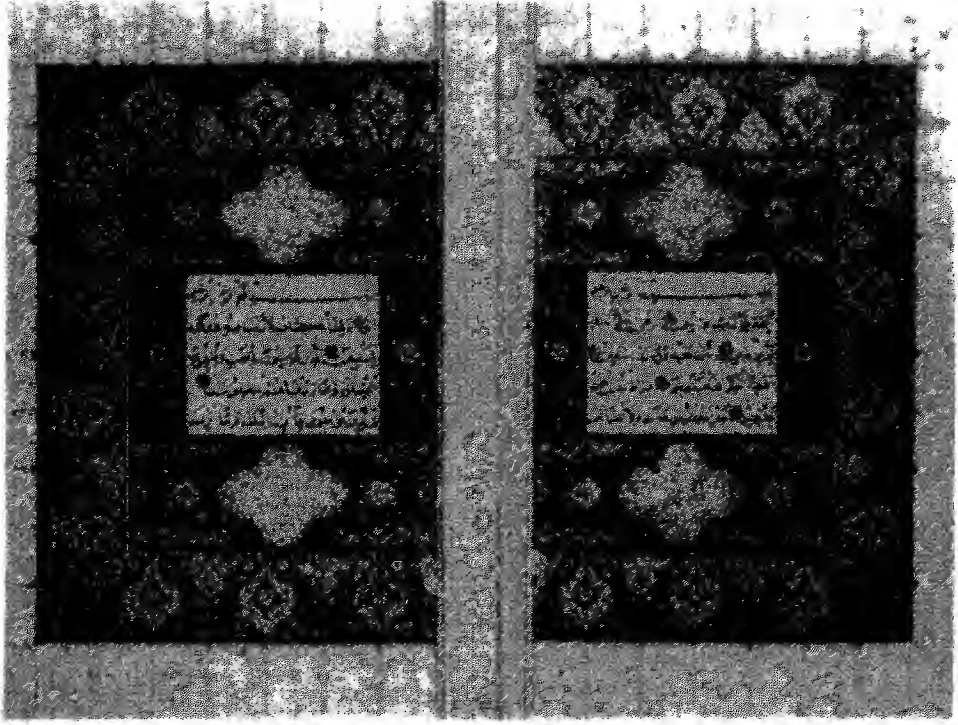
دار الكتب المصرية



الفاتحة

خط ثلث

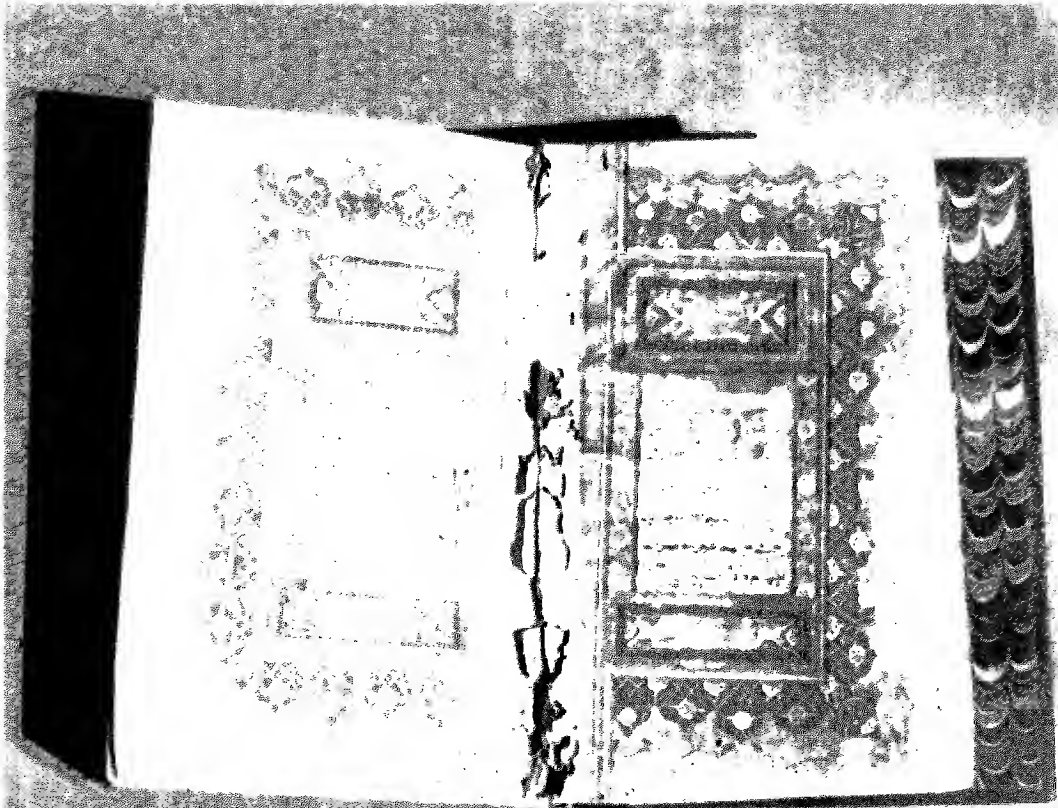
دار الكتب المصرية



## الفاتحة وأول سورة البقرة

خط نسخ

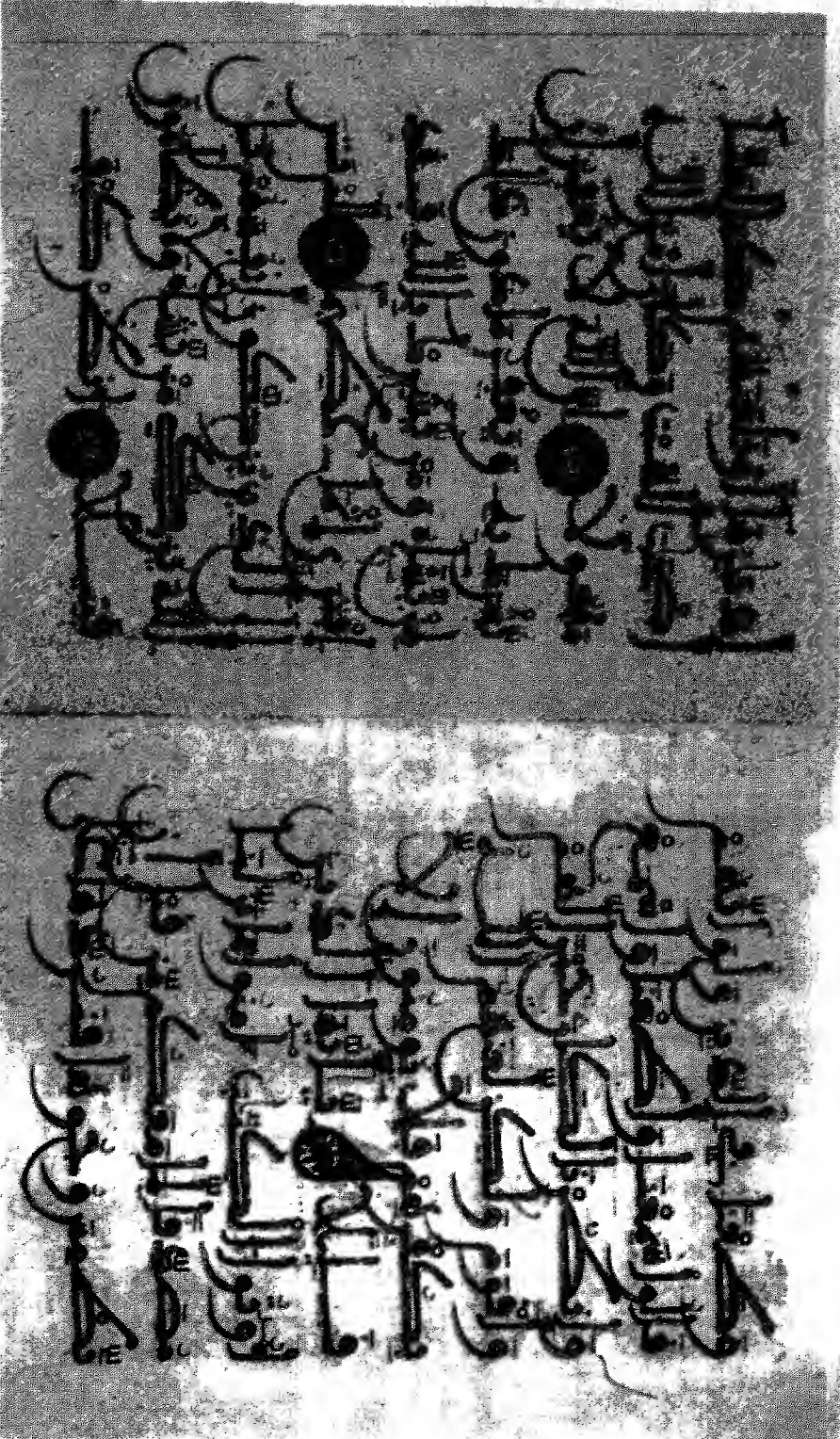
مكتبة جامعة جون رابنلندز (مانشستر)



الفاحة وأول سورة البقرة

خط النسخ

مكتبة جامعة الإسكندرية



آيات من سورة النساء  
خط مغربي  
مكتبة تشيسترتي (دبلن)

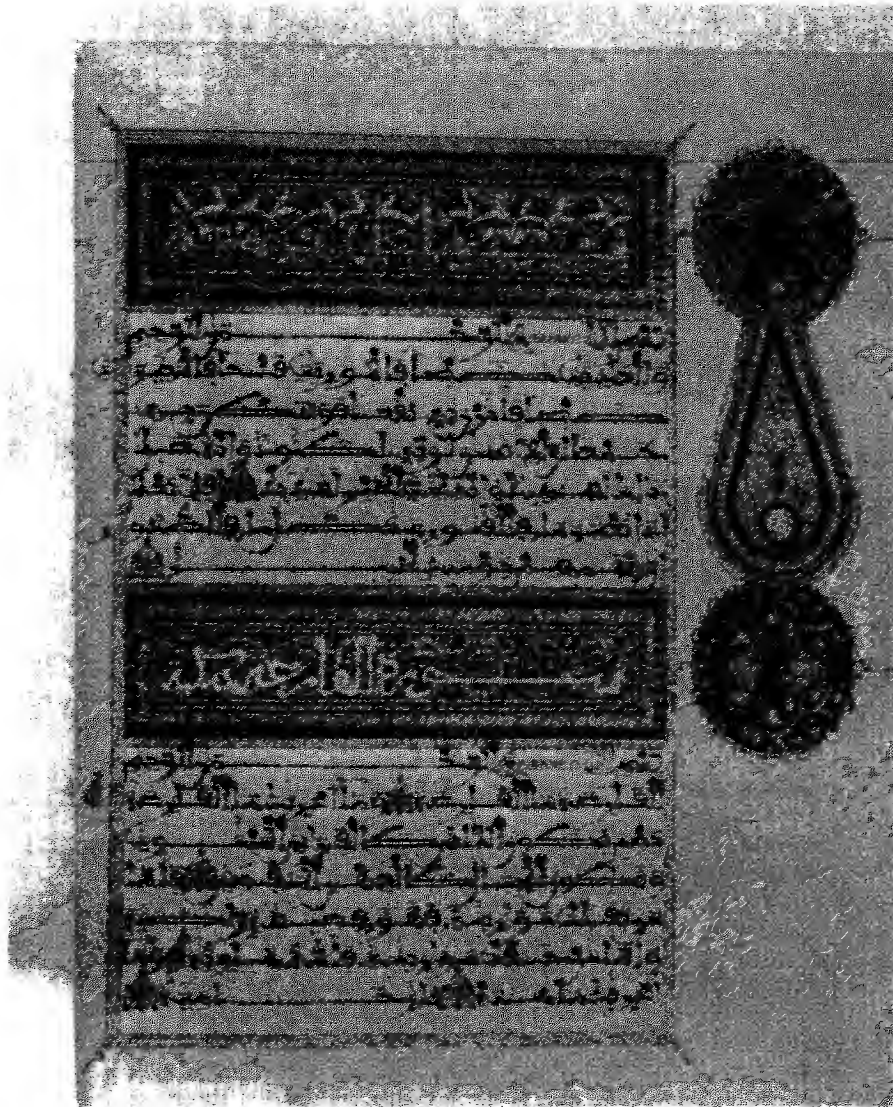
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمُ الْآيَاتِ  
 فِي أَنْفُسِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْقَهُونَ ﴿١﴾  
 قَدْ جَعَلْنَا لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُم مَّا  
 كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ لَقَدْ جَعَلْنَا  
 لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ آيَاتٍ لِّئَلَّامِكُمْ  
 لِكَلِمَاتِكُمْ إِن كُنْتُمْ عَاذِمِينَ ﴿٣﴾  
 وَمَا جَعَلْنَا لَكُمُ الشَّجَرَةَ  
 عِزًّا وَلَا لَكُمُ الشَّجَرَةَ تَحْقِيقًا ﴿٤﴾  
 إِلَّا أَنْ تَقُولُوا نَحْنُ حَقِيقَةٌ بِآيَاتِ  
 رَبِّنَا إِنَّا فَهِمْنَا لَكُلِّ شَيْءٍ  
 قَدْرًا ﴿٥﴾ وَأَلَمْ نَجْعَلِ لَكَ  
 فِي حَنْدَلِكُمْ أَيْدِيًّا وَعَيْنًا  
 تُبْصِرُ ﴿٦﴾ وَإِنَّا لَنَجْعَلُ لَكَ  
 فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَاتٍ لِّئَلَّامِيكَ  
 الْقُرْآنَ إِن كُنْتَ مِنَ الْعَاذِمِينَ ﴿٧﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 هَذِهِ آيَاتُ الْكُرْآنِ وَالْكَرِيمِ ﴿١﴾  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا  
 لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا  
 أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَكُنَّا كَالضَّالِّينَ  
 ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٣﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٥﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٦﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٧﴾

أول سورة الأنعام

خط نسخ

مكتبة جامعة الإسكندرية



سورة العاديات والقارعة

خط مغربي

دار الكتب المصرية





أول سورة مريم

خط ريجاني

مكتبة تشيستر بيتي (دبلن)

ما أشهد ولا نعترف فاعلموا أن الله لا يهدي القوم الظالمين

الذين كفروا بالله ورسوله أولئك هم الذين صلبوا على الأشجار يومئذ ولعلهم يكفون

أولئك هم الذين كفروا بالله ورسوله أولئك هم الذين صلبوا على الأشجار يومئذ ولعلهم يكفون

سورة العنكبوت وآياتها تسعة وعشرون



بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا بالله ورسوله أولئك هم الذين صلبوا على الأشجار يومئذ ولعلهم يكفون

بعض من الذين كفروا بالله ورسوله أولئك هم الذين صلبوا على الأشجار يومئذ ولعلهم يكفون

بعض من الذين كفروا بالله ورسوله أولئك هم الذين صلبوا على الأشجار يومئذ ولعلهم يكفون

بعض من الذين كفروا بالله ورسوله أولئك هم الذين صلبوا على الأشجار يومئذ ولعلهم يكفون

آخر سورة العنكبوت وأول الروم

خط ثلث

مكتبة تشيستر بيتي (دبلن)

وسبق آله خير خلقه  
 من آل محمد وآله  
 مع الله  
 حكر وبلآل آله  
 منكم

آخر سورة الشعراء وأول التمل

خط مغربي

مكتبة النصف الإسلامي ( اسطنبول )



آيات من سورة الجاثية

بخط أحمد السهروردي تلميذ ياقوت المستعصمي

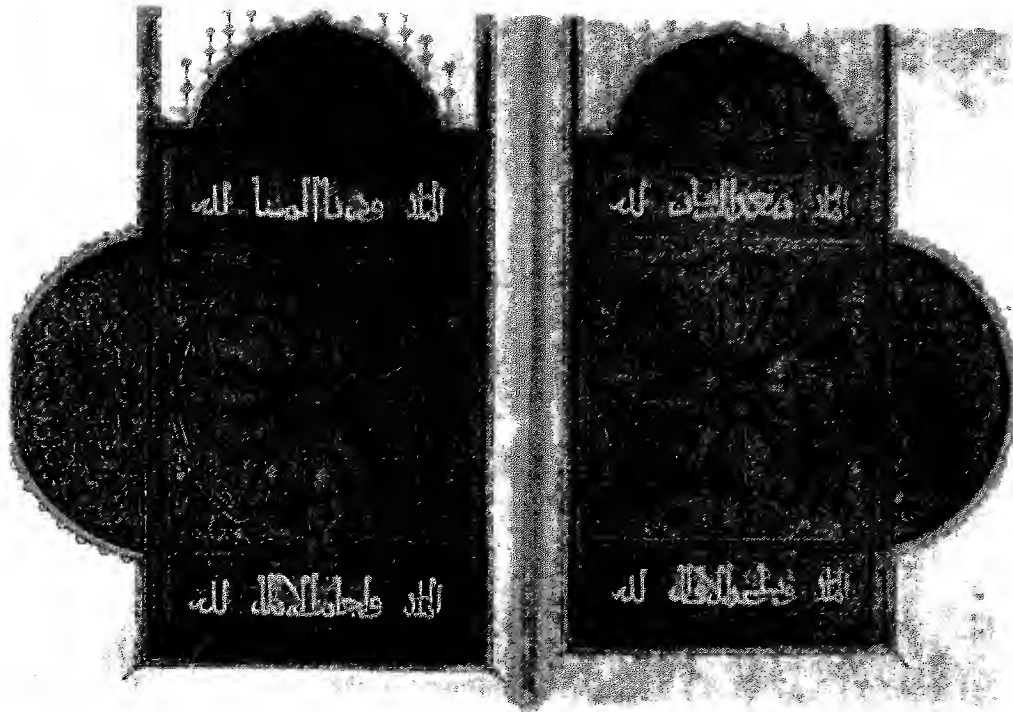
دار الكتب المصرية



آخر المصحف

خط كوفي

دار الكتب المصرية



سورة الفلق

خط ثلث

دار الكتب المصرية

## الفصل الثالث ( مخطوطة فنون عسكرية ) :

### تُحْفَةُ الْجَاهِدِينَ فِي الْعَمَلِ بِالْمَيَادِينِ

#### لِلطَّرَائِيسِيِّ

لم ينل التاريخ العسكري للمسلمين ، ما يستحقه من عناية الباحثين المعاصرين .. ربما لأن الأنظار تتجه في مثل هذه البحوث إلى الغرب المتقدم اليوم في هذا المجال ، وربما لأن مادة البحث في تاريخنا العسكري غير متوفرة للباحثين ، وربما لأن المعاصرين لا يرون في مثل هذه البحوث نفعًا كبيرًا .

لكن هذه الأسباب الداعية إلى إهمال هذا الجانب المهم من التاريخ العربي الإسلامي ، هي في حقيقة الأمر أسبابٌ واهيةٌ لا تبرر هذا الإهمال ، ولا تشفع لأصحابه ، فإذا كانت الأنظار تتجه إلى التقنيات الغربية المتقدمة في المجال العسكري - وهذا واجبٌ - فما الضرر في الإحاطة ، أيضاً ، بالأساليب العربية والإسلامية في هذا المجال ، خاصةً أن الغرب ذاته يهتم بتلك النواحي التي يهملها أهلها ، أما قلة المادة المتوفرة في العسكرية العربية الإسلامية ، فهو أمر غير صحيح بالمرّة ، فهناك الكثير من هذه المادة في كتب السير والطبقات وفتوح البلدان ، بالإضافة إلى قدرٍ هائلٍ من المخطوطات لم تُنشر<sup>(١)</sup> .. وأخيراً ، فإذا كان المعاصرون لا يرون نفعاً في بحث هذا الجانب من الحضارة العربية الإسلامية ، فهم في وهمٍ عظيمٍ ؛ فمن وجوه النفع في تلك البحوث : تأسيس المعرفة الدقيقة بتاريخ العرب والمسلمين - إثبات الدور العربي

(١) انظر ما سنذكره من هذه المخطوطات أثناء عرضنا لمخطوطة « تفريج الكروب في تدبير الحروب » في الفصل بعد القادم .

تحفة المجاهدين في العمل بالميادين

الإسلامي في تطور العسكرية العالمية - تفسير الكثير من الوقائع الخاصة بالمواقع الحربية وتعليل الانتصارات والهزائم ، وبالتالي فهم فترات الازدهار والانكسار - رفع معنويات المعاصرين بتلقيهم مآثر أجدادهم في هذا المجال - معرفة ما استفادته أوروبا من العرب في بناء نهضتها الحديثة قبل بضعة قرون .. إلخ .

وهناك بضعة بحوث في التاريخ العسكري الإسلامي ، لا يتعدى الجيد منها عدد أصابع اليدين ، أما المخطوطات العربية المنشورة في هذا المجال ، فلا أعرف منها إلا مخطوطة واحدة هي كتاب « الأنيق في المنجنيق » لابن أرنبغا الزرد كاش ، وقد حققها الدكتور إحسان هندی ونشرها معهد المخطوطات العربية بالكويت منذ فترة وجيزة .

\* \* \*

ومخطوطة « تحفة المجاهدين في العمل بالميادين » واحدة من النصوص العسكرية المهمة في تراثنا ، مؤلفها هو الأمير المملوكي : لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي ، المعروف بالطرابلسي .. توفي سنة ٧٣٨ هجرية .

ولانكاد نعرف الكثير عن مؤلف المخطوطة ، وإن كان اسمه وألقابه وأسلوب كتابته ، دال على أنه واحد من زمرة المماليك الكبار الذين تولوا مهام الجندي في مصر إبّان القرن الثامن الهجري ، ولقب « الحسامي » هو مبالغة في الوصف ، اعتاد المؤلفون والكتّاب في العصر المملوكي إطلاقها على كل مملوك يحمل اسم حُسام الدين<sup>(١)</sup> .

ويبدو أن حُسام الدين الطرابلسي كانت له ذرية من المشتغلين بأمر الحرب والقتال ، ففي موسوعة « تاريخ الأدب العربي » يذكر لنا بروكلمان مؤلفاً باسم : محمد بن لاجين الحسامي الطرابلسي الرّمّاح ، المتوفى ٧٨٠ هجرية<sup>(٢)</sup> . ويظهر من اسمه وتاريخ وفاته ، أنه

(١) بخصوص الألقاب المملوكية ، يمكن الرجوع إلى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي .

(2) Geschichte der arabischen .. 1,905.



للطرابلسي

أحد أبناء حُسام الدين الطرابلسي ، كما يظهر من لقب « الرَّمَّاح » أنه كان مشتغلاً بفنون الرَّمح والرمي بالنشاب ، وهى من الفنون العسكرية المهمة آنذاك ، وقد ألف محمد بن لاجين كتاباً على نفس منوال كتاب والده ، إذ تحمل مخطوطته عنوان « بغية القاصدين بالعمل في الميادين » وله أيضاً كتاب آخر - مخطوط - يحمل عنوان : بنود الرمح في الفروسية برسم الجهاد<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ويبدأ الطرابلسي مخطوطته « تحفة المجاهدين » بقوله :

« الحمد لله الذى أعلى قدر من اتَّصف بالشجاعة واشتهر ، وأعلى رتبة من جعل الفضل له بضاعة ، وجعل عُقبى الصبر الظفر ؛ القسوى الذى أعان على الحروب وأهوالها ، والمُصَافَات وتبينُ أحوالها ، وأعظم أجر الجهاد ، وفرضه على العباد ، ونصر أهل الحق على أهل العناد<sup>(٢)</sup> .  
نحمده على ما أنعم به من النصر على الأعداء ، ورفع منازل الشهداء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القادر القاهر . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صاحب الوجه الزاهى الزاهر ، والنور الباهى الباهر ، صلى الله عليه وعلى آله أولى الفضل الوافى الوافر .. وبعد ، فإن للحروب لوازم لا بد للمتَّصف بالشجاعة منها ، وجوازم لا يُستغنى عنها ، وقد ضُمَّن في هذا الكتاب ما يجب لمتعاطى الحرب من الوقوف عليه ومعرفة رسمه ، ومعرفة كَيْفِيته وفهمه ، والامتثال لمرسومه والاتسام برسمه ، وخبرة ما تضمنته من إقبال وإدبار ، وإيراد وإصدار ، وكَرِّ وفرٍّ .. وشرحنا فيه ما يجب الوقوف عليه والوقوف عند حده ، وأن يجعله الشجاع عمدته حال هزله وجدده .. إلخ » .

(١) توجد من هذا الكتاب المخطوطات التالية :

مكتبة الفاتح ( تركيا ) رقم ٣٥٠٩ - مكتبة رامبور ( الهند ) رقم ٣٥٢٤ - المكتبة الأحمديّة ( حلب ) رقم ١٣٧٢ - مكتبة نور عثمانية ( تركيا رقم ٢٢٩٤ - مكتبة أحمد الثالث ( تركيا ) رقم ٢١٢٩ .

(٢) الذى يتأمَّل في المخطوطات العربية ، يكتشف أن الحمدلة تلعب دوراً في الكشف عن طبيعة محتوى المخطوطة ، فلكل فنٍّ من الفنون صيغة تناسبه من حمد الله .. بل تلعب الحمدلة بصيغتها الخاصة دورها في الكشف عن المؤلفين - في حالة عدم ذكرهم بالمخطوطة - إذ لكل مؤلف صيغة خاصة لها ، ومن النادر جداً أن نجد نصّين يبدأان بنفس الحمدلة .

والمخطوطة صغيرة الحجم ، تقع بعض نسخها في ٢٤ صفحة ، والبعض الآخر في أكثر من ذلك ، لكن ما يميز المخطوطة - في نسخها المختلفة - هو تلك الرسوم والأشكال التوضيحية التي تعرف اليوم باسم « الرسم الكروكي » وفيها يوضح المؤلف عمليات التعبئة العسكرية ، وطرق المبارزة والاقترحام ، وأساليب الهجوم والتقهر مستفيدًا في ذلك كله من الخبرة العسكرية المصرية التي كانت - قبل نصف قرن - قد كسرت المغول في عين جالوت ، وكسرت الصليبيين من قبلهم في حطين .

\* \* \*

وهناك قدر كبير من النسخ المخطوطة لكتاب « تحفة المجاهدين » ذكر بروكلمان أرقامها في المكتبة الوطنية بباريس ، والمتحف العراقي ببغداد ، بالإضافة إلى ثلاث نسخ بمكتبات تركيا<sup>(١)</sup> . وفي معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سبع نسخ نفيسة من المخطوطة<sup>(٢)</sup> ، كلها مزدانة بالرسوم والأشكال التوضيحية .

وقد اعتمدنا هنا على إحدى النسخ المخطوطة ، وهي المحفوظة في مكتبة « نور عثمانية » تحت رقم ٢٢٩٤ وقد كُتبت سنة ٨٠٠ هجرية بخط محمد بن تمتاز ؛ وتضم هذه النسخة كتاب « تحفة المجاهدين » وكتاب « الفروسية برسم الجهاد » الذي ذكرنا من قبل أنه من مؤلفات الرَّمَّاح « محمد بن حسام الدين » ابن « حسام الدين الطرابلسي » .

(1) Geschichte .. 2,135.

(٢) انظر ، فهرس المخطوطات المصورة ( معهد المخطوطات العربية - القاهرة ١٩٦٤ ) الجزء الرابع ، ص ١٠ وما بعدها .

والمخطوطة التي تضم الكتابين ، عبارة عن نسخة خزائنية مكتوبة بخط الثلث ، برسم الخزانة العالية المملوكية الأميرية الكبيرة المجاهدية العضدية السيفية .. وهي مكتبة بهادر الشهابي ، مقدم الممالك السلطانية الملكية الظاهرية (\*).



(\*) أثناء طبع الكتاب ، عرفت - مصادفةً - أن الدكتور محمد عيسى صالحية ، نشر « تحفة المجاهدين » بمجلة معهد المخطوطات العربية التي كانت تصدر بالكويت . فرجعت إلى عدد ( يوليو - ديسمبر ١٩٨٤ / شوال ١٤٠٤ هـ - ربيع الأول ١٤٠٥ ) فوجدت نشرة الدكتور صالحية تحتل من ص ٣٨٩ إلى ص ٤٢٤ ، وهي نشرة طيبة ، قدم لها المحقق بمقدمة مفيدة ، جاء فيها :

« اعتاد سلاطين المماليك أن يشاهدوا المماليك الفرسان وهم يتمرنون على فنون الفروسية في المدارس الحربية المعروفة بالطباق .. وقد دأب سلاطين المماليك على المحافظة على أجناد حلقاتهم في حالة تدريب دائم ، لأنهم قلب الجيش المملوكي ، وقد عاجلت كتب الفروسية طرق التعليم وأوقاته وفنونه . ويبدو أن التدريب على الفروسية يُفتتح بإتقان علم البنود ( الرُمَاح ) من حيث جودتها وطريقة اللعب بها والتصويب والإرسال ، وغيرها ، فإذا أتقن الفارس علم البنود ، انتقل إلى علم الميادين فيتعلّم كيف يُقابل الخصم ويحاوله بإقبال وإدبار .. وقد أشار الأقصراني إلى ذلك في كتابه « فضل الجهاد » إذ جاء في ورقة ٥٧ : أول ما يريد المتعلم تعليمه بعد علم البنود وإتقانها هو علم الميادين ، لتتمرن أعضاؤه الدخول والخروج مع الفرسان ، والانعطاف والكسرات يمنةً وشمالاً ومقبلاً ومدبراً ، ويعلم مقامه مع معلمه ومقامه مع غيره ، فيصير بصيراً بذلك » .



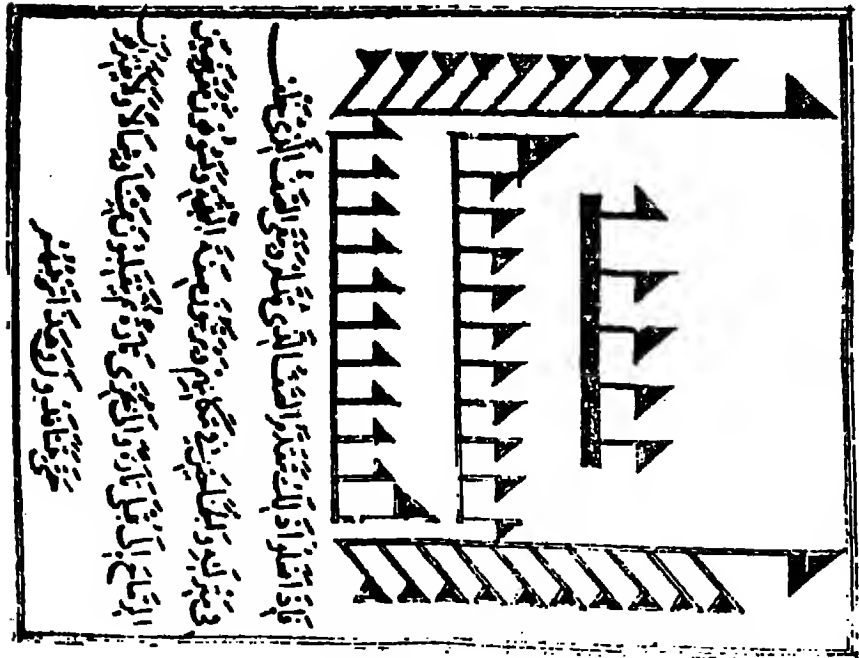
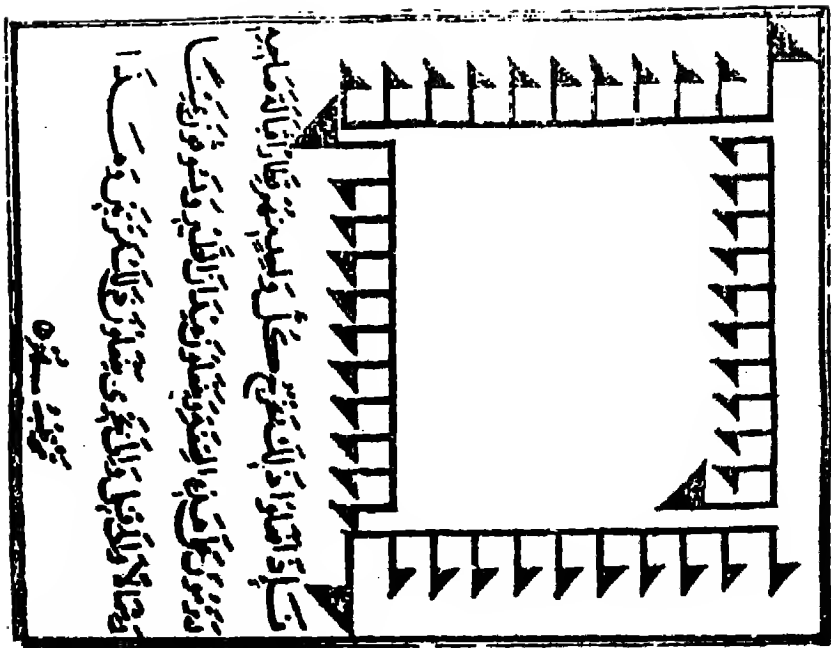
غلاف المخطوطة

نسخة مكتبة نور عثمانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هـ بِهـ يَوْمِي  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى قَدْرِهِ مِنْ أَنْصَفِ الشَّجَاعَةِ وَأَشْتَرِ  
 وَأَعْلَى رُبَّةٍ مَنْ جَعَلَ الْفَضْلَ لَهُ بِضَاعَةً وَجَعَلَ عَيْبِي  
 الصَّبْرَ الظَّفَرَ ۞ الْقَوِيَّ الَّذِي أَعَانَ عَلَيَّ الْحُرُوبَ  
 وَاهْوَاهَا ۞ وَالْمَصَافَاتِ وَبَيْنَ أَوْهَامِهَا ۞ وَأَعْظَمَ  
 أَجْرَ الْجِهَادِ ۞ وَفَرَضَهُ عَلَيَّ بِمَنْزِلِي ۞ وَنَصَرَ أَهْلَ  
 الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ ۞ نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ مِن  
 النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ۞ وَرَفَعْتَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ۞  
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَهُ الْقَادِرُ  
 الْقَاهِرُ ۞ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَاحِبُ

الوجه

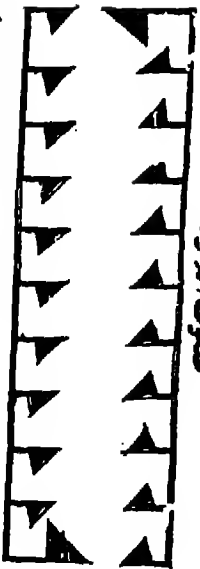
الورقة الأولى من المخطوطة



ترتيب الصفوف في مخطوطة

تحفة المجاهدين

صنوف الارواح



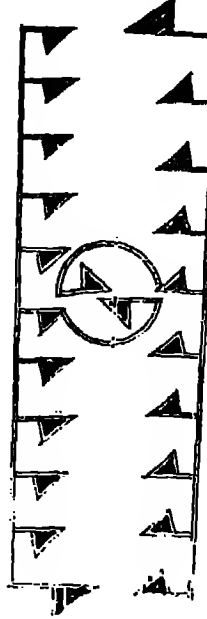
فَاذْأَعْلَمُواذِكْرَالْقُرْآنِجَاءَالْمَلَائِكَةُفِيضَعْلِقَالِأَوَّلِأَوَّلِهِوَجَاءَتِ  
الْمَلَائِكَةُوَأَصْحَابُالْأَيْمَانِوَأَقْرَبُواوَالْمَلَائِكَةُالْآخِرَتَابَعُصَابِحَهُإِلَى  
أَنْصَلُّواإِلَىالسَّمَاوَاتِوَهُكَذَاتُرْتَّبُهُمْ ۝  
سَيِّدُالْأَمَلِ



فَاذْأَصَلَّالِرَّاسِلُالْمَلَائِكَةُفِيضَعْلِقَالِأَوَّلِأَوَّلِهِوَيَقِفُ  
وَيَأْتِيَالصَّالِحِينَإِلَىخَانِيَتِهِصَفَاتِكُنَّأَرْبَعًاوَرُكُوعًاوَقِيَامًا

وَيَقِفُ مَكَانَهُ وَيُنْفِخُ الْجَيْشِ وَأُصْحَابُ بَيْتِهِ وَأُجْرَاءُ إِلَى الْأَرْضِ  
يَنْفِخُ الْجَيْشِ يُنْفِخُونَ ذَلِكَ مِنْ يَمِينِهِ وَهَذَا تَرْتِيبُهُمْ ۝

صنوف المبارزة



فَاذْأَسْمُوا فِي الْمُبَارَاةِ وَقَعُوا عَلَى تَرْتِيبِهِمْ مُرَدِّدًا قَوْلًا بَعْضُهُمْ  
الْبَعْضَ وَكَانَ يُنظَرُ إِلَى عَزِيمَةِ الرِّاسِلِ شَرِّ حُجُوعِ الرِّاسِلِ يُنْفِخُونَ  
الْمِيزَانَ وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِسَوْنِ الرِّبَا حَاقِ فَإِذَا انْتَهَى رُكُوعًا رِيَاءًا  
وَقَدَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَكَذَا تَرْتِيبُهُمْ ۝

صورة الاستعداد للحرب في مخطوطة تحفة المجاهدين

مهموز





## الفصل الرابع ( مخطوطة طبية ) :

### التصريف لمن عجز عن التأليف

للزهراوي

لم تظهر حضارة إنسانية إلا كان للطب نصيبٌ فيها ، ذلك أن الحضارة لا بد لها أن ترتفع بقيمة الإنسان وتلبى مطالبه الملحة .. ومن هذه المطالب : الحاجة إلى التداوى من الأمراض والأوجاع المختلفة . وهكذا ظهرت المعارف الطبية المتنوعة المنازع والأشكال في حضارات الصين والهند وفارس ومصر واليونان .

وكانت للحضارة العربية الإسلامية إسهاماتها الكبرى في مجال الطب ، حيث برع من المسلمين طائفةٌ من الأطباء الذين طوّروا أصول الطب وفروعه حتى وصلوا إلى منتهى الدقة العلمية المتاحة في وقتهم .. فمن هؤلاء الأطباء : الشيخ الرئيس أبوعلى ( ابن سينا ) والطبيب الماهر أبو بكر ( الرازي ) والعلامة علاء الدين ( ابن النفيس ) ومنهم أيضًا : أبو القاسم الزهراوي ، الذي سنتوقف عبر السطور التالية عند موسوعته الطبية ( التصريف لمن عجز عن التأليف ) .

\* \* \*

نشأ أبو القاسم الزهراوي في بلاد الأندلس ، وهو يتسب إلى بلدة ( الزهراء ) وقد أمضى حياته مشغلاً بالطب والجراحة ، حتى توفي سنة ٤٠٤ هجرية بعد حياة طويلة اقترب فيها عمره من السبعين عامًا<sup>(١)</sup> . يصفه ابن أبي أصيبعة ، فيقول : كان طبيباً فاضلاً ، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج ، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب ، أفضلها كتابه الكبير

(١) انظر ترجمته في :

بغية الملتبس ، للضبي ص ٢٧١ - الصلة ، لابن بشكوال ١/١٦٦ - جذوة المقتبس للحميدى ص ١٩٥ - كشف الظنون لحاجي خليفة ص ٤١١ . - Brockelmann .. 1,239 .

« التصريف لمن عجز عن التأليف » وهو أكبر تصانيفه ، وهو كتابٌ تامٌّ في معناه<sup>(١)</sup>.

وموسوعة ( التصريف ) عبارة عن عمل علمي ضخم يقع في ثلاثين جزءاً ، بعضها مخصّص للطب ، وبعضها الآخر للصيدلة ، وبعضها الأخير للجراحة .. ولقد كان الإسهام الأعظم للزهرأوى في مجال الجراحة بالذات ، فعلى الرغم من أن الجراحة كانت قبله تعاني من قلة الشأن ، ويُنظر إلى الجراحين على أنهم أقل مرتبة من الأطباء - وهي نظرة موروثية عن الحضارات السابقة للإسلام - إلا أن مجيء الزهرأوى أعطى للجراحة مكانها المتميز بين فروع الطب ، ولتصفح موسوعة ( التصريف ) حيث نقرأ في بداية الجزء الخاص بالجراحة - التي أطلق عليها الأطباء العرب اسم : عمل اليد - ما يلي :

« لما أكملتُ هذا الكتاب ، وبلغتُ فيه الغاية من وضوحه وبيانه ، رأيتُ أن أكمله لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد ، لأن العمل باليد مَحْسَبٌ في بلدنا ، وفي زماننا معدوم ألبتة، حتى كاد يندرس علمه وينقطع أثره » .

في هذه الفقرة نرى تألم الزهرأوى من هوان أمر الجراحة والجراحين في زمانه ، وإقباله - من ثمَّ - على تنويع موسوعته الطبية بمقالة في الجراحة وأدوات الجراحين وفنون العلاج ، مما كان له أكبر الأثر في الارتقاء بشأن الجراحة ، ليس عند العرب والمسلمين فحسب ، بل أيضاً عند الأوروبيين الذين تلمسوا على كتاب ( التصريف ) بعد أن ترجمه إلى اللاتينية ( جيراد الكريموني ) وجعله بعنوان : Medical Vade Mecani<sup>(٢)</sup> .. فأتاح لأوروبا أن تستفيد من إنجاز علمي عربي كانت آنذاك في أشد الحاجة إليه ، وقد قام جيراد الكريموني بترجمة الكتاب سنة ١٥١٩ ميلادية ، وهو تاريخ يحمل دلالة خاصة في تاريخ أوروبا ، إذ تعد هذه السنوات بداية العملية الكبرى التي قامت فيها أوروبا بترجمة العلوم العربية ، لتنتقل بعد ذلك إلى آفاق علمية رحبية ، بينما يفتنق العلم في ديار الإسلام .. إلى أن يأتي العصر الحديث فنجد أنفسنا واقعين تحت ( رحمة ) التقدم العلمي الغربي ، هذا إن كانت له رحمة ! .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٥٠١ .

(٢) د/ حسان حلاق : تاريخ العلوم عند العرب ( مكتب كريدييه إخوان - بيروت ١٩٩١ ) ص ١٧٤ .

للزهرراوى

ونعود لموسوعة (التصريف) ، وليس ههنا أن نتسلى عن الحاضر المهين بالماضى العظيم ، بل نعود لتراثنا المخطوط والمنشور لكى نتعرف على طبيعة العقلية العربية فى تجلياتها المختلفة ، ونتيقن من إمكانية انتعاش هذه العقلية فى المستقبل ، مثلما كانت متعشة فى الماضى .

ازدانت مخطوطة التصريف بما لا حصر له من رسوم الأدوات الجراحية التى طورها الزهرراوى أو ابتدعها ابتداءً ، وفى وسع القارئ أن يتأمل فى النماذج التى صورناها هنا من المخطوطة ، ليرى دقة الآلات الجراحية التى أوردها الزهرراوى ، وهذه النماذج مصورة من مخطوطة التصريف الموجودة فى الهند بمكتبة خدابخش بتنه تحت رقم ٢١٤٦ ، وهى نسخة مخطوطة يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٥٨٤ هجرية<sup>(١)</sup> ولقد نبه الزهرراوى الجراحين قائلًا للواحد منهم : اعلم أن هذه الآلات كلما كثرت أنواعها وكانت معدة عند الصانع ، كانت أسرع لعمله ، وأرفع عند الناس لقدره .

ومن لطائف إسهامات الزهرراوى الجراحية ، أنه كان يعقم آلاته قبل إجراء العمليات الجراحية بمادة (الصفراء) وهى المادة التى أثبت الطب المعاصر أنها تقلل من وجود البكتريا على تلك الآلات ، ومن لطائف أعماله أيضًا ، أنه لم يقتصر على إجراء العمليات الجراحية بهدف علاج الأمراض فقط ، بل أجرى أيضًا العديد من الجراحات التجميلية التى كانت آنذاك ترفًا .

وقد اهتم الزهرراوى بالأمراض التى لا تزال تحير الأطباء ، كمرض السرطان ، ومن خلال (التصريف) نقرأ هذا النص الذى يعترف فيه الزهرراوى بخطورة هذا المرض إذا استفحل ، ويصف الجراحة اللازمة له إن كان فى بدء أمره بحيث يمكن استئصاله ؛ وهو أيضًا يتبته إلى علاقة الورم السرطانى بالدم .. يقول الزهرراوى :

(١) هناك نماذج أخرى مصورة من مخطوطة الزهرراوى ، موجودة فى ملحق كتاب الدكتورة زيجريد هونكه : شمس العرب (الله) تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، ص ٥٦٩ - ٥٧١ .

التصريف لمن عجز عن التأليف

« ذكر الأوائل أنه متى كان السرطان في موضع لا يمكن استئصاله كله ، لا سيما متى قُدِّم وعظُم ، فلا ينبغي - للطبيب - أن يقربه ، فإني ما استطعت أن أبرئ منه أحدًا ، ولا رأيتُ الغير .. أما إذا كان مركزه حيث يمكن إخراجِه ، كالذي في الثدي أو في الفخذ ونحوهما من الأعضاء ، ولا سيما إذا كان مبتدئًا صغيرًا ، فالعمل فيه أن تُسهل العليل مرات من السوداء ، ثم نقصده إن كان في العروق امتلاء من دم ، ثم نُنصب المريض نَصْبَةً تتمكن فيها من العمل ، ثم نلقى السنائير التي تصلح له ، ثم نقسِّره من كل جهة ، بعد التخدير ، ونترك الدم يخرج ، ولا نقطعه ، حتى لا يبقى من الدم شيءٌ في أصول الورم .. واتركُ الدم الغليظ يسيل كله ، بيدك أو بما أمكنك من الآلات ، فإن عرض في أثناء عملك نزفٌ دمٍ عظيم ، من قطع شريانٍ أو وريد فأكفرِ العرق حتى ينقطع الدم ، ثم عاجله بسائر العقاقير » .

وهذا الوصف لجراحة السرطان الخبيث ، ظل لقرون عديدة تالية على عصر الزهراوى ، هو الطريقة التي يحاضر بها الأطباء ، العرب والأوروبيون ، هذا الداء العضال الذي لم يستطع الأطباء تخليص البشر منه ، حتى اليوم .

ولم تكن الجراحة هي الإسهام الوحيد والجديد في كتاب « التصريف » ، ففي الكتاب إسهامٌ على مستوى الصيدلة ، يقول الدكتور مرجبا : وأهم أجزاء ( أو مقالات ) الكتاب من الناحية الصيدلانية ، هما المقالتان الثامنة والعشرون ، والتاسعة والعشرون ، ففي المقالة الثامنة والعشرين بحث الزهراوى تحضير العقاقير المعدنية والنباتية والحيوانية وتنقيتها وتصفيتها ، وهي أشهر مقالةٍ صيدلانيةٍ كُتبت في الأندلس ، وقد نُقلت إلى اللغة اللاتينية بعنوان Liber Servitoris وطُبعت في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ ؛ وأما المقالة التاسعة والعشرون ، فقد قَسَمها المؤلف خمسة أبوابٍ ذكر فيها ما يلي :

أولاً : تسمية العقاقير بخمس لغات هي اليونانية والسريانية والفارسية والعربية والبربرية .

ثانيًا : أساء الأدوات والأجهزة الكيميائية والصيدلانية .

(١) د / عبد الرحمن مرجبا : الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٠٢ .

ثالثًا: أبدال الأدوية المفردة مع الكلام على بعض مصادرها .

رابعًا: أعمار الأدوية المفردة والمركبة .

خامسًا: شرح أسماء الأكيال والأوزان مرتبة بحسب حروف المعجم .

هذا ، والزهرراوى هو أول من استعمل الفحم في ترويق شراب العسل البسيط ، كما أنه أول من استعمل قوالب خاصة لصنع الأقراص الدوائية<sup>(١)</sup> .

ولكى نشير إلى فضل الزهرراوى وأهمية كتاب ( التصريف ) يكفى أن نتوقف عند ريادته وأوليياته في النواحي الآتية :

\* كان الزهرراوى أول من جعل الجراحة قسماً خاصاً من أقسام الطب وتخصصاته المعروفة آنذاك.

\* وكان الزهرراوى أول من قام بربط شرايين الدم لإيقاف النزيف ، وهو اكتشاف علمى كبير ينسبونه اليوم إلى الجراح الفرنسى الشهير إمبرواز بارى ، الذى جاء بعد الزهرراوى بستة قرون.

\* وكان الزهرراوى أول من أجرى للنساء عملية استئصال المثانة من طريق المهبل ، وهى عملية دقيقة تحتاج لبراعة كبيرة .

\* وهو أول من انتبه إلى دور الوراثة في الاستعداد للنزيف ، وذلك حين لاحظ حدوث النزيف في أفراد أسرة واحدة كان قد عالجهم بالكى ، فنزفوا على غير المعتاد .

\* والزهرراوى أول من نجح في إجراء العملية الجراحية المعروفة باسم Trachiomie أو ( شقّ القصبه الهوائية ) وذلك حين اضطر لإجراء تلك الجراحة الخطيرة على خادمه .

\* وكان الزهرراوى أول من لفت أنظار الأطباء إلى ضرورة فتح حيز في رباط الجبس الخاص بالكسور المفتوحة ، وبين للأطباء طريقة عمل هذه الفتحة الضرورية .

التصريف لمن هجر من التأليف

\* والزهرراوى أول مبتكر للعديد من الأدوات الجراحية التى طالما استخدمها من بعده الجراحون والكحَّالون ( أطباء العيون ) فوصف هذه الآلات ورسومها فى موسوعته .. وقد كان يقوم بصنع تلك الآلات بمساعدة العمال المهرة فى سبك المعادن ، وكان يُشرف بنفسه على مراحل تصنيع كل آلةٍ جراحيةٍ منها .

\* وكان الزهرراوى شديد الاهتمام بالتهاب المفاصل وبالسُّلُّ الذى يصيب فقرات الظهر ، وهى الحالة المرضية التى ينسب اكتشافها ظلماً للطبيب الإنجليزى ( برسيفال بوت ) ولا تزال إلى اليوم تُعرف لدى الأطباء باسم : داء بوت .. هذا ، مع أن الزهرراوى سابق على « بوت » بسبعة قرون .

\* \* \*

وبعد .. فلقد كان الزهرراوى لحظةً مجيدةً فى التاريخ العقلى لهذه الأمة ، وأظنه من الواجب علينا اليوم - ونحن نحاول تعويض ما فاتنا من العلم والمعرفة - أن نرد للرجل اعتباره ونعترف بفضلته الذى لم يعترف به الأوروبيون .. وردُّ اعتبار الزهرراوى والاعتراف بفضلته ، يعنى أن نستكمل المسيرة العلمية الإنسانية ، فنضيف إليها كما أضاف ، وأن يحظى كتابه ( التصريف ) بعنايتنا ، باعتباره جزءاً مهماً من تاريخنا العلمى ، فنقوم بنشر مخطوطاته على الناس فى طبعةٍ محققةٍ تليق بمكانة الزهرراوى ومكانة التصريف<sup>(١)</sup>.



(١) للزهرراوى كتاب آخر غير ( التصريف ) لا يزال مخطوطاً ، عنوانه : مقالة فى العمل باليد .. ( انظر ؛ كحالة : معجم المؤلفين ٤ / ١٠٥ ) .

## الفصل الأول ( مخطوطة طبية ) :

### بُستَانُ الأَطِبَاءِ وَرَوْصَةُ الأَلْبَاءِ

#### لابن المظتران

للطبِّ العربي الإسلامي تاريخه الطويل ، المجيد ، الذى امتد طيلة عشرة قرون من الزمان أو يزيد .. وإذا كانت لعرب الجاهلية ، وصدر الإسلام ، بعض المعارف الطبية<sup>(١)</sup> ، إلا أن النهضة العلمية الكبيرة في مجال الطب ، حدثت بعد ( حركة الترجمة والنقل ) حيث نشطت عملية التعريب وانتقلت علوم الأوائل - الهند واليونان<sup>(٢)</sup> - إلى اللغة العربية ، فكانت فاتحةً لإسهامٍ عظيمٍ قام به العرب في مجال الطب ، وفي غيره من مجالات العلوم المختلفة .

ومنذ القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) بدأت المؤلفات الطبية العربية في الظهور - بكثرة - وتوالى أعمال الأطباء العرب في كافة التخصصات الطبية : حفظ الصحة ، العلاجات ، الطب النظرى ، منافع الأعضاء ، الكحالة ( طب العيون ) ، عمل اليد ( الجراحة ) ،

(١) يقول صاعد الأندلسى : كانت العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشيء من العلم ، إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها ، حاشا صناعة الطب ، فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم ، غير منكورة عند جماهيرهم ، لحاجة الناس طراً - جميعاً - إليها .. ( طبقات الأمم ، نشرة لويس شيخو - بيروت ١٩١٢ ، ص ٤٧ ) .

ويقول ابن خلدون : وللبادية من أهل العمران طبٌّ يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، متوارثٌ عن مشايخ الحى وعجائزه .. وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباءٌ معروفون كالحارث بن كلدة وغيره ( المقدمة ، طبعة المطبعة الأزهرية ١٣٤٩هـ ، ص ٤١٤ ) .

(٢) بخصوص انتقال الطب الشرقى واليونانى إلى العالم الإسلامى ، راجع :

- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، لابن أبى أصيبعة . .

- دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربى ، للدكتور ماهر عبد القادر محمد .

- من الإسكندرية إلى بغداد ، للدكتور ماكس مايرهوف ( وهى مقالة بالألمانية ، ترجمها الدكتور

عبد الرحمن بدوى في كتابه : التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية ) .

بستان الأطباء وروضة الألباء

طب الأطفال .. إلخ ؛ كما نشطت حركة التأليف في العلوم القريبة من الطب ، كالصيدلة .

وفي القرن السادس الهجري ( الثاني عشر الميلادي ) كانت حصيلة الخبرة الطبية العربية قد اتسعت وتنوعت ، فانعكس ذلك على التأليف الطبي ، وظهر آنذاك فنٌ جديد من التصنيف الطبي العربي ، هو : المجاميع الطبية<sup>(١)</sup> .

وتعد مخطوطة ابن المطران ( بستان الأطباء وروضة الألباء ) واحدةً من أكثر المجاميع الطبية طرافةً وتشويقاً ، وهي تبدأ بما يلي : « قال جامع هذا الكتاب ، أبو نصر أسعد بن إلياس ابن المطران ... إني جامعٌ في كتابي هذا مذاكرتُ مما أطلعه وأسمعه من الشيوخ وأنسخه من الكتب الطبية ، وقد سمته بستان الأطباء وروضة الألباء ، ( وجزأته ) جزءين ، وابتدأت به ، وأنا أسأل الله عزَّ وجلَّ المعونة على إتمامه ، وأسأل قارئة أن يكون مُفضيلاً لا متقدداً ، سامعاً لقول من يقول : رحم الله من قرأ فأخذ من كل شيء أحسنه » .. ثم يبدأ ابن المطران بوضع قاعدة علمية عامة ، فيقول :

« ينبغي للطبيب أن يكون ، إذا قدم على مداواة قوم في بلد ، أن ينظر في وضع المدينة ، ومزاج الهواء المحيط بها ، والمياه الجارية فيها ، والتدبير ( الغذاء ) الذي يستعمله قومٌ دون قوم ، فإن هذه هي الأصول ؛ ثم من بعدها : النظر في سائر الشرائط » .

\* \* \*

والمؤلف « موفق الدين بن المطران » من أشهر الأطباء العرب في القرن السادس الهجري ، أصله من دمشق وبها تعلم الطب على يد الطبيب الشهير « أمين الدولة ابن التلميذ »<sup>(٢)</sup> ، ثم

(١) يُعرف الكتاب من هذا النوع باسم : الكُنَّاش .

(٢) بخصوص ترجمة ابن التلميذ ( المتوفى ٥٦٠ هجرية ) يمكن الرجوع إلى : عيون الأنباء ص ٢٥٩ - وفيات

الأعيان ٢/٢٥٢ - معجم الأدباء ١٩/٢٧٦ - معجم المؤلفين ١٣/١٣٨ - شذرات الذهب ٤/١٩٠

- هدية العارفين ٢/٥٠٥ - 1,891 ( S ) Brockelmann



مارس العلاج في البيمارستان ( المستشفى ) الكبير بدمشق ، حتى وفاته سنة ٥٨٥ هجرية ...  
وقد ترك إلى جانب « بستان الأطباء » مجموعة أخرى من المؤلفات ، منها : المقالة الناصرية في  
التدابير الصحية - آداب طب الملوك - كتاب على مذهب « دعوة الأطباء » لابن بطلان ..  
وكل هذه المؤلفات مخطوطة ، لم يُنشر منها شيء إلى اليوم ، رغم مكانة صاحبها المرموقة  
في تاريخ الطب العربي<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

والكتاب مليء بالمعلومات الطبية والطرائف العلاجية وتراجم الأطباء السابقين على ابن  
المطران ، وفيه أيضاً ما لا حصر له من أقوال الحكماء وتعريفات المصطلحات والحكايات  
الشيقة .. فمن ذلك :

- تنبيه : ينبغي أن تعلم أن اليرقان الأصفر إنما يحدث في الأكثر عن ضعف القوة الدافعة  
التي في الكبد ، وذلك أنها إذا ضعفت لم تدفع المرار إلى المرارة فيبقى مع الدم ويسير معه إلى  
سائر البدن فيعرض اليرقان .

- توقيف : أفلاطون يسمى الحرارة الغريزية « النار الإلهية » وذكره في ( محاوره ) طيباوس  
في الكلام عن تولد الشعر .

- تنبيه : إذا أردت أن تغسل السرطانات بهاء الرماد ، فلا ينبغي أن يكون الرماد الذي  
يؤخذ مأوّه الأرماد خشب التين أو البلوط لا غير .

(١) بخصوص ابن المطران ومؤلفاته ، يمكن الرجوع إلى :

- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ( بيروت ١٩٦٥ ) ص ٦٥١ .
  - د/ أحمد عيسى : معجم الأطباء ( دار الرائد العربي - بيروت ) ص ١٣٥ .
  - حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ( دار الفكر - بيروت ) ص ٢٤٣ .
  - عمر كحالة : معجم المؤلفين ( دار إحياء التراث العربي - بيروت ) ٢ / ٢٤٥ .
- Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur, Supplementband ( Leiden - Brill  
1937 ) 1,892 .

- تنبيه : لا يُتَشَاغَلُ بِمَدَاوِةِ مَرِيضٍ دُونَ إِزَالَةِ سَبَبِهِ ، وَإِلَّا فَلَنْ تَسْتَفِيدَ شَيْئًا .

- توقيف : قال جالينوس في كتاب « إبيديميا »<sup>(١)</sup> السرّسام معناه اختلاط الدهن الدائم

مع الحمى .

- إشارة : متى تَقَقَّدَتِ عِلَامَاتُ الصَّدَاعِ أَوْ دَاوِيَتَهُ بِمَدَاوِةِ أَنْوَاعِ الصَّدَاعِ فَلَمْ يَنْجَحْ عِلَاجُكَ ، فَانظُرْ فِي وَضْعِ عِظَامِ الرَّأْسِ ، فَإِنهَا كَثِيرًا مَا تَكُونُ مَسْفُطَةً أَوْ حَادَّةً أَوْ مَسْتَطِيلَةً ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا هِيَ سَبَبُ الصَّدَاعِ ، وَكَثِيرًا مَا تُحَدِّثُ هَذِهِ الْأَوْضَاعُ سِيلَانِ الْمَوَادِّ مِنَ الْأُذُنَيْنِ أَوْ مِنَ الْعَيْنَيْنِ .

- حكاية : لروفس في كتابه « في شرى<sup>(٢)</sup> الممالك » قال : أتيت مرةً بغلام فوجدت في رأسه نقصاناً من العظام في الجانب الأيمن منه نحوًا من الثلث من جملة رأسه ، وكان موضع النقصان من رأسه لينًا تحت المجسّمة حتى كان يتبين منه بعض الشرايين في ذلك الموضع ، وكان به هوج ، وكان لا يملك حركة رجله اليسرى .

- نكتة : قال جالينوس في كتاب « تشريح الرحم » : إن رحم المرأة الحامل أعظم ما يكون من الأرحام ، ورحم المرأة التي لم تحمل بعد ، أصغر منها ؛ ورحم المرأة التي لم تُجَمِّعْ كثيرًا أصغر ؛ ورحم المرأة التي تُجَمِّعْ كثيرًا أكبر .

نكتة : العروق غير الضوارب التي تأتي الرحم ، من العرقين المنحدرين على الصلب ؛ ومنشأ الضوارب من ( أوريطى ) المارة على الصلب أيضًا ، وأوريطى هو الذى تسميه العرب الأبهـر .

- إشارة : إن أحببت أن تشق عن قلب حيوان لبحث حال نبض القلب والعروق الناشئة منه عيانًا ، فينبغى أن تفعل ذلك في بيت يكون هواه حارًا ، فإنه إن لقي القلب الهواء البارد ،

(١) الإشارة إلى شرح جالينوس على كتاب : إبيديميا Epidemecs لأبقراط ، وهو معروف لدى الأطباء العرب باسم آخر هو : كتاب المرض الواصل (الحميات) .

(٢) يقصد : شراء .

تلف الحيوان بسرعة ولم يبق النبض على مجرى طبيعته ، لكن يحدث اختلافٌ وتشويشٌ كثير ، فينبغي أن يكون ذلك الفعل في حَمَامٍ أو بيت يشبه به .

- حكاية : من الكتاب المذكور ( الجوامع ) اتفق لنا أن عليلاً كان في صدره ناصور كان بلغ إلى العظم الذى فى وسط قَصبه ، فلما التمسنا مداواته كشفنا عن عظم القَصبُ جميع ما يحيط به من الأجسام ، فوجدنا القَصبُ قد أصابه فسادُ الجواهر ، فاضطرنا ذلك إلى قَطعه ، وكان الموضع الفاسد من القَصبُ هو الذى عليه مُستقر غلاف القلب ، وهو الموضع الذى من عادتنا التشريح فيه للكشف عن غلاف القلب ، فلما رأينا ذلك توقفنا شديداً فى انتزاع العظم الذى كان قد فسد ، وقد كانت عنايتنا إنما هى باستبقاء الغشاء المغشى له من الداخل وحفظ سلامته ، غير أننا لم نجد هذا الغشاء سليماً .. فكنا ننظر إلى القلب نظراً بيئاً كمثل ما نراه إذا كشفنا عنه بالتعمد فى عمل التشريح ، وسلم ذلك الغلام ، ونبت اللحم فى ذلك الموضع الذى قُطع له من القَصبُ حتى امتلأ واتصل بعبه ببعض وصار يقوم من ستر القلب وتغطيته بمثل ما كان يقوم به من قبل ذلك رأس غلاف القلب ؛ والغلام أفلت ، فإنه لم يحدث هناك من العلة شىءٌ أكثر مما يكون فى كل يوم من الحُرَّاجات التى تثقب الصدر ، ومع هذا فليس يأتى من قبل غلاف القلب ، خاصةً ، شىءٌ من الإشراف على التلف كما يأتى من قبل باقى أجزائه .

\* \* \*

وتلك الفقرات التى نقلناها من موضع واحد من المخطوطة ، توضح لنا طبيعة الكتاب ومضمونه ، وما يتميز به من طرافة وتشويق وحشد للمعارف الطبية السائدة آنذاك .. وإذا تصفحنا بقية المخطوط فسوف نجد المزيد مما يجعلنا نعرف الكثير عن الطب العربى ، وحدود معرفة الأطباء العرب بالتشريح والجراحة وخواص الأدوية وطبائع الأمراض وسبل الشفاء<sup>(١)</sup> .

ولا تزال تلك المخطوطة - كغيرها من المخطوطات التى ستعرض لها عبر فصول هذا الكتاب - تنتظر اليوم الذى تمتد فيه يد التحقيق إليها ، لتخرج منشورة على القراء المعاصرين .

(١) هناك عدة نسخ مخطوطة من ( بستان الأطباء ) محفوظة بمكتبات : رامبور - بغداد - وقد اعتمدنا هنا على مخطوطة طهران ( مكتبة - شورى مل ) وهى المخطوطة التى توجد منها نسخة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

خانقاه قزوین  
کتابخانه  
کتابخانه  
کتابخانه

کتابخانه  
کتابخانه  
کتابخانه

از کتابخانه  
کتابخانه  
کتابخانه

کتابخانه  
کتابخانه  
کتابخانه

کتابخانه  
کتابخانه  
کتابخانه

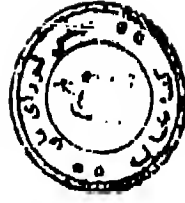
کتابخانه

کتابخانه  
کتابخانه  
کتابخانه



کتابخانه  
کتابخانه  
کتابخانه

غلاف المخطوطة



مصنف

كتاب طبقات الاطباء ابو نصر سعد بن  
الطاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جامع هذا الكتاب ابو نصر سعد بن

الطاهر بن المطران قدس الله روحه اتي جامع في كتاب

هذا مذاكر ما طالعه واسمعه من الشيوخ النخبة

من الكتب الطبية وقد وجدت في بيتنا الاطباء

وردت فيه الابنار خريته جزان وابيدات بروانا

اسأل الله عز وجل المعونة على اتمامه واسأل قاريه

ان يكون مفيداً لا اسقداً كما نقول من يقول

رحم الله من قرأناخذ من كل شئ احسنه يعني الطبيب

الورقة الأولى من المخطوطة

ان يكون اذا قدم على مداواة قوم في بلدان ينظر  
 في وضع المدينة ومزاج الهوى المحيط بها والمياه الجارية  
 فيها والتدبير الخاضع الذي يستعمله قومًا دون قوم  
 فان هذه هي الاصول ثم بعدها النظر في سائر النظائر  
 تمثيل ظريف الطبيعة كالمدي والعلّة كالخمس والعلايا  
 كالشهود والقارورة والنض كالبيتة ويوم البحران  
 كيوم القضاء والمريض كالمتوكل والمنطيق كالفاضي اسم  
 اليرقان مشتق من اسم طائر ذهبي اللون يكون وجوده  
 كثيرًا في شدة الحر وماواه بين القبور والحراب في الاكثر نكتة  
 العلة فان اصحاب اليرقان يدفون الخلق فيجسونه  
 مراة الصفة قلبت على ابدانهم جميعًا وعلى حواسهم  
 فاذا ورد طعم اخر في الفم ولاق الحاسة اثار الكامن  
 في الحاسة من ذلك الخلط الملائع عالجها للذوق  
 فيسبق المذوق فاحس الملائع اول ملاق وسابق

تمثيل ظريف  
 اسم اليرقان  
 اصحاب اليرقان يدفون الخلق فيجسونه

## الفصل الثاني ( مخطوطة فلكية ) :

### تخريزُ المجسطي

#### للطوسي

في كتابه الشهير ( الفهرست ) يتحدث ابن النديم عن الفلكي اليوناني العظيم « بطليموس » فيقول : « هو صاحب كتاب المجسطي .. وهو أول من عمل الاسطرلاب الكرى والآلات النجومية والمقاييس والأرصاء » . ثم يتحدث عن كتابه « المجسطي » فيقول : وهذا الكتاب ثلاث عشرة مقالة ، وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية ، يحيى بن خالد بن برمك ، ففسره جماعة فلم يتقنوه .. وقد قيل : إن الحجاج بن مطر نقله إلى العربية أيضاً ، ونقله إسحاق بن حنين نقلاً غير مُرضٍ ، لأن إصلاحه الأول أجود<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وكتاب المجسطي هو أهم كتب الفلك عند اليونان والمسلمين ، وكان يحيى البرمكي - كما يقول ابن النديم - هو الذي أمر بترجمته عن الأصل اليوناني الذي كان بعنوان : التصنيف العظيم في الحساب Megal Syntaxis Mathematike ومن كلمة Megal استمد العرب كلمة : مجسطي .

وعن بطليموس وكتابه المجسطي ، يقول الدكتور مرجبا : كان بطليموس عالماً في الرياضيات والفلك والجغرافيا والعلوم الطبيعية ، وأهم ما ألقه هو حركات الكواكب ( المتحيرة ) فهي تتقدم على الشمس أحياناً ، وتتاخر عنها أحياناً أخرى ، كما يختلف ترتيبها بعضها بالنسبة إلى بعض من وقتٍ إلى آخر ، وتتغير مواقعها في السماء بين الحين والحين

(١) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق رضا المازندراني ( دار المسيرة - الطبعة الثالثة ١٩٨٨ ) ص ٣٢٧ .

بالقياس إلى النجوم الثابتة ؛ ولتفسير هذه الظاهرة وتعليل ما فيها من حيرة وتشويش ، جاء بطليموس بنظرية أفلاك التدوير ، فالأفلاك الكبيرة تقع على محيطها مراكز الأفلاك الصغيرة ، وبعبارة أخرى فإن كلاً من الكواكب السيارة ( الثائهة أو المتحيرة ) يتحرك في مدار ( فلك أو محيط ) خاص به ؛ وهذه المدارات بعضها أكبر من بعض ، ولكل مدارٍ من هذه المدارات مركزه الخاص به ، وجميع الكواكب بما فيها الشمس تدور حول الأرض ، فالأرض هي مركز العالم ، وبهذه النظرية ظنَّ بطليموس أنه فسّر حيرة الكواكب السيارة ، والحقُّ أنه عقَّد علم الفلك وزاد في مشاكله وصعوباته دون أن يفسر شيئاً؛ وقد دُوِّنت هذه الأفكار جميعاً في كتاب بطليموس المعروف بالمجسطى .. وظل ( المجسطى ) المرجع الأول والأخير لعلم الفلك القديم كله ، ولم يفقد سيطرته على الأذهان إلا عندما قلبَ كوبرنيقوس علم الفلك رأساً على عقب .<sup>(١)</sup>

والمجسطى ملئٌ بالأرصاء الفلكية لأجرام السماء ، لكنه كتابٌ معقَّد جداً ، نظراً لتعقيد نظام الرصد الذي سار عليه مؤلفه « بطليموس » .. ولهذا احتاج الكتاب من العلماء العرب جهوداً طويلة في ترجمته وتحريره ، فقام عدة مترجمين بنقله من اليونانية والسريانية ، وقام غيرهم بتنقيح الترجمة وإصلاح لفظها حتى يتسنى للفلكيين الاستفادة منها .

ولكن المجسطى ظل بعد ترجمته بحاجة إلى ما كان يسميه العرب ( التحرير ) وهو لفظٌ يُقصد به المراجعة والتدقيق وإصلاح الأخطاء .. ولقد اعتنى بتحرير المجسطى جماعة كبيرة من الفلكيين العرب في القرون التالية لترجمة الكتاب للعربية ، فمن هؤلاء : جابر بن الأفلح الإشبيلي المتوفى ٥٤٠ هجرية في كتابه ( إصلاح المجسطى ) وعبد الرحمن بن عمر الصوفي المتوفى ٣٧٦ هجرية في كتابه ( صور الكواكب الثمانية والأربعين ) .. أما أشهر تصحيح وإصلاح لهذا الكتاب ، فهو ما قام به العلامة نصير الدين الطوسي في كتابه : تحرير المجسطى ؛ وهو الكتاب الذي نتوقف فيما يلي عند مخطوطته ، لكننا سنلقى - أولاً - بعض (١) د/ عبد الرحمن مرجبا : الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ( منشورات عويدات بيروت ١٩٨٨ ) ص ١٧٤ .



الضوء على العلّامة الطوسي صاحب (التحرير) لتتعرّف إلى شخصيةٍ مهمّةٍ لها مكانتها المتميزة، ليس في تاريخ العلم العربي فحسب، بل أيضًا في تاريخ العلم الإنساني على وجه العموم.

\* \* \*

هو العلّامة المحقّق: نصير الدين أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (نسبة إلى مدينة طوس الفارسية) صاحب المؤلفات العديدة في العقيدة والأخلاق والمنطق والفلسفة والرياضيات والفلك.. كانت وفاته - بعد حياة علمية وسياسية حافلة - سنة ٦٧٢ هجرية<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثير من التفاصيل التاريخية الخاصة بحياة العلامة الطوسي وانتهاه العقائدي وموقفه من سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هجرية على يد المغول وصحبته لقائدهم «هولاكو» إلى غير ذلك من تفاصيل خلوته - أو اعتقاله - بقلعة «ألموت» معقل الشيعة الإسماعيلية.. وكلها تفاصيل يضيّق المقام هنا عن ذكرها والدخول في تناقضاتها العديدة؛ إذ أن ما يهمنا الآن هو إلقاء الضوء على الجهد العلمي الكبير لهذه الشخصية الإسلامية المرموقة علمياً.

تجلّت جهود الطوسي العلمية في أمرين أساسيين، الأول هو بناؤه لأكبر مرصد فلكي في القرون الوسطى، وهو (مرصد مراغة) الذي يعدُّ أول مجمع فلكي علمي في تاريخ الإسلام،

(١) هناك العديد من التراجم التاريخية لنصير الدين الطوسي، أشهرها وأوفاهما ترجمته الواردة في (أعيان الشيعة) للعامل. ومن الدراسات المعاصرة حول الطوسي:

- د/ عبد الأمير الأعسم: الفيلسوف نصير الدين الطوسي (دار الأندلس، بيروت ١٩٨٠).

- عارف تامر: نصير الدين الطوسي في مراتب ابن سينا (مؤسسة عز السنين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣).

- شتروتمان: مادة «الطوسي» بدائرة المعارف الإسلامية.

وقد قام الدكتور / عباس سليمان بعمل دراسة مطولة عن الطوسي، نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية (١٩٩٠) ويمكن الرجوع إلى عرضنا النقدي لهذه الرسالة بمجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة - يوليو ١٩٩١ - المجلد ٣٥) ص ١٦٣ : ١٩٥.

وقد تكألف هذا المرصد أموالاً باهظة ، استطاع الطوسى تدبيرها عن طريق إقناع (هولاكو) بأهمية بناء المرصد لمراقبة النجوم والتنبؤ منها على أحوال المستقبل ، وكان ( هولاكو ) يؤمن بالتنجيم ويعتقد في المنتجمين ، فاستغل الطوسى هذا الأمر ليصل إلى غرضه العلمى .. وقد احتوى هذا المرصد على أعظم الآلات الفلكية اللازمة للرصد ، والتي صمّمها الطوسى وأشرف على صنعها بنفسه ، كما ألحق مكتبة ضخمة بالمرصد كانت تضم أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ كتاب ، استطاع الطوسى أن ينقذها من يد المغول الذين كانوا يكرهون الكتب ويفرقونها في الأنهار .. ولقد جمع الطوسى في هذا المرصد ، نخبة من كبار علماء الفلك المسلمين ، أمثال ابن الفوطى وفخر الدين المراغى وابن البواب البغدادى ومؤيد الدين العرضى ومحمى الدين المغربى ، وغيرهم الكثير من الفلكيين الذين حملوا راية هذا العلم .

والجهد العلمى الآخر ، لتصير الدين الطوسى ، هو ذلك العدد الكبير من (التحريرات) التى قام بها على أمهات كتب العلم اليونانى القديم ، فاستطاع ببحوثه العلمية الخاصة أن يُعيد كتابة العلوم القديمة من خلال تلك المجموعة الكبيرة من المؤلفات ، مثل : تحرير كتاب ظاهرات الفلك لإقليدس - تحرير كتاب ثاوزوسيوس في حركة الأيام والليالى - تحرير كتاب أرسطرخس في جرم الشمس والقمر - تحرير كتاب ثاوذوسيوس في حركة الأيام والليالى - تحرير كتاب أرسطرخس في جرم الشمس والقمر - تحرير كتاب الطلوع والغروب لأوطولوقس - تحرير كتاب أبقلاوس في المطالع - تحرير كتاب المساكن لثاوزوسيوس - تحرير كتاب الأكر.. إلخ . هذا في علم الفلك ، أما في الرياضيات فقد كتب الطوسى : تحرير أصول الهندسة لإقليدس - تحرير كتاب مساحة الأشكال لبنى موسى بن شاكر - تحرير كتاب مُعطيات الهندسة - تحرير كتاب الكُرة والأسطوانة لأرشميدس - تحرير كتاب الكرة المتحركة لأوطولوقس .. وغير ذلك من الكتب .

أما مخطوطة (تحرير المجسطى) فهى ، كما يقول مؤرخ العلم المعاصر ، جورج سارتون ، « تدل على عبقرية الطوسى وطول بضاعه في الفلك ، وإن الانتقادات التى وجهها الطوسى إلى

بطليموس كانت هي الأساس للنظرية الفلكية المعاصرة كما قدمها كوبرنيكوس<sup>(١)</sup>.  
لقد أعاد الطوسي صياغة كتاب المجسطى وفقاً للأرصاء الفلكية التي قام بها بنفسه ،  
فصحح الأخطاء التي وقع فيها بطليموس ، خاصةً أن الطوسي كان قد توصل إلى نظام فلكي  
أبسط كثيراً من نظام بطليموس المعقد ، مما سهل له التوصل إلى نتائج أدق .

\* \* \*

وتبدأ المخطوطة التي بين أيدينا - وهي واحدة من عدة مخطوطات لا تزال باقية إلى  
اليوم<sup>(٢)</sup> - بما يلي : « الحمد لله مبدأ كل مبدأ وغاية كل غاية ، ومفيض كل خير ، وولي كل  
هداية .. وبعد ، فقد كنت برهة من الزمان عازماً على أن أحرر لنفسي ولسائر طلبة العلم من  
الإخوان ، كتاب المجسطى المنسوب إلى بطليموس ، الذي هو الدستور العظيم لأصحاب  
صناعة الهيئة والتنجيم ، تحريراً لا تفوته مقاصد ذلك الكتاب حتى في ترتيب الفصول وأبواب  
الحساب ، ورسوم الجداول وأوضاع الأشكال .. بشرط الإيجاز والانتقار والاحتراز عن الإسهاب  
والتكرار » .

وقد أهدى الطوسي هذا الكتاب إلى « حسام الدين بن الحسن السيواسي » وجعله في  
ثلاث عشرة مقالة ، ووضع فيه ١٩٦ شكلاً هندسياً ، يشرح فيها نظرياته الفلكية ونتائج رصده  
لأجرام السماء .

وعلى الرغم من وجود العشرات من النسخ الخطية لكتاب ( تحرير المجسطى ) ، ووجود  
عشرات الشروح - المخطوطة - عليه ، إلا أنه لم ينشر على القاريء العربي المعاصر حتى اليوم ،  
ولقد ذكر لي الدكتور عباس سليمان أنه ينوي - يوماً - تحقيق هذا الكتاب ونشره ، بعد طول  
احتجابه طيلة القرون الماضية .. وما نحن نتظر ، كما انتظرت مخطوطات الكتاب ، صدور هذه  
النشرة المحققة .

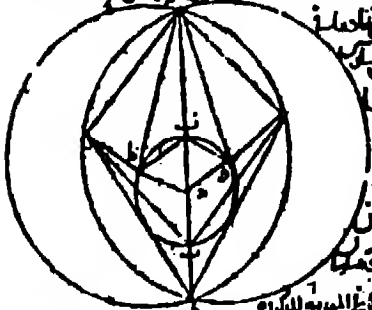
(1) G. Sarton : Introduction to History of Science.

(٢) بخصوص النسخ الخطية من مخطوطة « تحرير المجسطى » يمكن الرجوع إلى الحصر الشامل المتبع الذي  
قام به الدكتور / عباس سليمان في رسالته سابقة الذكر .. وانظر أيضاً :

- Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur ( Lieden ) 1/ 924, 925

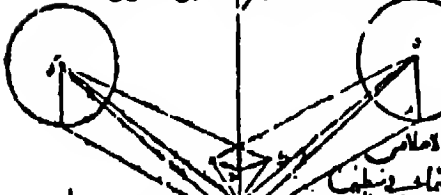


هناك فصل في شرحه حاصل بتبعه بل صفة فصله من على حدة وكذلك فصله من على حدة في حيزه  
كذلك في الفصل الثاني من كتابه ارسطو في صناعة الفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك



وهذا الفصل في حيزه حاصل بتبعه بل صفة فصله من على حدة وكذلك فصله من على حدة في حيزه  
كذلك في الفصل الثاني من كتابه ارسطو في صناعة الفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك

وهذا الفصل في حيزه حاصل بتبعه بل صفة فصله من على حدة وكذلك فصله من على حدة في حيزه  
كذلك في الفصل الثاني من كتابه ارسطو في صناعة الفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك



وهذا الفصل في حيزه حاصل بتبعه بل صفة فصله من على حدة وكذلك فصله من على حدة في حيزه  
كذلك في الفصل الثاني من كتابه ارسطو في صناعة الفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك

وهذا الفصل في حيزه حاصل بتبعه بل صفة فصله من على حدة وكذلك فصله من على حدة في حيزه  
كذلك في الفصل الثاني من كتابه ارسطو في صناعة الفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك المسمى بالفلك

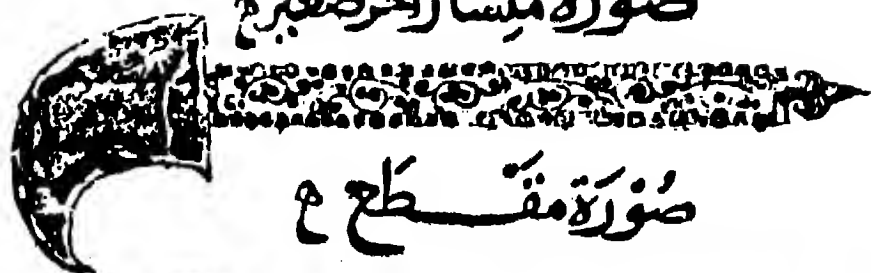
صفحة من المخطوطة تحتوي على بعض الأشكال

الهندسية

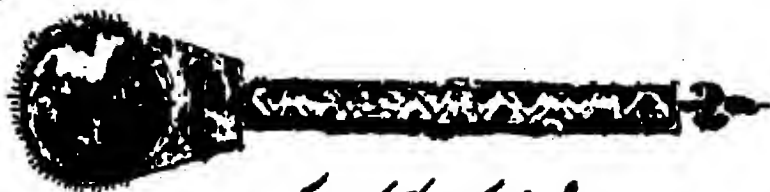




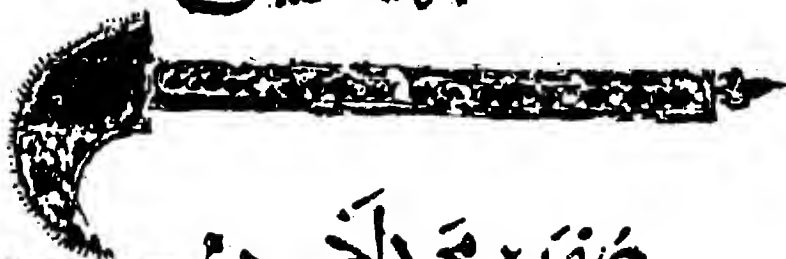
صُورَةُ مِشَارٍ أَخْرَصَ فِيمِ



صُورَةُ مَقْطَعٍ



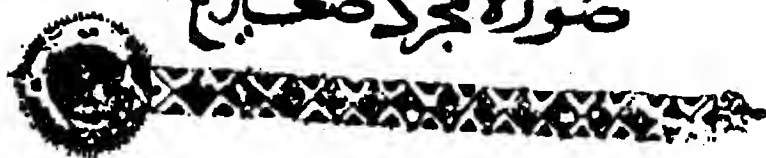
صُورَةُ بَيْرِدِ عَرِيضٍ



صُورَةُ مِجْرَدٍ أَخْرَصَ



صُورَةُ مِجْرَدٍ صَعْبِ

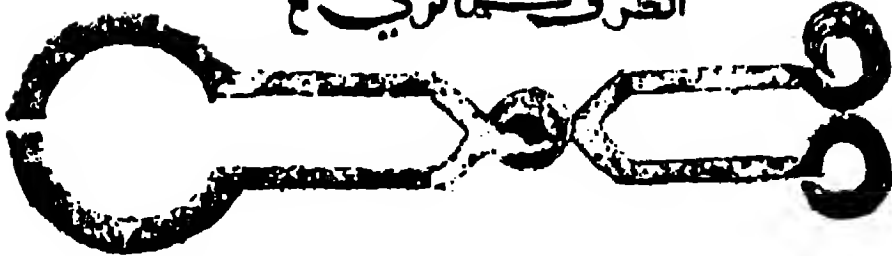


نماذج لآلات جراحية

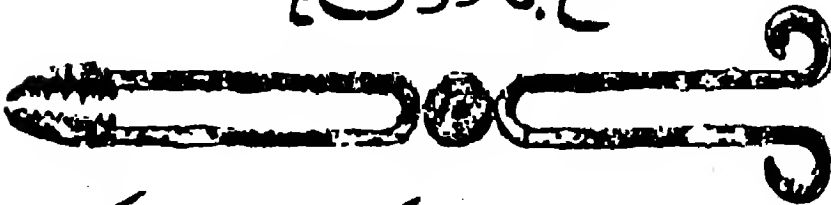
من مخطوطة مكتبة خدابخش

رقم ٢١٤٦

وهذه صورة المشدح الذي يشدح  
بدرأس الجنز يشبه المقصر له أسنان في  
الطرف كما ترى



وقد تصنع مستطيله كالكلاب على  
هذه الصورة كما ترى له أسنان كالأسنان للمشار  
تقطع بها وترض



اعلم ان هذه الآلات كلما كثرت انواعها وكانت قبيحة  
في النشاع كانت اسرع لعمله وارفع عند الناس لقلده ولا يستعمل

نماذج اخرى

من مخطوطة مكتبة خدابخش

رقم ٢١٤٦



## الفصل الخامس ( مخطوطة فنون عسكرية ) :

### تفريجُ الكُروبِ في تذييرِ الحُروبِ

#### لمؤلف مجهول

في الفصل قبل السابق ، عند تقديمنا لمخطوطة حسام الدين لاجين الطرابلسي ، « تحفة المجاهدين في العمل بالميادين » تحدثنا عن أهمية الالتفات إلى التاريخ الحربي والعسكري للعرب ، ونشر مخطوطاته التي لقيت منا أشد الإهمال .

وفي بدء الكلام عن مخطوطة « تفريج الكروب » التي نستعرض فيما يلي محتواها ، أرى من الواجب أن نتوقف قليلاً عند بعض المخطوطات العسكرية المهملة ، لنلقى الضوء عليها ، خاصة تلك المخطوطات التي تم تدوينها في العصر المملوكي الذي دوت فيه « تفريج الكروب » لمؤلفها المجهول .

\* \* \*

شهد النصف الأول من العصر المملوكي - القرنان السابع والثامن الهجريان - نهضة كبيرة في شتى مجالات الحياة ، ومن بينها مجال الفنون الحربية والفروسية ، وكانت للعسكرية المصرية المملوكية في القرن السابع الهجري ، انتصاراتها الباهرة على الصليبيين والمغول ، مما مهد السبيل أمام مرحلة الاستقرار الأمني في مصر والشام ، وهو الاستقرار الذي أثمر الكثير من الإنجازات الحضارية في ميادين المعرفة العلمية والعمارة والتنظيم الإداري وإحياء التراث العربي الإسلامي بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هجرية<sup>(١)</sup>.

(١) بخصوص هذه الفترة يمكن الرجوع إلى :

د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ( دار النهضة العربية - بيروت ) .

وفي إطار الاهتمام المملوكي بالأمر العسكري وفنون القتال ، وُضعت عدة مؤلفات في هذا الباب ، فمن ذلك كتاب « الأدلة الرسمية في التعابىء الحربية » لمحمد بن منكلى الناصرى تقيب الجيش في زمن السلطان الأشرف شعبان ( ٧٦٤ : ٧٧٨ هجرية ) وفيه يقول المؤلف : والسبب الداعى لهذا التأليف أمور ، أحدها : ليعلم أن فى العسكر الإسلامى مَنْ له عناية من ربه تعالى بخدمة أولى الجِدِّ والاجتهاد .. إلخ<sup>(١)</sup> وقد ذكر ابن منكلى فى أثناء كتابه هذا ، بعض أسماء كتبه الأخرى فى فنون الحرب ، مثل : المنهل العذب لورود أهل الحرب - الرسالة المرضية فى صناعة الجنديّة - الكشف والبيان<sup>(٢)</sup> .

وفى مجال الرماية ، وضع عبد الله بن ميمون كتاب « الإفادة والتبصير لكل رام مبتدىء أو ماهرٍ نحرير ، بالسهم الطويل والقصير » فقال فى مقدمته : جعل سبحانه الرمى نكاية العدو ، واستطاعة القوة فى الغزو ، ووعد من رمى بسهم فى سبيله بدرجة فى الجنة .. ولما كان الجهاد من أعظم العبادات ، وكان فرضٌ بينٌ فيما قيل ، دعانى ذلك إلى تأليف كتاب فى الرماية عن القوس العربىة ، لا بالطويل فيُتملُّ ، ولا بالمختصر<sup>(٣)</sup> .

ويكتب مرضى بن على الطرسوسى « تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ، ونشر أعلام الإعلام فى العدد والآلات المُعينة على لقاء الأعداء »<sup>(٤)</sup> .. ويكتب الحسن السنجارى « هداية الرامى إلى الأغراض والمرامى »<sup>(٥)</sup> ويكتب محمد بن لاجين « الفروسية برسم الجهاد ، وما أعدَّ الله للمجاهدين من العباد » .. وغير ذلك الكثير ، مما يضيق المقام هنا عن ذكر المزيد منه .

(١) محمد بن منكلى : الأدلة الرسمية ( مخطوطة أيا صوفيا - اسطنبول ، رقم ٢٨٧٥ ) الورقة الثانية .

(٢) راجع فهرس مخطوطات « معهد المخطوطات العربىة بالقاهرة » ٣ / ٤ .

(٣) عبد الله بن ميمون : الإفادة والتبصير ( مخطوطة كوبر بلى زاده - اسطنبول ، رقم ١٢١٣ ) الورقة الأولى .

(٤) توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث - اسطنبول - تحت رقم ٢١١٤ .

(٥) توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث - اسطنبول - تحت رقم ٢٣٠٥ .

لؤلف مجهول

وقد استفاد العسكريون المسلمون في تأسيس معارفهم الحربية من كل المصادر السابقة عليهم ، فها هو محمد بن منكلى يقول في كتابه « الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » ما نصّه : هذا كتاب الحيل في الحروب .. من حِكَم ذى القرنين الإسكندر بن فيلبس اليونانى ، وُجِدَ في ديباس بالإسكندرية بين حجرين مطبقين ، أحدهما على الآخر ، مكتوباً باليونانية فترجم بالعربية ، وهذا الكتاب في جميع أبوابه يُحتاج إليه في أنواع الحرب من الحيل والمكر والخديعة ومخادعة العدو والاحتراس من مكره وعمل الآلات والسلاح .. إلخ (١).

وقد تزايد هذا الحرص على تحصيل العلوم الحربية وتطويرها ، نظراً للرباط الدائم الذى كانت مصر فيه آنذاك ؛ بالإضافة إلى تشجيع الحكام للفروسية لمصلحتهم العامة والخاصة ، ولم يقف التشجيع عند حد الحكام ، بل تعدّاه إلى رجال العلم والدين ، فها هو السيوطى يُفرد للفروسية كتاباً بعنوان : تحفة الأحباب في الرمي بالنشاب .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤلفات العسكرية التى ذكرناها - وغيرها الكثير - لا تزال حتى اليوم مخطوطة لم تُنشر (٢).

\* \* \*

ومخطوطة « تفريج الكروب » وضعها مؤلفها المجهول للملك الناصر فرج بن برقوق الذى تولى الحكم من سنة ٨٠١ إلى سنة ٨٠٨ هجرية .. وهى تبدأ بقول المؤلف :

« الحمد لله مؤيد الإسلام من سلطانه الناصر بعزیز نصره ، ومُرغم أنف الخارج عن طاعته بتعجيل هلاكه وردّ كيده في نحره ، ومُريه من مصارع أعدائه ما يتعظ به العاقل ويعده المتأمل من عجائب دهره .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يتوارثها عظماء الملوك

(١) محمد بن منكلى : الحيل في الحروب ( مخطوطة أحمد الثالث ، رقم ٣٤٦٩ ) الورقة الثانية .

(٢) أغلب المخطوطات المذكورة هنا - وغيرها الكثير من المخطوطات العسكرية - توجد منها مصورات ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .. أما مخطوطة السيوطى ( تحفة الأحباب ) فتوجد منها نسخة جيدة بالمكتبة المركزية لجامعة الإسكندرية .

كابراً عن كابر ، ويُوَصَّى بها على الدوام أبداً الأول منهم الآخر .. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المخصوص بالتأييد عن تتابع الدهر ، والمنصور بالرعب المؤثر في قلوب أهل الكفر على مسيرة شهر<sup>(١)</sup> .. إلخ » .

ومع أن المؤلف وضع كتابه في السنوات الأولى من القرن التاسع الهجري ، وهي بالنسبة للتاريخ المملوكي فترة ضعف واضطراب ، إلا أن المؤلف يُضفي على السلطان من الألقاب ، ما لم يحمّله من قبله السلاطين العظام ؛ وتلك ظاهرة معروفة في التاريخ .. فكلما ازداد التأخر وسادت أحوال التخلف ، لجأ الحكام إلى تعويض عجزهم بإضفاء الألقاب على أنفسهم ، وشجّعوا الناس على التملُّق لهم ، عوضاً عن تهافت سلطانهم على البلاد والعباد ، وفي المخطوطة التي بأيدينا ، نرى المؤلف يعدّد ألقاب الملك فرج بن برقوق ، فيقول :

« وبعد ، فلما كان السلطان الأعظم ، الملك الناصر ، العالم العادل المجاهد المرابط المتاعر ، المؤيد المظفر المنصور ، زين الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مُحْيِي العدل في العالمين ، وارث مُلْك ملوك العرب والعجم والترك ، ظلَّ اللهُ في أرضه ، القائم بستته وفرضه ، إسكندر الزمان ، مُمْلِك أصحاب الأسيِّرة والتيجان ، واهب الأقاليم والأمصار ، مُبِيد الطغاة والكفار ، حامى الحرمين جوائز القبلتين ، جامع كلمة الإيِّمان ، ناشر لواء العدل والإحسان ، سيد ملوك الزمان ، إمام المتقين ، قسيم أمير المؤمنين ، أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد الملك الظاهر أبي سعيد بن برقوق .. » .

وتزداد دهشتنا ، بعد هذه الألقاب كلها ، حين نعلم أن فرج بن برقوق كان من أسوأ الحكام ، وأنه تولَّى السلطنة بعد مقتل أبيه ، لمدة سبع سنوات ، ولم يكن قد أتمَّ عشر سنين من عمره ، وقد توفَّق ابن حجر العسقلاني عنده في « ذيل الدرر الكامنة » فلم يذكر عنه إلا

(١) الإشارة للحديث الشريف : نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر . ( أخرجه السيوطي بلفظ قريب عن ابن عباس وابن هريرة وغيرهما - راجع : الجامع الكبير ، المجلد السادس ، ص ٧٣٢ ، ٧٣٣ ) .

لؤلف مجهول

الآتى : « ذُكر من مات سنة خمس عشرة ( ٨١٥ هجرية ) : فرج بن برقوق ، الناصر بن الظاهر ، بدمشق ا »<sup>(١)</sup> مما جعل محقق الذيل يقول فى هامش الصفحة :

« هكذا اكتفى شيخ الإسلام بذكر اسم السلطان ولم يذكر شيئاً من سيرته ، وهو السلطان ، وكذلك فعل فى الإنباء ( إنباء العُمر بأبناء العُمر ٧ / ٨٠ ) فلم تزد ترجمته هناك على أربعة أسطر ؛ وفى « الضوء اللامع » يقول السخاوى :

« فرج بن برقوق .. وُلد سنة ٧٩١ فى وسط فتنه يلُبعنا الناصرى ومنطاش ، فسماه أبوه بلغاق ا ثم سماه فرجاً ؛ فكان اسمه الحقيقى هو الأول .. استقر فى المملكة بعهد من أبيه ، فى شوال سنة ٨٠١ ، وسنَّه دون عشر سنين ، واختلف ممالك أبيه عليه كثيراً .. وتُخلع فى غضون مملكته سنة ٨٠٨ بأخيه المنصور عبد العزيز ، نحو شهرين ، ثم أُعيد فى جمادى الآخرة من نفس السنة ، وأمسك أخاه فحبسه ثم قتله .. واعتُقل سنة ٨١٥ ، واستفتوا العلماء فأفتوا بوجوب قتله ، لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم والفتك العظيم ، فقتل ودُفن بمقابر دمشق ، وكان سلطاناً مهيباً فارساً كريماً فتاكاً ظالماً جباراً منهمكاً على الخمر واللذات ، طامعاً فى أموال الرعايا<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ونعود للمخطوطة ، فنرى مؤلفها المجهول وهو يقول عن نفسه : وكنت عن نظر فى كتب التاريخ على اختلافها ، وتدبر وقائع الحروب منها على تباين أصنافها .. فدعانى ذلك إلى أن أخدم خزانته الشريفة ( يقصد خزانة كتب فرج بن برقوق ) بكتاب أضعه فى تدبير الحروب وترتيبها ، ومعرفة أحوال القتال وتقديرها ، ليهتدى بذلك من يقف عليه من أمرائه الأنجاب وقواد عساكره .. إلخ .

(١) ابن حجر العسقلانى : ذيل الدرر الكامنة ، تحقيق د/ عدنان درويش ( نشرة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٢ ) ص ٢٢٢ .

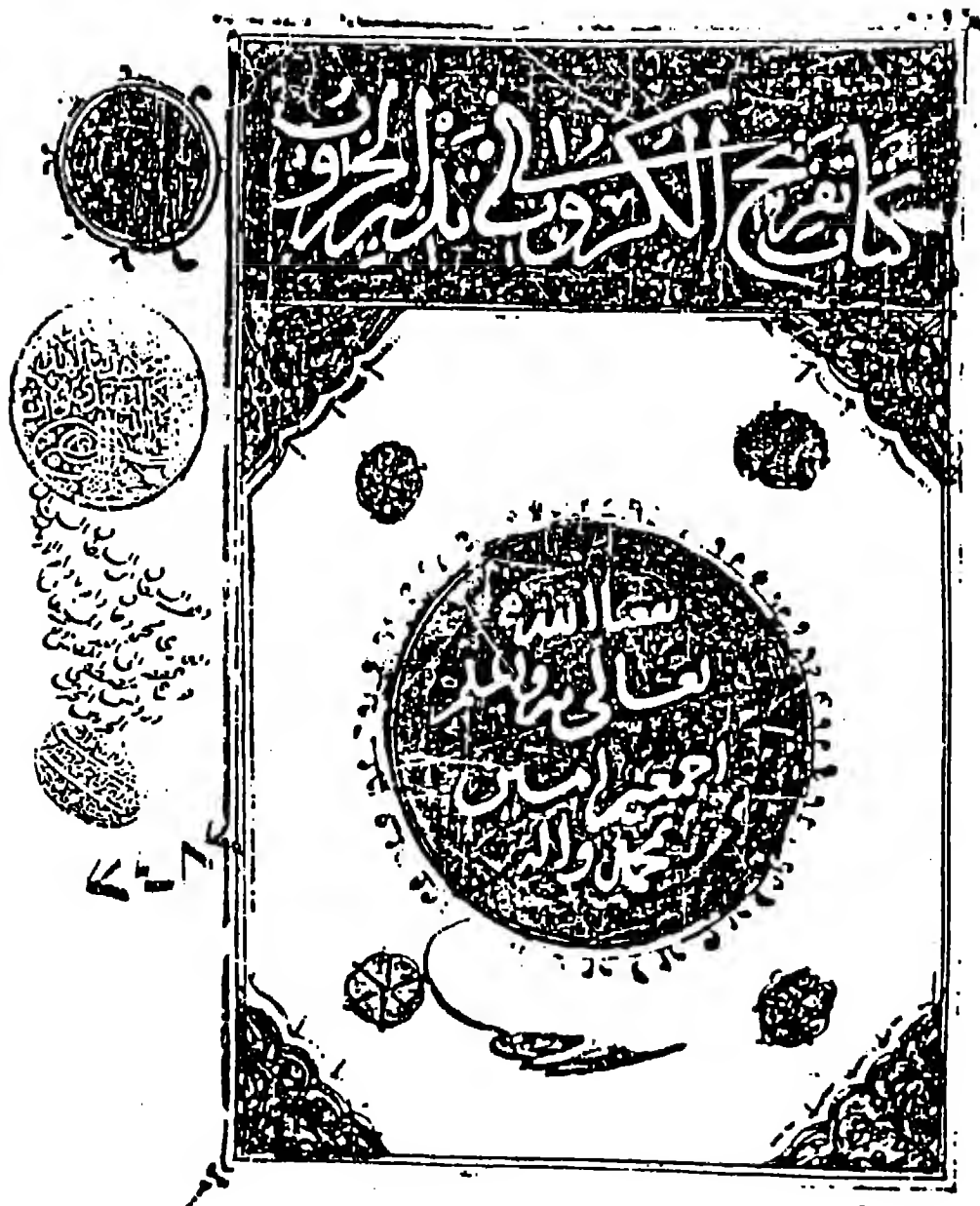
(٢) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ( منشورات دار الحياة - بيروت ) ٦ / ١٦٨ .

وهناك مخطوطة جيدة من « تفريغ الكروب » وهي نسخة نفيسة ، خزائية ، مكتوبة بخط الثلث الجميل ، مشكولة ، تقع في ١٥٢ ورقة ، وناسخها هو أبو الفضل بن عبد الوهاب السنباطي .. وتوجد المخطوطة في مكتبة الفاتح باسطنبول ، تحت رقم ٣٤٨٣ .

وتنتهي المخطوطة من استعراض الفنون الحربية المختلفة ، بجملة نصائح عامة للسلطان وأمير الجند ، فتقول : وعليه أن لا يُناهض عدوه ولا يناجزه للقتال إلا عند الضرورة والحاجة إلى الدفع عن نفسه ، ولا يُقاتل ما وجد إلى الحيلة والخديعة سبيلاً ( وتلك قاعدة ميكافيلية ) وعليه بالمطاولة والمدافعة وإن دام الحصار ، ويفتتم اليوم والساعة واللحظة لتتهياً له الحيلة ، ويتنظر حوادث الزمان وما يقع من الفرج ؛ وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ ، أن النصر مع الصبر ، وبالجملة ، فإنه يجب عليه أن يملك قلوب الرعية بالعدل والإحسان ، فإنه ليس غاية مراد الرعية إلا ذلك ، ومن عان العدل والإحسان ، كانت رعيته من أنصح الجند له ، لطمأنينة قلوبهم إليه ، وربما ضبطوا مكانهم إذا غاب عنهم جُند الملك إلى حين حضور مَنْ يثق به الملك من المنديين لذلك ، والله أعلم ، وبه التوفيق ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن الواضح أن فرج بن برقوق لم يستمع إلى تلك النصائح الخاصة برعاية الرعية - كما لا يستمع أغلب الحكام - فلقى مصيره المشثوم وهو في الرابعة والعشرين من عمره ؛ واستحق كلام العسقلاني عنه بصيغة التجهيل والتهميش .. ولم تنفعه تلك الألقاب الخدّاعة التي أغدقها عليه مؤلف مخطوطة التفريغ .





مخطوطة كتاب تفريع الكروب (نسخة مكتبة الفاتح ب اسطنبول)

وتظهر عليها الأختام السلطانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مُؤَيَّدِ الْإِسْلَامِ مِنْ سُلْطَانِهِ  
النَّاصِرِ بَعِزِّ بْنِ نَضْرَةَ وَمُرْعِمِ أَنْفِ  
الْحَارِجِ عَزَّ طَاعَتِهِ بِتَجَلُّلِ هَلَاكِهِ  
وَرَدِّ كَيْدِهِ فِي نَخْرِهِ وَمُرِيدِ مِنْ  
مَصَارِعِ أَعْدَائِهِ مَا يَعْظُمُ بِهِ الْعَاقِلُ وَبِعِدَّةِ  
الْمُتَأَمِّلِ مِنْ عَجَائِبِ دَهْرِهِ وَمُسْتَعِدِّ جَدِّهِ  
الْعَالِي بِإِبَادَةِ عِدَائِهِ الطُّغَاةِ الْمَارِقِينَ  
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ عَلَى أَنْ

الصفحة الأولى من المخطوطة



بِحُومِهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى رَسْمَهَا وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا  
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ لِلسُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ  
الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْعَالِمِ الْعَادِلِ الْمُجَاهِدِ  
الرُّبِيبِ الْمُتَاعِرِ الْمُؤَيَّدِ الْمُظْفَرِ الْمَنْصُورِ  
زَيْنِ الدُّنْيَا وَالِدِ سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ  
وَالْمُسْلِمِينَ مَحْيَى الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ  
وَارِثِ مُلْكِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ  
وَالْتَرِكِ ظَلَمَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ الْقَائِمِ

صفحة من المخطوطة ، يرد فيها ذكر

السلطان وألقابه الكثيرة

لِنَالِكَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ ،  
وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ  
، إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ،  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ وَصَّحْبِهِ وَسَلَّمَ  
مُكَابِرَةُ الْفَقِيرِ الْيَسِيرِ تَعَالَى اللَّهُ لِلْفَضْلِ بِرِجَالِهِ  
لِلنَّبَاطِيِّ غُفْرَانًا لِرُؤُوسِ الدِّينِ وَجَمِيعِ الْمَسَاكِينِ

الورقة الأخيرة من المخطوطة

وفيها اسم الناسخ

## الفصل السادس ( مخطوطة كيميائية ) :

### جامع الأسرار

#### للطغرائي

صاحب هذه المخطوطة هو : فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، الأستاذ ، الوزير ، الطغرائي ( ولد سنة ٤٥٣ هجرية بأصبهان ، وتوفي ٥١٥ هجرية ) ولقب الطغرائي مستمد من كلمة « طغراء » وهي الطفرة التي كانت تكتب فوق الرسائل متضمنة البسمة ، حيث كان الطغرائي يقوم برسمها وكتابتها بخطه الذي عُدَّ آيةً في الجمال<sup>(١)</sup> .

وقامت شهرة الطغرائي على كونه صاحب القصيدة المشهورة المسماة « لامية العجم »<sup>(٢)</sup> والتي يقول مطلعها ( من بحر البسيط ) :

(١) أفاضت كتب المؤرخين والمترجمين في سيرة الطغرائي ، نظرًا لكونه شاعرًا ورجل سياسة - وليس لكونه كيميائيًا - فمن تلك الكتب نجد سيرته مبسوطًا في :

معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٠ / ٥٦ - وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٠٠ - تاريخ الإسلام للذهبي ٤ / ٢١٣ - سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩ / ٤٥٤ - الوافي بالوفيات للصفدي ١٤ / ٤٣١ - شذرات الذهب لابن العماد ٤ / ٤١ - مرآة الجنان لليافعي ٣ / ٢١٠ - البداية والنهاية لابن كثير ١٢ / ١٩٠ - مفتاح السعادة لطاش كُبرى زاده ١ / ١٩٧ - روضات الجنات للخوانساري ٢٤٨ - نزهة الجليس للموسوي ٢ / ١١٨ أعيان الشيعة للعامل ٢٧ / ٧٦ - النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥ / ٢٢٠ - كشف الظنون لحاجي خليفة ٦٨ ، ٣٩٤ ، ٥٣٤ ، ٦٧٢ ، ٧٩٨ ، ٨٢١ ، ٨٣٨ ، ١٥٣٧ ، ١٧٥٥ - معجم المؤلفين لكحالة ٤ / ٣٦ .. وأيضًا :

- De Slane, catalogue des manuscrtis arabes 473 - K.

- Brockelmann : Geschichte der arabischen Litterature ( Sup. ) 1,244.

(٢) سُميت القصيدة بذلك ، قياسًا على قصيدة « لامية العرب » للشنفرى .

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ وَحَلِيَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي عَنِ الْعَطَلِ

وهي من أشهر القصائد ، تزيد أبياتها على الستين .. ومن أجود أبياتها قوله :

يَاوَارِدًا سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدْرٌ أَنْفَقْتَ صَفْوِكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ  
فِيمَ اقْتِحَامُكَ لُجَّ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ  
مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا يُجْتَاغُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْحُورِ  
تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا فَهَلْ سَمِعْتَ بِطَلٍّ غَيْرَ مُنْتَقِلِ  
وَيَا خَيْرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطَّلَعًا أَصِمْتُ فِي الصَّمْتِ مَنْجَاةً مِنَ الزَّلِّ

وقد قام صلاح الدين الصفدي بوضع شرح مطوّل على هذه القصيدة ، وهو مطبوع في مجلدين . وللطغرائي ديوانٌ شعريٌّ كامل ، جمعه بعض أحفاده بعد وفاته بزمن ؛ فمن رقيق شعره قوله في بعض الأبيات ( من بحر كامل ) :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ وَالْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا طَابَ السُّلُو وَأَقْصَرَ الْعُشَاقُ  
أَوْ مَا بَدَا لَكَ فِي الْإِنْفَاةِ وَالْأَلِي نَازَعَتْهُمْ كَأَسَ الْغَرَامِ أَفَاقُوا  
مَرَضَ النَّسِيمِ وَصَحَّ وَالِدَاءُ الَّذِي تَشْكُوهُ لَا يُرَأَى لَهُ إِفْرَاقُ (١)

وقد توفي الطغرائي مقتولاً بأمر السلطان محمود السلجوقي ، وقد كان الطغرائي وزيراً لأخيه مسعود ، فاقتتل الأخوان وانتصر السلطان محمود وأخذ الطغرائي أسيراً .. وتروى المصادر التاريخية أن السلطان محمود لما عزم على قتل الطغرائي ، أمر به أن يُشَدَّ إلى شجرة ، وأن يقف أمامه جماعةٌ بالسهم ، وأن يقف إنسانٌ خلف الشجرة ليكتب ما يقوله الطغرائي وهو ينتظر لحظة الموت .. وعندما توجّهت السهامُ ناحية الطغرائي ، أنشد ( من الكامل ) :

(١) بخصوص الطغرائي - شاعرًا - يمكن الرجوع إلى :

- د/ علي جواد الطاهر : الطغرائي حياته وشعره ولاميته ( منشورات مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٣ ) .

وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُسَدِّدُ سَهْمَهُ      نَحْوِي وَأَطْرَافُ الْمَيْتَةِ سُرْعُ  
وَالْمَوْتُ فِي لَحْظَاتِ أَخْوَرِ طَرْفِهِ      دُونِي وَقَلْبِي دُونَهُ يَنْقَطِعُ  
بِاللَّهِ فَتَشَّ عَنْ فُوَادِي هَلْ يُرَى      فِي لِغَيْرِ هَوَى الْأَجْبَةِ مَوْضِعُ  
وهنا رَقَى السُّلْطَانُ وأمر بإطلاق سراحه ، لكن الوزير « السميرمي » ظلَّ يُغْرِيه بقتله ،  
ويؤكد له أن الطُّغْرَائِي مُلْحِدًا ! ولا بدَّ من قتله .. فاستجاب السلطان ، ولقد لقي الوزير  
السميرمي جزاء فعلته ، إذ قتله أحد عبيد الطغرائي بعد عام واحد نأراً لسيده .

\* \* \*

وحديثنا الآن عن الطغرائي ، لا بوصفه شاعرًا مجيدًا ، وإنما من حيث هو واحدٌ من أشهر  
الكيميائيين العرب أو - كما كان يُقال لهم - أهل الصنعة<sup>(١)</sup> .. إذ كان الطغرائي ، على ما يشير  
الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ذا باع طويل في هذه الصنعة<sup>(٢)</sup> .

وضع الطغرائي عدة مؤلفات في الكيمياء - لا تزال مخطوطة - منها : مصابيح الحكمة  
ومفاتيح الرحمة في الكيمياء ، كتاب الرد على ابن سينا في إبطال الكيمياء ، حقائق الاستشهاد  
والإرشاد للأولاد ، رسالة إلى مارية بنت سايه الملكى القبطى في الكيمياء ، قصيدة بالفارسية  
وشرحها بالعربية في الكيمياء .. وله أيضًا : جامع الأسرار<sup>(٣)</sup> .

وهناك عدة عناوين لهذا الكتاب الأخير ؛ فبعض المؤرخين يذكره باسم « جامع الأسرار  
وتراكيب الأنوار في الإكسير » ، وعلى الغلاف الخارجى للمخطوطة « جامع الأسرار » ، وفي

(١) بخصوص الطغرائي - كيميائيًا - يمكن الرجوع إلى :

- د/ فاضل أحمد الطائى : أعلام العرب في الكيمياء ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - دار  
الشئون الثقافية العامة ، بغداد : سلسلة الألف كتاب الثانى ، ١٩٨٦ ) .

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٥٤ .

(٣) راجع مؤلفات الطغرائي فى : كشف الظنون ، معجم المؤلفين ، أعلام العرب فى الكيمياء ، تاريخ الأدب  
العربى لبروكلمان .

الورقة الأخيرة نرى عنوان « التقريب في معرفة سر التركيب » ولعل هذا العنوان الأخير هو عنوان الجزء الثاني من الكتاب الذى يقس في جزأين .. وعلى أى الأحوال ، فإن ( جامع الأسرار ) كتاب مشهور للطُّغْرَائِي ، بقطع النظر عن تلك الاختلافات في عنوانه ، إذ كثيراً ما يقع الاختلاف في عناوين المخطوطات ، وهناك من الكتب المخطوطة ما يكون له أكثر من عنوان .. ويرجع ذلك في بعض الأحيان إلى رغبة المؤلف ، وأحياناً إلى تصرُّف النُّسَاح .

وهناك نسختان من مخطوطة الطُّغْرَائِي « جامع الأسرار » إحداهما في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٧٣١ / طبيعة ، والأخرى بنفس الدار تحت رقم ١٦٩ / طبيعة .. وقد اعتمدنا فيما يلي على النسخة الثانية .

تدخل بنا هذه المخطوطة إلى عالم طريف هو عالم ( الصنعة ) أو تحويل المعادن الخسيسة إلى الذهب والفضة ، ولقد كانت لتلك المحاولات أكبر الأثر في تطوُّر علم الكيمياء ، فعبث محاولات لا حصر لها للوصول إلى هذه الغاية البعيدة ، توصل العلماء المشتغلون بالصنعة إلى معرفة الكثير عن تركيب العناصر وتفاعلاتها الكيميائية وخصائص المركبات .

وتبدأ المخطوطة بقول الطُّغْرَائِي : .. الحمد لله ذى الآلاء ، يُؤتى الحكمة من يشاء ، وبعد زَيْنك الله بالتقوى وجمع لك خيرات الدنيا والآخرة - فقد انتهى إلى أنك قد أخذت برأى جمهور من العوام وكثير من الخواص ، في إنكار الصنعة الشريفة المنجية من مسكنة الدنيا ، المعيدة أهلها المتحققين لها من الظلم والشر ومقايح الأخلاق التى تدعو إليها الحاجة ومخافة الفقر والتكذيب بالحكمة .. حتى كدت تلحق بطبقة المقلدين في إنكار دعاويهم والإكثار لما شرعوا في ذكره من تدايبرهم وأعمالهم ، وتُخرج أقاويلهم من أقسام العلوم ، وتطردها - جملة - من حيز الإمكان إلى حيز الامتناع ، وأنت لا تتحاشى من أن تشتم أصحابها .. .

وبعد هذا التقديم إلى القارئ ، يقول الطُّغْرَائِي مؤكداً إمكانية تحويل العناصر الخسيسة إلى شريفة ، ومحدِّراً من إشاعة هذا العلم فيمن هم ليسوا أهله : « فإن سهَّل الله تعالى لك الوقوف على ما جمعه لك في هذه الرسالة ، فاشكر الله عليه ، ولا تُطلع على هذه الرسالة إلا من

للطغرائي

وثقت بعقله ودينه وصحة رأيه في الباقية ( الآخرة ) على الفانية ( الدنيا ) وكان ممن قال الله تعالى فيه وفي أمثاله : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين ﴾ .

ثم يقول ما نصّه : « وأبتدىء فأقول: إن الذين من قبلنا تكلموا في شرف هذه الصناعة ، وصنّف فيها ابن زكريا ( الرازي ) تصنيفًا مفردًا في جملة كتبه الاثنى عشر ، فإذا صحّ للعاقل وجود هذه الصناعة ، إما عيانًا - فهو أشقى للنفس وأذهب للشكوك - وإما بالقياس والحُدس الصحيح ، وتلك رتبة الحكماء والعلماء ؛ فلا شك عنده في شرفها وحُسن معونتها على صلاح المعاد والمعاش جميعًا ، أما المعاش فلأنها وجهٌ يكفى الوجوه كلها ، وأما المعاد فلأنها رزقٌ حلال هو قوت الأنبياء وطعمة الأولياء ومنية الأتقياء ، وهو ممّا من الله تعالى به على سليمان بن داود ، عليه السلام ، حيث قال له : هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب<sup>(١)</sup> . »

ويشير الطُّغْرَائِي إلى أن هذا اللون من المعرفة قديم ، لكن الناس أهملوه ولم يتبهبأوا له ، نظرًا لأن الاشتغال به يقتضى أمورًا ، منها على حد قوله : « إن صاحب هذه الحكمة ، الذي يصل إليها باستنباطه ، يجب أن يكون متدرّبًا بسائر أوضاع الحكماء واصطلاحاتهم في استعمال عباراتهم ، ويستفيد من مزاوله هذه الصنعة وممارسة أعمالها ، مشاهدة أعمال الطبيعة وأسرار الخليقة التي ذكرها الحكيم بليناس في كتابه ، فذهل عنها السواد الأعظم حتى ظنّ كثيرٌ من أفاضل القدماء والمحدثين المعاصرين أنها لغوٌ وهذيان ، ولم يفتنوا لها مع ارتفاع طبقتهم في سائر العلوم .. » .

وأخذ الطُّغْرَائِي بعد ذلك في بيان العمليات الكيميائية المعقدة ، الرامية إلى تحويل المعادن ، لكنه يجعل لكل مادة رمزًا معينًا لا يعرفه إلا هو ، وبعض تلاميذه ، حفاظًا على أسرار هذه الصناعة .. وقد صرح الطُّغْرَائِي في مرات عديدة بأنه تمكّن من تحويل المعادن إلى ذهب وفضة ، ومن أشعاره الموحية بذلك ( من الطويل ) :

(١) سورة ص ، آية ٣٩ .

وَلَوْلَا مُلُوكُ الْجُورِ أَصْبَحَتْ وَالْحَصَا لَدَيْ إِذَا مَا شِئْتُ دُرٌّ وَيَأْقُوثُ

\* \* \*

وتنتهي المخطوطة بقوله : .. فهذه نهاية ما امتدَّ خاطري إليه وعملته بيدي ، فاتق الله أيها الطالب ، ودع عنك المراء والمخالفة والمفاخرة ، إن كنت أدركت شيئاً مما تطلب ، واستعمل مع ذلك الصمت والوقار ، فإنَّ بذلك تدعو إلى صيانة نفسك وعلمك ، وإن أنت طلبت المراء واتبعت مكابرة أهل الجهل وأظهرت لهم شيئاً من علمك ، فلا تلومنَّ غير نفسك ، والله يخلف عليك في نفسك بخير ، فإن الملوك وغيرهم من العوام إذا وصلوا إلى شيء من ذلك لم يحبوا أن يكون لهم شريك ولا شبيهة فيما علموا ، وتحملهم الغيرة وشرة الدنيا على إتلاف كل من ساواهم أو علم علمهم حتى لا يكون لهم مساوي ولا مُشاكل ، إلاَّ الحكيم الكامل ، فإنه إذا رأى رجلاً من أهل الحكمة لم يغيِّره ذلك شيئاً وكان يشتهي لو أن مثله عددٌ كبير ، والحكيم يرى نفسه دون الغاية ، وإن فوق علمه علماً ، فهو يتواضع ، والجاهل يرى إذا بلغ اليسير أنه قد بلغ الكثير ، وأنه لا غاية بعده ، والحكيم لعلمه أن فوق علمه علماً فهو أبداً متواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظنُّ بنفسه أنه قد بلغ الغاية ، فهو متكبرٌ أبداً .. فانظر يا أخي كَم بين العالم والجاهل ، والمتواضع والمتكبر ، والكاتم لسره ، والفاضح له ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، تم الجزء الثاني من الكتاب المضمون به على العامة ، على غير أهله ، وهو الموسوم بالتقريب في معرفة سر التركيب .





الاسرار  
للظفر

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابي اسحق بن علي بن ابي طالب  
البرقي في الاثر في الخبث من نباتا وبعد ذلك الله ما تنوع في الخبثات الدنيا والاخرم وبعد ذلك  
بما في الفقد اخبره بان جمهور من العوام والبر من المومنين في انظار الصدقة المشرفة الجنيحة من سكة الدنيا  
انفخه اهلها المتحفظين بما في نظام والسرة وما في الاخذ في التي تدعو اليها الخلة وبخافة النفس  
وانتفض باهية التوقد التي عنقها الخلة بالانوار القريبة والبعيد المسهلة والغويصة والتحررت الجبال  
في اوتود في صدها والوقوع في صحابها حتى كرتت لمن مضيقه التهديس في انظار دعواهم ولا دنار الماتروا  
في ذرد من تزييرهم واتمامهم وتخرج في اقسام العلوم ونظروها جلة من خير الامكان التي خبث الانتفاع  
وانك لا تخشاس ان تستم اجماعها المتحفظين بها والمتحفظين لها جميعا بل في عدة وتجييرهم بجزا واصرا  
في اختلال الاطيل اذ ما الخلالات وتنازل المرء عن شيا بقره الخاضعين والطالبين بتزلة الخلد وبين وانك  
حجبت اقوا اسرارك على بخلان هذا النوع من المنصور وخذود من النفايد توفد حكايك لابنك على النباية  
وتعلم منها بوجوده وان من حمصاه منهم في اقسام العلوم نفسا احصاء في جملة علوم مختلف فيها كما تستخدم  
العلوميات والصور والظلمات وجعلت قدور اذ ما اختنايك والبرزين في ساير فوفية الحكم كارسوا  
وتما مدته من حد احردهم من لا يخلو لابن عن جل رموزهم واخراج خواص اعظم اوقى حجبك في انكار هذا  
النوع وقلت غابا له فلان ودلان ومن عداها قدروا على معرفة العلوم السريفة واستخراج المعاني العريضة  
وم يقدر واخلي معرفة هذا الفن الذي هو بالاضافة الى العلوم الكلية والجزوية جز وحقير وطرف  
يسير وذكرت ان التناقض ظاهر في تصانيف هؤلاء القوم والخلل باو في اصول دعاريهم ووروعها وذلك  
جماسيد عليهم بالسفه والبله الجريه رايد الا يلدب اهله رسول بل شاصد عليهم بالاذم والبهت وما حارب  
في قطوع من طواهر دعاريهم على ما هو مسخور عندهم فانك بعد ما علمت طلبه هذا النوع  
ما علمت وانعتب حصصتي من بينهم بزيادة تقرير بعض وقلت ما بال من يظن به الاطلاع على الحقايق  
والبحر في المعارف ويكون بمنزلة من اوقا بين اليقين المنقطع به والموهوم المشكوك فيه بدخ النظر  
في انواع العلوم السريفة والمعارف الخفية وينزوع على مطالعة المشكوك فيه ويضيع زمانه بالدرس له ولا  
يتجاني في حرق الاجماع ومخافة اولي الاثاب وسوال المقالة عند الخواص والعوام فقد علم ان من مخالف

مخطوطة الاسرار في صناعة الكيمياء

( نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٦٩ )

( الورقة الأولى )

ثم عرفت عن الركن في ذواتها من سائر ما خرجت العقدة فتندرس تحت حديد من ماء بهل اليه الخلق العارون فاستبد  
 انه عموما وزفلكه من حل الخلق فان معناه الاسيان اعني اسياال لجسد بالنفس التي هو الصبغ الاحمر والابيض وقد  
 ما اخذ الذي هو الابيض وان ختمهم مزاج بنائوا فالوا اعتدوا والربيع يجسد انغنيسيا بجسد المعنيسيا  
 هو الجسد النعيم الذي سرت اليه وهو عند جمع المركب والربيع هو الصبغ الربيع الذي يظهر على المركب في اول  
 الربيع هنالك انسيبان والاجتماع قد عتدا مرها الاخر كما تعقد لنا في الابان واليا بنس يعقد الربيع  
 وانرضي على انسيب في توازنه والربيع فالربيع هو الصبغ والبريت حوالجسد ومثل هذه الاقوال كثيرة  
 واما العقدة التي ذواتها ايضا يعرفون به المزاج حتى لا يرى لليا بس صور كما كان ولا للربيع صور كما  
 كان بل يكون كل شي واحدا متلازما بالذات لا يتبته ذلك الشيء احدا لا يوين الذينها الاصل مسجد ويكون  
 لطيفا فاذ صورا على قول النار لانه من عنصر اصل كبريم لا يبيد ولا يستحيل صفة على مرور الدهور والاعمال  
 والسمور ان ذاب الجسد ذاب الصبغ معه وان جسد الجسد معه فانه غاية ما امتد خاطر الى اليد  
 وعلمت بينك فانق الله انما الطلابة روح عنك المدا والمخالفة والمفاخرة ان كنت ادركت شيئا مما تطرد  
 واستعمل مع ذلك الصمت والوقار فان بذلك تتجرا الى صيانة نفسك وعنك وان انت طلبت المراد  
 ونهت عنك مرة اهل الجبل لا تطردت شيئا عنك فلا تلوم غير نفسك والله تعالى يخلف عليك  
 في نفسك بخير وان التوكل وتبوعم من لغوام او او موال التي شئت ذلك لا يجبر ان يكون لهم بشرتك ولا  
 سببه فيما علوا وتجاهم انعية وشرة انربنا على اكل كل من ساواه او علم عليهم حتى لا يكون لهم مساوي  
 ولا مسائل الا الحكيم الكمال فانه اذا زام رجلا هو اهل الحكيم اجرة ذلك شيئا وكان يهتني لو انه  
 مثله عند كبري والخبم يركه نفسه ابدا وان الغاية وان فرق عنده هما هو يتواضع والجاهل يرى ان  
 او الجح انيسيرانه قد بلغ اللئيم والله لا غاية لعهده والحكيم لعلمه ان فوق عنده علما من ابرام تواضع لتلك  
 الزيادة ونجاهل يظن بنفسه انه قد بلغ الغاية فيقول مثلها اهل الحكيم لا يرى الا الزيادة في العلم  
 ما دام في الهيوة والجاهل لا يرى الا الزيادة في الجهل ما دام في الحياة هذا اذا لم يعجز له جهده سرعة حاله  
 نفسه فانظر اني في حين انعام والجاهل والنواضع والمتكبر والكاتم لسر والفاضح له وجه بينا الله  
 ونعم الوكيل ثم الجبر وان من الكتاب المصنوع بتعالى الله امد على غير اهله وهو الموصوم بالتقريب في معرفة  
 سر الترتيب الاخر والله تعالى لتوفيق وله الخير والشكر واياها ابراهيم

الورقة الأخيرة من المخطوطة

## الفصل السابع ( مخطوطة صوفية ) :

### جَلَاءُ الْخَاطِرِ فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ

#### للجِيلَانِي

الإمام عبد القادر الجيلاني واحدٌ من كبار الأولياء في تاريخ الإسلام ، حظى بمكانة مرموقة عند معاصريه والمتأخرين عليه حتى يومنا هذا<sup>(١)</sup> ، وكان ابن تيمية يدعو : شيخ الإسلام .. وقد توفي الإمام سنة ٥٦١ هجرية ، وترك مجموعة من المؤلفات ، أشهرها كتاب « الغنية لطالبي طريق الحق » وهو عملٌ لطيف ذو نزعة موسوعية وضعه الإمام : استجابةً لبعض الأصحاب الراغبين في معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسُنن والهيئات ، ومعرفة الصانع عز وجل بالآيات والعلامات ، ثم الاتعاظ بالقرآن والألفاظ النبوية ، ومعرفة أخلاق الصالحين<sup>(٢)</sup> ..

وقد نالت « الغنية » كل الاهتمام ، فتناقلها النُسخ ، ثم توالى طبعاتها ، فُنشرت في مصر والسعودية والعراق عدّة مرات ، وتُرجمت إلى التركية على يد سليمان جليبي في كتاب بعنوان : عمدة الصالحين في ترجمة غنية الطالبيين ؛ وصدرت في جزئين سنة ١٣٠٤ هجرية عن المطبعة العثمانية في اسطنبول .. كما صدرت في بغداد سنة ١٩٨٨ ميلادية طبعة محقّقة - في ثلاثة مجلدات - قام بها فرج توفيق الوليد .

وللإمام ديوان شعر ، جمعناه وأصدرناه من بضعة أعوام ، وهو يضم أشعار الإمام ومقالاته الذوقية ، وكان ذلك متفرّقاً في مخطوطات كثيرة ، فجاءت طبعتنا المحقّقة لتجمعه في

(١) بخصوص الإمام عبد القادر الجيلاني ، سيرته وترجماته ، انظر الفصل السابع والعشرين من هذا الكتاب ، حيث نتناول مخطوطة ( مختصر غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر العسقلاني ) .

(٢) الإمام الجيلاني : الغنية ، مقدمة الكتاب ، ص ٤٨ .

كتاب واحد<sup>(١)</sup>.. وبالإضافة إلى « الغنية » و « الديوان » فقد كانت للإمام الجيلاني مجالس وعظ وإرشاد وتعليم ، ظل مواظبًا عليها فترة طويلة ، وقد جُمعت هذه المجالس في ثلاثة مجاميع ؛ الأول « فتح الغيب » ويضم ٧٨ مجلسًا وقد وضع عليه ابن تيمية شرحًا لطيفًا ، وهو مطبوع<sup>(٢)</sup> والثاني « الفتح الرباني والفيض الرحمانى » وفيه نصُّ المجالس التي بدأت يوم الأحد الثالث من شوال سنة ٥٤٥ هجرية ، وانتهت أول رجب سنة ٥٤٦ هجرية ، وهو مطبوعٌ أيضًا<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

أما المجموع الثالث من مجالس الإمام ، فهو المخطوط الذي تتوقف عنده الآن ، وهو الأثر الوحيد من آثار الإمام الجيلاني الذي ظلَّ إلى اليوم مخطوطًا لم يُنشر

يحمل هذا المجموع عنوان « جلاء الخاطر في الظاهر والباطن » ويبتدىء من المجلس المنعقد يوم الجمعة التاسع من رجب ، ويتهى - في بعض النسخ - بمجلس يوم الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٤٦ هجرية .. وهذا يعنى أنه استكمل لما ورد في « الفتح الرباني » .

وقد ظل « جلاء الخاطر » مخطوطًا رغم وفرة مخطوطاته التي ذكر المستشرق الألماني « كارل بروكلمان » بعضها في كتابه « تاريخ الأدب العربى » وتوجد منه - علاوة على ذلك - نسخة مخطوطةٌ جيدة بمكتبة السلليمانية باسطنبول ، ونسخة أخرى بمكتبة الحضرة القادرية ببغداد ، ونسخة ثالثة بمكتبة جامعة القاهرة .. وسوف نعتمد فيما يلي على النسخة الأخيرة .

(١) نشرنا الديوان بالقاهرة ( مؤسسة أخبار اليوم ) سنة ١٩٩١ .

(٢) نشره الدكتور محمد رشاد سالم في : جامع رسائل ابن تيمية ( مطبعة المدنى - جدة ) المجلد الثانى .

(٣) توجد منه عدة طبعات ، صدرت عن مطبعة الباب الحلبى بالقاهرة .

وإذا تصفحنا مخطوطة «جلاء الخاطر» سنرى كلمات الإمام وهي تشع بالهدى الرباني ،  
وتأخذ بيد السامع والقارىء إلى طريق الصلاح ؛ فمن كلام الشيخ نقرأ ما يلي :

يا غلام<sup>(١)</sup> ، إِيَّاكَ والحسد فإنه بثس القرين ، وهو الذى خَرَّبَ بيت إبليس وأهلكه وجعله  
من أهل النار ، جعله ملعونَ الحقِّ عَزَّ وَجَلَّ وملائكته وأنبيائه وخلقه ؛ كيف يحسن بالعاقل أن  
يحسد ، وقد سمع قوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أم يحسدون  
الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ وقول النبي ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار  
الحطب » وقول بعض العلماء : « لله در الحسد ، ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله » الحاسدُ معادى  
الله ، لا تنازعه في فعله في خلقه ، فيقصمكم .

ثم يقول الإمام : إني زاهدٌ في كلامي ، وفيكم ، وما في بيوتكم من بضائعكم وأموالكم  
وهداياكم ، فما دمْتُ على هذا تنتفعون بكلامي إن شاء الله ، مادام عين المتكلم في عمايتكم  
وقمصانكم وجيوبكم لا تنتفعون بكلامه ؛ مادام يثرد على دخانكم ويطمع فيكم لا تنتفعون  
بكلامه . يكون كلامه قشراً فارغاً لا لُبَّ فيه ( فهو ) عظمٌ بلا لحم ، مرارةٌ بلا حلاوة ، صورٌ بلا  
معنى . كلامُ الطامع لا يخلو من مدهانةٍ ، لا يمكنه المخالفة ، الطامع فارغ كالطمع ، كلها  
فارغة : الطاء والميم والعين .. فيا عباد الله اصدقوا وقد أفلحتم ، الصادق لا يرجع ، الصادق في  
توحيد الله تعالى لا يرجع بقول نفسه وهواه وشيطانه ، الصادق في محبة الله - عز وجل - ورسوله  
والصالحين من عباده لا يرجع بقول منافق عمقوت مخذول ، الصادق يعرف الصادق ، والكاذب  
يعرف الكاذب .

ثم يخاطب الإمام أهل العلم فيقول : يا عالم ، لو كان عندك ثمرة العلم وبركته ، لما  
سعت إلى باب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها ، العالم لا رجلان له يسعى بهما إلى أبواب  
الخلق ، والزاهد لا يدان له يأخذ بهما أموال الناس ، والمحِبُّ لله لا عينان له ينظر بهما إلى غيره

(١) الورقة الثانية من المخطوطة ، وما بعدها .

(تعالى) المحب الصادق لو لقي الخلق كلهم ما حَلَّاهُ النظر إليهم ، لا ينظر إلى غير محبوبه ، ولا تكبر في عيني رأسه السدنيا ، ولا تكبر في عيني قلبه الأخرى ، ولا يكبر في عيني سيره غير المولى.. زعاقُ المنافق من لسانه ورأسه ، وزعاقُ الصادق من قلبه وسيره ، قلبه على باب ربه عز وجل ، وسيره داخل عليه ، لا يزال يصرخ على الباب حتى يدخل الدار .

ثم يقول الإمام : أنت كذابٌ والله في جميع أحوالك ، ما تعرف الطريق إلى باب الله عز وجل ، كيف تدلُّ عليه ؟ أنت أعمى ، كيف تقود غيرك ؟ قد أعماك هواك وطبعك ومتابعتك لنفسك ومحبتك لدنياك ورياستك وشهواتك ، ويحك ، تحب البقاء في الدنيا ، وهو شيء لا يقع بيدك ، متى تُهدى إلى باب ربك عز وجل ؟ متى تقدّم الآخرة على الدنيا ؟ متى تقدم الخالق على الخلق ؟ متى تقدّم الصلاة على دكانك وأرباحك ؟ متى تقدّم السائل على نفسك ؟ .. كن عاقلاً ، أنت في هوس باطل ، علانية بلا سر ، تقدّم إلى ما دامت المعاصي على ظاهرك ، قبل أن تصل إلى قلبك فتصير مُصرّاً ، ثم ينتقل الإصرارُ فيصير كُفراً ، تدارك الأمر ، احفظ باليسير الكثير ، تدارك مادام الحبل طرفه بيدك ، قال النبي ﷺ : النَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، ولو عاد في اليوم سبعين مرة .

\* \* \*

ولقد كانت كلمات الإمام الجيلاني سيلاً ربانياً يغسل القلوب من أدرانها الدنيوية ، وآتت مواعظه ثمارها .. يقول ابن العماد وهو يعدّد فضائل الإمام :

تاب على يده معظم أهل بغداد ، وأسلم معظم اليهود والنصارى (١).



(١) ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ( مكتبة القدس - القاهرة - ١٣٥٠هـ ) ٤ / ١٩٩

في الزمان والافراد آهين ، وصفاً له على حسنة ما نحمد وعلماً له وجهه كسهم  
 كثير . وانفردت به رب العالمين . في مجالس أولها ما نسخ حبيب  
 بومكعبت وآخرة ما نسخ عشرين رمضان من سنة سبعمائة ثمانين  
 وشبهاة ، وسماه جلاء خاطر في العلم والافتقار  
 في دار الأمل والحمة فانه بين القرنين ، وهو الذي خرجت بيتكلمين  
 واصكوا . وجعل طهر الأثر . جعله علم الخبز عز وجل . وملكته وابنيته  
 وفقيه كعبت كعبت العلم ان يجيد . وقد نسخ قوله في  
 سخن قسنا بيهيمت هم ، وقد اتى العلم بجمود ان اتى حجة على  
 ربا بجم انه من قضاة . وقد اتى على ان عبيدكم الكسوة في كل الحيات  
 كذا في كل ان الحطب . وقد اتى على العلم ، سد وزكسما ما اعلمه  
 يد بعضا فقتله ، الحاسب سواه في اتى اتى الا انه زوجه في نظر  
 في غلظة فقتلهم ، اتى زاهد في كل من ذكركم وفي . بومك من بضايتكم  
 وامركم وهذا لكم ، فادركت على هذا تتفقون بكل من اتى اتى  
 ما دام عين الكسوة في غلظة فقتلهم وقصصتكم وجوهكم لا تتفقون بكله  
 ما دام بيزر وعظما فقتلهم ويطغ في كل لا تتفقون بكله ، كون كل امر  
 قسنا فانه لا استجابة ، علم بولوكم سراه بلا صلاة ، صورة  
 بلا سفي . كل الام لا يخلو من درجته ومهنة الا يكون الخاتمة  
 الاطراف فخرج كالطعم كل من غار غنة الظاء ، والمسيب والعين .  
 باعب دادا صدقوا وقد افكتم . الصادق اليرج ، الصادق  
 في قسنا تدا في الارجع ليعول نفسه وصاهه وشبه طاب . الصادق  
 في محبة الشيطان الارجع العدل ولا يخلو خاتمة ، الصادق

بسم الله الرحمن الرحيم  
 قاتل شيخنا في العلم الامعة الفاضل الذي اراه في داره ، بداره الفاضل الذي  
 جازاه على قلب الام وصباح الظهور ، اضررتت قاتل شيخنا في  
 تاج الفاضلين ومحبة الكافرين ، من الشيخ بومكعبت وعلم الظرفية  
 سنية الاولين ودار الامسنا وسراج العلم الفاضل ، من غلظة فقتله  
 اغتاق الاولين ، ابنا الامسنا والفضيلة هذا سلسلت  
 الشيخ محمد بن ابوت محمد عيب القادر ، ابنته ابوت محمد بن ابوت  
 ابي جيل ابنته عيب ، ابنته عيب ابنته . ابنته محمد ، ابنته ابوت  
 ابنته موسى ، ابنته عيب . ابنته محمد بن ابنته  
 عيب الفاضل ، ابنته الامسنا الفاضل ، ابنته الامسنا الفاضل  
 ابي جيل ابنته عيب ، ابنته الامسنا الفاضل ، ابنته الامسنا الفاضل  
 سنية على بن ابوت محمد كرامتة ووجه الفاضل ، ابنته الامسنا الفاضل  
 بنت سنية بنت محمد بن محمد عيب ، ابنته الامسنا الفاضل ، ابنته  
 قسنا درود و توريثه . قسنا في زهر تدا فانا على محبة وتعبه

مخطوطة جلاء خاطر في الباطن والظاهر

مخطوطة جامعة القاهرة رقم ١٥٧٤١ / تصوف

الورقة الأولى

وكبانا وورد اعطائنا، المنفقون بحسرون حسرا، والجرمون يساقون سوقا  
 رجم الله عبدا ذكر هذا اليوم وزاحم المتقين اليوم حتى يحسب معهم في ذلك اليوم  
 يا ذكركي التقوى، يوم القباة بحسب المنفقون الى الرحمن وذا ربكنا والمخلقة  
 تنصورا اعمالهم صورا، يركبون النجب فيكون نجيبه عمله وخلقة وعامة  
 عمله، الاعمال تنصورا صورا طيبة وصورا قبيحة، مفتاح التقوى التوبة  
 والبات عليها مفتاح القرب من الله عز وجل، حتى اصل كل خير وفضله  
 ولهذا لا يقبض الصالحون عنها في جميع احوالهم، فوبوا يا ذكركي يا عصاة  
 صالحوا ربكم عز وجل بواسطة التوبة، هذا القلب لا يصلح للحق عز وجل  
 وفيه ذرة من الدنيا وطفل واحد من الخلق، فان اردتم صحبتهم  
 فافرجوا حولكم لا تظلموا من ظلمكم وهذا لا يضركم فالكلم اذا انصلتم  
 اتاكم الدنيا والخلق وانتم معي على بابي، هذا سني مجرب قد جربته  
 الزاهدون الذين يكون الورعون، يا غلام عليك باخلاص العمل  
 مدعز وجل في صلاتك وصيامك وحجك وذكرك وجميع افعالك،  
 اتخذ عنده عهدا قبل وصولك اليه، ما هذا العهد توحيدا واخلصا  
 سنة وجماعة هبوا وشكروا تقربوا والخلق رفضا وله طلبا ومن غيره  
 اعراضا وعليه اقبالا تعلبك وسرك، فلا جرم يعطيك في الدنيا  
 قربا وفي الكل زهدا وله جنبا واليه شوقا، وفي الآخرة يعطيك  
 من قربه ونعمه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر  
 يا غلام

قوله توحيدا بدل من لها  
 المصوب قبله



الورقة الأخيرة من المخطوطة



## الفصل الثامن ( مخطوطة أدبية ) :

### جَهْرَةُ الْإِسْلَامِ ذَاتُ النَّثْرِ وَالنِّظَامِ

#### لِلشَّيْزُرِيِّ

في الفترة التي خضعت فيها البلدان العربية والإسلامية لسيطرة المستعمر الغربي ، تسرّبت ذخائر التراث العربي المخطوط من بلادنا إلى مكاتب البلاد الاستعمارية ، واستقرت المخطوطات العربية في مكاتب البلاد الأوروبية إلى اليوم .. ومن هذه المخطوطات : جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام ، للشَّيْزُرِيِّ .

\* \* \*

مؤلف المخطوطة هو « أمين الدولة أبو الغنائم مسلم بن محمود الشَّيْزُرِيُّ »<sup>(١)</sup> ، أحد أدباء العرب الذين عاشوا في النصف الأول من القرن السابع الهجري ببلاد اليمن<sup>(٢)</sup> . والمخطوطة عبارة عن مختارات أدبية من النثر والشعر (النظم) العربي ، جمعها الشَّيْزُرِيُّ وانتقاها من التراث السابق عليه .. والقيمة الحقيقية لهذه المخطوطة تتمثل في احتفاظها ببعض النصوص والقصائد التي أصولها اليوم ضائعة ، ولم نعد نعرفها إلا من خلال هذه « الجمهرة » . وكان بعض المستشرقين قد أشار إلى أهمية هذه المخطوطة التي توجد منها نسخة وحيدة في العالم ، توجد الآن في مكتبة جامعة « ليدن » بهولندا ، ولسوف نتصفح معا أوراق هذه النسخة الفريدة، لتتعرف على مشتملات تلك « الجمهرة » التي تقع في جزأين .

(١) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٨/١ - كشف الظنون لحاجي خليفة ١١٢٥ معجم المؤلفين

نكحالة ٢٣٣/١٢ - Brockelmann 1,460

(٢) ذكر عمر كحالة أن في معجمه أن وفاة الشَّيْزُرِيِّ كانت سنة ٦٢٦ هجرية .

يقول الشَّيْزُرِيُّ في مقدمة الكتاب: إن الجماهير الأُولِيَّة دَوَّنت وجمعت من أشعار الجاهلية، نظمًا بلا نثر، وقصائد عارية من كل خيرٍ وذكر، وقد جمعتُ بينهما في هذا الكتاب، من محاسن فنون الآداب، ستة عشر كتابًا، في كل كتاب عشرة أبواب، خمسة نظم وخمسة نثر، فالجميع مائة وستون بابًا، نصفها نظمٌ ونصفها نثرٌ من حديثِ نبوي وخطبةٍ ورسالةٍ وحكايةٍ من كل نوع، وكلهم إسلاميون مُجيدون محققون.. وقد سميته جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام، وربما أتى باب النثر من جنس باب النظم في معناه، فيكون تأكيدًا له، وقوة في المعنى، وربما أتى بابُ النظم من فنِّ والنثر من فنِّ آخر، فيكون زيادة في العدد.

وأولُ كُتُب «الجمهرة» في المدح، وقد استهله الشَّيْزُرِيُّ بقصيدة الأعشى في مدح رسول الله ﷺ وهي قصيدةٌ مطلعها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَكَ أَرْمَدَا      وَيَتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا

وأخذ الشَّيْزُرِيُّ يورد كلَّ بيت، ثم يعقب عليه بشرح مفصل، ليبدأ بعد ذلك في ذكر بعض الأخبار النبوية والأحاديث الشريفة في فضل اسم محمد وأحمد، ويورد مختارات شعرية في فضل آل البيت والصحابة.

\* \* \*

ومن النصوص الطريفة التي وردت بالمخطوطة، تلك الخطبة التي ارتجلها واصل بن عطاء في مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان واصل يلثغ في حرف الراء، فإذا به يتجنب جميع الألفاظ التي يرد فيها هذا الحرف، قائلاً: «الحمد لله أهل الحمد.. الذي ملأت كل شيء عظمته، ووسع كل شيء خلقه، ونفذ في كل شيء علمه، ومضى في كل شيء حكمه، فلا يعجزه شيء طلبه، ولا تخفى عليه خافية.. ومن اهتدى، ألهمه الله هداه، وآتاه تقواه، فاجعل همك في الباقي عليك ولك، لا في الدنيا العُزوف عنك، وقوِّ أملك في الباقية دون الفانية، وليكن عملك لله لا الناس.. وأوصيكم إخواني جميعًا، ونفسي، بتقوى الله وحده،

ولزوم طاعته والخيفة من عقابه ، وتثقوه حَقَّ ثِقَاتِهِ .. فإله الله ، عباد الله ، فى أنفسكم ؛ قبل أن لا ينفع نفساً إيمانها ولم تكن آمنت به من قبل الندامة ، فكم نَمَّ من عينِ باكية لا ينقطع دمعها ، وأذن مصموخة لا يؤب سمعها ، وقدم مسحوب بها ، وقلب معلق بنياطه ، ومنادٍ لا يُجاب نداؤه، وداع لا يسمع دعاؤه ، وحُجَّةٌ لا ينتفع بها أهلها ؛ ثم الخلود إما فى جنات النعيم أو العذاب الأليم الذى جعله الله نكالا لمن عصى ، أعود بالله من سخطه ، وبعضوه من عقابه ، إنه سميع عليم ، ذلك أهدى سبيلا.. وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، وتجاوز عَنَّا وعنكم ، وعفا لنا ولكم عما سلف منا ومنكم وجميع المؤمنين ، إنه سميع الدعاء « وهى خطبةٌ طويلة ، أوردها الشيزرى كاملة ، ولم يرد فيها حرفُ الرأء مطلقاً ، مثلها الأمر فى بقية خطب واصل بن عطاء الأخرى (١) .

وفى كتاب « العتاب » نقرأ هذه القصيدة للحسين بن على بن محمد القمى وهو يعاتب جَيَّاشًا باليمن ( من بحر الطويل ) :

أَذَاعَ لِسَانِي مَا تَجِنُّ الْأَصَالِحُ	وَأَعْرَبْنِي عَمَّا فِي الضَّمِيرِ الْمَدَامِغُ
وَمَا أَنَا بِالْجَلْدِ الْفُؤَادِ عَلَى الْجَفَا	وَإِنْ كُنْتُ جَلْدًا وَالْحُطُوبُ قَوَارِعُ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مُشَفَّعًا	لَدَيْكَ ، فَهَلْ لِي عِنْدَكَ الْيَوْمَ شَافِعُ
فَأَصْبَحْتُ أُغْضِي الطَّرْفَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ	وَأَكْتُمُ أَمْرِي وَهَوَى النَّاسِ ذَائِعُ
أَسَايِرُ مَنْ سَايَرْتُ وَالْحُطُوبُ قَاصِرُ	وَالْحُطُوبُ مَنْ لَأَحْظُتُ وَالطَّرْفُ خَاصِعُ
وَأُظْهِرُ بِشْرًا لِلْمَجْلِسِ وَغَيْطِيَّةِ	وَيُبَيِّنُ حَسَايَايَ الشَّفَارُ الْقَوَاطِعُ
أَعْلَلُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَيَلْتَلِيَّةِ	لَأَنْظُرَ فِي الْوَقْتَيْنِ مَا أَنْتَ صَانِعُ

(١) واصل بن عطاء هو مؤسس فرقة المعتزلة الشهيرة بمنهجها العقل فى فهم قضايا الدين . يقول الذهبى فى ( سير أعلام النبلاء / ٥ / ٤٦٤ ) : واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال ، طرده ، الحسن - البصرى - عن مجلسه لما قال : الفاسق لا مؤمن ولا كافر .. مات سنة ١٣١ هجرية .  
راجع ترجمته فى : معجم الأدباء / ١٩ / ٢٤٣ - وفيات الأعيان / ٦ / ٧ - شذرات الذهب / ١ / ١٨٢ .. إلخ .

وَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ أَظْلَمَ مَنْزِلِي      وَكُلُّ مَكَانٍ نُورُهُ فِيهِ سَاطِعٌ  
 أَتَرْضَى ، وَحَاشَا الْمَجْدُ ، أَنْ يَشْبَعَ السَّوْرِي      جَمِيعًا ، وَيُمْسِي ضَيْفُكُمْ وَهُوَ جَائِعٌ  
 ومن الأبيات الشعرية البليغة - في العتاب - قول أبي بكر محمد ( المعروف بابن اللبَّانة )  
 من قصيدة طويلة ( من بحر الكامل ) :

صَحِيحَكَ الرَّيْبُ بِحَيْثُ تَبْكِي الْأَرْبَعُ      لَمَّا بَكَى لِلْغَيْثِ فِيهَا مَدْمَعُ  
 وَعَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ شَادٍ يَجْتَوِي      طَرَبًا لِأَخْرٍ تَحْتَوِيهِ الْأَضْعُ  
 يَا أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي قَدْ كَانَ لِي      حَوْلَيْهِ فِي أَفْقِ السَّعَادَةِ مَطْلَعُ  
 وَالرَّوَضَةُ الْغَنَاءُ كُنْتُ أُرْوِدُهَا      وَالْيَوْمَ عَنْ شَمِي شَذَاهَا أُمْنَعُ  
 مَا كَانَ أَرْفَعُ مَوْضِعِي إِذْ كَانَ لِي      فِي جَانِبِ الْعَلِيَاءِ عِنْدَكَ مَوْضِعُ  
 أَيَّامٍ أَطْلُبُ مَا أَشَاءُ فَيَنْقُضِي      وَزَمَانَ أَدْعُو مَا أَشَاءُ فَأَسْمَعُ  
 عَهْدٌ مَضَى عَقِبَ الصَّبَا لِكِنَّهُ      عَهْدٌ - إِذَا مَا شَاءَ وَضَلُّكَ - يَرْجِعُ

\* \* \*

ولم يفث الشَّيْزُرِيُّ أن يتوقف عند الأراجيز ، فهو يعقد عشرة أبواب في الأراجيز التي صاغ فيها علماء العرب معارفهم .. وفي هذه الأبواب : أرجوزة في نظائر القرآن للسرَّاج - أرجوزة في الفرائض لابن المتقنة - أرجوزة للمؤلف في التاريخ - أرجوزة عبد الله بن ربيعة المعروف بالعجاج .. وفي هذا الجزء من المخطوطة ، وضع الشَّيْزُرِيُّ « رسالة أفلاطون في وصف النساء » وهي من ترجمة الحكيم أبي بكر الرازي<sup>(١)</sup> . وبما جاء في الرسالة :

(١) هو الطبيب الفيلسوف المشهور ، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ( المتوفى سنة ٣١١ هجرية ) له في الطب موسوعة « الحاروي » وله في الفلسفة آراء مهمة .

« اعلم أن اعتدال الخلقه دليل على صحة في الطبيعة وبعُد عن الآفة واعتدال في المزاج .. فأما الطويلة جدًا والقصيرة جدًا فليست حالتها سواء ، فالطويلة جدًا التي ليس بها سمنٌ ؛ فتورٌ ، ضعيفة الشهوة ، قليلة الولد ، بطيئة الإنزال ، وأما القصيرة جدًا التي لا هزال بها ولا سمنٌ ، فولودٌ .. وأما الحمراء فأشدُّ منها شهوة وأقل ماءً ، وأما السمراء فمعتدلة . »

بعد أن تفصّل الرسالة هذه الأمور ، يضع أفلاطون رأيه في النساء قائلاً : « واعلم أن النساء .. الصبرُ عنهنَّ مرفوعٌ ، والجزعُ عليهنَّ غالبٌ ، لسخف العقول ، وقلة التجارب ، وقلة النظر في العواقب ، وإنها ساعتها هي التي هُنَّ فيها .. والعاقلةُ منهنَّ مخدوعةٌ ، فلافها واخذعها ، ولا يكون للرجال وصلةٌ إليها ، وإن صغر شأنهم وحقر أمرهم ، فإن المرأة ليس من شأنها الاختيار ، إنما هُنَّ لمن دنا منهن ، وتلطّف هواهنَّ ؛ إلاّ من أدركته منهنَّ عصمة التقوى أو استحياءً ، فاجعل أوثق الأشياء - بعد الاستعصام بالله - أن تُخيفها بما تخاف ، فإن استطعت أن تراه ولا يراها ، فافعل .. واحذر ذوات التجارب من النساء ، والبديئات من الإماء ، وعليك بالأبكار العزائز .. وتوخّ رضاها ، وأرها أن هواك هواها ، وأنها أثيرةٌ عندك وأحبُّ إليك من سواها ؛ فإنك إذا فعلت هذا ، صفا لك حُبُّها ، وتعطف عليك قلبُها ، والتمست هواك ، وطلبت رضاك ، واعلم أن المرأة كالصبي ، يُرضيها اليسير . »

ولا شك في أن نسبة هذه الرسالة لأفلاطون ليست ثابتة ، والأرجح أنها لأحد حكماء اليونان .. والكثير من الآراء الواردة في الرسالة يحتاج لمراجعة وإعادة تقييم . لكنها في النهاية لا تخلو من طرافة ، وتعبّر عن وجهة نظرٍ قديمةٍ في النساء .. وجهة نظرٍ يمكن أيضًا أن تكون معاصرة .

\* \* \*

ثم يعقد الشيزرى عشرة أبواب « في الشكوى » منها خمس قصائد : قصيدة كتبها من الحبس عبدُ الملك بن إدريس الأندلسي إلى ولده - قصيدة للسرى الرّفاء كتبها يشكو سرقة شعره - قصيدة للسلمى يشكو حاله وسقطته في سُكره - قصيدة لعمارة اليمنى يشكو إلى

صلاح الدين الأيوبي - قصيدة في الشكوى لأبي إسحاق الصابئي<sup>(١)</sup>، وبين كل قصيدتين، وضع الشَّيْزُرِيُّ رسالةً نثرية من روائع أدب الشكوى.

بعد ذلك تقابلنا نصوص «التهانى» الشعرية والنثرية.. ثم يختم الشَّيْزُرِيُّ مخطوطته بنصوص المثلث والمخمس، والمثلث في الشعر هو الالتزام بحرف الرّوى في ثلاثة أشطر من بحرٍ عروضيٍّ كامل، وهو في النثر مراعاة الحرف الأخير في ثلاثة عبارات متتالية، كما يظهر من قول الإمام علي بن أبي طالب في بعض خطبه التي ذكرها الشَّيْزُرِيُّ: الحمد لله مُبتدئ حقائق الحمد، وأبدى سوابقه، ومستهل طرائقه، وموئل لواحقه، أحده على مظاهر نعمه، وأثنى عليه لجلاله وكرمه، وأعوذ به من سطواته ونقمه.. إلخ.

والتخميس يسير على منوال المثلث، ولكن أشطره الشعرية خمسة، وكذلك عباراته المسجوعة على نفس العدد.. وفي عصر الشَّيْزُرِيِّ، والعصور اللاحقة عليه - حتى وقت قريب شغف الشعراء بتخميس وتثليث القصائد المشهورة.

\* \* \*

وبعد.. فيها هو مخطوطٌ فريد في الأدب العربي، لا يزال ينتظر أن تمتد إليه أيدي المحققين، فنتشره على الناس مطبوعًا مضبوطًا محققًا، حتى يمكن أن نتعرف على المزيد من روائع تراثنا العربي، ونقرأ تلك المختارات الأدبية التي جمعها الشَّيْزُرِيُّ من التراث الممتد قبله خلال ستة قرون من تاريخ الأدب العربي (\*).



(١) الصابئي نسبة إلى (الصابئة) وهي فرقة تعبد الكواكب.

(\*) قام - مؤخرًا - باحثٌ مصري بنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العربية بكلية الآداب (جامعة طنطا) عن تحقيق الجزء الأول من مخطوطة الشَّيْزُرِيِّ، ولم يُنشر هذا الجزء المحقق، ولا يزال الجزء الثاني من الكتاب ينتظر التحقيق والنشر والدراسة.

طبع في بيته في بغداد سنة ١٢٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً  
والعلم نوراً يضيء في القلوب  
ويهدى إلى صراط مستقيم  
والعلم نوراً يضيء في القلوب  
ويهدى إلى صراط مستقيم

# الجزء الأول من جمة الإسلام

ذات القدر والنظام

تأليف الشيخ الفقيه امين الدين القاسم بن محمد الشافعي  
وفوتيه من هذا وهذا  
ثمانية عشر

هذا الكتاب هو جزء من جمة الإسلام  
التي كتبتها في بيته في بغداد سنة  
١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٥ م  
والكتاب منسوخ من الأصل  
الذي في بيته في بغداد  
سنة ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٥ م  
والكتاب منسوخ من الأصل  
الذي في بيته في بغداد  
سنة ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٥ م

- الكتاب الأول في المدح
- الكتاب الثاني في الفرك
- الكتاب الثالث في الأخبار
- الكتاب الرابع في الرد على المشركين
- الكتاب الخامس في الجهاد
- الكتاب السادس في الزهد
- الكتاب السابع في العتاب
- الكتاب الثامن في الجور

تمت في بيته في بغداد سنة ١٢٤٠ هـ  
والكتاب منسوخ من الأصل  
الذي في بيته في بغداد  
سنة ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٥ م  
والكتاب منسوخ من الأصل  
الذي في بيته في بغداد  
سنة ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٥ م

تمت في بيته في بغداد سنة ١٢٤٠ هـ  
والكتاب منسوخ من الأصل  
الذي في بيته في بغداد  
سنة ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٥ م  
والكتاب منسوخ من الأصل  
الذي في بيته في بغداد  
سنة ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٥ م

تكملة  
أكثر الباب منه وفيه أيضاً ثمانية  
وهي تمام الكتاب

نسخة لندن الفريدة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الكِتَابُ العَشْرُ ابواب حَمْدِهِ بِحَسْبِ حَسْبِهِ المَبْسُوطُ فِي الأَبْحَاثِ

قال مؤلف الكتاب مسلم بن محمد السرخسي قد اودعت هذا الكتاب عشرة ابواب  
كل باب منها علم قائم بذاته وفيه مطلوب بصقائه الاول في نظائر القرآن الثاني في  
ذكر الخط والنظم الثالث في اجود في علم القرائن الرابع في علم الله تعالى من القرآن الذي  
المفروق بين المتقنه الرابع في رسالة انما طرد لبعض اليهود الذي في وصف السماء  
للمؤمنين في كتاب مؤلف من ادم عليه السلام الذي له الملك المستودع في الارض  
من الملك الاجل كامل هذا ما زاد من مطالع شعبه وضاعف في العالمين كرمه وحمده  
الثاني في رسالة الكندي الى بعض الخلفاء في علم جوامع ابواب في الفروع التي لا غريب  
للغريب في النحو الثالث في منافع القرائن العلية جمع مؤلف الكتاب من جليله كما  
واوالمعاني المباحث اذ هو في فوائده العريضة والاعمال الاذنيه  
العاشر في البابه لمحمد بن سحر الرازي وهذا الباب لم يسن احد من مصنفي الكتاب  
حمد من يبعه ومضاره ومبدأياته والاعمال عليه مما هو مشرف الله

## الباب الثاني في نظائر القرائن سلافي جعفر بن احمد السراج الفارسي

قال مولد الاب مسلم بن محمد السرخسي جديما سما الشريف ونسب لمحمد بن  
ابو البركات بن احمد الهاشمي العباسي ذلك في سنة في سنة يوم الاربعاء العشرين من ربيع  
الاول في سنة سبع وخمسين وراية . فلاح هذا السبع اهل العالم اجمع محمد بن  
عبدالله بن احمد بن محمد بن المعروف بابن الطياله قال في كتابه في الاماها العالم ابو محمد  
جعفر بن احمد بن الحسن السراج الفارسي لعنه وهي اذ هو في نظائر لنفسه  
لقد ذهب على ما الفناء من حده فاما انما . مولد القليل من السماء المستحق من الاعمال  
من صلوة وما والعقود على العلم الامم الرده . وحسن من علم محمد بن خاتم ومن له القوم  
والله وحده المعازمة من المعروف للاضاره وناس من اصحاب العيون فانهم كواكب النجوم  
خالقها اوجوالعراة غن شوره من مقام الامم تمام ما يكون في العدد . والى بعض من قصد  
ونشأوا منها التي مستقر للعلم الميرته والسبح والحمد للكل . لاسي لاجل ما جعل  
جملة ما فيه من القرائن . احدي مستر بلايا من او لم المحدثي البان . فاستغفره من التوسر  
ونامه من العبد الوفاة لسن الدعوى لا المرماه قاهر صلوة في الفيزه . فامع تامر انما يريد  
تطير تانف . فنوره للبدن انظيره . اراستل من الرزوه للاحاد اعدت مشع

الجزء الثاني من المخطوطة



واضرب صبح الورد والمواقف واسلك الازبع الطراويق فخر جمع العبد للماون فاحصره في الورد لا يفرق  
 ودانك الاسم فاعلمته و فاعلمته واحذر ان يغفل عنه واصبه والشم اذا جمع به مره الا عجم والفضيح  
 هذه من الحساب تحمل ما ياتي على مثال الغفل من غير تطويل ولا اعتناء فانسح ما هنه من كافي  
 وان يمدح قول القمه و تصحح الباب المعروف منه و لا يحل له سله اخرى كما قد سئل العمل ما قرنا  
 وانظر ان اوقف اليها ما فقد حدثت معها بما ما واصره ارحم بما في اللبنة ان لم يكن بها موافقه  
 وانتم الاخرى واليهام و ضرب اوى ومعها الشام و كل سهم في جميع النانه و ضرب اوى ومعها علانية  
 هذه طرفة المناجحة و افرق بهارت به مجرد شاعبه و لا تترك في صحتي المال و خنتي صحتي من الازبع  
 فاجم على الاواد العيون فخطب في العسه الكس و هذا حكم و انما الجمل و ينزل على العسر و الاول  
 وان اشمع بدم او غرق او احدث شم للشمع كالمرق و لم يكن من زغال السابون فلا نور في شمعها من  
 و عدم ناهم اجانب و محله لا اراي السبر الصائب و ذلك القول على ما بينا و نسه المراد من  
 على طرير الورد و الازاده لمصان و بحر العبا رة و جعل اية على الشام و جعل كرام في و ام  
 و سأل العسر التميم و جبر ما نامل في العسر و عفر ما كان في النوب و ستر ما كان في العسر  
 و اصل العله و التسليم على النبي المصطفى العظيم و جبر الامام العارف و اليه العزدي للناجيه  
 و صحه الافاضل الخبار و صعه الامان للانوار

**الباب الرابع رسالة افلاطون في وصف النساء**

قال ميرم الاب محمد زكريا الرازي ان ميرم ابان الملوك كان اسمها مرقا و كان عينا لميرم  
 و ظلمته و فرط غرته لا سنع مما اصاب من النساء اشفا فان لم يتطلع بمس الذي يعرف ان  
 عمره او نفع له سوى غير ملكه فدعوه بعينه الى بيع او يبيع على ربه فانزل الى حزين البلاغه  
 سالة طومون خاتمة زمانه وهو الذي وضع كتاب القراشه فتكاليه و طم لم يدمر العره  
 و ما عطيته من العره و ما عرض له من التفتيح بالذره و قال هل عندك جليله بنى في العنا و سبي  
 على المطون فاستكن الى ثقبه من اصفون فان كل من لا سياتر به جليله الشركه الا الملك  
 و النساء فكل الملك لا يرضى ان يشارك في ملكه و لا يرضى ان يشارك في ملكه و لا يرضى  
 ان يشارك في امله و من رضى بها من الملوك لم يرضى به خيره رجا و لا شوقه على معرفته و من كان  
 به متناها فكل من العدل و العفاف لا يرضى به و لا يرضى به و لا يرضى به و لا يرضى به  
 مدركه لاسلحه الجبل و صلح لما خند من الجبل والله هو الكافي و المعيز و في كثير من تغير احوالها  
 بها ما ان بعد ما سأل ميرم ان يحرق جنبها او تقع من القواب قريبا قال الملك فوجه الى  
 و حيا اسكن اليه قال ميرم اعلم ان كل ذي روج مالم يزل نسل مطوع على بلغ ان غزوه  
 سلح ما معرفه ما وصل اليه حبه و غزوه شهرو عادوا ثا زعب اليد نسه و عجزه عمتع  
 بها من اواء و نهبه على الاستفاف من اذاه فالعمل مما المير و السهم و القضي لا يدمر ملكها

ورقة من المخطوطة

(رسالة افلاطون في وصف النساء)



## الفصل التاسع ( مخطوطة فلكية ) :

### الدَّرَجَاتُ الْمَغْرُوقَةُ

لِبْنِي هُوَسَى بْنِ شَاكِرٍ

عنوان هذه المخطوطة ، المحفوظة بمكتبة « نور عثمانية » تحت رقم ٢٨٠٠ ، جاء على الصفحة الأولى منها كالتالى : كتاب الدَّرَجَاتِ المعروفة لبني موسى بن شاكر ، في طبائع البروج ، منقولاً من حكماء الهند وكتبهم المصححة ، ومعرفة الموالييد في درجاتها وطبائع الكواكب السبعة وخواصها ، والحكم على ذلك درجةً درجةً على التمام والكمال .  
والكتاب - كما نرى - يحمل عنواناً طويلاً ، هو بالأحرى بيانٌ لما تشتمل عليه المخطوطة من موضوعات .. وهو ليس من تأليف شخصٍ واحدٍ ، بل جماعة ، هم ( بنو موسى ) الذين كانوا من الأسر العربية الشهيرة في مجال العلم ، فلتتوقف أولاً عند هذه الأسرة العلمية .

\* \* \*

عرف التراث العربى العديد من الأسر التى اشتغل أفرادها بالعلم ، وكانوا يشكّلون فيما بينهم ما يشبه المدرسة الواحدة ، فمنهم أسرة « بَخْتِشُوع » وكان جدهم جبريل طبيباً للخلفاء العباسيين ، فصار أولاده وأحفاده من بعدهم ، يمثلون حلقةً متصلة من حلقات الطب العربى .. وعلى الجانب الآخر من العالم العربى الإسلامى ، نجد أسرة طيبة أخرى ، هم « بنو زُهر » الذين اشتغلوا أيضاً بالطب ، وكان منهم مشاهير الأطباء في الأندلس وبلاد المغرب . وهناك أيضاً جماعة العِبَادِيِّين الذين اشتهرت منهم في مجال الترجمة أسرة حنين بن إسحاق ، وابنه إسحاق ، وابن أخته حُبَيْش بن الأعسم ، وقد قامت هذه الأسرة - أيام خلافة المأمون - بنقل ما لا حصر من التراث العلمى اليونانى إلى اللغة العربية ، وكان المأمون يزن لهم كُلاً كتابٍ يترجمونه بالذهب ، تشجيعاً منه للعلم .. كان هذا في زماننا القديم .

وأُسرة « موسى بن شاكر » تَخَصَّصت في الهندسة والحيل ( الميكانيكا ) والمساحة والفلك والفيزياء ، وكان رب هذه الأسرة « موسى »<sup>(١)</sup> من منجمى المأمون وندمائه ، وقيل : إنه كان في بداية أمره قاطعًا للطريق ، مُغَيَّرًا على القوافل بالليل ومظاهراً بالتقوى وملازمة المسجد في النهار<sup>(٢)</sup> . ويبدو أنه اهتمدى على يد الخليفة المأمون ، وصار من خالصائه .. وقد عهد « موسى » بأولاده الثلاثة إلى المأمون ، وأوصاه برعايتهم حين حضره الموت المبكر ؛ فقام المأمون برعاية أبناء موسى بن شاكر ( محمد ، أحمد ، الحسن ) فخرجوا - كما تقول المصادر التاريخية<sup>(٣)</sup> - نهايةً في علومهم ، وهكذا صار موسى وبنوه ، من أهم مظاهر الإسهام العربى في مجال العلوم ، إذ برعوا في الأرصاد الفلكية والهندسة ، وتركوا مجموعة من المؤلفات التى نالت شهرة كبيرة مثل : كتاب الحيل ( مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة ) - كتاب حركة الفلك - كتاب الآلات الحربية - كتاب الشكل المدور ، المستطيل<sup>(٤)</sup> .. ولهم أيضًا كتاب مشهور ، ترجمه جيرارد

(١) توفى سنة ٢٥٩ هجرية .. على أرجح الأقوال .

(٢) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ١١٣ .

(٣) أسهبت زيجريد هونكه في كتابها : شمس العرب ( الترجمة العربية - دار الآفاق ، بيروت - ص ١١١ : ٢١١ في الكلام عن بنى موسى بن شاكر ، وذلك بأسلوب أدبى شائق ؛ أما عن موسى بن شاكر و أبنائه في المصادر العربية ، فيمكن الرجوع إلى :

الفهرست لابن النديم ص ٣٣٠ - أخبار الحكماء للقفطى ص ٢٠٨ .. وقد نقل القفطى كلام ابن النديم وزاد عليه أشياء ، فقال : موسى بن شاكر ، مقدّم في علم الهندسة هو وبنوه محمد بن موسى وأحمد أخوه والحسن أخوهما ، وكانوا جميعًا متقدمين في النوع الرياضى وهيئة الأفلاك وحركات النجوم ، وكان موسى ابن شاكر هذا مشهورًا في منجمى المأمون ، وكان بنوه الثلاث أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل ، ولهم في ذلك تأليف عجيبة تُعرف بحيل بنى موسى ، وهى شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس ، وهم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب ، وقد أتعبوا نفوسهم فيها وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبدل السنّى ( المكافأة المجزية ) فأظهروا عجائب الحكمة .

(٤) في الفهرست : لبنى موسى من الكتب ، كتاب في القرسطون ( الميزان ذو العائق ) كتاب الحيل لأحمد بن موسى ، كتاب الشكل المدور المستطيل للحسن بن موسى ، كتاب حركة الفلك الأولى - مقالة لمحمد ، كتاب المخروطات ، كتاب ثلث ( المثلث ) لمحمد ، كتاب الشكل الهندسى الذى بين جليئوس أمره لمحمد ، كتاب الجزء لمحمد ، كتاب بين فيه بطريق تعليمى ومذهب هندسى أنه ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة - لأحمد بن موسى ، كتاب مساحة في أولية العالم لمحمد ، كتاب المسئلة التى ألّفها على سَنَد بن على - أحمد بن موسى ، كتاب على مائة الكلام لمحمد ، كتاب مسائل جرت بين سند وأحمد ، كتاب مساحة الأكر ( الكرة ) وقسمة الزوايا بثلاث أقسام متساوية ، ووضع مقدار بين مقدارين لتتوالى على قسمة واحدة .. ( انظر ؛ ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٠ ) .

ابن موسى بن شاكِر

الكريموني إلى اللاتينية في مطلع الحضارة الأوروبية الحديثة ، بعنوان : كتاب الإخوة الثلاثة في الهندسة Liber Trium Fratium de Geometria وقد استخدمته أوروبا مدةً طويلة ، فأسهم في تطور الهندسة الأوروبية<sup>(١)</sup>.

وقد حصر المشتغلون بتاريخ العلم ، بعض إسهامات بنى موسى بن شاكِر في العلوم ؛ فمن ذلك : اختراع ساعة نحاسية دقيقة ، اختراع تركيب ميكانيكى يسمح للأوعية أن تمتلئ تلقائياً كلما فرغت ، وضع نظرية لا تزال تستخدم حتى اليوم في عمل النافورات ( نظرية ارتفاع المياه ) ، قياس محيط الأرض على نحو لا يختلف كثيراً عن محيطها المعروف اليوم ، دراسة الأشكال الإهليلجية - الدوائر المتداخلة - وابتكار طرق لرسمها ، تأسيس ( علم طبقات الجو ) لأول مرة في التاريخ ، تطوير ( قانون هيرون ) لمعرفة مساحة المثلث .. كما أسهم بنو موسى بن شاكِر في بناء الحضارة العلمية العربية حين أرسلوا البعثات إلى بلاد الروم لإحضار كتب العلوم اليونانية ، وكلفوا النقلة والمترجمين تعريبها ، ويقال : إنهم كانوا ينفقون على إحضار الكتب وترجمتها العربية : خمسمائة دينار كل شهر .

وفي كتب أبناء موسى بن شاكِر وصفٌ دقيقٌ للآلات الموسيقية الذاتية الحركة ( الأتوماتيكية ) كالناي ، ووصف لآلات صائتة تنطلق منها أصواتٌ معينة كلما ارتفع مستوى الماء في الحقول إلى حد معين ، إلى جانب مائة تركيب ميكانيكى من اختراعهم<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

وفي ( كتاب الدرجات المعروفة .. ) يقدّم الإخوة الثلاثة نصّاً مهماً في الفلك والرياضة .. وتبدأ مقدمة المخطوطة بما يلي : « إن القدماء من أهل اليونانية تسلّموا علومهم التجريبية من

(١) د/ حسان حلاق : تاريخ العلوم عند العرب ( مع د/ ماهر عبد القادر ) ص ٢١٧ .

(٢) بخصوص الإسهامات العلمية لبنى موسى بن شاكِر ، وراجع :

- د/ قدرى طوقان : تراث العرب العلمى ص ١٦٤ .

- د/ محمد عبد الرحمن مرجبا : الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٣٦٨ .

- د/ أحمد عبد الحليم عطية : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٢٧١ .

الهند<sup>(١)</sup>.. ولما نظرنا في الكتب الموجودة إلى الآن ، في معرفة أحكام النجوم ، وجدنا أكثرها حايلاً عن الصواب وعن ما سطره أولوهم ، ووجدنا لقدماهم كتباً قد هجرها المتأخرون لجهلهم كيفية استعمال ما فيها ، وبُعدها عن أذهانهم ، فتكَلَّفنا التعب الشديد في نقله إلى لغة العرب ، واستمعنا في ذلك بأفضل ما وجدناه من الناقلين ( المترجمين ) في زماننا ، واجتهدنا في تهذيب العبارة وإصلاحها .

وفي مقدمة المخطوطة نكتشف أننا بصدد ثلاثة كتب وليس كتاباً واحداً ، يقول الإخوة : « ووجدنا لهم ثلاثة كتب ، أحدها في طبائع الدرج التي تسمى المتحيرة - كالمشترى والزهرة.. إلخ ؛ وهو هذا الكتاب . والثاني كتاب كبير ، وهو إثنتا عشرة مقالة في طبائع الدرج وخواصها إذا دخلتها الكواكب العظيمة .. ووجدنا هذا الكتاب قد اختلَّ نظمه وتخلَّط وضعه ، فأصلحناه إصلاحاً يشهد لنفسه . والكتاب الثالث في كيفية حال البروج في درج البروج مع اتصالات الكواكب المتحيرة<sup>(٢)</sup> .. وهذا الكتاب لم نجده كاملاً ، وقد نقلنا ما وجدناه منه وأصلحناه . »

نحن إذن أمام مخطوطة يحاول مؤلفوها وضع موسوعة فلكية تسعى لإحياء العلم القديم ، الهندي واليوناني ، وتقديمه في صورة منقحة محررة من الأخطاء ، وهم يقولون للقارئ في بداية هذه الموسوعة : « متى رأيت قضية من قضايا هذا الكتاب لم تصح ، فاعلم أن الراصد قد أخطأ في الدرجة ، إما بنفسه أو بآلته التي رصد بها .. وهذا معنى جليل في نفسه ، دقيق في نيله

(١) ساد الاعتقاد أن علوم العرب مستفادة من علوم اليونان ، وهي مسألة تعبر عن جزء واحد من الحقيقة - لكنها سادت بفعل الكتابات الاستشراقية - لكن واقع الأمر أن العرب والمسلمين استفادوا ، كثيراً ، من حضارات الشرق ( فارس ، الهند ) إلى جانب العلم اليوناني .

واللافت للنظر أن بنى موسى بن شاكر انتبهوا إلى أن « العلوم التجريبية » بالذات ، استفادها اليونانيون من العلم الهندي ، ذلك أن العقلية اليونانية كانت تزدرى العلم التجريبي ، وتراه أقل مرتبة من العلوم النظرية والفلسفية ، وهذا بخلاف العقلية العلمية العربية التي أسهمت إسهاماً كبيراً في تأسيس المنهج التجريبي .. قبل أوروبا بقرون .

(٢) الكواكب السيارة .

ابن موسى بن شاعر

وإدراكه ، وينبغي أن لا تهمله ، فإنه هو الصناعة نفسها ، وهو الذى يحتاج إلى العلم أولاً ، ثم إلى الدرية<sup>(١)</sup> ولا يخلو الكتاب من آثار علم التنجيم ، الذى هو الشقُّ الآخر من علم الفلك عند القدماء ؛ إذ كان للفلك عندهم أقسام ، الأول ( علم الهيئة ) وهو دراسة الأشكال والهيئات الفلكية ، والثانى ( علم التنجيم ) وهو الاستدلال بأحوال البروج على وقائع الزمان<sup>(٢)</sup> .. ولقد تخلَّص العقل الإنسانى من التنجيم - خلاصاً غير تام - أما الجانب الخاص بهيئة الأفلاك ورصدها ، فهو الجانب الذى تطوَّر اليوم تطوراً كبيراً ، وصار من منجزات العلم المعاصر .

\* \* \*

وبعد .. فلقد توفَّر على دراسة مؤلفات ( أولاد موسى بن شاعر ) جماعة من المستشرقين الغربيين ، أمثال : دونالد هيل ، فيدمان ، هونكه ؛ وغيرهم . فأكدوا أهمية هذه الأسرة فى تطوُّر العلوم الإنسانية ، أفلا يصحُّ بعد هذا ، أن يتوفر بعض الباحثين العرب المعاصرين لدراسة هذه الحلقة المهمَّة فى تاريخ العلم الإنسانى ، وألاَّ يجب أن يلتفت المُحقِّقون العرب المعاصرون إلى كتبهم فينشروها .. أم أنهم يتظنون باحثاً غريباً يقدِّم لهم تراث أجدادهم ؟ .



(١) الدرية : التجربة .  
(٢) وهناك - أيضاً - من التخصصات الفلكية : الرصد - عمل التقاويم والأزياج والكرات الفلكية .. الخ .



ملكه افقر الورق  
صالح مصطفى  
لغتها

كتاب  
اندرجات المعروفه بدني موسى بن  
شاك في طباع البروج منقوله  
من كتاب الهندوسيه المسمى ومترجمه  
المؤلف في درجا تبارد ايج الكواكب  
السبعه وعاشم والحكم على ذلك درجه  
درجه على التمام والكمال في راسم

صفحة العنوان

مخطوطة مكتبة « نور عثمانية رقم ٢٨٠٠ »





من بين الناس من انزل السور في الشتاء في ايام الصيف والرياح العاصف والرياح  
 من بين ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 اشترى من بين الناس من انزل السور في الشتاء في ايام الصيف والرياح العاصف  
 عرقه وطلبه هو الناس من انزل السور في الشتاء في ايام الصيف والرياح العاصف  
 الجوز بيننا على القرينات والصلوات وعزاه المساجد المنفعة وطلبه اختبات زهر  
 عرق مشوي من ارض القنفذ اجزاه البصل وما اشترى من ايام الصيف والرياح العاصف  
 وحشيا وهدن البرج من العسل الزهور العذارى من ايام الصيف والرياح العاصف  
 وكذا وهو من ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 وشهر عدم النوم سماع النسا الهادج الى بلاد السودان في ايام الصيف والرياح العاصف  
 اشترى من ايام الصيف والرياح العاصف وطلبه الناس من ايام الصيف والرياح العاصف  
 لغيره ما في ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 لحم الضيق من ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 الرياح الباردة من ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 من ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 وطلبه من ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 العاد من ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 من ايام الصيف والرياح العاصف والرياح العاصف والرياح العاصف  
 يصعب منه معه الينا شيئا وميله ما في هذا العالم وجب ان السور في ايام الصيف

الورقة الأخيرة

الفصل العاشر ( مخطوطة أدبية ) :

ديوان ابن الصباغ الجذامي

لابن الصباغ

صَبَّ صَبَابُهُ شُهُودٌ      وَقَتْلُهُ فِيكُمْ مَبَاخُ  
مُنَاهُ لَوْ أَسْعَفَ التَّمَنَى      مِنْ كَاسِرِيهِ ، جَبْرُ الْجِنَاخِ

\* \*

قَدْ فَاقَ فِي وَجْدِهِ الْوُجُودَا      وَلَجَّ فِي لُجَّةِ الْعَسْرَامِ  
فَصَارَ فِي حُبِّهِ فَرِيدَا      وَقَامَ فِيهِ أَعْلَى مَقَامِ  
بِنَفْسِهِ جَدًّا أَنْ يُجُودَا      فَلَا اعْتِرَاضَ وَلَا مَلَامِ

\* \*

دَعْوُهُ فَالْنَوْمُ لَا يُفِيدُ      مَا أَنْ عَلَى مُنْعَرِمِ جُنَاخِ  
جَنَانُهُ بَاتَ فِيهِ يَجْنِي      فَنُونَ أَفْنَانِ الْاِفْتِصَاخِ

\* \*

لَا تَبْعِدُونِي فَنِي الْبُعَاذِ      وَالصَّدُّ مَا يَصْدَعُ الْفُؤَادِ  
بِكُمْ وَحَقِّ الْهَوَى أَنْ نَادِ      إِذْ لَيْسَ لِي غَيْرُكُمْ مُرَادِ

مُضْنَاكُمْ بِالْبُعَادِ بَادِ

وَهَانَ أَشْكَو بِكُلِّ وَاذِ

\* \*

مَا كَانَ لِي عَنْكُمْ بِرَاخِ

لَوْ مَا عُدْتُ بِالْمَنَى السُّعُودِ

هُوَ الْمَنَى وَالْاِقْتِرَاخِ

لَكِنْ مَا شِئْتُمْوه مِنِّي

نَمَّتْ بِأَيْسَى مِنَ الْوَلُوعِ

أَنْفَاسِ رِيحَانِهِ ارْتِيَاخِ

وَوَحَّدَتِ خَدَيَّ الدُّمُوعِ

قَدْ حَانَ فِي حَيْكِ افْتِصَاخِ

أَشْرَاقُهُ تُلْهِبُ الضُّلُوعِ

فَيَا لِسُكْرَانَ فَيْكَ صَاخِ

\* \*

يُعِيدُ لَيْلِي بِكُمْ صَبَاخِ

وَلَا وَصَّوْلُ وَلَا وُزُودِ

فَلَسْتُ أَصْغَى لِقَوْلِ لَاحِ

يَا صَاخِ دَعْنِي وَخَلِّ عَنِّي

\* \*

عُمْرِي وَمَا مِنْكُمْ نَصِيبِ

يَا حَسْرَتَنَا قَدْ مَضَى وَوَلَّى

فَصِرْتُ أَدْعَى وَلَا أُجِيبِ

أُورِنِي الْهَجْرُ مِنْكَ خُبْلَا

إِذْ أَنْتَ يَا مُمْرِضِي الطَّيِّبِ

أَهْلًا بِذَلِكَ السَّقَامِ أَهْلَا

\* \*

فَلِي إِلَى ذَلِكَ ارْتِيَاخِ

عُودُوا بِطَيْبِ الْوِصَالِ عُودُوا

مَنْ مَاتَ تُحْيِيهِ بَانْشِرَاخِ

(ولعل) قُرْبًا مِنْكَ يُذْنِي

\* \*

أَنَا بِمَا تَرْتَضِيهِ رَاضٍ  
فَإِنْ تَكُنْ فِي الْجَمَالِ قَاضٍ  
وَهَبْ لِرَاجِيكَ كُلَّ مَاضٍ  
إِنْ كُنْتَ لِي الْعَوْنُ وَالرُّضَى  
فَالْكَفْرُ بِمَا شِئْتَ فِي الْقَضَا  
فَلَا يُعَادُ الَّذِي مَضَى

\* \*

يَاصِحْ قَدْ جُدَّدَتْ عُهُودُ  
فَارَشَفْ كُؤُوسَ الْمُنَى وَغَنُّ  
الْوَصْلِ تَفَضَّى بِالْأَضْبَاحِ  
حَتَّى عَلَى الشُّرْبِ يَأْمِلُ

هذه الموشحة الرقيقة ، اللطيفة المعنى واللفظ ، من شعر أحمد بن الصَّبَّاحِ الجذامي الأندلسي ، صاحب ( الديوان المخطوط ) الذي نتوقَّف عنده في هذا الفصل لإلقاء بعض الضوء عليه وعلى مؤلفه .

\* \* \*

إن الكثير من آثار العرب في الأندلس قد اندرس وانطمس ذكره ، ومن هذا الكثير ، سيرة الشاعر ابن الصَّبَّاحِ الجذامي صاحب الديوان ، فلا نكاد نعرف عنه إلا أقل القليل ، ولولا بقاء نسخة مخطوطة وحيدة من ديوانه ، بالإضافة إلى بعض أشعاره وأزجاله الواردة في كتاب ( أزهار الرياض ) للمَقَرِّي ، ما كُنَّا اليوم نعلم عنه شيئاً .

عاش أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامي في الحقبة الأخيرة من دولة الموحدين ، أيام الخليفة « المرتضى » المقتول سنة ٦٦٥ هجرية على يد أعوان أبي دبوس الذي حَلَّ محله وأعطى نفسه لقب « الواثق بالله » وهي ثقة لم تدم ، إذ انطوت في أيام أبي دبوس هذا ، آخر صفحة من دولة الموحدين .. وقد وردت الإشارة إلى عصر ابن الصباغ في مقدمة ديوانه المخطوط ، حيث يقول جامعه : « لما تَمَّ اعتلاء سيدنا الخليفة المرتضى ، حركتني نسيم لأن أجعل أهم وسائل وأنجح أموري ، نقل شعر الشيخ الفقيه الصالح ، أبي عبد الله محمد بن

أحمد بن الصَّبَاغ الجذامي ، شرح الله تعالى صدره ونور بالصفاء فكره « وكان جامع الديوان معاصراً لابن الصباغ ، فهو يقول في نفس المقدمة :

« وجميع ما رسمته في هذا الديوان من نظامه ، وجمعه فيه من حسن كلامه ، فقد عهدته مراراً بقراءتي عليه في مواطن بجمّة ، وسمعته أيضاً منه بقراءته ، وأملاه عليّ في أوراق منشورة » .

والمخطوطة الوحيدة من ديوان ابن الصباغ ، محفوظة في الخزانة الملكية بالرباط ( المغرب ) تحت رقم ١٠٩ ، وهي تقع في ٢٠٠ ورقة تقريباً ، مكتوبة بخط أندلسي<sup>(١)</sup> . وتبدأ المخطوطة بقصيدة في مدح النبي ، ﷺ ، يقول البيت الأول منها :

أَذَكَّتْ بِإِخْتِصَاءِ الضُّلُوعِ إِوَارَا      وَرَقٌ تُرَجِّعُ شَذْوَهَا أَشْحَارَا

وفي الديوان كثيرٌ من المدائح النبوية الرقيقة المنظومة على بحور الشعر الستة عشر ، وفيه أيضاً العديد من المقاطع الزجلية ، والموشحات الأندلسية ، والمكفّرات<sup>١</sup> وكلمة « مكفّرات » من مصطلحات التوشيح ، يشرحها لنا ابن سناء الملك فيقول :

« والموشحات يُعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر ، من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد ، وما كان منها في الزهد يقال له : المكفّر ، ولا يُعمل إلا على وزن موشح معروف<sup>(٢)</sup> .. فهي نوعٌ من الإنابة إلى الله ، والتكفير عن أشعار يكون الشاعر قد قالها في زمن اللهو ، فيتوب ويستغفر ربه عن شعره السابق ، بشعر المكفّرات ، أي يستغفر بالشعر عن الشعر ومن مكفّرات ابن الصباغ ، ما أوردناه في بداية هذا الفصل ، ومنها أيضاً تلك الموشحة التي يكفّر فيها عن كل بيت بثلاثة أشطر :

(١) كان للدكتور محمد زكريا عناني ، فضل توجيه نظري إلى هذه المخطوطة الفريدة ، كما تفضل - مشكوراً - بتصويرها لي .

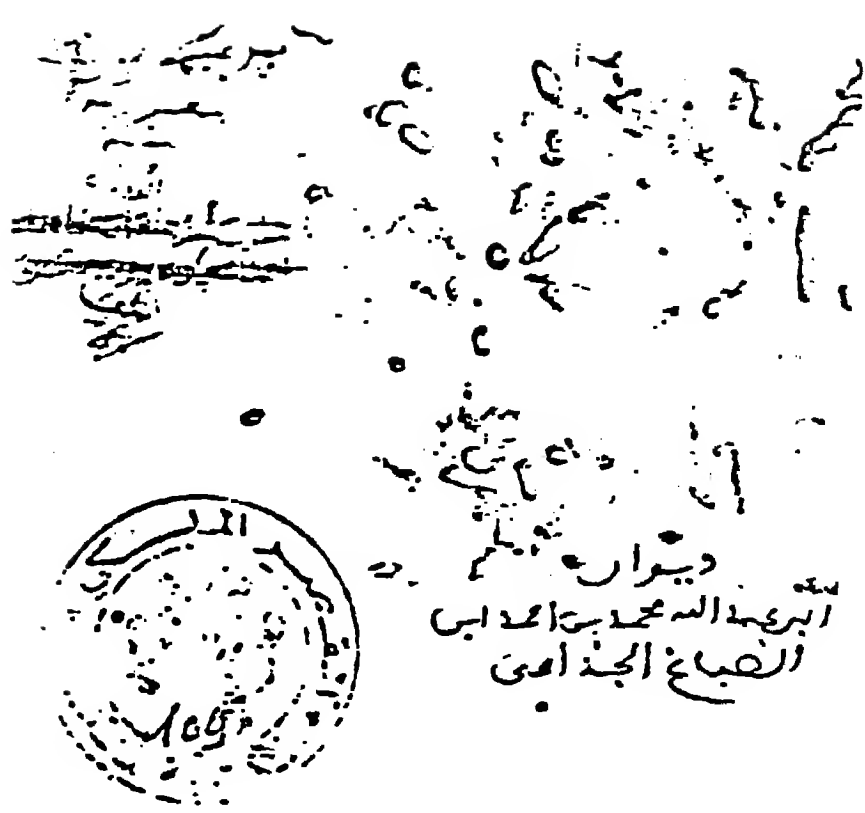
(٢) ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق د/ جودت الركابي (دمشق ١٩٤٩) ص ٣٨ .

شَجُوُ الوُزُقِي فِي الأَفْتَانِ      غَدَاةُ النَّوَى أُنْفَانِي  
 أَيَانَائِحِ الأَفْتَانِ  
 بُكَاءُكَ قَدْ أَشْجَانِي  
 وَسَهْمُ النَّوَى أَضْنَانِي  
 وَتَفْنِي وَكُلُّ فَنَانٍ      مُحَالٌ يَبْقَى إِلْفَانِ  
 كَفَيْكَ دَمْعَكَ المَطْلُولاَ  
 وَأَنْرُكَ نَدْبَكَ الطُّولاَ  
 وَزُرُّ أَحْمَدَ الرَّسُولَاَ

ولا يزال ديوان ابن الصباغ مخطوطاً ، وقد حَقَّقَ الدكتور أحمد السنوسي بعض أشعاره ،  
 ولم تصدر بعد .. أما موشحات الديوان ، فقد نشر بعضها الدكتور محمد زكريا عناني - الذي  
 ندين له بفضل تعريفنا بابن الصباغ<sup>(١)</sup> - تمهيداً لإصدار الديوان كله في طبعة محققة تحقيقاً  
 علمياً رصيناً .. وها نحن ننتظر .



(١) د/ محمد زكريا عناني : ديوان الموشحات الأندلسية ، مستدرک يتضمن نصوصاً تنشر لأول مرة ( دار  
 المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، بدون تاريخ ) ص ١٤٩ وما بعدها .



(عنوان الديوان)

مخطوطة الخزنة الملكية بالرباط



الحمد لله رب العالمين

١٥٧

منحه التو الرخين الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله  
 محمد لله ولي ولي محمد وامل الشاه والحمد لله  
 بخدي من حريه ويزيدنا ايدنا لايه مزيده  
 التسليم على سيدنا محمد وآله وسلم  
 في الخلق العجيب والسبحان وتوهم خاتم الانبياء  
 وخاتم كل العجز بآية الشريفة وكنهه ملاوي  
 الضلالة من عمال التخابي ومنقذ لامة بهذه الملة من التمارية  
 والبلاجل والترافى جاء بالمعجزات المؤيدا وأعلم باناياب  
 بينا با مرددا حتى فامت به جلة المدى وراح لاله سلام في مكاربه  
 حبه واعتردا بالسعيد من آثاره وازم مآثره وآثاره والبرية  
 انجوس عن فضل اقباله فلم يسر طيب من تجزيره وتوفيره بناير  
**كوفي** لمن جالب بنشور فخره وذكركم علماء قدره ينسند  
 ربه على حمد في الشارح في الليل صبيحة وانسه انه ذكر  
 نولقوا امة من والعم البزج بنسخته وتوفيره من الله سبحانه  
 سبحان من لا يحصى ويطاومة حب للرحمن في حريمه

الصفحة الأولى من مخطوطة الديوان



## ديوان فيزدوس الحكمة

### لخالد بن يزيد

من أغرب الشخصيات فى التاريخ العربى الإسلامى ، شخصيةُ الأمير « خالد بن يزيد » أحدُ أمراء بنى أمية البارزين . وغرابة شخصية هذا الأمير تنبع من تضارب الروايات التاريخية حول حياته ، وترشيحه لخلافة المسلمين ، واشتغاله بالكيمياء فى هذا الوقت المبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية .

\* \* \*

هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، الأمير الأموى القُرشى . لم يحدِّد المؤرخون مولده بدقة ، واختلفوا فى تحديد سنة وفاته ، فجعلوها بين سنتى ٨٢ ، ٩٠ هجرية<sup>(١)</sup> . ولكنهم اتفقوا فى الثناء عليه ، فذكر الذهبى أقوالاً تصفه بأنه : كان موصوفاً بالعلم ، من صالحى القوم ، يصوم الأعياد ( أى أيام الجمعة والسبت والأحد ) أجاز شاعراً بيائة ألف درهم لقوله فيه :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ : حُرَّانَ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَا جَمِيعًا : إِنَّنَا لَعَيْدُ

فَقُلْتُ : فَمَنْ مَوْلَاكُمَا ؟ فَتَطَّأَوْا عَلَيَّ وَقَالَ : خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر ترجمته فى : الفهرست لابن النديم ص ٤١٩ - التاريخ الكبير لابن عساکر ٥ / ١١٦ - وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢١٠ - معجم الأدباء لياقوت الحموى ١١ / ٣٥ - معجم المؤلفين لكحالة ٤ / ٩٨ - البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٢٣٦ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١ / ٢٢١ .. وغيرها .

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٢ .

وذكر عنه الجاحظ أنه كان : خطيبًا ، شاعرًا ، فصيحًا ، جيد الرأي ، كثير الأدب<sup>(١)</sup> .  
 وفي كتاب « الأغاني » نراه موصوفًا بكونه : من أكثر رجال قريش سخاءً وفصاحة<sup>(٢)</sup> . كما اتفق المؤرخون على أن خالد بن يزيد ، كان أول من ترجم كتب اليونان إلى اللغة العربية ، وأنه اشتغل بالكيمياء ووضع فيها بعض المؤلفات<sup>(٣)</sup> . وقبل الحديث عن كيمياء خالد بن يزيد ، نتوقف عند محاورتين من محاوراته التي روتها كتب التاريخ ، لتتعرف على شيء من أخبار هذا الأمير الغامض :

الحوار الأول ، ما كان قد جرى بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان ، فقد كان خالد مرشحًا لتولي الخلافة بعد وفاة أخيه « معاوية بن يزيد » لكن عبد الملك قفز على الأمر ، فتولّى الخلافة وتزوج أم خالد - ربما لإغاظته - فكان بين الرجلين ما كان ، ومنه هذا الحوار الذي دار بينهما حين هدّده عبد الملك بن مروان بالحرمان ، فرد عليه خالد بقوله : أتهددني ويد الله فوقك مانعة ، وعطاؤه دونك مبذول ؟ وقال له عبد الملك : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ( الآية ) فقال خالد : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ( الآية ) .. إلى آخر تلك الحوارات التي جرت بين الرجلين ، ولم يتورع فيها عبد الملك عن الإشارة إلى أنه يُضاجع أم خالد ، مما كان يكسر نفس الأخير<sup>(٤)</sup> . وإن كان عبد الملك بن مروان ، في بعض الأحيان ، يستجيب لأقوال خالد ويمرر حوارهما دون صدام وتعيير .. واعتقد أن هذه العلاقة بين الرجلين في حاجة لدراسة تاريخية نفسية ، تكشف لنا عن صفحة مهمة من صفحات تاريخنا الثقافي والسياسي .

أما الحوار الثاني ، فهو ما يرويهِ الخطيب البغدادي على لسان خالد نفسه ، إذ يقول :  
 كانت لي حاجة بالجزيرة ، فخرجت إليها مستخفيًا ، فبينما أسير بين أظهرهم ، إذ أنا بشمامسة

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ( القاهرة ١٣٦٧ هـ ) ١ / ٣٢٨ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ( طبعة بولاق ) ١٦ / ٨٨ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤١٩ .

(٤) احتد النقاش مرة بين خالد وعبد الملك بن مروان ، فقال له الأخير « أتخالفني يا ابن الواسعة » فانسحب خالد من المجلس ، فجاءته أمه تطيب خاطرهُ ، فقال لها : لقد قال شيئًا هو أعلم مني به ! .

ورهبان ، فقلت لهم : « ما جمعكم هنا » فقالوا : « إن شيخًا سيّاحًا نلقاه في كل يوم مرة في مكانك هذا ، فنعرض عليه ديننا ، وننتهي منه إلى رأيه » .. فقال خالد في نفسه : إنه معنى بالحديث النبوي ، ولعله لو استمع إلى هذا الشيخ يستفيد منه شيئًا ، ولن يلحق به ضرر . فلما جاء هذا الشيخ النصراني ، قال لخالد : إنك لست من هؤلاء الرهبان ، فأنت من أمة محمد ، فقال : نعم ، قال : من علمائهم أو من جُهّالهم ؟ قال : لست من علمائهم أو من جهّالهم ، قال : ألستم تزعمون في كتابكم ( القرآن الكريم ) أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون .. فقال خالد : إن لهذا مثلاً في الدنيا . فقال : فما هو ؟ قال : الصبي في بطن أمه ، يأتيه بالرزق الرحمنُ بكرةً وعشيًا ، ولا يبول ولا يتغوط .. هنا عرف الرجل أنه يحاور عالمًا ذا عقلٍ راجح ، فقال له : ألم تزعم بأنك لست من علمائهم ؟ فتواضع خالد ، وأكّد : بلى ، ما أنا من علمائهم ولا من جهّالهم<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ونأتى لمسألة اشتغال خالد بالكيمياء ، فنجد - بقطع النظر عما سنرويه من تفاصيل تلك المسألة - أن خالد بن يزيد كان له فضلٌ كبير على الحضارة الإسلامية ، حين ابتداء حركة الترجمة ، أو أسهم فيها ، وباهتمامه بنقل كتب الطب والكيمياء من اليونانية إلى العربية ، لقد كان خالد ، وأمثاله من بناء الحضارة العربية الإسلامية ، على وعى بأهمية العلم كتراث إنساني ، فأقبلوا على ترجمة العلم اليوناني ، وأتاحوا الفرصة أمام حضارتهم لكي تستكمل وتضيف لتاريخ العلم الإنساني .. والمهم هنا أن خالد وأمثاله من الحكام والأمراء ، لم يُقبلوا على كتب الأدب والفن والدين اليوناني ، بل اهتموا بتراث اليونان العلمي في الهندسة والفلك والميكانيكا والصيدلة والطب والكيمياء فاهتموا بما يهمهم ، وبما يخص الإنسان على إطلاقه ، لا اليونان خصوصًا .. وكذلك الأمر في تعاملهم مع التراث الهندي القديم ، فقد نقلوا عن الهند علوم الرياضة والطب ، وتركوا لها الفنون والآداب ؛ لأنها تخصُّ الهند بالذات ،

(١) د / فاضل الطائي : أعلام العرب في الكيمياء ص ١٩ .

وضع ذلك ، فنحن المعاصرين لا نعى الدرس ! ولا زلنا منذ مطلع نهضتنا الحديثة ، نترجم عن الغرب الأدب والفن والفلسفة ، ولا نهتم بالعلوم ، ونكتفى باستيراد التكنولوجيا دون التعرف إلى أسرارها .. وتلك على أى حال ، قصة أخرى<sup>(١)</sup> ، فلنعد إلى خالد ومسألة الكيمياء :

يؤكد معظم المؤرخين أن « خالد » اشتغل بالكيمياء ، ويقرر بعضهم أنه وضع في ذلك مؤلفات ، لكن البعض الآخر - كالذهبي - يُنكر ذلك ، على حين يرى الدارسون المعاصرون ، والمستشرقون ، أن تلك المؤلفات منسوبة إلى خالد بطريق الخطأ ، أو هي من تأليف بعض المتأخرين عنه ، لكن مؤلفيها نسبوا إليه لتزداد قيمتها ، ولا تزال القضية بحاجة إلى دراسة وتمحيص وفحص لهذه المؤلفات ونقدها نقداً علمياً دقيقاً ، للحكم في صحة نسبتها إليه . وعن خالد ومؤلفاته ، يقول ابن النديم في ( الفهرست ) ما نصّه : الذى عنى بإخراج كتب القدماء في الصنعة ( = الكيمياء ) خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان خطيباً شاعراً فصيحاً حازماً ذا رأى ، وهو أول من تُرجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء ، وكان جواداً ( يقصد : على المترجمين ) يقال إنه قيل له : « لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة » ( أى : تحويل المعادن إلى الذهب والفضة ) فقال خالد : « ما أطلب بذلك إلا أن أغنى أصحابي وإخواني ، إنى طمعتُ في الخلافة فاختزلت دونى ، فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ، فلا أخرج أحداً عرفنى يوماً أو عرفته ، إلى أن يقف بباب سلطان رغبةً أو رهبة » ويقال ، والله أعلم : إنه صحَّ له عمل الصناعة ( = تحويل المعادن إلى ذهب ) وله في ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعرٌ كثير في هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه ، كتاب الحرات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة<sup>(١)</sup> ..

(١) راجع مقالنا المنشور بجريدة الأهرام ، بعنوان : ( درس تاريخي في الترجمة ) وانظر ما قلناه في مقدمة هذا الكتاب .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤١٩ .

وشعر خالد بن يزيد في الصنعة ، من أثبت مؤلفاته إليه وأصحها نسبةً له ، نظرًا لقرابته من عصره ، وقد جُمع هذا الشعر في ديوان ، مخطوط ، على ترتيب القوافي وفقًا للأبجدية ، جاء في مقدمته ما يلي :

« أعمد إلى تصنيف ديوان ، أفهّمُ به جماعةً من طلبة هذا العلم . ونحن نبتدىء بعون الله تعالى ونبيّه ، ونكتب أشعاره ، لأنه لم يسبقه سابقٌ ولا يتقدمه متقدمٌ ، إلا كان مقصّرًا عنه ، لأنه لم سبّك أقاويلهم ، ونظمها ، وأتى بأمثالهم وأخبارهم ، وفَسّر أرمازهم ، وشرح الغازم بأحسن لفظ وعبارة ، وبالله التوفيق . »

ويبدو أن جامع الديوان هو « غالب » خادِم خالد بن يزيد ، ففي مخطوطة الديوان المحفوظة بمكتبة كوبريلي باسطنبول ( بعنوان : ديوان فردوس الحكمة لخالد بن يزيد ) تحت رقم ٩٢٤ ، جاء في المقدمة :

« الحمد لله الذي بحمده نحمده .. وبعد ، فإنني لم أزل بحمد الله ، مُد سَمَت همتي بالعلم ، وعلقت نفسي بالفهم .. جمع ديوان الأمير خالد بن يزيد بن معاوية .. وما جرى بينه وبين مُزيائُوس الراهب ، وهو مما نسخته من كتاب غالب مولى خالد ، وهو خادمه وأمينه وثقته . »

ويقع الديوان ، في نسخة كوبريلي ، في ٩٦ ورقة ( قرابة ٢٠٠ صفحة ) وهو مكتوب سنة ١٠٣٧ هجرية بيد الشيخ محمد الميقاتي . أما « مريانس » المذكور في مقدمة المخطوطة ، فهو الراهب « مارينوس الإسكندراني » تلميذ الكيمياء الإسكندراني الشهير « إسطفانوس » وقد كان مارينوس هذا ، ناسكًا معتزلًا الناس في مدينة القدس ، حين سمع بأن خالد ابن يزيد شغوف بالكيمياء ، فذهب إليه فوجده يصبو إلى صناعة الذهب بالذات .. ويقال: إن مارينوس نجح أمام خالد ، في تحويل بعض المعادن إلى ذهب ؛ ثم اختفى مارينوس<sup>(١)</sup> .

(١) د/ غالب الطائي : أعلام العرب في الكيمياء ص ٢٩ .

وتبدأ مخطوطات الديوان ، بأرجوزة همزية فيها الكثير من الرموز التي لا يعرف دلالتها غير المشتغلين - قديماً - بالكيمياء .. تقول الأبيات الأولى منها :

يَا مُنْطِقاً حَقّاً بِغَيْرِ خَفَاءِ	يَا طَالِباً بُورِيطَسَ الْحُكَمَاءِ
فِي كُتُبِهِمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ	هُوَ زَيْبُ الشَّرْقِ الَّذِي هَتَفُوا بِهِ
وَالْحِنَّ شُغلاً أَعْمَضُ الْأَسْمَاءِ	سَمُوهُ زَهْرًا فِي خَفَاءِ رُمُوزِهِمْ
عَنْ صَبِيغِهِ بُخْلاً عَنِ الْبُعْدَاءِ	وَدَعُوهُ بَأَنَّ النَّارَ كَيْمَا يَصْدُقُوا
جِسْمِ النَّحَّاسِ وَنَارِهِ الصَّفْرَاءِ	فَإِذَا أَرَدْتَ مِثَالَهُ فَاعْمُدْ إِلَى
وَأَحْكَمْ مُرَاوَجَةِ الْهَوَا بِالْمَاءِ	فَامْرِزْجُهُمَا مَرْجِ امْرِءٍ ذِي حِكْمَةٍ
حَتَّى تَرَاهُ كَزُنْدَةٍ بِيَضَاءِ	وَاسْحَقْ مُرَكَّبَكَ الَّذِي أَرُوجَتُهُ
مِنْ بَدءِ صُبْحِ إِلَى الْإِمْسَاءِ	سَحَقًا يُفْتَتُّهُ وَيَهْتِكُ جِسْمَهُ
حَتَّى الصَّبَّاحِ وَعَظْمِهِ يَغْطَاءِ	وَاجْمَعُهُ وَادْفِنَهُ وَدَعَهُ بِمَرْقَدِ
فِي جِسْمِهَا بِالْعَمْرِ لِلْأَشْيَاءِ	هَذَا حَمَارُ زَوَائِقِ الْمَغْنِيسِيَا





٢٤  
 انهد الى تصنيف ديوان افيم به جماعة من المنة هذا العلم  
 ونحن نحمدك يا ربك الله تعالى ونكتب اشعاره  
 لا نعلم التسبقه سابق ولا يتقدمه مستقدم الا كان  
 مقصرا عنه لانه لم يشك اقاويلهم ونظمها وانما  
 وانما هم وفترار ما زهم وشرك النازم بالحسن لفظ  
 وعجازة والله التوفيق  
 من الله الرحمن الرحيم  
 ابتداء ديوان خالد علي قافية الحسان  
 قافية الالف  
 يا طالب ابوريطس الكماه سياه نطقا حقا نغني خناه  
 الاله النبوة ابوه وكنتم من جوار الاله  
 ستمدوا في حماره وورثتم كده الى شغارة اشعل لا تنساه  
 وهو من النازك اسرنا من صدى بجوارك السعدا

مخطوطة ديوان فردوس الحكمة

القصيدة الأولى

وَاذْكَرُوا مَا لَمْ يَأْتِ فِيهِمْ مِنْ قَبْلِهَا مِنْ آيَاتِنَا  
 فَارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُوهُم  
 وَأَسْأَلُوا الَّذِينَ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِنَا  
 وَمَا نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ حَقِّهَا  
 وَأَعْلَمُ مَا تُكْرِمُونَ وَبَشِّرِ الصَّالِينَ  
 الَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 لِيُنظِرَهُمْ إِلَىٰ آيَاتِهِمْ قَالُوا إِنَّ  
 هَٰؤُلَاءِ كَذِبُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
 مِنْ قَبْلِ هَٰؤُلَاءِ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ  
 الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَمَا لَهُمْ  
 مِنْ آلِهَةٍ إِلَّا اللَّهُ هَٰؤُلَاءِ حَتَّىٰ  
 تَأْتِيَهُمُ آيَاتُنَا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُوا  
 سَحَابٌ مُمْرِبٌ فَإِذَا تَأْتَاهُمُ الْغَمَّةُ  
 الْكُبْرَىٰ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ مَا لَنَا مِنْ  
 مَلَكٍ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ أَوْ أَنْزِلَ عَلَيْنَا  
 الْبُرْقَانِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ

الورقة الثانية من الديوان

## الفصل الثامن عشر ( مخطوطة تاريخية ) :

### الروض المغرس في فصائل بيت المقدس

#### للحسيني

من أطف البحوث التراثية التي نُشرت مؤخراً ، كتابٌ للدكتور كامل جميل العسيلي ، صدر في الأردن بعنوان : مخطوطات فضائل بيت المقدس ، ويضم الكتاب دراسة بيبلوجرافية مفصلة عن النصوص الخطية التي تناولت فضائل القدس ، مع مقدمة جاء فيها: « إن مكانة بيت المقدس في الإسلام تستند إلى مرتكزات ثلاثة رئيسية ، الأول: أن بيت المقدس هو البيت الذي بنته الأنبياء وعمّته ، والدين الإسلامي جاء مصدّقاً لنبوّة الأنبياء الذين سبقوا محمداً ﷺ والذين عاش أكثرهم في بيت المقدس وما حوله . والثاني: أن بيت المقدس هو القبلة الأولى التي اتجه إليها المسلمون بالصلاة قبل أن يأمرهم الله بالتوجه نحو الكعبة . والثالث: أن بيت المقدس هو المكان الذي أُسرى بمحمد - ﷺ - إليه ، ومنه كان معجازه »<sup>(١)</sup>.

ويعرض الكتاب لقرابة خمسين مخطوطة ، ألفها العلماء على مدار قرون الإسلام ، كصدى لاهتمام المسلمين بهذه المدينة الشريفة التي كانت دوماً من مطامع الغرب في بلاد العرب ، فاحتلها الصليبيون حيناً ، فخلّصها منهم المسلمون ، ثم احتلها اليوم اليهود ولم تتخلص بعد . ومجموعة المؤلفات المفردة في فضائل بيت المقدس ، كتبها كبار مشايخ العلم الإسلامي ، وهناك ثلاثة مؤلفات منها مجهولة المؤلف .. وقد طبعت بعض هذه المؤلفات ، لكن أغلبها لا يزال إلى اليوم مخطوطاً لم ينشر ، فمن ذلك القدر المخطوط : كتاب الروض المغرس في فضائل بيت المقدس ، لتاج الدين عبد الوهاب بن عمر الحسيني .

(١) د / العسيلي : مخطوطات فضائل بيت المقدس ( عمان ١٩٨٨ ) ص ١٥ .

يحدثنا السخاوى في موسوعته ( الضوء اللامع ) عن مؤلف هذه المخطوطة فيقول :  
عبد الوهاب بن عمر بن الحسين بن محمد .. التاج ( = تاج الدين ) الحسينى الدمشقى  
الشافعى ، ولد بعد سنة ٨١٠ هجرية بدمشق .. وتوفى بمكة يوم الأحد ، ثانى جمادى الأولى سنة  
٨٧٥ هجرية ، ودفن بالمعلاة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الشيخ عبد الوهاب كان من أسرة معروفة بالعلم والفضل ، فالسخاوى يذكر  
أنه « ابن أخت قوام الدين ، قاضى الحنفية بالشام ، وابن عمر الشهاب أحمد بن على بن  
الحافظ » وهى أسرة من الأشراف الذين يرجع نسبهم إلى شهيد كربلاء : الحسين بن على بن أبى  
طالب .. ومن هنا جاء لقب « الحسينى » .

وبين أفراد هذه الأسرة الشريفة ، نشأ عبد الوهاب الحسينى نشأة دينية علمية ، فبدأ يحفظ  
القرآن ، ثم درس الفقه على يد علاء الدين بن سلام وتقى الدين بن قاضى شُهبة ، كما درس  
الفرائض على الشيخ الحوارى ، ونزل إلى القاهرة فاستكمل دراسته لعلوم الدين على يد  
القائى ، وزامل السخاوى فى درسه على يد الحافظ المؤرخ : ابن حجر العسقلانى .

وعاد الشيخ عبد الوهاب إلى الشام ، فقام بالتدريس فى المدرسة الأتابكية ، وتولى  
القضاء ، وعهدوا إليه بالأوقاف .. وقد ظل يتلطف - كما يقول السخاوى - لإعفائه من  
الإشراف على الأوقاف ، حتى عُفى منه ، وانتهى إلى الانقطاع عن الناس للعبادة والتلاوة فى  
بيته بصالحية دمشق ، وترك مجموعة من المؤلفات منها : أوضح المسالك إلى معلم المناسك -  
الروض المغرس فى فضائل بيت المقدس .

\* \* \*

تبدأ مخطوطة « الروض المغرس » بمقدمة ، يذكر فيها المؤلف مجموعة المصادر والمراجع  
التي اعتمدها عليها فى كتابه ، مثل : فضائل بيت المقدس لابن الجوزى ، الجامع المستقصى فى

(١) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ( مكتبة الحياة - بيروت ) ١٠٦ / ٥ .

فضائل المسجد الأقصى لابن عساكر ، الأنس في فضائل القدس للقاضي أمين الدين بن هبة الله ، باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس لبرهان الدين القزاري ، إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ، تسهيل المقاصد لزوار المساجد للأفقهسي ، فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن بن شجاع الربعي ، مُثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه السلام للتدمري ، مسائل الأنس في تهذيب الوارد إلى القدس لصلاح الدين العلائي .

وقد اعتمد السيوطي في كتابه الشهير « إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » على كتاب الروض المغرّس ، وأثنى على مؤلفه قائلاً : ولقد أغناني بفوائده التي أهداها ، عن الافتقار إلى الاطلاع على ما لأهل الصدر الأول ، فمن بعدهم ، من الكلام .

ثم تتوالى فصول الكتاب ، لتعرض من خلال سبعة وثلاثين فصلاً إلى : أسماء المسجد الأقصى - وضع المسجد الأقصى - بناء داود عليه السلام - بناء سليمان - فضل بيت المقدس - شد الرحال إليه - فضل زيارته - فضل الصلاة فيه - تضاعف الحسنات والسيئات فيه ، فضل الصدقة فيه - فضل الصيام فيه - فضل الأذان فيه - فضل الصخرة - ذكر الماء الذي يخرج من أصل الصخرة - تواضع الصخرة لله - ذكر السلسلة - ما يُستحب أن يُدعى به عند دخول الصخرة - الصلاة عن يمين الصخرة - ما يكره من الصلاة على ظهر الصخرة - النهي عن اليمين عند الصخرة - فضل البلاطة السوداء - قيام عزرائيل وإسرافيل على الصخرة - الدعاء عند قبة المعراج - ما يُدعى به عند قبة السلسلة - أبواب المسجد وسوره ومحاريبه - عين سلوان - النهي عن دخول الكنائس - ذكر البرك والعيون - فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس - ذكر بناء عبد الملك بن مروان - جامع لفضائل بيت المقدس - ذكر مَنْ دخله من الأنبياء - ذكر مَنْ دخله من أعيان الصحابة والتابعين - فروع تخص المسجد الأقصى - زيارة الخليل عليه السلام - ما قيل في قبر سيدنا موسى - فضل الشام .

\* \* \*

ولا تذكر المصادر من مخطوطات الكتاب إلا نسخة وحيدة أشار إليها « بروكلمان » في كتابه تاريخ الأدب العربي<sup>(١)</sup>، وهي محفوظة بمكتبة الدولة ببرلين تحت رقم ٦٠٩٨. وعن تلك المخطوطة يقول الدكتور كامل جميل العسيلي في كتابه سابق الذكر: وقد اطلعت على هذه المخطوطة فوجدتها ناقصة مع الأسف، فهي تضم المقدمة وأربعة عشر فصلاً فقط عن فصول الكتاب، وهي تقع في ٣٠ ورقة (٥٩ صفحة) من القطع المتوسط، وأولها « الحمد لله المقدس عن الأسباب والنظائر، المحتجب عن الأبصار والنواظر، المنزه عن الحدوث بالزوال والأصوات والألفاظ والضمائر » وفي تقديرنا أن هذه النسخة تضم نصف الكتاب تقريباً، وفي أثناء زيارتي لمكتبة شيخ الإسلام « عارف حكمت » في المدينة المنورة، عثرت على مخطوطة أخرى للروض المغربي، وهي مخطوطة كاملة، رقمها العام في فهرس المكتبة ٣٨٦٠، ورقم تصنيفها ٩٠٠ / ١١٤، انتهى من نسخها أحمد بن محمد بن عبد الله النابلسي عام ٨٧٣ هجرية (في حياة المؤلف) والنسخة بخط معتاد، وفيها ٣٤٨ صفحة<sup>(١)</sup>.

أما نماذج المخطوطة التي تقدمها هنا، فهي - بحسب ما يظهر من كتاب الدكتور العسيلي - من مخطوطة برلين وهنا مفارقة، فإذا كانت « بيت المقدس » اليوم أسيرة في يد إسرائيل، فإن مخطوطة « الروض المغربي في فضائل بيت المقدس » أسيرة في يد ألمانيا!



(1) Brockelann : Geschichte..

(٢) د/ العسيلي: مخطوطات فضائل بيت المقدس، ص ٢٥ وبخصوص مخطوطات فضائل القدس، يمكن الرجوع - أيضاً - إلى مقالة الأستاذ عصام محمد الشنتي عن « فضائل بيت المقدس، للواسطي » وهي مخطوطة كان كاتب المقالة يقوم بتحقيقها، ثم فوجيء بنشرها في إسرائيل على يد باحث يهودي! وقد أصدرت النشرة المحققة - وفيها سقطات وعليها مأخذ - الجامعة العبرية بالقدس المحتلة (انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، المجلد ٣٦ - ج ١ ص ٩ وما بعدها) والجدير بالذكر، أن مخطوطة الواسطي هذه، مخطوطة وحيدة ظلت قابعة في مكتبة جامع الجزائر في عكا دهرًا طويلاً، حتى امتدت يد اليهود فسقطت عليها ونقلتها إلى الجامعة العبرية.. حدث هذا منذ بضعة أعوام. يقول الأستاذ عصام الشنتي: وهذا السطو على المخطوطات العربية بالقوة، هو سبب من أسباب تفريب التراث العربي وبعثرة مخطوطاته في غير العالم العربي والإسلامي (انظر المقالة، ص ١٧).

١٤٦

الروض المغربي وفضائل البيت المقدس  
 تأليف شيخنا الشيخ الامام تاج القضاة  
 ابو النضر تاج الدين زيد الروم بربيع  
 الحنفية محمد بن الحسن بن محمد بن  
 ابي بكر بن ابي عمير الكندي  
 في سنة ١٠٠٠ هـ  
 في دار  
 ابي بكر بن ابي عمير الكندي  
 في سنة ١٠٠٠ هـ  
 في دار  
 ابي بكر بن ابي عمير الكندي  
 في سنة ١٠٠٠ هـ  
 في دار

وطلوعها في سنة ١٠٠٠ هـ  
 في دار  
 ابي بكر بن ابي عمير الكندي  
 في سنة ١٠٠٠ هـ  
 في دار  
 ابي بكر بن ابي عمير الكندي  
 في سنة ١٠٠٠ هـ  
 في دار

مخطوطة الروض المغربي

صفحة الغلاف

باسم ائمة الزمان العظمى  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 والنظر النيرة من الموروث والنبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 الظاهر وهو الضمير الملائمة التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 على نعم الله الاقصى وانتم على نعم الله الاقصى وانتم على نعم الله الاقصى  
 وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله وحده لا شريك له  
 وفيه من العظمة والجلالة ما لا يعلمه احد الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله وحده لا شريك له  
 واسئل الله العظيم ان يجعل في قلوبنا نوراً من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 ليتمكن من السير في سبيل الحق الى الله وحده لا شريك له لا اله الا الله وحده لا شريك له  
 على كل امر من شانه عبيد الزمان العظمى  
 زدت للسيرة العظمى من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 صلوات من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 وما استظلت من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 ارضت الاطلاع على ما في باطنها من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 فاليوم من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 ما هي السلطنة اعلا القربان بها من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 اهل بيوتها من من سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار  
 التي هي من انوار النبوة والاشبهه والنظر المحجب عن الابصار



لا ريب في كونها من الحروف المذكورة والباقى عشر والحمد لله  
 على خلوده وهو خير عهد انفق في خلوده ما من عشرون حرفا  
 جملة من الحروف المذكورة على كل واحد عشرون طرفة عين وهو  
 في حقيقته كالماء لا ينضب وطبقا لآية قوله تعالى ان الله  
 وسيعلم من خلقه الحق لا يهتدون به الا من اراد به ولا يحيط  
 به الا من اراد به ان الله هو الغني عن العالمين والحمد لله  
 رب العالمين في حق الحروف المذكورة في كتاب الله العزيز  
 والحمد لله رب العالمين في حق الحروف المذكورة في كتاب  
 الله العزيز والحمد لله رب العالمين في حق الحروف  
 المذكورة في كتاب الله العزيز والحمد لله رب العالمين  
 في حق الحروف المذكورة في كتاب الله العزيز والحمد لله  
 رب العالمين في حق الحروف المذكورة في كتاب الله العزيز  
 والحمد لله رب العالمين في حق الحروف المذكورة في كتاب  
 الله العزيز والحمد لله رب العالمين في حق الحروف  
 المذكورة في كتاب الله العزيز والحمد لله رب العالمين في  
 حق الحروف المذكورة في كتاب الله العزيز والحمد لله رب  
 العالمين في حق الحروف المذكورة في كتاب الله العزيز والحمد  
 لله رب العالمين في حق الحروف المذكورة في كتاب الله العزيز  
 والحمد لله رب العالمين في حق الحروف المذكورة في كتاب  
 الله العزيز والحمد لله رب العالمين في حق الحروف  
 المذكورة في كتاب الله العزيز والحمد لله رب العالمين في حق  
 الحروف المذكورة في كتاب الله العزيز والحمد لله رب العالمين

الورقة الثانية



## الفصل الثالث عشر ( مخطوطة أدبية ) :

### الروضة الغناء في أصول الغناء

#### لمؤلف مجهول

هناك الكثير من النصوص « مجهولة المؤلف » في عالم المخطوطات ، ويرجع ذلك لعدة أمور ، منها : أن بعض المؤلفات لم يشتهر مؤلفوها بين معاصريهم ، حتى إذا توالى الأزمنة ظل النُّسَّاح يتناقلون تلك المؤلفات دون معرفة بصاحبها الأصلي .. ومنها : أن الكثير من المخطوطات ، تُفقد الصفحات الأولى منها ، والتي تحتوى - في الغالب - على اسم مؤلفها ، وذلك من كثرة التداول ، خاصة إن لم تكن المخطوطة مجلدة ، فلا يبقى أمام المفهرسين إلا نسبتها لمجهول .. ومنها : أن بعض الهواة يقوم بتدوين مجموعة من النصوص - لنفسه - فلا يهتم بذكر اسمه في مقدمتها ، وفي أحيان كثيرة ، تعجب المجموعة النُّسَّاح والقراء لما تحتويه من منتخبات ، فتتناقلها الأقاليم دون إشارة لجامعها .. ومنها : أن بعض الموضوعات لا تلقى قبولاً لدى المعاصرين ، نظرًا لسطوة بعض الاتجاهات ، فيبقى المؤلف معارضة أهل زمانه بأن يُسقط اسمه من الكتاب ، ومن أشهر الأمثلة على هذا النوع الأخير « رسائل إخوان الصفا » .

\* \* \*

ومخطوطة « الروضة الغناء في أصول الغناء » واحدة من تلك النصوص التي لم يُعرف مؤلفها ، أو بالأحرى : جامعها ، فالمخطوطة عبارة عن مجموعة من الموشحات والأزجال والنصوص الشعرية - الفصيحة والعامية - التي كان يُتغنَّى بها في بلاد المغرب والأندلس ، والتي ظلت في ذاكرة الأجيال على مرِّ الزمن ، حتى إن الكثير منها لا تزال أصداؤه تتردَّد إلى الآن بالمغرب العربي .

ويبدو أن جامع المخطوطة كان شغوقاً بالطرب والغناء ومجالس السماع ، وهذا ما يظهر في مقدمته .. حيث يقول : « الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرةً وباطنة ، وأمتعنا بلذة السماع وجعله قوتاً للقلوب وشفقاً وفرصاً للأسماع ، وصحةً للأبدان تستوى به الأعضاء وتبلغ منتهاها في الاستماع .. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خصَّ بنعمة الغناء الأذان ، وتفضل عليها بنعمة الألحان ، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً ، عبده ورسوله ، سرَّ الوجود والسبب في كل موجود ، المنتخب من أشرف الآباء وأكرم الجدود ، الذي أعطى خلق آدم وخلة إبراهيم وقنوط داود ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار .. وسلم .. » .

ولا توجد من « الروضة الغناء » غير نسخةٍ وحيدةٍ ، نادرة ، محفوظة بالخزانة العامة بالرباط<sup>(١)</sup> . وهي مكتوبة بالخط المغربي ذى الإيقاع المميز في رسم حروفه - خاصة الأخيرة من الكلمة - وذى الأسلوب الخاص في كتابة بعض الحروف .. فالفاء تكتب نقطتها أسفل الحرف ، والقاف تكتب بنقطة واحدة من أعلى ( كالفاء عند المشاركة ) وهي أمور قد تصعب قراءة النصوص المغربية على غير العارف بطريقة المغاربة في الكتابة .

وهناك العديد من النصوص التي تنفرد بها مخطوطة « الروضة الغناء » فبعضها لا يوجد كاملاً في مصادر أخرى ، وبعضها لم يرد في أى مصدرٍ آخر .. فيما انفردت المخطوطة بنشره كاملاً ، تلك القصيدة - من بحر الخفيف - للوزير لسان الدين بن الخطيب ( المتوفى ٧٧٦ هجرية ) حيث يقول :

* يَأْتِيَتْ شِعْرِي هَلْ لَهَا مِنْ إِيَابِ	يَوْمًا وَعِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ الْغُيُوبِ
سَاعَاتُ أَنْسِ تَحْتَ ظِلِّ الشُّبَابِ	خُضِرَ الْحَوَاشِي طِيَّاتُ الْهُبُوبِ
* الْيَوْمَ لَا نَرَهُبُ وَقَعَ النَّوَى	وَنَحْنُ مِنْ سَطْوَتِهَا فِي أَمَانِ
غَيْرِي عَلَى الدَّهْرِ شَدِيدُ الْقَوَى	وَالنَّظْمُ مَنْظُومٌ كَنَظْمِ الْجَمَانِ

(١) تفضل الدكتور / محمد زكريا عناني بتصوير هذه المخطوطة لي ، فله جزيل شكري .

لؤلؤ مجهرل

حَتَّى إِذَا لَدَّتْ كُؤُوسُ الْهَوَى  
 \* جَاءَتْ أُمُورٌ لَمْ تَكُنْ فِي حِسَابِ  
 قَمَنْ لِي الْيَوْمَ بِرَدِّ الْجَوَابِ  
 \* لَا كَلَّفَ اللَّهُ النَّفُوسَ الرِّقَاقَ  
 طَعْمَ الْهَوَى يَاصَّاحِ مُرِّ الْمَذَاقِ  
 قَدْ بَلَغَتْ بِالْهَجْرِ رُوحِي السَّرَاقِ  
 \* وَاللَّهِ مَا الْهَجْرَانُ إِلَّا عَذَابٌ  
 وَالْيَوْمُ فِي الطُّولِ كَيَوْمِ السَّحَابِ  
 وَقُلْتُ: قَدْ نَامَتْ عُيُونُ الزَّمَانِ  
 غَيْرِي وَأَلْوَانُ اللَّيَالِي ضُرُوبِ  
 كَأَنَّ أَسْأَلَ الصَّبَّاءِ وَالْجَنُوبِ  
 مِنْ مَضِضِ الشُّوقِ مَالًا تُطِيقُ  
 وَقَالِكَ وَالْكَفْرَ عَذَابَ الْحَرِيقِ  
 فَهَلْ إِلَى لَيْلِ الرُّضَا مِنْ طَرِيقِ  
 يَاشْرَمَا تَحْمِلُ مِنْهُ الْقُلُوبِ  
 وَاللَّيْلُ مَا لِلنَّجْمِ فِيهِ غُرُوبِ

\* \* \*

ومما يرد في المخطوطة ولا نكاد نجد في غيرها ، تلك الموشحة التي لم يسبق نشرها ، وهي  
 أيضًا من إبداعات لسان الدين بن الخطيب :

\* اسْقِيَانِي لَقَدْ بَدَا الْفَجْرُ  
 فَهَوَّةٌ تَرَكُ شُرْبَهَا وَزُدُ  
 \* أَنْتِ لِي اسْقِي لَقَدْ حَلَا  
 وَغُرَابُ الطَّلَامِ لَقَدْ وُلِّي  
 ارْفَعِ السُّجْفَ تَنْظُرَ الطَّلَا  
 \* وَاثْنِي قُضِبُ رُوضِهَا الْخَضِرِ  
 عَجَبًا كَيْفَ نَالَهَا السُّكْرُ  
 وَخَفَى الْكَوَاكِبُ  
 وَهِيَ لِي مَذْهَبُ  
 شَرِبُ رَاحٍ بِرَاحِ  
 مِنْ حَمَامِ الصَّبَّاحِ  
 كَيْفَ رَشَّ الْبَطَّاحِ  
 طَرَبًا تَلْعَبُ  
 وَهِيَ لَمْ تَشْرَبُ

\* وَتَغْنَتْ حَمَائِمُ الْقَضْبِ  
 وَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعُ الشُّحْبِ  
 قَدْ أَدْرَقَتْ نُضَى كَمَا الشُّهْبِ  
 \* حَيْثُ يَسْعَى بِكَاسِهَا بَدْرُ  
 قَدْ حَكَى فَوْقَ صُدْغِهِ الشُّعْرُ  
 \* بِأَبِي مَنْ صِرْتُ مِنْ حُبِّهِ  
 أَنَا مِنْ حُبِّهِ كَشَطْرِ اسْمِهِ  
 كَوَكْبٍ يَسْتَمِذُّ مِنْ وَجْهِهِ  
 \* يَاطِرَازَ الْجَمَالِ مَا الْيُسْرُ  
 نَحْنُ أَهْلُ الْهَوَى لَنَا سِرُّ  
 \* قَمَرٌ لِلْهَوَى يَسْلُطَانِهِ  
 وَتَرَى لِلشُّخْرِ سِحْرَ جِفَانِهِ  
 أَنَا مِنْ صَدْدِهِ وَهَجْرَانِهِ  
 \* عَسَى أَنْ يُغَالِبَ الْأَمْرُ  
 لَوْ رَأَى الْعِدَارَ إِنَّهَا الْعُدْرُ  
 يَلْسَنُ بِسَدِيعِ  
 فَوْقَ وَشَى الرَّيْبِ  
 وَاسْتَقْنَى بِالْقَطِيعِ  
 خَاحِدُهُ مُنْذَهَبِ  
 كَاتِبًا يَكْتُبُ  
 وَهَوَاءَ وَمِيمِ  
 وَهَوَاءَ بَقِي سَلِيمِ  
 كُلُّ قَلْبٍ سَلِيمِ  
 هَكَذَا يُنْسَبُ  
 هَتِكُهُ يَضَعُبُ  
 عِزَّةً وَانْتِصَارَ  
 بَيْنَ تَلْكَ الشُّفَا  
 بَيْنَ مَاءٍ وَنَارِ  
 وَالْهَوَى أَغْلَابُ  
 فِيهِ لَمْ يَغْتَابُ

ومن أشعار المخطوطة ، تلك الموشحة لأبي العباس الأعمى التتيل ( المتوفى في حدود

سنة ٥٢٥ ) وهي مما انفردت به المخطوطة (١):

(١) نشر الدكتور محمد زكريا عناني هذه الموشحة - لأول مرة - في كتابه : ديوان الموشحات الأندلسية ، ص ٢٠ وما بعدها .

يَا مَنْ رَمَى اللَّوْمَ زُشْدًا      تَسَالَهُ لَا تُبْتُ دَهْرًا  
 عَنْ حُبِّ ظَبْيِ رَيْبٍ      وَشَرِبِ أَكْوَاسِي خُمْرًا  
 يَا عَاذِلِي زُوَيْدًا فَهَلًّا      أَطَلَّتْ فِي الْحُبِّ عَمْدًا  
 أَتَلُوْمٌ فِي الْحُبِّ جَهْلًا      يَكْفِيكَ مِيسَابِي خَلًّا  
 مُنْذُ صَدَّخِلِي وَسَدًّا      بَابَ الرُّضَا وَعَيْلِ صَبْرِي  
 فَطَعْمُ هَجْرِ الْحَيْبِ      أَمْرٌ مِنْ كُلِّ صَبْرِي  
 يَا مَنْ أَبِي أَنْ يَمُنَّا      عَلَى الْحَيْبِ الْمُعْنَى  
 حَتَّى نَنَّا الْقَلْبَ وَهَنَّا      جَوَى سَيْلِيهِ حُزْنًا  
 وَقَارَ، تِيهًا وَعَمْدًا      لَمَّا رَأَى فَزَطَّ دُغْرِي:الَا  
 مَا قَتَلُ صَبِّ كَيْبِ      عَلَى الْمِلَاحِ بِنُكْرِي  
 نَدَرْتُ لَهْ عَهْدًا      صِيَامَ شَهْرِ وَعُشْرِي  
 يَوْمًا نَرَاكَ حَيْبِي      مَا بَيْنَ صَدْرِي وَنَحْرِي<sup>(١)</sup>

ولا شك في أن قيام واحدٍ من باحثينا المعاصرين بنشر هذه المخطوطة الفريدة ، سوف يلقى المزيد من الضوء على عالم الموشحات - ذلك العالم الذي لم يزل مجهولاً - ويكشف عن الكثير من النصوص .. وعمومًا ، فإن لم يقبض لنا الله هذا الباحث المحقق ، فأظن أن الدارسين الأسباب المعاصرين من شأنهم المسارعة إلى نشر هذه المخطوطة ، فهم اليوم مهتمون بأبلغ الاهتمام بالتراث الأندلسي ، ولعلمهم يعتبرونه تراثهم لا تراثنا .



(١) مخطوطة الروضة ، ص ١٦٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم ضرائف من سيرفا ونولاتنا بحمد الله وتعلم

الحمد لله الذي اشبع غلبتنا نعمة ظلمت وقد هدانا  
واستعنا ببلدة السماعة وقد جعله فوقنا للغنوي وسبقنا  
من شدة وصحة لله بذراستين من الامم هذه نواتنا وتبلغه  
منتهى الامم استمادته وقد ارجح للازواج وتلا الاصل  
التي شادنا انعمنا بالارض والسموات وتواضع معونة الامم تبعنا  
وخرت ما كان على كبد من الامم وقد ونبينا الامم وانهم وشهد  
الاولى الامم وحدهم في شدة الامم في خصصت بجملة الامم  
الامم التي وتبعنا عنيتنا بنعمة الامم بخلاف ونشهر  
ان سيرفا ونولاتنا بحمد الله وتعلم من انجوده واسبب  
في كل موجوده استتجب من اشرف الامم والكرم الجوده التي  
العلم غنواهم ونهله ابراهيم وتوحيده اووه من الامم غلبته ونفي

الورقة الأولى من مخطوطة: الروضة الغناء

(نسخة الخزائن العامة بالرباط - المغرب)



في يوم ربيع الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤٣ هـ  
 في مكة المكرمة بمكة المكرمة بمكة المكرمة  
 من مجموع ما كتبه عليه في سنة ١٢٤٣ هـ  
 في سنة ١٢٤٣ هـ في سنة ١٢٤٣ هـ  
 في سنة ١٢٤٣ هـ في سنة ١٢٤٣ هـ  
 في سنة ١٢٤٣ هـ في سنة ١٢٤٣ هـ

بإذن من صاحبها

# في تكملة ما قاله في الغناء في أصول الغناء

الورقة الثانية من المخطوطة



## الفصل الرابع عشر ( مخطوطة صوفية ) :

### الشجرة لإظهار الثمرة

#### للمقدسى

جاء على غلاف المخطوطة : هذه الرسالة المسماة بالشجرة لإظهار الثمرة تأليف العارف المحقق ، المتقن المدقق ، خلاصة عصره ، ونتيجة عنصر عصره ، أبى محمد عز الدين بسن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى ، رضى الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به والمسلمين .. آمين .

\* \* \*

والمؤلف - ابن غانم المقدسى - واحدٌ من مشاهير رجال التصوف في زمنه ، ولد سنة ٩٢٠ ، وتوفى بالقدس الشريف ( الأسير ) سنة ١٠٠٤ هجرية ؛ مما يعنى أنه قضى حياته في القرن العاشر الهجرى ، وأدرك القرن الحادى عشر .. وهو عصرٌ فيه رأيان متعارضان :

الرأى الأول ؛ أنه كان عصر انحطاطٍ عامٌ وتدهور ، ففي القرن العاشر الهجرى تخلّف العلم الإسلامى الذى كان متقدماً قبل ذلك ، ورزحت البلدان العربية تحت وطأة الحكم العثمانى الذى أدخل البلاد من المهارات الفنية والكتب العلمية وغير العلمية ، ليجعل من قاعدة العثمانيين وعاصمتهم - الآستانة - المنارة الوحيدة في الامبراطورية العثمانية ، وقد أطلت شمسُ القرن الحادى عشر ، والحال في بلدان العرب أسوأ ما يكون ، فلا علم دينى ولا دنيوى .. وإنما جهل فاحش وسياسة ظالمة .

والرأى الآخر ؛ أنه كان عصر قوةٍ للمسلمين ، فالدولة العثمانية التى تصدّت للأطاع الأوربية في العالم الإسلامى ، هى مظهرٌ لقوة الإسلام ، يضاف إليها دولتا ( الصفوية ) في

فارس، و( المغولية ) في الهند .. وكتاهما - مع دولة آل عثمان - معبرٌ عن قوة المسلمين العسكرية والسياسية في القرنين العاشر والحادي عشر .. بالقياس إلى حالهم بعد ذلك ، وحتى اليوم . وإذا كنت ، الحالة العلمية قد تراجعت ، إلا أن القرن الحادي عشر شهد من الجهود العلمية قدرًا كبيرًا ، ونبغ من العلماء مشاهيرٌ في كل فن<sup>(١)</sup> ، مما يعد محاولة لتأسيس نهضة إسلامية جديدة ، لم تكتمل بسبب الاختراق الأوروبي للعالم الإسلامي ، ووقوع بلدان الإسلام في نهاية الأمر تحت الاستعمار الذي أجهض هذه النهضة<sup>(٢)</sup> .

وفي التصوف وحال الصوفية إبان هذا العصر - أيضاً - رأيان متعارضان .. الأول: يرى أن التصوف قد بلغ آنذاك قمة تدهوره وسيطرت الخرافة عليه ، حتى كان لجهلة المتصوفة اليد الطولى في تسيير مصالح العباد والبلاد ، وقد أمعن مشايخ التصوف في الجهل والأمية ، حتى إن الشعراني - إمام التصوف في القرن العاشر - يذكر أنه تتلمذ لسبعين شيخًا .. كلهم أميون .

والرأى الآخر يقرر أن هذا العصر حفل بمشايخ الصوفية الكبار الذين قاموا بدورهم في حفظ الدين ، فجمعوا بين علوم الشريعة - كالفقه - وعلوم الحقيقة وقواعد السلوك ، فكان هناك ، إلى جانب الشعراني ، أبو السعود الجارحي وزين العابدين البكري ، وغيرهم الكثير من مشايخ التصوف المرموقين في العلم والعمل .

ونرى من جانبنا ، أن عصر المقدسي - القرنين العاشر والحادي عشر - لم يكن من عصور النهضة الإسلامية ، بالقياس إلى القرون السابقة ، لكنه كان نتيجة طبيعية لتدهور أحوال السياسة والاقتصاد في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، ولقد أفاق المسلمون في القرن الحادي عشر فحاولوا استدراك ما فاتهم ، وظهرت شواهد الإفاقة الحضارية تلك ، في العديد من الأعمال الموسوعية التي تم تدوينها في أواخر القرن العاشر وبدايات الحادي عشر .. لكن

(١) راجع تراجم علماء هذا القرن في كتابا المحيي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر .

(٢) يمكن الرجوع إلى تفاصيل هذا الرأي ، في كتاب المستشرق الأمريكي المعاصر « بيتر جبران » المترجم للعربية ، بعنوان : الجذور الإسلامية للرأسمالية ( طبعة دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر ) وانظر ما سنقوله في الفصل الحادي والعشرين من هذا الكتاب ، عند الكلام عن مخطوطة « عين الحياة » للدمنهورى .

\_\_\_\_\_ للقدسي

هذه الحركة لم تثمر ، مع تزايد الأطماع الأوروبية وتناقص القوة الإسلامية - متمثلة في العثمانيين - حتى جاء القرن الثاني عشر الهجري مسرحاً لتساقط أرجاء العالم الإسلامي تحت السيطرة الأوروبية التي حولت الأنظار والجهود الإسلامية عن غايتها ، وتلاعبت بها .. ولا تزال تتلاعب. أما التصوف ، فشأنه شأن كل مظاهر الحياة ، لا يعكس إلا الواقع الحضاري ، فإذا كان العصر عصر نهضةٍ وتحضرٍ ، نهض التصوف وكان مرآةً للتحضر .. وإذا تدهورت الأحوال ، تدهور التصوف مع بقية مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي ، ولقد ظل التصوف يتطور مع تطور الحضارة الإسلامية ، حتى توقّف مع توقفها ، وتجمّدت مسيرته عند تراث الأوائل ، وانتشرت الطرق الصوفية على نطاق واسع .. ربما لشعور الجماعة الإسلامية بالخطر العام ، ومحاوله درء الخطر بالتفوق على الذات ، ومن هنا كان الإنتاج الصوفي المدوّن في القرنين العاشر والحادي عشر إما مؤلفات في دقائق السلوك وفروعه ، أو شروح على فنون الكتب الصوفية السابقة ، وكان ابن عربي هو صاحب النصيب الأكبر من تلك الشروح .

\* \* \*

وكان الفقه الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية ، فانتعش المذهب وساد<sup>(١)</sup> . وقد اشتهر ابن غانم المقدسي كواحد من كبار فقهاء الأحناف في عصره ، لكنه - مع ذلك - لم يضع مؤلفات فقهية على المذهب الحنفي أو غير الحنفي ، وإنما جاءت مؤلفاته في شكل رسائل صغيرة يغلب عليها طابع التصوف .

ومن مؤلفات المقدسي تلك الرسالة المسماة « تفليس إبليس » وفيها يعارض ابن غانم كتاب ابن الجوزي المشهور « تلبيس إبليس » وهو الكتاب الذي أساء فيه ابن الجوزي لكبار

---

(١) يقرر بعض الدارسين أن عصور التخلف ، كانت دوماً مرتبطة بسيادة الفقه الحنفي اوهى قضية تحتاج لمراجعات كثيرة .

الصوفية الأوائل ، فاستاء منه - ومن صاحبه - معظم الصوفية الأواخر<sup>(١)</sup>.. يقول ابن غانم : وقد وضعت كتابي هذا ، وسميته تفلّيس إبليس ، ليكشف للناظر فيه تلبّيس إبليس ، فيميّز بين الخسيس والتفيس ، فإنني لما اطلعتُ على كتاب « تلبّيس إبليس » ورأيتَه بِئْسَ الجليس ، فإنه يشتمل على تنقيص أولياء الله والقدح في علو مراتبهم وزكى مناصبهم ، واتهام أن الشيطان تسلّط عليهم تسلّطاً ، والله تعالى يقول: ﴿ إن عبادي ليس لك

(١) يعبر الصوفي المعاصر ، الشيخ إبراهيم حلمى القادري ، عن وجهة النظر الصوفية في ابن الجوزي وكتابه « تلبّيس إبليس » فيقول :

إن ابن الجوزي في كتابه ( تلبّيس إبليس ) ونحوه من الكتب التي ألّفها أيام شبابه ورعوثه ، حطّ على السادات الصوفية بل وجميع أصناف الناس ، وذكر تلبّيس إبليس عليهم ، إلا أنه لم يذكر تلبّيس إبليس عليه وعلى أذنايه ، وليس من شك في أنه كبّس عليه وعلى أذنايه بهذا التلبّيس وما شاكله من تأليفه الممقوتة. والحق أن ابن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧ هجرية ، له منزج لا يساعده أن يتذوق ما للسادات الصوفية بحال من الأحوال ، ومن ذلك أنه كان يوماً يعظ الناس على المنبر ، إذ قام بعض الحاضرين وقال : يا أيها الشيخ ، ما تقول في امرأة بها ذاء الأُبنة ؟ فقال على الفور :

يُشْرُونَ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً قِيَا لَيْتِي كُنْتُ الطَّيِّبِ الْمُدَاوِيَا

وكان لابن الجوزي أيضاً ، امرأة تسمى « نسيم الصبّا » فطلقها ، وندم ، فحضرت يوماً مجلس وعظه وحال بينه وبينها امرأتان ، فأنشد مخاطباً لها :

أَيَا جَبَلٍ تُعْمَانُ بِاللَّهِ خَلَيْتَا نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَى نَسِيمِهَا

وكان لا ينفك عن جارية حسناء ، وله مجونٌ ومداعبات ، وذكر غير واحد أنه شرب حبّ البلادر فسقطت لحيته فكانت قصيرة جداً ، وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات .. فكيف لابن الجوزي وأذنايه أن يتذوقوا ما للسادات الصوفية ، وما ذكره أبو نعيم والقشيري والغزالي والمحاسبي والطوسي وأمثال هؤلاء ، وهذا حاله ؟ ولابن الجوزي ادعاءات عريضة وشطحات فُشّارية تمجدها في آخر كتابه ( القُصَّاص والمذكّرين ) فمعناها قوله : « ولا يكاد يُذكر لي حديث إلا ويمكنني أقول : صحيحٌ أو حسنٌ أو محالٌ » ومن المعلوم الذي لا يخفى على أهل العلم أنه حكم على كثير من الأحاديث الصحيحة والحِسَان بأنها موضوعة ، فأخطأ وحكم عليه العلماء بالوهم والامور ... وقال الشيخ موفق الدين المقدسي : « لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها » فإن كان ابن الجوزي غير مرّضى عنه فيما تخصص فيه ، فكيف يُقبل قوله فيما لا يقبله عقله وبأباه قوله .

ويعضى الشيخ إبراهيم حلمى ، فيعدد مثالب ابن الجوزي ، ثم يقول : ومع ذلك فقد بلغنى عن لقيت من الشيوخ أن ابن الجوزي تاب أخيراً ، وحسّن اعتقاده في السادات الصوفية ، بعد أن هدأت ثورة شبابه وذهبت رعوثه ، والعقل يصدق ذلك ، لأن العلم يهدى في الغالب صاحبه إلى طريق الحق ولو بعد حين ( مدارج الحقيقة ، طبعة الإسكندرية ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م ، ص ٥٩ / ٥٥ ) .

عليهم سلطان ﴿<sup>(١)</sup> فكيف الواقع فيهم ، والناقد عليهم ما تأدّب معهم بما تأدّب به إبليس معهم حيث قال: ﴿ فبِعزتك لأغوينهم أجمعين \* إلا عبادك منهم المخلصين ﴾<sup>(٢)</sup> لما عَلِمَ أن الله تُخلصاء لا يخلص إليهم<sup>(٣)</sup> .

وفي « تفليس إبليس » يسوق ابن غانم المقدسي حُجج إبليس ، فيرد عليها ، وكأنه يجاوره ، يقول ابن غانم : ولقد أوقفته - يقصد إبليس - موقف الجدال ، ونزلته في معرك النزال ، فجعل يجول وأجول ، ولكنه أسس بنيانه على أساس الوسواس ، وأسست بنياني على قواعد ﴿ قل أهوذ برب الناس ﴾ فجعل يُعاملني معاملة الطالب ويراوغني مراوغة الهارب .. إلخ<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن ابن غانم هو أول من تعرّض لمسألة « إبليس » ، فقد سبقه - بقرون - صوفي آخر ، هو الخلاج ، أبو المغيث ، الحسين بن منصور ، المقتول ببغداد سنة ٣٠٩ هجرية ) فكتب فصلاً في « الطواسين » عن إبليس وجعله بعنوان : طاسين الأزل والالتباس<sup>(٥)</sup> وإن كان الخلاج قد اتخذ موقف الاعتذار واللوم لإبليس ، فإن ابن غانم المقدسي كان يهدف إلى إفحام إبليس إفحاماً تاماً ، وبيان تهاؤت حججه واحتجاجه بالقدر . لكن ابن غانم - بعد الخلاج - يعد أول من ساق العبارات ، والأشعار ، على لسان إبليس ، فجعله في « تفليس إبليس » يفصح عن نفسه ، ليتسنى لابن غانم بعد ذلك - الرد عليه ، وتعقّب دفاعه ، وإفحامه .

وقد نُشر كتاب « تفليس إبليس » نشرة متواضعة بالقاهرة ( دار أنوار القرآن - مكتبة نجمة الحسين بالأزهر ، سنة ١٩٧٨ ) بعناية / عبد الله نجيب ، المدرس بجامعة الأزهر - وأضاف الناشر إلى الكتاب ، قصيدة ابن تيمية في حُكم القضاء والقدر .

(١) سورة الحجر ، آية ٤٢ .

(٢) سورة ص ، آية ٨٢ .

(٣) ابن غانم المقدسي : تفليس إبليس ، ص ١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٥) انظر « الطواسين » نشرة لوى ماسينيون ، باريس ١٩١٣ .

ولابن غانم المقدسى كتابٌ آخر ، بعنوان « منتخب في مصايد الشيطان وذم الهوى » عمد فيه إلى اختصار كتاب « إغائة اللهفان من مصايد الشيطان » لابن قيم الجوزية ، فلم يخرج فيه عن حدود الكتاب الأصلي ، واكتفى بانتخاب بعض نصوصه واختصار بعض مباحثه لتسهيل الانتفاع به .. وتوجد نسخة خطية من هذا المنتخب ، محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٩٩ / أخلاق تيمور ، وقد نشرها إبراهيم محمد الجمل ، وصدرت عن ( مكتبة القرآن بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣ ) .

\* \* \*

أما « الشجرة لإظهار الثمرة » فهي نصٌ مخطوط لم يُنشر من قبل ، توجد منه نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية ، تحت رقم ٣٥٦٢ / د .. وتمتاز هذه الرسالة عن مؤلفات ابن غانم المقدسى ، بأنها تأليفٌ خالص - فإذا كان « التفليس » هو معارضةٌ لكتاب ابن الجوزي ، و« المنتخب » هو اختصار لكتاب ابن القيم ، فإن « الشجرة » هي مؤلفٌ خاص لم يعتمد فيه ابن غانم على تصانيف السابقين .

في هذه المخطوطة ، يستعرض المؤلف قصة الخلق بأسلوب رمزي أخذ ؛ فينظر إلى الوجود على أنه شجرة نبتت من بذرة الأمر الإلهي « كُنْ » فأورقت حتى ظهرت ثمار ﴿ كل شيء خلقناه بقدر ﴾<sup>(١)</sup> وهو يمزج كلامه بالنص القرآني مزجاً لطيفاً بليغاً ، فنراه - مثلاً - وهو يحكى قصة خروج آدم من الجنة ، متعرضاً في ذات الوقت لمسألة إبليس ؛ يقول :

وأما إبليس ، فإنه مكث في مكتب التعليم أربعين ألف عام ، يتصفح حروف « كُنْ » وقد وكَّله المعلم إلى نفسه ، وأحاله على حوله وقوته ، فكان ينظر إلى تمثال « كن » فيشهد من كافها كاف كفره وكبره ﴿ فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ويشهد من نونها نون ناريتها

(١) سورة القمر ، آية ٤٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٤ .



﴿فككبوا فيها هم والغاؤون﴾<sup>(١)</sup> فلما نظر آدم إلى اختلاف أغصان هذه الشجرة ، وتنوع أزهارها وثمارها ، وتشبَّثَ بغصن ﴿إنى أنا الله﴾<sup>(٢)</sup> فنودى من ثمار التوحيد ، واستظل بظل التفريد و﴿لا تقربا هذه الشجرة﴾<sup>(٣)</sup> فأراد إبليس أن يوصله بغصنه ﴿فوسوس لها الشيطان﴾<sup>(٤)</sup> فأكلأ منها ، فزلق في مزالق ﴿وعصى آدم ربه﴾<sup>(٥)</sup> فاستمسك بغصن ﴿ربنا ظلمنا﴾<sup>(٦)</sup> فتدلَّت له ثمار ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾<sup>(٧)</sup> فلما نُودى يوم الإِشهاد على رؤوس الأَشهاد ﴿ألسْتُ بربكم﴾<sup>(٨)</sup> فشهد كُلُّ على مقدار ما أُشهر وأُسمع من الخطاب ، ثم اتفق الكلُّ في الإيجاب فقالوا: ﴿بلى﴾ لكن الاختلاف وقع من حيث الإِشهاد ، فمن أشهدَ كمالية ذاته ، شَهِدَ أن ﴿ليس كمثلهِ شيء﴾<sup>(٩)</sup> ومن أشهده جلالية صفاته شَهِدَ أنه ﴿لا إله إلا هو الملك القدوس﴾<sup>(١٠)</sup> ومن أشهده عزائس مخلوقاته ، اختلفت شهادتهم لاختلاف الشهود ، فقوم جعلوه محذو<sup>(١١)</sup> ، وقوم جعلوه معهود<sup>(١٢)</sup> ، وقوم جعلوه مولود<sup>(١٣)</sup> ، وقوم جعلوه حجرا جلمود<sup>(١٤)</sup> ، والكل في ذلك على حكم ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾<sup>(١٥)</sup> وهو مستنبط من كلمة : كُنْ<sup>(١٦)</sup>.

(١) سورة الشعراء ، آية ٩٤ .

(٢) سورة طه ، آية ١٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٣٥ - سورة الأعراف ، آية ١٩ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ٢٠ .

(٥) سورة طه ، آية ١٢١ .

(٦) سورة الأعراف ، آية ٢٣ .

(٧) سورة البقرة ، آية ٣٧ .

(٨) سورة الأعراف ، آية ١٧٢ .

(٩) سورة الشورى ، آية ١١ .

(١٠) سورة الحشر ، آية ٢٣ .

(١١) الإشارة إلى المجسمة الذين قالوا: إن الله - تعالى - جِسْمٌ وَحْدٌ وَمَقْدَارٌ .

(١٢) الإشارة إلى اليهود ، القائلين : خلق الله آدم على صورة الرحمن .

(١٣) الإشارة إلى النصارى الذين قالوا بالوهية المسيح .

(١٤) الإشارة إلى الوثنيين الذين عبدوا الأصنام .

(١٥) سورة التوبة ، آية ٥١ .

(١٦) المخطوطة ، ورقة ٣ ويلاحظ أنه في النص الأصيل لا يوجد فاصل بين الآيات والعبارات ، كما هو الحال

ويتعرض ابن غانم المقدسى لأنوار النبى محمد - ﷺ - ومرتبته فى شجرة الكون ، فيقول : فأول ما عهد خولى (١) هذه الشجرة ، إلى أصل حبة « كُنْ » فاعتصر صفوة عنصرها ، ونخضها حتى بدت زبدتها ، ثم صفاها بصفات الصفوة حتى زال كدرها ثملقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها ، ثم غمسها فى بحر الرحمة حتى زال كدرها ثملقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها ، ثم غمسها فى بحر الرحمة حتى عمّت بركتها ، ثم خلق منها نور نبينا محمد ﷺ ، ثم زين بنوره الملاء الأعلى حتى أضاء وعلا ، ثم جعل النور أصلا لكل نور ، فهو أولهم فى السطور ، وآخرهم فى الظهور (٢) ، وقائدهم فى النشور ، ومبشرهم بالسرور ، ومتوجههم بالحبور ؛ فهو مستودع فى ديوان الأنس ، مستقر فى رياض حضرة القدس (٣) ، ستر معنى روحانيته بستر جثمانيته ، وعطى عالم شهوده بعالم وجوده ، فهو مستخرج من الكون ، مستنبط لأجله الكون (٤).

وعلى هذا النحو تسير المخطوطة ، فتعرض لمظاهر الخلق وحقائق الوجود ودقائق الإسلام واختلاف الأديان ، وغير ذلك من الموضوعات ، وفى آخر المخطوطة جمع الناسخ مجموعة من أشعار ابن غانم المقدسى ، منها تلك القصيدة ( من الخفيف ) :

يأخذاء المطى رفقاً فإنى	من جناب الحبيب آنتت نارا
تحفف السير بالمطى ودغها	فرحة القلب تخلع الأكوارا
جنن سعيالى إلى حماك عساها	يخطأهاها تخفف الأوزارا
قد أتيناك للزيارة شعنا	يام زورا هل تقبل الزوارا
لوقدر الأشواق زرتاك يوما	لسعينا على الجفون صغارا

(١) الخولى ، القائم بأمر النباتات « الجنائنى » والمراد به هنا : الله تعالى .

(٢) من هنا نقول للنبي ﷺ : يا أول خلق الله وآخر رسل الله .

(٣) استخدم المقدسى هنا اصطلاح ( المستودع - المستقر ) وهو من مصطلحات الشيعة الإسماعيلية فى قولهم بالإمام المستودع والإمام المستقر .. راجع بخصوص ذلك ، د/ محمد على أبو ريان : الفكر الفلسفى فى الإسلام ( طبعة دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٨ ) .

(٤) المخطوطة ، ورقة ٦ أ .

للمقدس

مِنْكَ عَفْوًا يَمْحُو الذُّنُوبَ كِبَارًا  
لَاذًا بِالْجَارِ وَالتَّجَا وَاشْتَجَارًا  
ثُمَّ لَبَّى وَاسْتَمْسَكَ الْأَسْتَارًا  
بِمَعَانِيهِ حَيْرَ الْأَفْكَارًا  
بِطُلُوبٍ أَنْشِدُ الْأَنْزَارًا  
فِي طُوبَى أَيْ قَبْلِ الْأَخْبَارًا  
كَ تَوَلَّتْ عَنْهَا الْقُلُوبُ فِرَارًا  
جَعَلَ الذُّكْرَ لِلْقُلُوبِ شِعَارًا  
قَبْلَ أَنْ يَغْرِفَ الْحَجِيجُ الْحِارًا  
يَجْتَلِيهِ سَا مَنْ يَفْهَمُ الْأَسْرَارَ  
عَنْ غَرَامِي لَا اسْتَطِيعُ اضْطِبَّارًا

قَدْ أَنْخَسْنَا بِبَابِ جُودِكَ نَرْجُو  
وَلَنَا مِنْكَ حُزْمَةٌ الْجَارِ لَمَّا  
مَنْ سَعَى بِالصَّفَا إِلَيْكَ اشْتِيَاقًا  
فَجَدِيدٍ بِأَنْ تُرِيهِ جَمَالًا  
أَنْتَ لَوْلَاكَ مَا حَبَسْتُ قُلُوبِي (١)  
لَا وَلَا طُفْتُ بِالرُّبُوعِ سُبُوعًا  
مَا الصَّفَا، مَا الْحَطِيمُ، مَا الْبَيْتُ لَوْلَا  
مَا وَقُوفِي عِنْدَ الْمَشَاعِرِ لَوْلَا  
رَمَيْتُ بِحَمْرَةِ الْهَوَى بِفِي الْوَادِي  
هَذِهِ كُلُّهَا إِشَارَاتُ سِرِّ  
يَا عَدُوِّي دَعِ الْمَلَأَمَ فَإِنِّي

.. ومن أشعار ابن غانم الواردة بآخر المخطوطة ، تلك الأبيات في ليلة الإسراء ( من

الكامل ) :

فِي لَيْلَةٍ شَرُفْتُ بِطَالِحِ سَعْدِهِ  
مِنْ قَبْلِهِ كَلًّا وَلَا مِنْ بَعْدِهِ  
لَيْلًا وَمِيكَائِيلُ نَاطِمٌ عَقْدِهِ  
جُمُعُوا لَهْ فَكَأَنَّهُمْ مِنْ جُنْدِهِ  
دَرَجِ الْعُلَا لَمَّا عَلَا فِي جَدِّهِ  
دَانِ عَلَى قَرْبِ الْمَزَارِ وَبُعْدِهِ  
سَمِعَ الْحِطَابَ وَلَمْ يَخْفَ مِنْ صَدِّهِ

سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى إِلَيْهِ بِعَبْدِهِ  
أَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ مِثْلَهُ  
جَبْرِيلُ حَامِلٌ بُزْدِهِ لَمَّا سَرَى  
وَالْأَنْبِيَاءُ بِجَمْعِهِمْ وَبِعَدْدِهِمْ  
وَسَمًا إِلَى فَوْقِ السَّمَاءِ وَعَلَا عَلَى  
وَدَنَا إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ وَلَمْ يَسْزَلْ  
فِي قَابِ قَوْسَيْنِ دَنَا مِنْ رَبِّهِ

(١) القلوص : الإبل .

الشجرة لإظهار الثمرة

مَا زَاغَ ذَلِكَ الطَّرْفُ مِنْهُ وَلَا طَغَى  
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لَهُ وَقَدْ أَسْرَى بِهِ  
ذَلِكَ الْفُؤَادُ وَلَا عَدَا عَنْ حَدِّهِ  
لَيْلًا يُرِيدُ تَسْتَرًا فِي قَضْدِهِ  
هَيْهَاتَ يُخْفِي اللَّيْلُ طَلْعَةَ بَذْرِهِ  
أَوْ يَنْطَلِقُ نَشْرَ الْعَبِيرِ بَنَدِهِ<sup>(١)</sup>

وفي خاتمة المخطوطة قصائد غير هذه وتلك ، منها أبيات في المحبة الإلهية وفي زيارة البيت العتيق وفي شرف مكة والحجاز وفي فضل النبي عليه الصلاة والسلام .. وعلى الورقة الأخيرة :

« تَمَّ كِتَابُ الشَّجَرَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ كَلَامٍ مُؤَلَّفِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ - إِنَّهُ  
وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ . »



(١) المخطوطة ، ورقة ٢٦ ب ، ١٢٧ .

(٢) المخطوطة ، ورقة ٢٧ ب .. والتدُّ : نبات طيب الرائحة

هذه الرسالة المشابهة لاجلها لظهور المرمق  
تأليف العارف الحق والمبصر المدقق  
تجلاصة عنهم وفتحة عنصرهم  
ابن محمد عز الدين بن عبد الله

ابن احمد بن غانم المقدسي  
رضي الله عنه وارضاه

وفضله  
صلى الله عليه  
وآله

طالب هذا الكتاب  
الكرم السيد محمد بن  
المنزل بن محمد بن  
لديه ولوالده والديه  
وعائلته بالفضل والبر  
العرضه له من اجله

هذا الكتاب انظره السيد  
علي بن محمد بن  
الوفاء بن  
فطرو وهو من  
التيه واليه  
والله اعلم

غلاف مخطوطة « الشجرة »

نسخة بلدية الإسكندرية رقم ٣٥٦٢ / د

لعمرك الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الحافظ ابو زرع الرازي فريد زمانه وروح  
عصره واوانه ابو محمد عز الدين بن عبد السلام بن احمد بن عثمان المقدسي  
رفيعة علمه ورفيعة علمه الاحدى الذات العرفى الص  
الذى يقدر من وجهه عن الجهات وقدمه عن الجهات وقدم  
عن الخطوات فريد من البركات وعينه عن الخلفاء واستعمل  
عن الامتيازات في معرفة الانفصالات وقدمته عن المهنوا  
وارادته عن التهور الذي لا يتعد صفاته كعدد العوصو قامت  
ولا تختلف ارادته باختلاف المرادات كوزن كلمة كبرية الكاينات  
واوجدتها جميع الموجودات فلا موجود الا مستخرج من كنهها المكتنا  
ولا - الامتخرج من سرها المصور قالت عمار  
شيء اذا اردناه ان يتقوله كن فيكون وبعد فاني نظرت  
الكوني توكونينه والي المتكون وتاويله شرايب الكون كله مستجد  
اصلا نذر كما من حبة كن قد لغت كاذ الكونية بلعاج تون العن  
نم خلقناكم فانعمد من ذلك الية رمة انا كل شيء خلقناه بقدره  
فاظهر من قدرتي خصصتني مختلفين اصلا واحدا وهو الالادة وقرها  
واخذ وهو المرادات فلما بنت اصلها وبنيت فرعها ظهر عجز  
الكاف متختم من مختلفان كاذ الكالمة اليوم اكلت لكم دينكم وكاف  
الكترية فتمهم من اذن ومنهم من كثر وظاهر عن جوه النون نون التبع ولا  
الغرفة فلما استرهم من كثر الالاد على حكمهم اذ الالاد ربه وشي خلقهم من

روحی تھوڑا سا  
متم کتاب الشیخة وما يتعلق به من كلام مولفہ رضی  
اللہ تعالیٰ عنہ ورضی عنابہ اتمہ ولی ذکرت والقائد  
محکمہ ورضی اللہ عنہ علی سیدنا ونبینا محمد خاتم المرسلین  
وعالی آلہ وصحبہ واهل بیتہ وحرزہ اجمین  
وسلمہ تلیما کثیرا دایما ابدا  
فی یوم الدین والحمد  
للہ رب  
العالمین

الورقة الأخيرة





## الفصل الخامس عشر ( مخطوطة طبية ) :

### شَرْحُ تَقْدِمَةِ الْمَعْرِفَةِ

#### لِلْبَغْدَادِيِّ

حاول بعض الغربيين المحدثين ، الترويج للفكرة القائلة: « إن اليونان القديمة هي مهد العلم والفلسفة » وبالتالي فإن العلم انطلق من الغرب القديم ، وهو الآن يبلغ قمة تطوره في الغرب المعاصر ، فلا فضل في تاريخ الحضارة لغير الغرب القديم والحديث ، وكل ما فعله العرب في هذه المسيرة الغربية للحضارة ، هو أنهم حافظوا على أصول العلم اليوناني لعدة قرون ، حتى تسلمتها منهم أوروبا وهي تؤسس نهضتها الحديثة وتطوّر إسهامات اليونان .

ولا شك في أن ترديد هذه الأفكار ، قد صار اليوم يدعو للشفقة والسخرية من قائلها ؛ فقد أثبتت البحوث والدراسات - بما لا يدع مجالاً للشك - أن اليونان كانت مجرد حلقة من تطور الحضارة الإنسانية ، فقد استعارت علومها وفلسفتها من تراث مصر الفرعونية وملكك شرق المتوسط وبلاد الهند<sup>(١)</sup> ، فظل ذلك الإنتاج الحضاري السابق عليهم يتطور على أيديهم وبجهود علماءهم ، حتى التقطت أوروبا الخيط عبر مرحلتين ؛ الأولى أخذت فيها أوروبا من العرب إنتاجهم العلمي وترجمته من العربية إلى اللاتينية ، والثانية أعطت أوروبا لبلدان العرب - رداً للجميل - حملات الاستعمار التي حرصت على أن تظل بلاد العرب متخلفة .

(١) في مقابل القائلين بالمعجزة اليونانية يقول الدكتور عبد الحليم منتصر : الباحث المنصف لا يمكن أن يغفل أمر المدنيات القديمة التي سبقت العصر الأغرقي وتقدمت عليه في التاريخ ؛ إذ لا يمكن أن تكون المدينة الأغرقيّة نشأت فجأة وبمعزل عن المدنيات الأخرى من بابلية وأشورية ومصرية فرعونية ، وقد كانت بين الأغرقي والمصريين القدماء صلات وتجارا وحروب .. وقد أنصف هيرودتس الملقب ( بأبي التاريخ ) هذه الحضارات عند ما قال : إن معظم فلاسفة الأغرقي القدماء أمضوا جانباً من حياتهم في مصر وبلاد ما بين النهرين ( تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدّمه ، الطبعة الرابعة - دار المعارف ١٩٧١ ، ص ٢ ) وبخصوص تلك « المعجزة اليونانية » راجع : سارتون ، تاريخ العلم ( دار المعارف ) ١ / ٢٨٧ ، ٣٤٧ .

والمخطوطة التي تدور حولها السطور التالية ، وثيقة من وثائق الصلة بين اليونان القديمة والعرب من ناحية ، وبين العرب القدماء وأوروبا الناهضة من جهة أخرى .

\* \* \*

في أيام اليونان القديمة ، وفي جزيرة « كوس » سنة ٤٦٠ قبل الميلاد ، ولد الطبيب الشهير : أبقرات<sup>(١)</sup> . وقد تعلم الطب من والده ومن غيره من أطباء الأسرة التي نشأ فيها ، أسرة « إسكليبيوس » التي احتكرت المعرفة الطبية واعتبرتها موروثاً خاصاً بها ، ولم تدون المعارف الطبية لئلا يطلع عليها غيرهم ، لكن أبقرات سوف يخالف هذه القاعدة ( الأناية ) ليصبح : أول من دون علم الطب<sup>(٢)</sup> .

وقولنا : إن أبقرات هو « أول من دون الطب » إنما ينسحب فقط على التاريخ اليوناني ، ولا يجوز إطلاقه على التاريخ البشري كله ، وإلا فقد دون المصريون القدماء الطب قبل أبقرات بقرون طويلة ، المهم ترك أبقرات مجموعة كبيرة من المؤلفات ، منها كتاب « تقدم المعرفة » الذي نقله العرب ضمن ما نقلوا من مؤلفات الطب اليوناني لأبقرات وجالينوس وغيرهما من مشاهير الأطباء اليونانيين ( كما ترجموا أيضاً كتب الهند الطبية ) وجعلوا من « تقدم المعرفة » أحد المقررات الدراسية التي لا بد أن يدرسها كل من أراد الاشتغال بالطب والتداوى .

(١) بخصوص أبقرات ، يمكن الرجوع إلى كتابنا : شرح فصول أبقرات ، لابن النفيس - مقدمة التحقيق ص ١٧ وما بعدها .

(٢) يذهب « ميشيل فوكو » إلى أن اضمحلال الطب ، بدأ مع أبقرات . فمن خلال رؤية « شاعرية » يقرر ( فوكو ) أنه : في فجر البشرية ، كان الطب يكمن في العلاقة المباشرة بين آلام المريض وبين ما يخفف هذه الآلام ، وهذه العلاقة يحددها الإحساس وتحمُّها الغريزة قبل أي تجربة .. أما الاضمحلال فقد بدأ مع الكتابة والأسرار ، أي مع انتقال المعرفة الطبية إلى المتخصصين ، كما جاء هذا الاضمحلال بسبب الفصل بين النظرة والقول ، أو بين الرؤية والمعرفة ، وباختصار ، يمكن القول بأن تاريخ هذا الاضمحلال إنما يبدأ مع أبقرات ، أكبر أطباء الأغرقي في العصور القديمة ويستشهد ( فوكو ) بعبارة ( مسكاتى ) : إن الفلسفة قد تسلت إلى الطب ، كما انعدمت الملاحظة ، بعد أن تحول الطب إلى « نسق » على يد أبقرات (البنوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو ، للدكتور / عبد الوهاب جعفر - دار المعارف ١٩٨٩ - ص ٢١٢) .

وكلمة «تقدمة المعرفة» تعنى التنبؤ بما سيكون عليه المرض في المستقبل، ويُشار إلى نفس المعنى باصطلاح آخر هو «الإنذار المرضى» وكان الأطباء يعتمدون في هذا الإنذار المرضى - أو تقدمه المعرفة - على العرافة والكهانة والتنجيم<sup>(١)</sup>، حتى جاء أبقراط واعتمد في ذلك على الملاحظة الإكلينيكية الدقيقة ذات الطابع العلمي، فكان بذلك؛ أحد الذين حرروا الطب من الخرافة.

وكتاب «تقدمة المعرفة» عبارة عن مجموعة من الفقرات الطبية ذات الطابع الموجز، تبدأ بقوله: «إنى أرى أنه من أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر، وذلك أنه إذا سبق فعلم، وتقدم فأنذر المرضى، كان حرياً بأن يوثق منه بأنه قادر على أن يعلم أمور المرضى، حتى يدعو ذلك المرضى إلى التقربة والاستسلام في يدي الطبيب، وكان علاجه لهم على أفضل الوجوه».

ونظراً للطابع الاختصاصي الموجز الذي يميز كتاب «تقدمة المعرفة» فقد أقبل الأطباء في العصور المختلفة على شرح عباراته وتأويل مقاصده، لما يعطيه من إمكانية استعراض الجديد من المعارف الطبية في كل عصر، فكل طبيب يفهم النص في ضوء ما توصل إليه من معلومات طبية، فيضع شرحه الخاص على «تقدمة المعرفة» وكأنه يصوغ معارفه هو، ويضع تصوراته ومعلوماته الخاصة.

ومن أهم الشروح على الكتاب، شرح الطبيب اليوناني «جالينوس» وقد تُرجم هذا الشرح إلى اللغة العربية منذ وقت مبكر، وقام بالترجمة «حنين بن إسحاق» بتكليف من الخليفة المأمون.. أما الشروح العربية فهي: شرح ابن أبي الصادق النيسابوري - شرح أمين الدولة ابن التلميذ - شرح مهذب الدين الدُّخوار - شرح عماد الدين الدُّبَّيسرى - شرح يوسف بن محمد التبريزى.. وقد وضع العلامة علاء الدين بن النفيس شرحين على مقدمة المعرفة<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: د/ عبد اللطيف البدرى: التشخيص والإنذار في الطب الأكدى (المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٧٦).

(٢) انظر ما ذكرناه عن هذين الشرحين في استعراضنا لمؤلفات ابن النفيس، بالدراسة المنشورة مع تحقيقنا لكتاب: المختصر في علم الحديث النبوى (نشرة الدار المصرية اللبنانية - القاهرة) ص ٥٠ وما بعدها.

والشروح العربية على كتاب (تقدمة المعرفة) في حاجة إلى دراسة علمية تاريخية من شأنها أن تكشف الكثير عن تطور الطب العربي<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وللطبيب المسلم: موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (المتوفى سنة ٦٢٩ هجرية) شرح على كتاب تقدمه المعرفة<sup>(٢)</sup>. توجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية، تحت رقم ٤٧٥١ / ل.. وهو، كغالبية مؤلفات البغدادي، لم يُنشر بعد.

يبدأ البغدادي شرحه بمقدمة يقول فيها: « الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين، وبعد فراغى من (شرح) كتاب بقراط المعنون بكتاب الفصول، رغبت إلى بعض من يجب حقه على.. أن أنهج ذلك المنهج في كتاب تقدمه المعرفة، إذ كان تلو كتاب الفصول في الشرف والمرتبة، فأجبت سؤاله، وارتسمت ما قاله رجاء الأجر وحسن الذكر.. وأبتدىء بالدروس الثمينة التي جرت عادة الشرح أن يقدموها بين يدي كل كتاب يقصد إلى شرحه، وهى: الغرض المقصود من الكتاب... ».

وعن غاية كتاب «تقدمة المعرفة» يقول البغدادي: « فغرض بقراط في كتابه هذا، أن يفيدنا علماً بتقدمة المعرفة في الأمراض الحادة وما يتولد منها، بذكر مجمل من الدلائل والعلامات على أنواعها وأشخاصها، وذلك بحسب الزمان الحاضر، والمستأنف والآنف ». ثم يقول البغدادي إن هذا الكتاب: « جزءٌ عظيم الجدوى من صناعة الطب على رأى أرباب القياس، وهو داخلٌ تحت القسم العملى من قسمى الصناعة، وهو منه فى تخوم القسم

(١) انظر ما سنقول في هذه النقطة بأخر الفصل التالى .

(٢) توجد ترجمات وافية للبغدادي فى المصادر الآتية :

عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء (بيروت) ص ٦٨٣ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ١٣٢/٥ -  
الأعلام للزركلى ١٨٣/٤ - كشف الظنون ١/١٢٣، ١٧٤ - ١٠٣٨/٢ - معجم المؤلفين لكحالة  
١٥/٦ - ٤٠٠/١٣

وللدكتور / بول غليونجى كتاب عن البغدادي، نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة (أعلام العرب) وهو كتابٌ لطيف مفيد .

العلمى ، إذ منه يتهبأ لتشخيص الأمراض التى لا يمكن علاجُ إلاَّ بها .. أما مرتبته فإنه يجب أن يُقرأ بعد كتاب الفصول ؛ لأنه مقصور على تعرفُ توابع الأمراض الحادة ولوازمها ، ويجب أن يُقرأ بعده كتاب الأمراض الحادة ولوازمها ، لأنه يتضمن علاجها ، وأما عنوانه فتقدمة المعرفة ، وهو مُطلق لما فيه واسمه باليونان يورغن يثطيقون ، وترجمته مقدمة المعرفة ، وأما تعليمه فهو طريق التحليل بالعكس ، وأما اسم واضعه فهو أبقرات .. وهو الرجل العميق الفكر النقى الفطنة الفائق الفطرة ، المؤيد فى قضاياها وأحكامها ، المذكرُ بأحوال الطبيعة ، المحدث عنها بما فيها ، وقد وصفه جالينوس وأحسن ، فقال : إن جالينوس أدبه الدرس ، وبقرات أدبته الطبيعة ، وقال مرة أخرى : إن أبقرات انغمس فى الطبيعة وسرى معها حتى انتهى إلى أعماقها ، وأخبر عما شاهد هناك <sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وسار البنغدادى فى شرحه على طريقة ( قال .. أقول ) حيث يورد أولاً كلام أبقرات مسبقاً بعبارة « قال أبقرات ... » ثم يضع شرحه على الفقرة ، وهو يلجأ أحياناً لطريقة ( الشرح الممزوج ) وفيه يُورد الكلمة الواحدة ، ويعقبها بعبارة شارحة .. ومن أمثلة الطريقتين فى شرح البنغدادى ( التعليم العشرون ) مانصه :

\* قال أبقرات : وقد ينبغى أن يُستدلَّ على مَنْ يسلم ، وعلى مَنْ يعطب من الصبيان ، ومن غيرهم ، كما يتبين من أمر كلِّ واحدٍ من الأمراض .

\* قال الشيخ ( البنغدادى ) : ابتداءً - أبقرات - من هذا التعليم إلى آخر الكتاب ، فى وصايا نافعة للطبيب ، تفيده التحذُّق والاستقصاء ، ولا يهمل ولو اليسير ، ولا يغفل ولو عن الحقيق ، وينظر الأمر من جهاته كلها .. إلخ .

(١) من المبادئ الطبية الرائعة التى نادى بها أبقرات : قوله « دع الطبيعة تعمل » .. وقد تابعه فى ذلك الأطباء المسلمون ، يقول بن النفيس : « ينبغى ألاَّ تعودُ الطبيعة الكسل ، بأن تُعالج كل انحراف عن حال الصحة وحيث أمكن التدبير ( العلاج ) بالأغذية ، فلا تعدل إلى الأدوية ، وإنَّنا لا نُؤثر على الدواء المفرد دواءً مركباً ، لكننا قد نُضطر إلى التركيب » ، وفى ضوء هذه النظرة الأبقراطية المؤثرة فى الأطباء العرب ، لا يمكن أن نتفق مع تلك الرؤية ( الشاعرية ) التى يقرها ( ميشيل فوكو ) بقوله : إن انحطاط الطب بدأ مع أبقرات .

تلك هي الطريقة الأولى ، ومن الطريقة الثانية في المخطوطة :

\* قوله - أى قول أبقراط - وينبغي أن تتفطن بسرعة ، دائما ، لحدوث الأمراض ، أى الأمراض الوافدة من قبل اختلاط الهواء في فصول السنة ، فإن بعض الفصول قد يولّد أمراضًا ، ويكون سببًا لشفاء أمراضٍ أخرى .. إلخ .

\* وقوله : « بسرعة » أى قبل فوات الأمر بقضائه (= وفاة المريض) .

\* وقوله : « دائما » أى في كل مرض .

\* \* \*

وبعد .. فتلك صفحةٌ أخرى من تراثنا الطبي المهجور الذى سبق أن استفادت منه أوروبا<sup>(١)</sup> ، لا تزال تنتظر اليوم الذى تمتدُّ إليها يد باحثينا .. وها هي مخطوطة أخرى من مخطوطاتنا العربية التى تنتظر التحقيق والنشر ، فهل سيأتى اليوم ؟.



(١) ترجمت هذه المخطوطة ، مع غيرها من مؤلفات الأطباء العرب ، إلى اللاتينية في فجر النهضة الأوروبية (الرينسانس) .

كتاب  
تقدمة المعرفة لبقرات  
وتفسيرة  
للشيخ الامام الفاضل  
آبي الفضل عبد اللطيف  
ابن يوسف بن محمد  
البغدادي  
رضي الله  
عنه  
٤٧٥١  
٢٤٧٤  
١٩٤٢  
٢

غلاف المخطوطة

نسخة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم  
 الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين  
 محمد وآله الطاهرين  
 وبعد فراغى من كتاب بقراط المغنون بكتاب الفصول  
 رغب الى بعض من يجب حقه على من خلصت مودته  
 ومدت رغبته وجيلت على اشهر الفصلة طينته  
 ان انهم ذلك المنهج في كتاب مقدمة المعرفة اذ  
 كان تلخيص كتاب الفصول في الشرف والمربة فاجبت  
 سؤاله واركت ما قاله رجاء الاجر ونحو الذكر  
 وابتدى بالدروس الثمينة التي تجرت عادة الشراح  
 ان يقدموها بين يدي كل كتاب يقصد الى شرحه  
 وهي الفروض المتصودة من الكتاب ومنفعة في غيره  
 وتحتبه الى اجزائه الكبار والصغار ونسبته ورتبه  
 وعنوانه ونحو تعليمه فان كل واحد كتاب على  
 جهته العادلة والطريق الانسانية فقصده تسهيله على  
 المتعلم من ثلاثه اوجه الاول ان تحنت اللفظ  
 الوحشي والملبس والمغلف وتحته ان تصور المعنى



ان يكون ابهران هما جميعا فان امتدت الارجاء  
 في اكثرين فتتوقع الرعاف اقل والمدة .  
 مادة فتتوقع الخراج في النواحي السفلية لغلظ المادة  
 ورسوبها يعني مثل العلامات الماخوذة من الوجه والحنجرة  
 والوضع وغير ذلك  
 قوله ان تدبرتها وبيزتها اي بحسب مرض مرض في  
 طول وقصره وانبت كل واحد منها حقه في تقدمه  
 المعرفة عليه من هذه العلامات والوسائل المذكورة  
 فان اتى هو تامل من كل جهاته وفوره قائما في  
 الذهن عن كل ما عداه .

واما التدبير فهو حسن التامل لذلك لئلا يقع فيه غلط  
 او سهو وغفلة والله اعلم بالصواب  
 والمجده سرب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي  
 الامنى وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا .

تدوقه القراءة من نسخة الجزء الاول بين كعمدة المرقبة بقراط  
 في يوم الثلاثاء ١١ رجب ١٣٦١ هـ الموافق ١١ اغسطس ١٩٤١ م  
 نقلت عن نسخة خطية متحفرة من مكتبة الدكتور ماكس ماير هوف  
 طبيب المبرن . ونسخ ذلك الراجي عفومولا محمد مصطفى النساخ  
 بدار الكتب المصرية .



الورقة الأخيرة من المخطوطة  
 وتظهر عليها أختام دار الكتب المصرية .



## الفصل السادس عشر ( مخطوطة طبية ) :

### شَرْحُ فُصُولِ أَبِقْرَاطِ

لابن أبي صادق

رأينا في الفصل السابق كيف اعتنى الأطباء العرب عنايةً كبيرة بكتب أبقراط الطبية، وقد كانوا يلقبونه بلقب « الفاضل » اعترافاً منهم بفضله في تطور علم الطب . وكتب أبقراط التي تُرجمت قديماً للعربية عديدةً، لكن أشهرها على الإطلاق كتاب « الفصول » وهو مجموعة حِكَمٍ طبية موجزة، أودع فيها أبقراط خلاصة معارفه الطبية .

ولما كانت « فصول أبقراط » من المقررات الدراسية المهمة في مدارس الطب العربي، فقد عمد إلى شرحها للطلاب والعامّة، عددٌ كبير من مشاهير الأطباء العرب، فشرحها كلُّ من: علي بن رضوان المصري، يوسف بن حاسداى، موسى بن ميمون، يوسف بن مائير، مهذب الدين الدُّخوار، يعقوب بن إسحاق (ابن القف الكركي)، ابن النفيس، محمد العطار، صدقة بن مُنجا، برهان الدين الكرمانى، المظفرى، عماد الدين البقّال، ابن الطيب، ابن علوان، أحمد الكيلانى، عز الدين بن جماعة، السيواسى، المنادى، البغدادى .. كما شرحها أيضاً: ابن أبى صادق النيسابورى، الملقب بأبقراط الثانى .

وتجدر الإشارة إلى أن جميع هذه الشروح، التى تعكس تطور المعرفة الطبية فى عصور مؤلفيها، لا تزال جميعاً فى نسخها الخطية، ولم ينشر منها إلا شرح ابن النفيس، الذى كان لى شرف تحقيقه ونشره<sup>(١)</sup> ضمن مجموعة مؤلفات ابن النفيس التى أعكف منذ سنوات على إصدارها فى طبعات محققة<sup>(٢)</sup>.

(١) باشتراك الدكتور ماهر عبد القادر محمد على .

(٢) صدر منها حتى اليوم أربعة كتب : شرح فصول أبقراط - رسالة الأعضاء - المختصر فى علم الحديث النبوى - المختار من الأغذية، ( انظر قائمة أعمالنا بآخر الكتاب ) .

وعن الطبيب الكبير « ابن أبي صادق » يقول أشهر مؤرخي الطب العربي ، ابن أبي أصيبعة ، في كتابه ( عيون الأنباء في طبقات الأطباء ) ما نصه : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن أبي صادق النيسابوري ، طبيبٌ فاضلٌ بارعٌ في العلوم الحِكْمِيَّة ، كثير الدراية للصناعة الطيبة ، له حرصٌ بالغٌ في التطلع على كتب جالينوس وما أودعه فيها من غوامض صناعة الطب وأسرارها ، شديد الفحص عن أصولها وفروعها ، وكان فصيحاً بليغ الكلام ، وما فسر من كتب جالينوس فهو في نهاية الجودة والإتقان .. وحدثني بعض الأطباء أن ابن أبي صادق كان قد اجتمع بالشيخ الرئيس ( ابن سينا ) وقرأ عليه ، وكان من جملة تلامذته والأخذين عنه ، وهذا لا أستبعده ، بل هو أقرب إلى الصحة ، فإن ابن أبي صادق لحق زمان ابن سينا وكان في بلاد العجم ، وشمعة ابن سينا كانت عظيمة ، وكذلك غزارة علمه وكثرة تلامذته ، وكان أكبر من ابن أبي صادق قدراً وسناً . ولابن أبي صادق من الكتب : شرح كتاب المسائل في الطب لحنين بن إسحاق ، شرح كتاب مقدمة المعرفة لأبقراط ، شرح كتاب منافع الأعضاء لجالينوس ، حل شكوك الرازي على كتب جالينوس ، شرح كتاب الفصول لأبقراط<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وشرح ابن أبي صادق على الفصول يُعرف باسم ( أوفر الشروح ) لما له من قيمة تفسيرية ، وإضافات كثيرة على النص الأبقراطي ، وقد توفرت النسخ المخطوطة من هذا الشرح ، وتناثرت في معظم خزائن المخطوطات في العالم ، وفي دار الكتب المصرية - وحدها - ست نسخ خطية من هذا الكتاب ، أقدمها بتاريخ ٦٠٤ هجرية .. بالإضافة إلى عدة نسخ أخرى موزعة على مكتبات : الظاهرية بدمشق ، متحف الآثار ببغداد ، دار العلوم بديوبند ، الجامعة الأمريكية ببيروت ، دير الأسكوريال بإسبانيا .. وغير ذلك .

(١) عيون الأنباء ، ص ٤٦١ .

لابن أبي صادق

وهناك مخطوطة بدار الكتب المصرية ، برقم ٤٧٥١ / ل ، تحمل عنوان ( الجزء الثاني من كتاب تقدمه المعرفة لبقراط وتفسيره للشيخ الإمام الفاضل عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي ) ولكن باطلاعنا عليها ، تبين أنها نسخة من شرح ابن أبي صادق على فصول أبقراط . وهذا الأمر يتكرر كثيراً في عالم المخطوطات ، إذ يُخطئ النساخ والمفهرسون كثيراً في نسبة المخطوطة لصاحبها ، فأحياناً ينسبونها إلى مؤلف آخر ، وأحياناً يضعونها تحت عبارة « مؤلف مجهول » إذا عجزوا عن معرفة مؤلفها .. وأذكر أنني حين نويت إخراج مجموعة مؤلفات ابن النفيس وتحقيقها ، قمت بمراجعة جميع المخطوطات مجهولة المؤلف في دار الكتب المصرية ، فإذا بي أجد مخطوطتين لابن النفيس ( رسالة الأعضاء - المختصر في علم الحديث النبوي ) لم يذكرهما فهرس المكتبة أصلاً ، مع أنها بخط المؤلف ! ومن هنا نقول بضرورة مراجعة فهرس المخطوطات في المكتبات الكبرى ، والتحرُّر عن صحة المعلومات الواردة فيها .

وفي مخطوطة دار الكتب المصرية التي أشرنا إليها ، يبدأ النص بما يلي : « قال الشيخ الإمام، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي صادق ، رحمه الله تعالى ، أما بعد حمد الله بجميع محامده، والشناء عليه بما هو له أهل ، والصلاة على نبيه .. إلخ » .

وقد مهد ابن أبي صادق لشرحه على كتاب الفصول ، بمقدمة تمهيدية تعرِّض فيها لبيان شرف الطب بعمامة ، وأهمية كتاب « الفصول » بصفة خاصة ، فقال : « وإذا كانت الصناعات والعلوم تتفاضل بحسب شرف الموضوع وفضيلة الكمال ووثاقة البراهين المستعملة فيها ، ثم كان لهذا العلم ( الطب ) أعظم الرتب من طلابها ، فبالأحرى أن يكون له القسط الأوفر من الشرف والفضيلة ، وقد كان من كل المتقدمين والمتأخرين ممن تكلموا في الطب ، أن يدونوا لمن بعدهم مجللاً وجوامع من أصوله ، وإن كتاب الفصول لأبقراط أفضلها كلها ، لأنه من أوجز الكتب المصنَّفة في هذا الباب ، وأكثرها حصرًا للفصول ، وهي دساتير وقوانين للعالمين في أبوابها ، وهو أحد الكتب التي لا بد لمن يريد الإمام بهذه الصناعة أن يحفظه ؛ إذ كان كل فصل

منه يتضمن أصلاً من الأصول ، يشبه أن لا يكون قد صدر عن صاحبه ( أبقراط ) إلا بتأييد سماوى وتوفيق إلهى .. وقد سبق جالينوس بتفسير هذا الكتاب تفسيراً تاماً فى معناه ، ونحن غرضنا أن يستقيم ما قاله ، ونضيف إليه ما أغفله مما قد استفدناه منه فى مواضع أخر ، وإن غرض أبقراط بهذا الكتاب هو أن يجمع فيه أصول الطب ، وأن يستثمر به ما قد جمعه فى كتبه الأخر ، وهذا ظاهر لمن تأمل فصوله ، فإنها تنتظم مجللاً وجوامع من كتابه فى « تقدمة المعرفة » وكتاب « الأهوية والبلدان » وكتاب « الأمراض الحادة » ونكتاً وعيوناً فى كتابه المعروف بأبيديميا ( الأوبئة ) وفصولاً من كتابه فى « أوجاع النساء » .

وبعد هذه المقدمة ، يشرع ابن أبى صادق فى شرح الفصول الأبقراطية فصلاً فصلاً فيضع من معارفه الخاصة وخبراته الطبية شيئاً كثيراً .. ونكتفى هنا بمثال وحيد ، هو شرح الفصل الأول حيث يرد فى المخطوطة على النحو التالى :

قال أبقراط : العمر قصير والصناعة طويلة والوقت ضيق والتجربة خطر والقضاء عسر ، وقد ينبغى لك أن لا تقتصر على توخى فعل ما ينبغى دون أن يكون ما يفعله المريض ، ومن يحضره كذلك ، والأشياء التى من خارج .

( الشرح ) يمكن أن تحمل معانى هذه الكلمات ، فى هذا الفصل ، على وجه أعم وأكثر كلية ، ويمكن أن تحمل على وجه أخص بصناعة الطب ، وذلك هو غرض أبقراط .. وحمله على الوجه الكلى ، هو أن عمر الإنسان ، وهو مدة بقاء النفس مع الجسم ، قصيرٌ بالإضافة إلى سائر الصنائع النظرية ؛ لأن عمر الإنسان منقطع فى نفسه ، والعلوم والصنائع النظرية ممتدة إلى غير المتناهى ، ومن البين أن المتناهى لا يساوى غير المتناهى . وأيضاً ، من البين أن مدة عمر الواحد لا تفى باستنباط قوانين شىء من الصنائع النظرية أجمع ، إلا أن يحصل ما استنبطه من تقدمه ، ثم يضيف إليه ما يحصله من عنده .. وأما ضيق الوقت ، فعنى به وقت التعلم ، فإنه يسيرٌ ضيقٌ ، وذلك أن الإنسان منهمكٌ طول مدة بقائه بأسور اضطرارية وغير اضطرارية ، تحول بينه وبين التعلم ، فيضيق وقت التعلم لذلك .. وأما عسر القضاء ، وهو

لابن أبي صادق

القياس ، فلأن صناعة الطب في نفسها شاقّةٌ عسرة ، ثم تحصيل سائر الصنائع النظرية - على العموم - مما لا يخفى عُسرُه وصعوبته - أما الخطر في التجربة ، فإن التجربة على وجهين .. إلخ .

.. وهكذا يتبع ابن أبي صادق كلمات الفصل الأبقراطي ، فيفسرها كلمةً كلمةً ، ثم يضع في النهاية تفسيره لمُجمل الفصل ، وأثناء ذلك نراه يناقش آراء جالينوس والرازي وغيرهما من الأطباء ، ويقرر رأيه الخاص ويدعمه بالشواهد الدالة على صحته ؛ وهو ينهى شرحه بالإشارة - في الصفحة الأخيرة - إلى أن ( الفصول ) فيها ما هو عويصٌ غامض ، وما هو سهلٌ واضح ، وما هو مدلّسٌ ومدسوس على أبقراط ، فيقول :

« أما الفصول العويصة في هذا الكتاب ، التي انتظمت ضرباً من الغموض ، فقد بالغنا في شرحها ، وأما الفصول السهلة فقد لخصنا ما قاله فيها ( جالينوس ) وألحقنا به ما يزداد بذلك بياناً ووضوحاً .. وأما الفصول المدلّسة والتي قد أعيد ذكرها بأخر الكتاب ، فتركنا ذكرها شفقةً على فوت الزمان بها لا يجدي نفعاً » .

\* \* \*

وإذا كانت مخطوطة « شرح فصول أبقراط » لابن أبي صادق ، هي واحدة من عشرات الشروح العربية على الفصول ، وهي الشروح التي دونها الأطباء العرب طيلة القرون الممتدة من القرن الرابع حتى القرن العاشر الهجري ، فإن دراسة هذه الشروح وفحصها بطريقة مقارنة ، هو أمرٌ من شأنه أن يظهر لنا طبيعة التطور في البحث الطبّي العربي طيلة هذه القرون الستة ؛ إذ أن كل شارح للفصول كان يعكس في شرحه ، طبيعة المعرفة الطبية في عصره .. فلعل باحثاً شاباً يقوم بإنجاز هذا البحث المقارن ، فيضيف إلى معرفتنا بتطور الطب العربي ، ملمحاً مهماً من ملامح هذا التطور .



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ      ثَقِّتِي اللّٰهَ  
 قال الشيخ الامام ابو القاسم عبد الرحمن بن ابي صادق  
 رحمه الله تعالى. اذ ما بعد حمد الله بحمده بحامده  
 والثناء عليه بما هو له اهل والصلاة على نبيه ان  
 العناية التي تبعث الخلق على اقتناء باب من ابواب  
 العلوم لمن اشرف الفضائل الاثمانية سيما ما كان  
 الناس كافة اس حاجا اليه من غيره كعلم الطب  
 فان من البيان عند الكفاة ان العافية راس النعم  
 التي انعم بها على الانسان واولها واجلها قدرا  
 ولذلك فليس تنهى مملكة ملك ولا تطيب ثروة لمصرى  
 مع فقدان الصحة التي هي غاية المطلوب بهذا العلم  
 وهي اشرف غاية يتمناها الانسان في هذا العالم ان  
 يضاف الى شرف هذه العناية شرف الموضوع الذي  
 هو البدن الانساني اذ هو اشرف موجودات هذا العالم  
 ولتقرن شرف موضوع هذا العلم وشرف كماله وثاقه  
 البراهين المستعملة فيها فان القوازين الطبية اجماء  
 برهانية وليس يستعمل فيها المحس او التقرب الصناعي  
 الا في بعض التجارب التي تخبر الى الفعل. واذا كانت  
 المبيعات والعلوم تتفاضل بحسب شرف الموضوع وفضل  
 الكمال...<sup>١٠</sup> البراهين المستعملة فيها ثم كان لهذا  
 من طلابها افتا لمصرى ان يكون له

الصفحة الأولى من مخطوطة شرح فصول أبقراط

(نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٧٥١ / ل)



شيء إلا النذر الذي يروح لتضاد عناصره وذلك  
 القدر لا يؤشرفه أكثر من القطف الذي يتأله  
 ان يعود الى الأعتدال ثانياً .

## فصل

أما الفصول العويصة في هذا الكتاب التي انتظمت ضرباً  
 من الغرض فقد بالغنا في شرحها ما لم يبق لحسب  
 ظني في شيء منها موضع اشكال بعد أن جعلنا  
 كلام جالينوس فيها كلها أصلاً وقانوناً .

وأما الفصول التهلة فقد لخصنا ما قاله فيها ثم  
 قل ما مضى منها فصل الأوقد الحقنا به ما يزداد  
 بذلك بياناً ووضوحاً مما كنا قد أخذناه منه في  
 كتبه الأخرى فان من لغوض في شرح جزء من اجزاء  
 الطب فقد سبق جالينوس فنحصر عنه بعينه فهو في  
 كل ذلك غارق من بحره ومقتفى أثره ومنتزعه  
 في ذلك عندي منزلة ناقل التمر الى هجر وجالب البن  
 الى عدن .

وأما الفصول المدلسة والذي قد اعيد ذكرها تأجرت  
 الكتاب فتركنا ذكرها سفيقة على فوات الزمان عما  
 لا يجدي نفعاً والله اعلم بالصواب



الورقة الأخيرة من المخطوطة

وأسفلها ختم دار الكتب المصرية



## الفصل السابع عشر ( مخطوطة فلكية ) :

### صُورُ الكَوَاكِبِ الثَّمَانِيَةِ وَالْأَزْبَعِينَ

#### للصوفي

لم ينل عبد الرحمن الصوفي ( أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر ، الرازي ) ما يليق به من اهتمام ، سواء لدى القدماء أو المحدثين ، فالمصادر القديمة لا تكاد تذكر عنه إلا القليل الذي لا يشفى الغليل ، ففي « أخبار الحكماء » لا نجد غير الفقرة التالية :

عبد الرحمن بن عمر .. الفاضل الكامل النبيه النبيل ، صاحب الملك عضد الدولة فنا خسرو شاهنشاه بن بويه ، مصنف الكتب الجليلة في علم الفلك ، وكان من أهل « نسا » فارسي النسبة ، ولد بالرى ، وكان عضد الدولة يقول إذا افتخر بالعلم والمعلمين « معلمى فى النحو أبو على الفارسى النسوى ، ومعلمى فى الزيج الشريف بن الأعلم ، ومعلمى فى الكواكب الثابتة وأماكنها وسيرها الصوفى » ومن تصانيفه : كتاب الكواكب الثابتة - مصوراً - كتاب الأرجوزة فى الكواكب الثابتة - مصوراً - كتاب التذكرة ومطارح الشعاعات . قال هلال ابن المحسن فى كتابه ، فى سنة ٣٧٦ فى الثالث من المحرم ، توفى أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفى منجم عضد الدولة وكان مولده بالرى فى الليلة التى صبيحتها يوم السبت ١٤ محرم سنة ٢٩١ هجرية<sup>(١)</sup>.

ولا توجد - باستثناء الفقرة السابقة - أية معلومات فى كتب المؤرخين والمترجمين القدامى ، عن هذا العالم الفلكى ، مما جعل معرفة تفاصيل حياته وأوقاته أمرًا مستحيلًا ، وكذلك الأمر

(١) القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ( دار الآثار - بيروت ) ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

بالنسبة لسبب لقبه « الصوفي » .. فمن غير المعروف إن كان ذلك لاشتغاله بالتصوف ، أم نسبة إلى غير ذلك - كقبيلة صوفة العربية - لكن أصله الفارسي يستبعد انتسابه إلى تلك القبيلة العربية ، فلا يبقى إلا الترجيح بأنه كان من أهل التصوف ، خاصة أن التصوف في أواخر القرن الثالث الهجري كان منتشرًا ببلاد فارس ، وكان لفرقة « الملامية » الصوفية ، شأنٌ كبير في « الري » التي نشأ فيها أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي .

وكما سكتت المصادر القديمة من ذكر المزيد من المعلومات حول الصوفي ، اكتفت المصادر المعاصرة بالإشارة إلى مكانته العلمية وقيمة مؤلفاته التي بقيت - لحسن الحظ - حتى يومنا هذا .. فمن تلك الإشارات قول سارتون: « الصوفي من أعظم فلكيي الإسلام »<sup>(١)</sup> و قول الدومبيلي: « وكان الصوفي من أعظم الفلكيين العرب الذين ندين لهم بسلسلة دقيقة من الملاحظات المباشرة »<sup>(٢)</sup> . أما كتب تاريخ العلوم العربية ، التي دونها الباحثون العرب المحدثون ، فهي على كثرتها - وكعادتها - لا تضيف جديدًا إلى معلوماتنا عن الصوفي ، وتكتفي بنقل المديح عنه وعن إسهاماته الفلكية ، دون تفصيل .

\* \* \*

وفي الخامس من أكتوبر سنة ١٩٨٧ ، ولمدة ثلاثة أيام ، انعقدت في الجامعة الأردنية مؤتمر بعنوان « الصوفي وابن النفيس » فألقت بحوث هذا المؤتمر بعض الضوء على هذه الشخصية العلمية المرموقة ، وأعادت إلى الصوفي اعتباره بعد ألف عام من وفاته ! وفي الكلمة الافتتاحية لهذا المؤتمر ، ورد ما يلي<sup>(٣)</sup>:

جاء الصوفي في القرن العاشر الميلادي ، حين كانت الحضارة العلمية العربية في دور النمو ، وقد وجد أن العلماء العرب تعرفهم الحيرة في كتاب « المجسطي » الذي وضعه

(1) G. Sarton: Introduction to History of Science 1,665.

(٢) الدومبيلي : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ( الترجمة العربية ) ص ٢١٣ .

(٣) د/ عبد الرحيم بدر : محاضرات مؤتمر الصوفي وابن النفيس ( دار الفكر - بيروت - دار الفكر ، دمشق ١٩٩١ ) ص ١٤ .

للصل

بطليموس في القرن الثاني الميلادي ، فالنسخ التي عثروا عليها بعد ثمانية قرون ، بالية مليئة بالأخطاء ، وهنا انبرى الصوفي فأخذ يقيس نجوم السماء طولاً وعرضاً ، ويُعيّن مواقعها وأقدارها وألوانها ، حتى أصبح لدى العلماء العرب ما يشبه الأطلس الدقيق الذي يهتدون به في دراستهم ، وقد وجد في أثناء قياساته هذه ، أن بطليموس كان مخطئاً في كثير جداً من القياسات التي قام بها ، فصحّح ما وجد من أخطاء ، وخرج بكتاب ( صور الكواكب الثمانية والأربعين ) وفي هذا الكتاب نجد الصوفي قد أعاد الأسماء العربية القديمة - المعروفة منذ الجاهلية - إلى حظيرة العلم ، وحدّد النجوم التي تشكّل منازل القمر الثمانية والعشرين ، وقد كان أول من وصف المجرة السحابية في المرأة المسلسلة ( مجرة أندروميديا ) وسأها لللطخة السحابية ، مع العلم أن أول مَنْ وصفها من الأوروبيين كان سيمون ماريوس سنة ١٦١٢ م .. إن تقدير الصوفي لم ينشأ عند العرب والمسلمين وحدهم ، بل كان الإمام عند العلماء الغربيين أيضاً فعندما اكتشف المرّقب - التليسكوب - في مطلع القرن السابع الميلادي ، وأخذ الغرب يسمى فوهات القمر ، لم ينس هؤلاء العلماء أن يسموا فوّهة باسم الصوفي .

\* \* \*

وفي هذا المؤتمر ، وحول مكانة الصوفي العلمية ، ألقى المستشرق الألماني ياول كونيتش بحثاً بعنوان ( آثار الصوفي في الشرق والغرب ) فكان من أجود البحوث وأكثرها ارتباطاً بموضوع المؤتمر ، وقد استهلّه بقوله : من المعلوم أنه كانت للعرب القدماء معرفة جيدة بالسماء والكواكب ، استدلوا بها على المواسم والأزمان ، واهتدوا بها في نقلاتهم في البر والبحر ، وتعرّف العرب بعد فتوح بلدان الشرق الأوسط إلى علوم اليونان ، وترجموا كثيراً من كتبهم العلمية ، ومن بينها الكتب الفلكية التي أهمها كتاب المجسطى لبطليموس القلوذي المؤلف حوالي السنة ١٥٠ م ، والذي حظى بعدة ترجمات عربية في أواخر القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، ومن كبار الفلكيين الإسلاميين ، أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي ، الذي ولد في الري ( قرب طهران ) سنة ٢٩١ .. وترك الصوفي عدداً من المؤلفات في ميادين علم الفلك والآلات الفلكية

وعلم أحكام النجوم وعلم الهندسة ، تبقى منها إلى اليوم بحسب إحصاء فؤاد سيزكين في تأليفه حول الكتابات العربية<sup>(١)</sup> ، ما يلي :

١- رسالة في عمل أشكال متساوية الأضلاع .

٢- كتاب صور الكواكب .

٣- كتاب العمل بالاسطرلاب<sup>(٢)</sup>

٤- كتاب العمل بالكرة الفلكية .

٥- كتاب المدخل إلى علم النجوم وأحكامها .

٦- رسالة في تصحيح طالع عضد الدولة.. هذا بالإضافة إلى بعض التصانيف الأخرى

التي لا نعرف منها إلا عناوينها ، ولم يُعثر- إلى الآن - على مخطوطات وأصيف هنا أن الصوفي ، مع أنه ولد في إيران وقضى - كما يبدو - معظم حياته هناك في ظل حكام أسرة البويهيين ، إلا أنه أُلّف كتبه كلها باللغة العربية ، و بالتالي من مجموعة العلماء التابعين للحضارة العربية الإسلامية بمعناها الأوسع الشهير .. ولم يقتصر نشاط الصوفي العلمي على التأليف فقط ، بل يبدو أنه قام كذلك بصنع الآلات الفلكية بنفسه ، وقد انفرد الصوفي بين العلماء الفلكيين العرب والإسلاميين في علم معرفة الكواكب الثابتة ، وأصبح في هذا العلم قطباً لمعاصريه ولكل الأجيال اللاحقة ، وأصبح أهم مؤلفاته وأشهرها وأوسعها تأثيراً في الشرق والغرب ، كتابه في صور الكواكب الثمانية والأربعين<sup>(٣)</sup> .

ويمضى المستشرق الألماني ، فيستعرض أثر الصوفي في اللاحقين عليه من العلماء المسلمين ، كالبيروني في كتابه « التفهيم » وابن الصلاح في رسالته « سبب الخطأ والتصحيح » والقزويني في « عجائب المخلوقات » ثم يقول : وأدت شهرة كتاب الصوفي - يقصد : صور الكواكب - وأهميته عند الفلكيين ، إلى عدد من الترجمات إلى الفارسية وإلى التركية أيضاً ،

(١) الإشارة إلى موسوعة « تاريخ التراث العربي » لسيزكين ، وقد ترجمت مؤخراً للعربية ونشرت - في عدة مجلدات - بالسعودية .

(٢) الاسطرلاب : آلة فلكية تستخدم في الرصد .

(٣) باول كويتش : آثار الصوفي ( محاضرات مؤتمر الصوفي وابن النفيس ) ص ٢٠٧ .

للصوفى

وأشهر من ترجم كتاب الصوفى إلى الفارسية العلامة المعروف : نصير الدين الطوسى<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك استعرض باولكونيتش أثر كتاب ( صور الكواكب ) فى الأوروبيين ، عبر خمس نقاط للتعرف المباشر إلى كتاب الصوفى ، موزعة على القرون ، من الثالث عشر إلى التاسع عشر الميلادى .. مشيراً إلى وجود ثمانى مخطوطات لاتينية تحوى « المجموعة الصوفية اللاتينية » بالإضافة إلى « كتب الحكيم فى علم الفلك » وغير ذلك ، وهو ينتهى من البحث بقوله : إن الصيغة اللاتينية لاسم الصوفى ، وهى AZOPHTI شاعت فيما بعد وحازت شهرة واسعة ، وأطلقت على فوهة بالقمر منذ سنة ١٥١٥ ، وأصبح للصوفى مكان على وجه القمر ، وحاز اسمه شرف التخليد فى عالم العلم إلى الأبد<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

ونأتى إلى كتاب الصوفى « صور الكواكب » فنرى الكتاب يبدأ بمقدمة يؤرخ فيها الصوفى للبحوث الفلكية السابقة عليه ، ويتقددها ، فيقول :

« إنى رأيت كثيراً من الناس يخوضون فى طلب معرفة الكواكب الثابتة ومواقعها من الفلك ، وصورها ، ووجدتهم على فرقتين .. إحداهما تسلك طريق المنجمين ، ومعولها على كرات مصورة من عمل مَنْ لم يعرف الكواكب بأعيانها وإنما عَوَّلُوا على ما وجدوه فى الكتب من أطوالها وعروضها ، فرسموها من غير معرفة بصوابها من خطئها ، فإذا تأملها مَنْ يعرفها ، وجد بعضها مخالفاً .. وأما الفرقة الأخرى ، فإنها سلكت طريقة العرب فى معرفة الأنواء ومنازل القمر ، ومعولهم على ما وجدوه فى الكتب المؤلفة فى هذا المعنى » .

ثم يتقد الصوفى الفلكيين السابقين ، فيقول عن البتاني : « فإننا تأملنا نسخاً كثيرة لكتاب المجسطى ، ووجدنا بعضها يخالف بعضاً فى كواكب كثيرة ، وطلبنا ذلك فى كتاب البتاني ،

(١) المرجع السابق ص ٢١٢ .

(٢) من الأمور العجيبة ، أنهم - أعنى العرب المعاصرين - يشيرون إلى هذه الفوهة باسم : فوهة أزوفى أو كأنهم يصرون على نفى قيمة أجدادهم .. حتى بعد ما اعترف بها الغرب .

وفيا ادعاءه من الرصد ، فوجدناه قد أسقط كل كوكب فيه أدنى خلاف بين النسخ ، فأسقط كواكب كثيرة من القدر الثالث والرابع ، وأثبت كثيراً من القدر الخامس والسادس ، ثم ذكر أنه قد رصد كوكبة الرامى ، وأنه وجد موضع الكواكب الذى على عرقوبه المتقدم الأيسر فى القوس ثانياً وعشرين درجة ونصف .. والدليل على أنه لم يرصده ، ولم يعرفه ، ولا غيره من المنجمين عن ألفوا الزيجات واتخذوا الكرات ورسموا فيها الكواكب ، أنهم أثبتوا هذا الكوكب فى كتبهم وعلى الكرات - من القدر الثانى ، وهذا الكوكب هو من القدر الرابع ، من أصغره ، وهو تحت الإكليل الجنوبى . الخ » لكن الصوفى ، كعادة العلماء العرب فى التأدب مع السابقين ، نراه بعد أن صحح الخطأ ، يقول : « ولعل بعض النقلة أو الوراقين أثبتوا لهذين الكوكبين فى الأقدار ، فغلط السوراق فأثبتهما فى القدر الثانى ، أو لعل الخطأ وقع فى نسخة الأصل ولم يكن بعد بطليموس من عرف هذه الكواكب » ولم ينفرد الصوفى بهذا الملمح النقدى ، فكثيراً ما نرى العلماء العرب المسلمين يسلكون ذات النهج ، فإذا وجد ابن النفيس - مثلاً - بعض الأخطاء فى كتابات أبقراط ، يقوم بتصحيح الخطأ ، ويعقب عليه بقوله : ولا نظن أنه يقع فى ذلك ، فالأرجح أنه من عمل النسخ .

ويستكمل الصوفى نقد السابقين ، فيقول عن عطار الحاسب - أحد مشاهير علم الفلك فى الإسلام - ما نصه : « ووجدنا لعطار كتاباً بخطه ، قد صور فيه الصور الثمانية والأربعين ، يذكر فيه أنه صورها بعد أن بلغ النهاية فى عملها ومعرفتها ، ووضع هذا الكوكب الذى على عرقوب الرامى من القدر الثانى ، أيضاً ، على ما وجدته فى الكتب ، وذكر أن الرامى وجهه إلى جهة المشرق ، وصوره فى كتابه كذلك ، فدل على أنه لم يعرف الرامى ولا القوس » . ويقول عن على بن عيسى « ووجدنا فى كرة عزيمة الشأن ، من عمل على بن عيسى الحرانى ، قد رسم الكوكب الخامس الذى على جناح العذراء الأيسر فى الوجه ، فى ناحية الشمال عن الكواكب الرابع الذى على الوجه ، وذلك خطأ ، لأن عرض هذا الكوكب الذى على الجناح هو فى ناحية الشمال عشر دقائق ، والذى على الوجه عرضه فى الشمال خمس درجات ونصف ، فوجب أن



للمرئ

يكون الذى على الجناح الأيسر أميل إلى الجنوب ، عن الذى على الوجه ، خمس درجات وثلاث درجة . ويقول عن أبى حنيفة الدينورى : « وقد كنت أظن بأبى حنيفة أن له رياضة بعلم الهيئة والرصد ، فقد كنت بالدينور فى سنة ٣٣٥ من سنى الهجرة ، وحكى لى جماعة من المشايخ أنه كان يرصد الكواكب سنين كثيرة ، فلما ظهر تأليفه ، وتأملت ما أودعه كتابه ، علمت أن الذى كان يراعيه إنما كان طلب الظاهر المشهور من الكواكب ، وما كان يجده فى كتب الأنواء من ذكر المنازل وما أشبهها (١) . »

ويختتم الصوفى انتقاداته وتصحيحاته ، بقوله : « ولما رأيت هؤلاء القوم ، مع ذكرهم فى الآفاق وتقدمهم فى صناعة واقتداء الناس بهم ، قد تبع كل واحد منهم من تقدمه ، من غير تأمل لأخطائه بالعيان والنظر ، ووجدت فى كتبهم من التخلف .. عزمتُ على إظهار ذلك وكشفه » ثم يعرض فى بقية الكتاب لمواقع الكواكب استناداً لأرصاده الدقيقة ، مع تزويد النص بالجداول الفلكية والرسوم الجميلة التى تصور الكواكب على ما يُرى فى السماء ، وعلى ما يُرى فى الكرة ، مع بيان اسمه ورمزه .. فكان الصوفى هو صاحب الفضل فى تصويب الحسابات الفلكية السابقة ، وصاحب الفضل فى حساب سديم الأندروميديا والنيكبول العظمى والكوكبات الجنوبية ، وهى التى يعزو المعاصرون فضل اكتشافها إلى مكتشفين متأخرين جاءوا بعد الصوفى بمئات السنين .

\* \* \*

ولا يزال هذا الكتاب الرائع ينتظر النشر والتحقيق ، رغم صدور طبعة له - يقول باول كونيتش : « والمؤسف أنه لا توجد حتى اليوم طبعة صحيحة لهذا الكتاب المهم ، فقد نُشرت سنة ١٨٧٤ ترجمة فرنسية له بقلم العالم الدنماركى شيلروب ، وهى مبنية على مخطوطتين فقط ، متأخرتين نسبياً - تعودان إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين - ثم طُبِع النص

(١) راجع مقدمة كتاب « صور الكواكب » للصوفى .. وانظر أيضاً ، بحث الأستاذ محمد على الزركان ( عبد الرحمن الصوفى وأسلوبه فى التأليف ) ضمن محاضرات مؤتمر الصوفى وابن النفيس ، ص ٢٦٣ وما بعدها .

العربي سنة ١٩٥٤ في حيدر آبار في الهند، معتمداً على خمس مخطوطات قيمة، إلا أن الطبعة مكتظة بالأخطاء وخاصةً في جداول الكواكب حيث صحّح الناشر بعض الأخطاء بخط اليد بالحبر الأسود، وأعيدت هذه الطبعة بشكلها المغلوط في بيروت سنة ١٩٨١<sup>(١)</sup>، أما رسوم الصور فلم تطبع بشكلها الأصلي في كلتا الطبعتين المذكورتين، بل رسمهما على أيدي رسامين، وخرجت بالتالي بشكل مغير نسبياً عن الأصل، ومن حسن الحظ أن نشرت مؤخراً، بطريقة التصوير، وبناية معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت، أقدم مخطوطة للكتاب، ألا وهي مخطوطة مكتبة بودليان في أكسفورد، نسخها الحسين بن عبد الرحمن بن عمر ابن محمد - ويبدو أنه ابن الصوفي نفسه<sup>(٢)</sup> - سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م، وسوف تمكن هذه الطبعة المصورة الباحثين من دراسة كتاب الصوفي بشكل قريب جداً من شكله الأصلي<sup>(٣)</sup>.

ومن ناحية أخرى، أشار الأستاذ محمد علي الزركان إلى وجود عدة نسخ خطية من (صور الكواكب) في مكتبات الأسكوريال وباريس وأكسفورد وكوبنهاجن وليننجراد، بالإضافة إلى نسخة بالمكتبة الوقفية بحلب تحت رقم ١٢٨٦ / أحمدية، وهي نسخة مصورة، نفيسة، يصفها بقوله: «ولفت نظري أن المحققين - يقصد لشره الهند سنة ١٩٥٤، وهم محمد نظام الدين مدير المطبعة، والبروفيسور وتر الأستاذ في كلية اكزيتز بانكلتره، وشيلروب مقدم

(١) قامت بإصدار هذه الطبعة - المسروقة - دار الأفاق الجديدة ببيروت، وهي دار عريقة في السطو على نشرات التراث التي قام بها المحققون العرب والمستشرقون، ومن بينها كتاب صور الكواكب .. والعجيب أن هذه الدار تعتمد في كل مرة، حذف كل ما يشير إلى بيانات الطبعة المسروقة، وبكل الجرأة والتبجح تكتب الدار على الورقة الأولى: تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة .. فلا تكتفى بتصوير الكتاب، وإنما تصر على تزيفه.

(٢) لا يقف الأمر عند مجرد الترجيح، فهو - بالفعل - ابن الصوفي نفسه، وقد اشتهرت له «أرجوزة ابن الصوفي» في الفلك، التي يقول البيت الثاني منها:

هذا مقال لأبي علي  
نجل أبي الحسين الصوفي.

(٣) باول كويتش: آثار الصوفي في الشرق والغرب (محاضرات المؤتمر) ص ٢٠٩.

للمرق

الترجمة الفرنسية - لم يذكروا مخطوطة حلب التي تعد من أصح النسخ ومن أجملها خطأً وتصويراً ، وذلك كما تبين لي من خلال المقابلة بينها وبين النسخة الهندية المطبوعة (١).

وتبقى نقطة أخيرة ، يمكن صياغتها في هذا السؤال : إن تلك الصور التي زينت كتاب ( صور الكواكب ) ، وغيرها من بدائع فن المنمنمات التي ازدانت بها المخطوطات العربية الإسلامية ، ألا تكذب الدعوى القائلة: إن الإسلاميين كرهوا التصوير ، وإن الإسلام حرّم الفن .



---

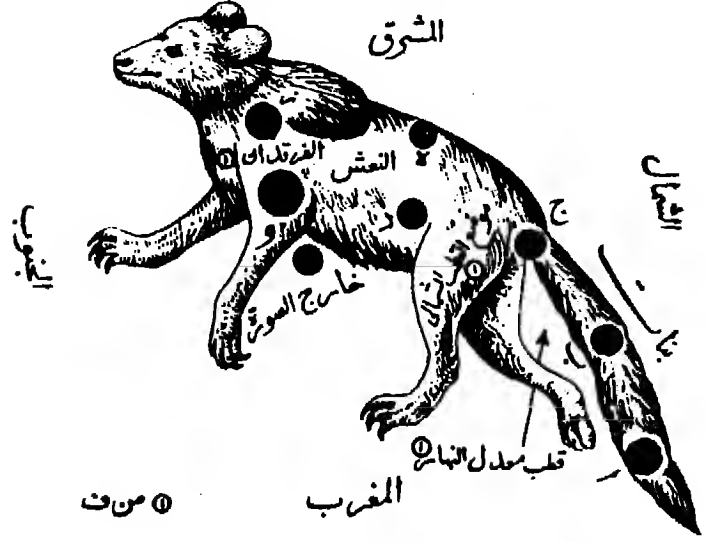
(١) الزركان : عبد الرحمن الصوفي وأسلوبه ( محاضرات المؤتمر ) ص ٢٦٢ .



صوم الكواكب  
 لابي الحسين الصوفي  
 وهذه صورة الدب الاصغر على ما ترى في الكرة



وهذه صورة الدب الاصغر على ما ترى في السماء



صورة الكواكب      لابي الحسين الصوفي

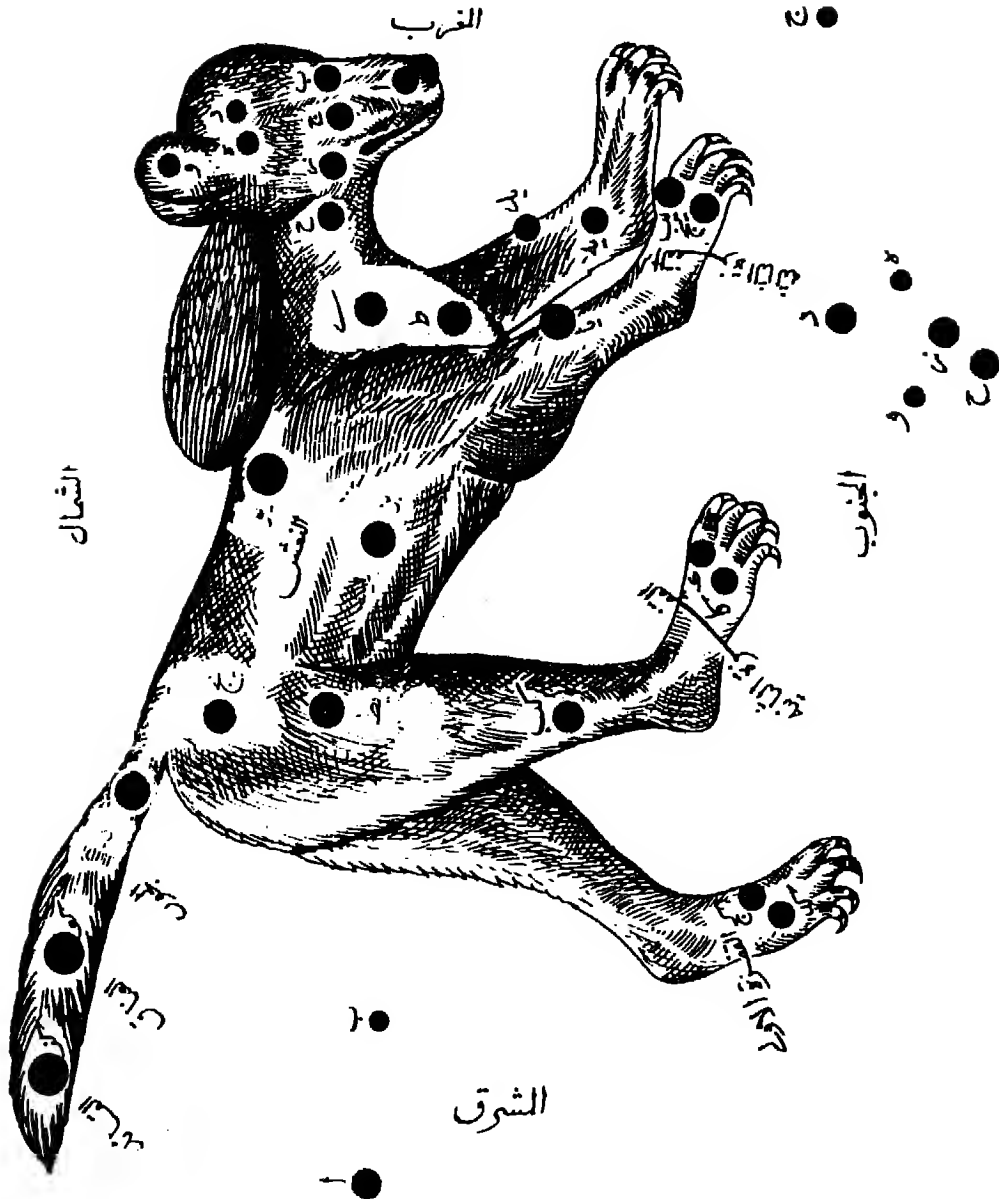
# صورة الذب الاكبر على ما ترى في الكثرة



لابي الحسين الصوفي

صوم الكواكب

# صوتع اللب الأكبر على ما ترى في السماء



لابي الحسين الصوفي

صور الكواكب

# صورة قيقاوس على ماترى فى الكوفة المغرب





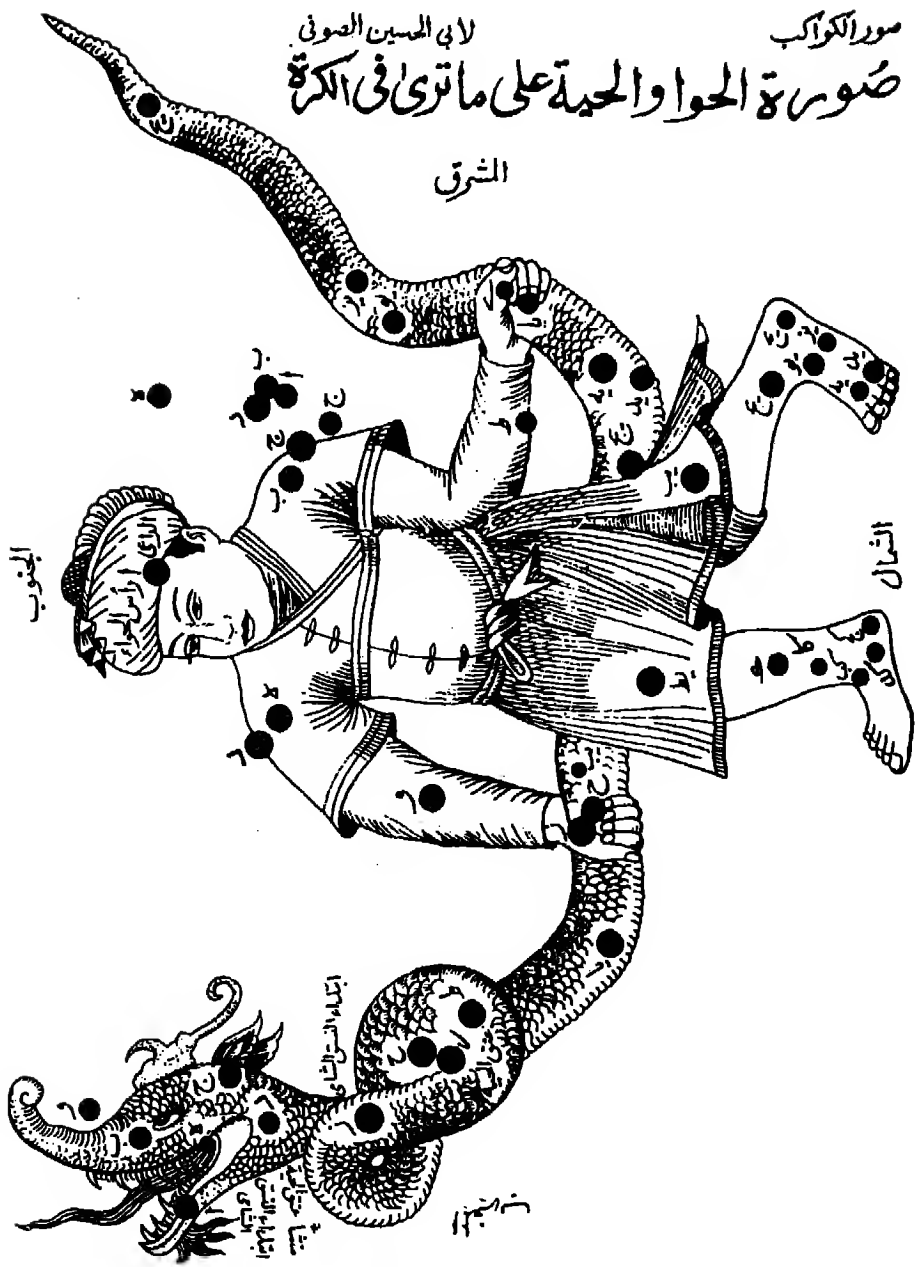
لابي الحسين الموفى

صور الكواكب

# صورة تقيتوس على ما ترى في السماء



# OPHIUCHUS AND SERPENS

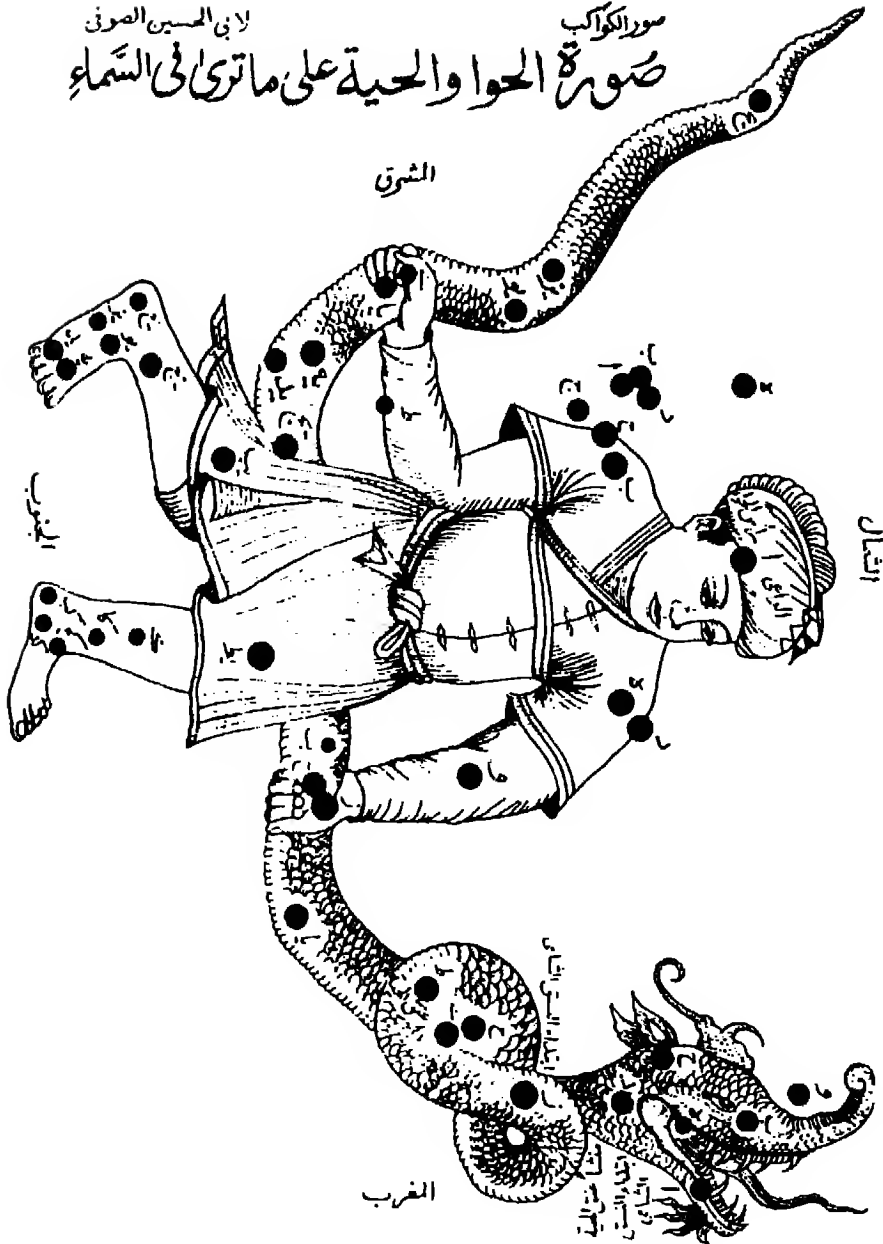


**Figs. 13 & 14.**

between pp. 103 & 104

### OPHIUCHUS AND SERPENS

صور الكواكب  
لابن الحسين الصوفي  
صورة الحوا والمحية على ما ترى في السماء



Figs. 13 & 14.  
b  
between pp. 103 & 104



## الفصل الثامن عشر ( مخطوطة جغرافية ) :

### صورة الأرض ( المسالك والممالك )

#### لابن حوقل

في مقدمة كتابه ( مُعجم البلدان ) يعدُّ لنا مؤلفه « ياقوت الحموي » الأسباب الداعية إلى الاهتمام بالجغرافيا ومواقع البلدان ، فيقول : وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَعْنِي عَنْ أَسْمَاءِ الْأَمَاكِنِ وَتَصْحِيحِهَا ، وَضَبْطِ أَصْقَاعِهَا وَتَنْقِيحِهَا ، وَالنَّاسِ فِي الْاِفْتِقَارِ إِلَى عِلْمِهَا سَوَاسِيَةً .. لِأَنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ مَا هِيَ مَوَاقِيتُ الْحِجَااجِ وَالزَّائِرِينَ ، وَمَعَالِمُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَوَاطِنُ غَزَوَاتِ سَرَايَا سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَفَتْوحِ الْأُتَمَّةِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَقَدْ فَتَحَتْ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ صِلْحًا وَعِنُوةً وَأَمَانًا وَقُوَّةً ، وَلِكُلِّ مِنْ ذَلِكَ حُكْمٌ فِي الشَّرِيعَةِ فِي قِسْمَةِ الْفِيءِ وَأَخْذِ الْجِزْيَةِ ، وَتَنَاوُلِ الْخِرَاجِ وَاجْتِنَاءِ الْمَقَاتِعَاتِ وَالْمَصَالِحَاتِ .. لَا يَسَعُ الْفُقَهَاءُ جَهْلُهَا ، وَلَا يُعْذِرُ الْأُتَمَّةُ وَالْأَمْرَاءُ إِذَا فَاتَتْهُمْ فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ ، لِأَنَّهَا مِنْ لَوَازِمِ فَتْيَا الدِّينِ وَضَوَابِطِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

وبعد ذكر الدواعي الدينية ، يورد « ياقوت » الدواعي الدنيوية المعرفة النواحي والبلدان ، فيوضِّح أهمية ذلك للمشتغلين بالتاريخ والسير والأخبار ، وللمشتغلين بالطب - لضرورة معرفة الأطباء بأمزجة البلدان وأهوائها<sup>(١)</sup> - وللمشتغلين بالأدب ونقد النصوص .. ثم يقول : وقد صنَّفَ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي أَسْمَاءِ الْأَمَاكِنِ كِتَابًا ، وَهِيَ صِنْفَانِ ، مِنْهَا مَا قُصِدَ بِتَصْنِيفِهِ ذِكْرُ الْمَدَنِ الْمَعْمُورَةِ وَالْبِلْدَانِ الْمَسْكُونَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَمِنْهَا مَا قُصِدَ بِهِ ذِكْرُ الْبُؤَادِي وَالْقَفَارِ وَأَقْتَصَرَ عَلَى مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْوَارِدَةِ فِي أَخْبَارِهِمُ وَالْأَشْعَارِ ، فَأَمَّا مَنْ قُصِدَ ذِكْرُ الْعِمْرَانِ ، فَجَمَاعَةٌ وَافِرَةٌ ، مِنْهُمْ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْحِكْمَاءِ : أَفْلَاطُونُ وَفِيثَاغُورِسُ وَبِطْلِيمُوسُ وَغَيْرُهُمْ ، وَقَدْ سَمَوْا كِتَابَهُمْ فِي ذَلِكَ

(١) كان في الطب العربي مبحثٌ مستقلٌ لعلم المناخ الطبي ودراسة الأوبئة وطرق العدوى ، ولقد تحدَّت ملامح هذا المبحث عبر مجموعة من الشروح التي دوَّنها أطباؤنا القدامى على كتاب « الأهوية والأماكن والمياه » لأبقراط ، بالإضافة إلى كم كبير من الكتب والرسائل العلمية القصيرة .

« جغرافيا » ومعناها : صورة الأرض .. وطبقة أخرى إسلاميون ، سلكوا قريبا من طريقة أولئك من ذكر البلاد والممالك ، وعينوا مسافة الطرق والممالك ، وهم : ابن خُرَدَّاذَبَة ، وأحمد بن واضح ، والجيهاني ، وابن الفقيه وأبو زيد البلخي ، وأبو إسحاق الاصطخري ، وابن حوقل ، وأبو عبد الله البشاري ، والحسن بن محمد المهلبسي ، وابن أبي عون البغدادي ، وأبو عبيد البكري .. وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب ، وهم : أبو سعيد الأصبغى ، وأبو عبيد السكوني ، والحسن بن أحمد الهمداني ، وأبو الأشعث الكندي ، وأبو سعيد السيرافي .. إلخ (١).

وفي معرض كلامه عن أهمية الجغرافيا لدى العرب ، يقول الباحث المعاصر د. حسان حلاق : بدأ العرب والمسلمون الاهتمام بالجغرافيا ووضعوا المؤلفات حولها قبل وقوفهم على كتاب بطليموس ، ذلك أن العرب قبل الإسلام كانوا من أهم التُّجَّار ، وقد جالوا مختلف المناطق والبلدان شرقا وغربا ، وكانت رحلاتهم إلى الشام واليمن في الصيف والشتاء من أهم هذه الرحلات ، ثم ازدادت تجاراتهم ومعرفتهم بالجغرافيا بسبب فتوحاتهم بعد الإسلام ، وفي هذا المجال لا بد من التأكيد على أن الجغرافيا لم تكن مرتبطة بالتجارة والفتوحات فحسب ، بل كانت مرتبطة بعلم الفلك الذي برع فيه العرب والمسلمون ، ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى نشوء علم الجغرافيا عند المسلمين : الحج - الرحلة في طلب العلم - حاجة الدولة إلى معرفة طرق الأقاليم - السفارات السياسية - الجغرافيا الإدارية لاستغلال ثروات البلدان المفتوحة (٢). وهكذا اجتمعت للعرب المسلمين من البواعث القوية ، ما جعلهم يهتمون بالبحث الجغرافي واستشراف أرجاء المعمورة واستكشاف مواقع البلدان التي تشكل في مجموعها (العالم الإسلامي) ولم يكن هناك ، آنذاك ، فواصل حدودية بين ديار الإسلام ، ولم يكن الانتقال من بلد إسلامي لآخر يستلزم تأشيرة دخول ، أو جواز سفر ، أو كفيل !

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان (دار صادر - بيروت ١/٨ ، ٩) .

(٢) د/ حسان حلاق : تاريخ العلوم عند العرب (مع د/ ماهر عبد القادر) ص ٢٥٠ .

وعن الإسهامات العربية في الجغرافيا ، نعود للدكتور حسّان حلاق حيث يقول : لهذه الأسباب كثرت الرحلات الجغرافية عند العرب ، وتنوعت بتنوع أسبابها وظروفها السياسية والاقتصادية والعسكرية والدينية ، كما نشأ عند كثيرين منهم حبُّ الرحلة والمجازفة فيها وراء البحار ، حتى يُظن أن من العرب مَنْ وصل إلى أمريكا قبل أن يكتشفها « كريستوف كولبس » وأن في قصة ( الفتية المغررين ) من شباب لشبونة - وهي القصة التي رواها الإدريسي في كتابه : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ما يشير إلى ذلك ، فقد توغلوا في المحيط الأطلسي ، بحر الظلمات ، إلى مسيرة شهرين من بلادهم ، وقد شاهدوا جزائر ومناطق وشعوبًا غريبة ، ثم إنه ليس من المصادفة أن يكون الرحّالة العربي « ابن ماجد » رائد ودليل « فاسكو دي جاما » في اقتحامه بحر الهند من الرجاء الصالح ، ولا بد من الإشارة إلى أن الجغرافيا الإسلامية تنوعت وتعدّدت إلى : رحلات جغرافية - رحلات بحرية - رحلات في الأمم والبلدان (١) .. وقد أفادنا الجغرافيون المسلمون ، بالإضافة إلى المعلومات الجغرافية ، الكثير من المعلومات التاريخية والاقتصادية والأنثروبولوجية لدى مختلف الشعوب والبلدان ، اعتمادا على المشاهدة والتجربة والاختلاط بالشعوب والقبائل .. ومن يطلع على المصنفات الجغرافية الإسلامية يدرك هذه الأمور (٢).



- (١) بخصوص الرحلات العربية الإسلامية وأثرها في تطور الجغرافيا ، انظر :
- د. حسين محمد فهيم : أدب الرحلات ( سلسلة عالم المعرفة ).
  - أحمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ( دار البيان - جدة ).
  - د. حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته ( دار المعارف - القاهرة ).
  - د. صلاح الدين الشامي : الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ( منشأة المعارف - الإسكندرية ).
  - علي مال اللطيف : أدب الرحلات عند العرب في المشرق ( مطبعة الإرشاد - ببغداد ).
  - محمد الخضر حسين : الرحلات ( المطبعة التعاونية - بيروت ).
  - نازك سبابيارد : الرحالون العرب ( مؤسسة نوفل - بيروت ).
  - ناجي نجيب : الرحلة إلى الغرب والرحلة إلى الشرق ( دار الحكمة - بيروت ).
- (٢) د. حسان حلاق : تاريخ العلوم ص ٢٥١ .

- والمصنفات الجغرافية في التراث العربى الإسلامى كثيرة ، وقد نال بعضها شهرة كبيرة وترجم إلى اللغات الأوروبية ، ومن أهم هذه المصنفات (١) :
- ١- كتاب البلدان ؛ لأبى العباس يعقوبى ، المتوفى ٢٨٤ هجرية .
  - ٢- المسالك والممالك ؛ لأبى القاسم عبد الله بن أحمد المعروف بابن خُزْدَاذْبَه ، المتوفى ٣٠٠ هجرية .
  - ٣- صفة جزيرة العرب ؛ لابن الحائك الهمدانى ، المتوفى ٣٣٤ هجرية .
  - ٤- مروج الذهب ومعادن الجواهر ؛ لأبى الحسن المسعودى ، المتوفى ٣٤٦ هجرية .
  - ٥- المسالك والممالك ، لإبراهيم بن محمد الفارسى الكرخى المعروف بالاصطخرى ، المتوفى فى حدود ٣٧٥ هجرية .
  - ٦ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ؛ لشمس الدين محمد بن أحمد البشارى المعروف بالمقدسى ، المتوفى بعد سنة ٣٧٥ هجرية .
  - ٧ - كتاب البلدان لابن الفقيه ؛ اختصره على بن حسن الشَّيزرى ، المتوفى ٤١٣ هجرية .
  - ٨ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ؛ لأبى عبيد الله البكرى ، المتوفى ٤٨٧ هجرية .
  - ٩ - كتاب الجبال والأمكنة والمياه ؛ لجار الله الزمخشرى ، المتوفى ٥٣٨ هجرية .
  - ١٠- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ؛ لأبى عبد الله الإدريسى ، المتوفى ٥٥٦ هجرية .
  - ١١- تذكرة الأخبار فى اتفاقات الأسفار ( رحلة ابن جبیر ) لابن جبیر الأندلسى ، المتوفى ٦١٤ هجرية .
  - ١٢- معجم البلدان ؛ لأبى عبد الله ياقوت الحموى ، المتوفى ٦٢٦ هجرية .
  - ١٣- الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ؛ لموفق الدين عبد اللطيف البغدادى ، المتوفى ٦٢٩ هجرية (٢) .

(١) لا تزال بعض هذه المؤلفات فى نسخها الخطية ، ولم تنشر بعد .. ومعظمها نشر بدون تحقيق .  
(٢) هذا الكتاب - المنشور عدة مرات - هو جزءٌ مختصر من كتاب كبير ، مفقود ، للبغدادى .



- ١٤- آثار البلاد وأخبار العباد ؛ لزكريا بن محمد القزويني ، المتوفى ٦٨٢ هجرية .
- ١٥- تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ( رحلة ابن بطوطة ) لشمس الدين محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ، المتوفى ٧٠٣ هجرية .
- ١٦- مناهج الفِكر ومباهج العِبَر ؛ لمحمد بن إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط المتوفى ٧١٨ هجرية<sup>(١)</sup> .
- ١٧- نُخبة الدهر في عجائب البر والبحر ؛ لشمس الدين محمد بن أبي طالب الصوفي الأنصاري الدمشقي المتوفى ٧٢٧ هجرية .
- ١٨- تقويم البلدان ؛ لأبي الفداء إسماعيل بن علي المتوفى ٧٤٢ المتوفى هجرية .
- ١٩- الانتصار لواسطة عقْد الأمصار ، لإبراهيم بن محمد بن أيْدُمُر العلاني المعروف بابن دُقْماق ، المتوفى ٨٠٩ هجرية .
- ٢٠- التحفة السنيّة بأسماء البلاد المصرية ؛ لشرف الدين يحيى بن المعتز المعروف بالجَيْعَان ، المتوفى ٨٨٥ هجرية<sup>(٢)</sup> .
- وبالإضافة إلى هذه المؤلفات الجغرافية الشهيرة ، فلدينا - أيضاً - كتاب ابن حَوْقَل .



لم تعطنا المصادر التاريخية العربية ، ولا الدراسات الاستشراقية ، الكثير من المعلومات عن شخصية ابن حَوْقَل ، رغم شهرة كتابه ؛ وكل ما جاء عنه في « دائرة المعارف الإسلامية » هو: « أبو القاسم محمد بن حَوْقَل ، لا نعرف عن حياته إلا القليل وهو يذكر عن نفسه أنه ترك

(١) يقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات مخطوطة ، لم ينشر منها سوى جزء يسير !

(٢) الملاحظ أنه بعد هذا التاريخ ، كادت الأعمال الجغرافية العربية تختفي تماماً ، وما نجده منها بعد ذلك هو اختصار وترديد لما سبق ، وذلك يتزامن مع انحسار الحضارة الإسلامية ونشاط الأوروبيين في تأسيس حضارتهم المعاصرة ، وهو التأسيس الذي اقترن بالكشوف الجغرافية .. والملاحظ - أيضاً - أن فجر النهضة العربية الإسلامية المعاصرة اقترن برحلتين : تخلص الإبريز للطهطاوي ، أقوم المسالك لخير الدين التونسي .

صورة الأرض ( المسالك والممالك )

بغداد في رمضان عام ٣٣١ هـ ( مايو ٩٤٣ م ) بقصد دراسة البلاد والشعوب ،  
وبقصد الكسب عن طريق التجارة ، فجاب العالم الإسلامى من المشرق إلى المغرب ،  
وكان يدرس في الوقت نفسه ، بشغف ، مؤلفات السابغين كالجعانى وابن خرداذبغ  
وقدامة ، ويحتمل أن يكون قد لقى في رحلاته ، حوالى ٣٤٠ هجرية ، الاصطخرى الذى  
طلب إليه أن يهذب بعض خرائطه الجغرافية وأن يراجع كتابه ، فعزم ابن حوقل  
على تدوين الكتاب من جديد ، فأتمه واضعاً اسمه عليه ، ولم يكن ذلك قبل  
سنة ٣٦٧ هجرية .

ولا تضيف المصادر إلى ما سبق إلا أقل القليل ، كالإشارة إلى أن ابن حوقل أصله من  
مدينة « نصيبين » بالجزيرة ، وأنه اشتغل في بداية حياته بالتجارة .. ومع هذا فقد نال كتاب ابن  
حوقل شهرة عظيمة ، وربما تكون شهرة الكتاب قد حجبت الكاتب ! .

\* \* \*

تحمل مخطوطات كتاب ابن حوقل عنوانين ، فأحياناً يُشار إليه على أنه ( كتاب صورة  
الأرض ) وأحياناً تحمل المخطوطة عنوان ( كتاب المسالك والممالك ) .. وتلك حالة غير فريدة  
في المؤلفات العربية ، فالكثير منها يحمل عنوانين .

وقد سار ابن حوقل في الكتاب على طريقة الجغرافيين العرب السابقين عليه ، وكان  
أكثرهم أثراً فيه هو معاصره « الاصطخرى » صاحب كتاب ( المسالك والممالك ، ولكن ابن  
حوقل تميّز بالعرض التفصيلى لكل البلدان والمدن الإسلامية في عصره ، فابتدأ بالجزيرة العربية  
ثم ذكر فارس - إيران - والشام ومصر والمغرب . وهو يخوض في ذكر التفاصيل الخاصة بأهل  
البلاد وأنهارها وطرقها وجبالها ، وغير ذلك .. ويقول الدكتور حسّان حلاق : « يعد كتاب ابن  
حوقل أوفى الكتب المدرسة الجغرافية الكلاسيكية - القديمة - بشئون المغرب والأندلس ، فهو  
يعطى صورة من أدق الصور للأندلس في العصر الأموى ، ويورد معلومات وافية عن الحياة

الاجتماعية والاقتصادية في تلك الديار ، ويبين المحصولات المصدرة منها إلى المغرب ومصر ، ويتحدث عن تجارة الرقيق الأوروبي التي كان يقوم بها تجار متفرغون لها<sup>(١)</sup> !

\* \* \*

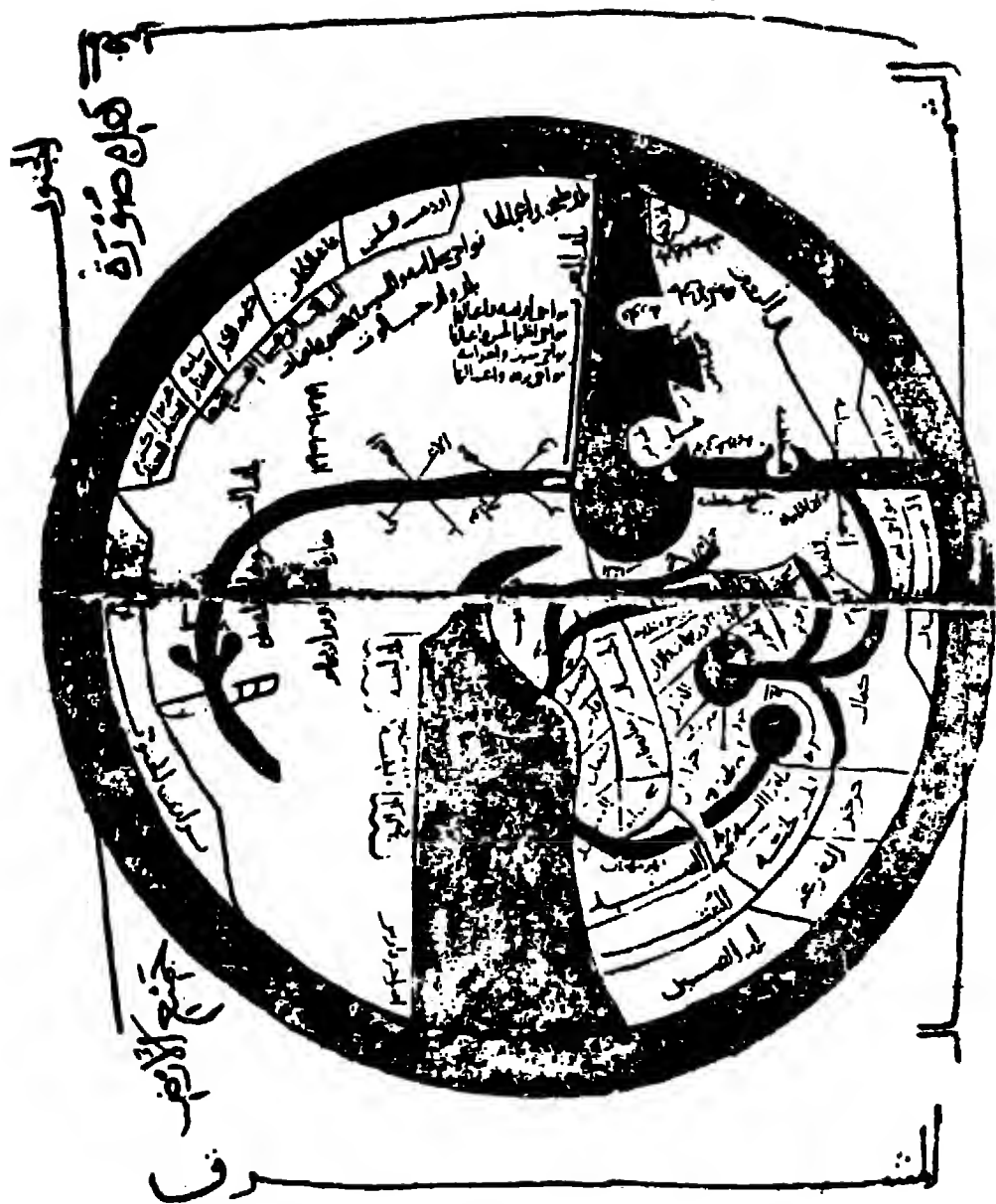
وأفضل مخطوطات كتاب ابن حوقل ، هي النسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول .. وهي نسخة - دون شك - جلبها العثمانيون أيام سلطان دولتهم من إحدى العواصم العربية الكبرى ، كالقاهرة ودمشق وبغداد ، إذ أنها تحمل تاريخ النسخ سنة ٤٧٩ هجرية ، أي قبل قيام الدولة العثمانية بقرون . والمعروف ، أن معظم ذخائر المخطوطات في مكتبات تركيا الحالية ، ومكتبات أوروبا أيضاً ، هي نتاج للنهب والسطو اللذين تعرضت لهما البلاد العربية طيلة القرون الماضية وهي تزرع تحت سلطان العثمانيين ومن بعدهم الاستعمار الأوروبي .

وكان كتاب ابن حوقل قد ترجم إلى الإنجليزية - قبل طبعه بالعربية ! - وصدرت الترجمة الإنجليزية في لندن سنة ١٨٠٠ ميلادية .. ثم تُرجم الجزء الخاص إلى الفرنسية - قبل طبعه بالعربية أيضاً ! - وطبع في باريس سنة ١٨٤٢ ، كما ترجم الجزء الخاص بمدينة باليرمو إلى الفرنسية وطبع بباريس سنة ١٨٤٥ .

أما النص العربي ، فقد نشره « دى غويه » أولاً ، ثم أعاد المستشرق « كرامرز » نشره في ليدن سنة ١٩٣٨ معتمداً على مخطوطة أحمد الثالث التي أشرنا إليها .. وكل ما فعله العرب المعاصرون حول هذا الكتاب ، هو أن مكتبة بيروت نشرت طبعة كرامرز - وبالأحرى : سبط عليها - وأصدرت الكتاب في مجلد واحد سنة ١٩٧٩ .

ولعل جغرافياً عربياً معاصراً ، يكون على صلة بتراث أجداده ، يتفرغ قليلاً لتحقيق كتاب ابن حوقل - بعد كل هذه الترجمات والنشرات الغربية - فتكون لدينا طبعة عربية محققة من هذا الكتاب المهم ، مع دراسة جادة لقدرة الإسهام العربي في تاريخ الجغرافيا .. لعل وعسى !

(١) تاريخ العلوم عن العرب (مرجع سابق) ص ٣٥٣ .



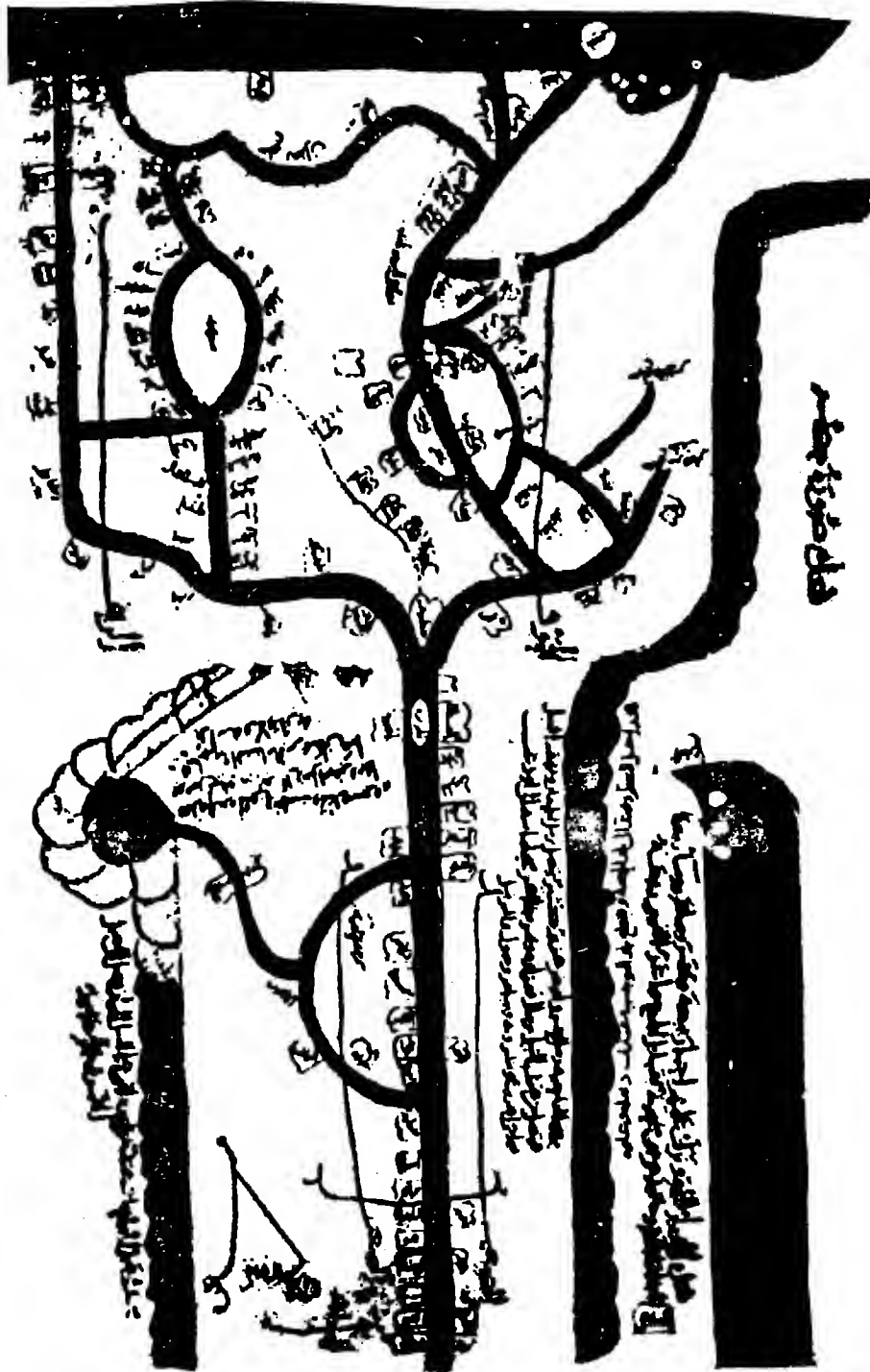
صورة جميع الأرض

مخطوطة مكتبة أحمد الثالث

بالرباط رقم ٣٣٤٦



خريطة الشام في المخطوطة



خريطة مصر في المخطوطة

## الفصل التاسع عشر ( مخطوطة أدبية ) :

### عُقُود اللآل في الموشحات والأزجال

#### للنَّوَّاجِسي

يقول السخاوي عن مؤلف هذه المخطوطة<sup>(١)</sup>: محمد بن حسن بن علي بن عثمان ، الشمس النَّوَّاجِسي - نسبة لنَّوَّاجٍ بالغربية بالقرب من المحلة - القاهري الشافعي ، شاعرٌ الوقت، ويعرف بالنَّوَّاجِسي . ولد بالقاهرة بعد سنة ٧٨٥ هجرية - تقريبًا - ونشأ بزواوية الأبناسي ، فحفظ القرآن والعمدة<sup>(٢)</sup> والتنبيه<sup>(٣)</sup> والألفية<sup>(٤)</sup> والشاطبية<sup>(٥)</sup> .. وحجَّ مرتين ، وحكى - كما أورده في منسكه الذي سماه « الغيث المنهمر فيما يفعله الحاج والمعتمر » - أنه رأى شخصاً من أعيان القضاة الشافعية بالديار المصرية ، أراق دمًا على جبل عرفات ، فقال له: « ما هذا » فقال: « دم تمتع » فقال: « إنه غير مجزىء هنا » قال: « ولم ؟ » قال: « لأن شرطه أن يذبح في أرض الحرم وعرفات ليست من الحرم » فقال كالمنكر عليه: « إذا لم تكن عرفات من الحرم فما بقي في الدنيا حرم !! » .

ودخل دمياط والإسكندرية ، وتردَّد للمحلة وغيرها ، وأمعن النظر في علوم الأدب حتى فاق أهل عصره .. وكان متقدِّمًا في اللغة العربية وفنون الأدب ، مشاركًا في غيرها ، حَسَنَ الخط جَيِّدَ الضبط مُتَمَنِّنَ الفوائد عُمدة فيما بقيده أو يفيد به بخطه . وعمل كتابًا سماه: « الحُجَّة في سرقات ابن حِجَّة » وربما أنشأ الشيء مما نظمه ابن حِجَّة وعزاه لبعض مَنْ سبقه ! وقد

(١) السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ( مكتبة الحياة - بيروت ) ٧ / ٢٢٩ وما بعدها ، وقد تتلمذ

السخاوي على النَّوَّاجِسي في الحديث والأدب بالمدرسة الجمالية .

(٢) لعلمه يقصد كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني .

(٣) يقصد كتاب ( التنبيه في فقه الشافعية ) للشيرازي .

(٤) هي أرجوزة ابن مالك في النحو ، وتقع في ألف بيت .

(٥) أرجوزة في علم القراءات ، للشاطبي .

جُوزى على ذلك بعد دهر ، فإن بعض الشعراء صَنَّف كتابًا سماه « قُبْح الأهاجى فى النواجى » جمع فيه هجو مَنْ ذَبَّ ودرج حتى من لم ينظم من قبل ذلك ، وأوصله إلى النواجى بطريقة ظريفة ، فقد دفعه إلى ( دَلَال ) بسوق الكتب ، وهو جالس على عادته عند بعض التجار ، فدار به الدلائل على أرباب الحوانيت حتى وصل إليه ، فأخذه وتأمله وعلم مضمونه ، ثم أعاده إلى الدلائل ، وحينئذ استرجع من الدلائل ، فكاد النواجى يهلك امات فى جمادى الأولى سنة ٨٥٩ هجرية ، ومن نظمه .. فى قصيدة نبوية :

يَا مَنْ حَدِيثُ غَرَامِي فِي مَحَبَّتِهِمْ      مُسَلَّسٌ وَفُؤَادِي مِنْهُ مَعْلُومٌ  
رَوَّثَ جُفُونَكُمْ أَنِّي قُبَلْتُ بِهَا      فَيَا لَيْتَ خَيْرًا يَرْوِيهِ مَكْحُولٌ (١)

\* \* \*

وللنواجى مجموعة كبيرة من المؤلفات ، طُبِع منها « حلبة الكميت » ولا تزال بقيتها مخطوطة ، فمنها : صحائف الحَسَنَات فى وصف الحال - الأصول الجامعة لحكم حرف المضارعة - المطالع الشمسية فى المدائح النبوية - الشفا فى بديع الاكتفا فى مديح المصطفى - خلع العذار فى وصف العذار - مراتع الغزلان فى وصف الحسان من الغلمان - ديوان شعر غزلى .. وله مجموعة من الشروح والخواشى على كتب الفقه والعروض .

(١) يستخدم النواجى هنا مصطلحات علم الحديث النبوى ، فيورد من هذه المصطلحات : الحديث ، مسلسل ، معلول ، رواية ، خبر ( راجع دلالة هذه الألفاظ فى كتابنا : المختصر فى علم أصول الحديث ، لابن النفيس - الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩١ ) وفى الحقيقة فإن النواجى لم يكن مبتكراً فى هذا الأمر ، فقد شاع فى عصره تضمين الشعراء لمصطلحات علم الحديث ، يقول عبد الكريم الجليل ( المتوفى سنة ٨٢٦ هجرية ) فى قصيدة له :

بُلِّغَ حَدِيثاً قَدْ رَوْتَهُ مَدَامَعِي      إِذْ عَنَعْتَهُ مَسَلْسَلاً فَيُضَانَهُ  
أَسْنَدٌ لَهُمْ ضَعْفَى وَمَا قَدْ صَحَّ مِنْ      مَتَوَاتِرِ الْخَبْرِ الَّذِي جَرِيَانَهُ  
يَرْوِيهِ عَنْ عِبْرَاتِهِ عَنْ مَقَلَّتِي      عَنْ أَضْلَعِي عَمَّا رَوْتَ نِيرَانَهُ  
عَنْ مَهْجَتِي عَنْ شَجْوَاهَا عَنْ خَاطِرِي      عَنْ عَشْقِهِ عَمَّا حَوَاهُ جِنَانَهُ  
عَنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ عَنِ الْهُرَى      عَمَّنْ هُوَ رُوْحِي وَهَمَّ سَكَانَهُ



والأمر العجيب في مؤلفات النواجي ، هو أن المطبوع منها هو أكثرها ابتداءً بيننا مؤلفاته القيمة لم تنزل مخطوطة ا وعن الكتاب المطبوع ، يقول لنا السخاوي : وله كتاب « حلبة الكميت في وصف الخمر » وكان اسمه أولاً « الحبور والسرور في وصف الخمر » فانتقد عليه الخيرون جمعه ، بل حصلت له محنة بسببه ، حيث ادعى عليه من أجله ، وطلب منه ، فغيبه . واستفتى عليه الشيخ عز الدين السنباطي - البليغ المفوه - فتياً بديعة الترتيب ، قال العزبن عبد السلام المقدسي : « إنها تكاد تكون مصنفاً مستقلاً » ؛ وبالغ العز بن عبد السلام البغدادي في الحطِّ والهجوم عليه !.

\* \* \*

ويبدأ كتاب « عقود اللال » بقول النواجي : قال الفقير إلى رحمة ربه ، السراجي عفوه ومغفرته ، محمد بن حسن بن علي النواجي الشافعي ، بلغه الله سؤاله ونوِّله في الدارين مأموله . أما بعد ، حمدًا لله الذي وسَّح ذوى الفضل بحُلل الآداب ، ورشَّحهم بحُلى الفضائل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اعترف بفصاحته كل ناطق ، وأذعن لبلاغته كل قائل ، فقد جمعُ هذه الحديقة من الموشحات والأزجال ، واقتطفت من ثمار أغصانها ما هو أطيب من نشوة الشمول ، وألطف من نسمة الشمال ، قاصداً في ذلك التوسط بين الإطناب والإيجاز ، متتقياً من حُلل أبياته الغربية ما يزهو ببديع محاسنه على كل ما في دار الطراز من كل بيت يصعد نظر المتأمل إلى بديع طباقه العامرة بأنواع المحاسن ، فيسكن قلبه إلى تلك القصور الخالية من القصور .. إلخ .

ويقع مجموع « عقود اللال » في بابين ، الأول يضم نصوصاً من الموشحات المغربية والمشرقية لمؤلفين من أمثال : ابن زهر - ابن الرِّقَّاق - ابن اللبَّانة - ابن الخطيب - ابن سهَّل .. وهؤلاء من موشحي المغرب . ومن موشحي المشرق اختار النواجي نصوصاً لابن حبيب - صفى الدين الحليّ - ابن الدّهَّان - الشهاب الموصلي - سراج الدين المحَّار .. وغيرهم .

ومن لطائف الموشحات الواردة في « عقود اللال » موشحة صدر الدين بن الوكيل التي

تقول :

غَدَا مُنَادِينَا      مُحْكَمًا فِينَا  
يَقْضَى عَلَيْنَا الْأَسَى      لَوْلَا تَأْسِينَا

وهناك موشحة فريدة لابن سناء الملك ، تقول :

أَرَى دَمْعَتِي كَالدَّمَا جَارِيَةٍ      عَلَى وَجْهَتِي فِي هَوَى جَارِيَةٍ  
فَمَنْ لِي بِخُودِ كُتُوبِ رِدَاحٍ      سَبَّحْتِي بِوَجْهِهِ كُنُورِ الصُّبْحِ  
يُقْرِقُ وَجْوهَ الْغَوَانِي الصُّبْحِ      مَلِيكَةُ كُلِّ الْحِسَانِ الْمَلَّاحِ  
سَعَادَ لَهَا تَحْمَلُ الْغَاشِيَةَ      وَهِيَ كِنُ جُمَّلَةِ الْحَاشِيَةِ!

والباب الثاني ( في الأزجال ) وفيه متخبات كثيرة لأزجالين من المغرب والمشرق ، أمثال :  
ابن قزمان - ابن النبيه - ابن حجة - الغباري - الزيني الخراط - ابن مكناس .. بالإضافة إلى  
أزجال النواجي نفسه .

ومما أورده النواجي من أزجال ابن حجة ، قوله :

حُبِّي وَاصِلٌ نَادِيْتُ لَوْ      حِينَ رَأَى يُفَاصِلُ  
لَا تُقَاطِعُ بِالْحَزْمَةِ      يَحُوبُ وَاصِلُ

ويبدو أن ثمة خلافاً وقع بين النواجي وابن حجة - صاحب هذه الزجلية - إذ يصدرها  
النواجي بعبارة ساخرة تقول: « قال أبو بكر بن حجة ، بيّض الله ذقنه !! » وقد مرّ علينا أن  
للنواجي كتاباً في سرقات ابن حجة افترى فيه المؤلف على ابن حجة ، وجوزى على افترائه .. كما  
حكى لنا السخاوي .

للنواجي

وقد انتهى النواجي من تدوين مجموع « عقود اللال » سنة ٨٦٨ هجرية ، وهناك مخطوطة من الكتاب بمكتبة دير الأسكوريال بأسبانيا ، مؤرخة بهذا التاريخ ، وفي آخرها إشارة إلى أنها منقولة من نسخة المؤلف .. بالإضافة إلى نسخة أخرى - ناقصة من آخرها - محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧١٠٠ / أدب .

\* \* \*

وفي بغداد ، سنة ١٩٨٢ ، نشر عبد اللطيف الشهابي مخطوطة « عقود اللال » وقدم لها بمقدمة موجزة ، لكن هذه النشرة يعيها أمور ، أولها أن المحقق لم يعتمد إلا على نسخة الأسكوريال وأغفل نسخة القاهرة تماماً ، وثانيها - وهو الأخطر - أن صاحب هذه النشرة حذف بعض النصوص التي استعصت عليه ، دون أدنى إشارة لوجودها في الأصل المخطوط ، ونظراً لأنه لم يعتمد على نسخة القاهرة ، ولم يُشر إليها ، فقد وقع في أخطاء كثيرة وقراءات بعيدة عن الصواب ، وأورد العديد من النصوص مبتوراً أو منسوباً لغير صاحبه ، وكان من الممكن تلافي ذلك كله ، بالمقابلة بين النسختين ومراجعة النصوص على اللهجات العامية في المغرب والمشرق العربي ، وكل ما سبق ، يعني أن المخطوطة - مع بقية مؤلفات النواجي - لا تزال بحاجة إلى نشرة محققة وفقاً لأسس علمية سليمة .



# عقود اللال والموتجات

تصنيف العلامة شمس الدين محمد بن حسن

ابن علي بن محمد بن علي السافعي  
وجبر الله امين

هذا الكتاب هو من تصنيف العلامة شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن محمد بن علي السافعي وهو من علماء الفقه والحديث المشهورين في بلادنا العربية وله من المؤلفات كتاب عقود اللال وكتاب الموتجات وغير ذلك من الكتب النافعة التي لا يخفى على من تصفحها من فوائدها العظيمة والبركات العظيمة التي لا تحصى والحمد لله رب العالمين

ويذكر في هذا الكتاب  
البركات العظيمة  
والفوائد العظيمة  
والبركات العظيمة  
والفوائد العظيمة

تقولون من وطء النساء خفي العين فقلبت دعواتهم وذا من بين  
اذا كان شفر العين دون كحلها نندبنا الاشفاد خبير العين

بؤرحي ندمت ليسه الزواج انه قفي العمد بالذات وهو خبير  
تذكر منوج الطاهر عند وفاته فاروى نوح بلا اسلث وهو كشاف  
سلبت عاصمك الغزان بعقابتين حتى تجزي به نل فيزيكلا  
ثلا جيلوم وكان في نفسا بزم دغذاقه يقر

ما يلوي عز شمع حالي كيف حاب الضعفاء  
وقفتها كاجل حسيقراء

« عقود اللال » صفحة العنوان

مخطوطة الأسكوريال رقم ٤٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم وبه تقضى  
 تياتي الفيرالي دحة ربه والراجي عفوه  
 وبغفرته محمد بن حسن بن علي النواجي الشافعي بركة  
 الله سؤلة ونوله في الدارين ماسوله  
 حمد الله الذي وشخ ذوي البلاغة بحلل الاداب  
 ورشتم بحلي الفضائل والملاذ السلا على سيدنا  
 محمد الذي اعترف بفضاحته كل ناظن وادعن لبلاغته  
 كل تايل قد جعت هذه اليد بقة في الموشحات  
 والازجال واقتطفت من ثمار اغصانها ما هو الهيب  
 من نشوه الشموك والطف من نمة الشام قاصدا  
 في ذلك التوسط بين الاطناب والابحار متنقيا  
 من حلال ابياته الغريبة ما يزهو ابداع محاسنه علي  
 كل ما في دار المران من كل بيت يصعد نظر المناهل  
 الي بديع طباقه العاسرة بالوزاع المحاسن فيمكن  
 قلبه الي تلك القمورة الخالية من القصور ويتوصل من خزانة  
 المأخذ

الورقة الأولى من المخطوطة

فشمري قوس و جاربه ووصيف و هميلك يكون خطاي جيد  
 قلت بني في عشقتك ملوك وانا الاعبدك يا سيد السمراء  
 وادي عيسى في خدتك جاربه وادي طهري قوس منحنى لوتر  
 قلت تعبير افضى فرح في التاج قال لي ذاك اسمي من اللوح الحفيه  
 قلت فاشبع وجوه قالدني وجمي احسن منهم بلا تشبيه  
 قلت لو فالمنيه قناداني انا منيه قلبك وما تشبيهه  
 قلت لو في خليجتنا الزعفران قال لي ذاهم من السهر والغيره  
 قلت كمبر للقره الحيه قال لي تطلب قمر ووجهي فخر

واذا دعوتك فممن فانه نسيت يريدي عند هز فبلا  
 واذا دعوتك يا اخي فانه ادني واقرب خلة و منلا  
 مع سمعي قوسى معده الرصالي بعد كخط وقته  
 في مدى عصم لم لها الرعااد بها وكان سمع

## الفصل العشرون ( مخطوطة فلسفة و منطق ) :

### عنوان الحق وبزهان الصدق

#### للأبهرى

يعتقد الكثيرون أن العلوم الفلسفية اختفت من التاريخ الثقافي العربي بعد الغزالي ( حُجَّة الإسلام ، أبى حامد المتوفى ٥٠٥ هجرية ) نظراً للنقد الشديد الذى وجهه الغزالي للفلسفة والفلاسفة فى كتابه « تهاافت الفلاسفة » .. وقد أدى ذلك كله - فى ظنهم - إلى اختفاء الفكر الفلسفى من المحيط الثقافى العربى القديم ، مما كان له أكبر الأثر فى دخول العرب عصور التخلف فى القرون التالية لوفاة الإمام الغزالي !.

لكن هذه القضية ، على اشتهار أمرها وتردها لدى الكثرة من الباحثين فى التراث العربى لا تعدو كونها وهماً وتخيباً ، فمن المؤكد أن الغزالي انتقد الفلسفة ، ومن بعده انتقد ابن الصلاح وابن تيمية المنطق ، لكن المؤكد أيضاً ، أن الفلسفة والمنطق ظلّا يتخذان موقعهما المهم فى التاريخ الثقافى العربى رغم هذا النقد ، وتوالت جهود الفلاسفة والمناطقة بأقوى مما كانت قبل الغزالي ! أما دخول العرب إلى عصر التخلف الحضارى ، فكان لأسباب أخرى - سياسية واقتصادية - ليس هذا مجال الخوض فيها <sup>(١)</sup> ؛ فإن ما يهمنى الآن هو الوقوف عند شهادة تؤكد بقاء البحث المنطقى والفلسفى العربى بعد الغزالي بأكثر من قرن ونصف من الزمان ، وذلك من خلال مخطوطة « عنوان الحق » لأثير الدين الأبهري <sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) راجع ما كتبناه فى ذلك بجريدة الأهرام ، تحت عنوان : الأحكام الإطلاقيه ( يوم ٢٠ / ١١ / ١٩٩٢ ) وتحت عنوان : الفلسفة بعد الغزالي ( يوم ٢٧ / ١١ / ١٩٩٢ ) ففيه تفاصيل هذه المسألة .  
(٢) انظر - أيضاً - الفصل الأخير من هذا الكتاب ، حيث نعرض لمخطوطة ابن النفيس : الوريقات فى المنطق .

ولد أثير الدين الأبهري (المفضل بن عمر بن المفضل) ببلدة صغيرة تقع في منتصف الطريق بين قزوين وزنجان، هي قرية «أبهر» التي انتسب إليها، وكان مولده - على أرجح الأقوال - سنة ٦٠٠ هجرية<sup>(١)</sup>.

وقد اتصل الأبهري بأعلام عصره، فتلمذ على فخر الدين الرازي وكمال الدين بن يونس وغيرهما - ثم صار له تلامذة مشهورون من أمثال المؤرخ ابن خلكان.. ويبدو أن اتصالا كان بينه وبين أبرز علماء المشرق آنذاك: نصير الدين الطوسي، وقد انتقد الطوسي كتاب الأبهري (تنزيل الأفكار في تعديل الأسرار) ووصف مؤلفه - الأبهري - في مقدمة النقد بالفاضل.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الأثير الأبهري نشأ بالموصل، ثم ارتحل منها سنة ٦٢٦ هجرية إلى «إربل» حيث جلس للتدريس. وفي «إربل» يحكى ابن خلكان عن شيخه ما يلي: كنت أشتغل عليه بشيء من الخلاف (= الجدل والمنطق واختلاف الفقهاء) فبينما أنا يوماً عنده، إذ دخل عليه أحد فقهاء بغداد، فسأله الأبهري عن شيخه ابن يونس ومكانته عند أهل بغداد وحكامها، فقال له الرجل: ما أنصفوه على قدر استحقاقه، فقال الأثير الأبهري: والله ما دخل بغداد مثل الشيخ ابن يونس! فاستعظمتنا منه هذا الكلام.. وكان الأثير على جلالته قدره في العلوم، يأخذ الكتاب ويجلس متلمذاً على يدي كمال الدين بن يونس فيقرأ عليه، والناس يوم ذاك يشتغلون في تصانيف الأثير، ولقد شاهدت ذلك بعيني وحكى لي بعض الفقهاء أنه سأل الشيخ ابن يونس عن الأثير ومنزلته في العلوم، فقال الشيخ: لا أعلم! فقال له: كيف هذا يا مولانا وهو في خدمتك منذ سنين ويشغل عليك؟ قال ابن يونس: لأنني مهما قلت له شيئاً، تلقاه بالقبول قائلاً: «نعم يا مولانا» وما جاذبني في مبحث قط حتى أعلم حقيقة فضله!.. ولا شك أنه كان يتعمد هذا تأديباً مع الشيخ، وكان دوماً يقول: ما تركتُ بلادى وقصدت الموصل إلا للاشتغال على الشيخ كمال الدين بن يونس<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر ترجمة الأبهري وأخباره وكتبه، في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣١٣/٥ - الواقي بالوفيات للصفدي ٥٥/٢٦ - تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٤٤٥ - الأعلام للزركلي ٧/٢٧٩ - معجم المؤلفين

Brockelmann .. 1, 839 - ٣١٥/١٢

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس (دار صادر، بيروت) ٣١٣/٥.



وتوفى أثير الدين الأبهري سنة ٦٦٣ هجرية ، بعدما اشتهر في عصره كواحد من كبار الحكماء والمناطقية والمشتغلين بعلم الفلك .. وقد ترك في هذا التخصصات العلمية عدة مؤلفات أشهرها : شرح إيساغوجي . وكتاب « إيساغوجي » عبارة عن مقدمة عامة في المنطق ، وضعها الفيلسوف الشهير ( فرفور يوس الصوري ) أشهر تلاميذ الفيلسوف السكندري الكبير ( أفلوطين ) وجامع ترائه ، فقد عمد فرفور يوس بعد أن جمع مقالات أفلوطين ووضعها في شكل « التاسوعات » ، إلى كتب أرسطو المنطقية وصاغ لها مقدمته المشهورة باسم « إيساغوجي » أو « المدخل إلى المنطق » وهي الرسالة التي ترجمها العرب واهتموا بدراساتها اهتمامًا كبيرًا ، ونالت من الشروح العربية قدرًا لا حصر له . ومن تلك الشروح ، شرح الأبهري الذي جعله بمثابة تلخيص عام لكل المباحث المنطقية .

ولللأبهري أيضا كتاب منطقي بعنوان « تنزيل الأفكار في تعديد الأسرار » وله في الفلسفة كتاب « هداية الحكمة » وفي الفلك « درايات الأفلاك » و « الزيج الشامل » .



أما مخطوطة « عنوان الحق وبرهان الصدق » فهي كتاب في الحكمة بمعناها العام ، يقع في ثلاثة أجزاء .. يقول الأبهري في مقدمته : « أما بعد ، فهذا تلخيص في الحكمة حررته لإخواننا في الدين ورفقاتنا في طلب الصدق واليقين ، ولكل من خصه واهب العقل بنفيس زكية وهمة عالية يطلب بها الحق من حيث هو هو ، وأوردت فيه الدقائق التي استخرجتها من القوة إلى الفعل على سبيل الإيجاز » .

وبعد المقدمة يدخل الأبهري إلى القسم الأول من الكتاب ، وهو القسم المخصص للمنطق ، وذلك باعتبار المنطق هو المدخل الطبيعي لأي معرفة ، فنراه يقول تحت عنوان « القول في المنطق » ما نصه : هو آلة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر ، أعنى ترتيب تصورات أو تصديقات ليتأدى منها إلى تصور أو تصديق ، والتصور هو حصول صورة الشيء

في العقل ، والتصديق هو الحكم على الشيء إما بنفى أو إثبات ، والموصل إلى التصور يسمى قولاً شارحاً .

ثم يقول الأبهري في مخطوطته : « وليس المنطق بتمام أجزائه بديهيًا ، وإلا لما وقع فيه الغلط وقوعاً مستمراً ؛ ولا كسيباً ، وإلا لتوقف اكتسابه على قانون خارج عنه ، بل بعضه بديهي ، وبعضه كسيب يستفاد من القسم البديهي .. ولهذا انبعثت الداعية إلى تعلمه » .

ويتناول الأبهري بعد ذلك المباحث المنطقية المتعددة ، شارحاً المقصود من كل مبحث ، وموضحاً دلالات المصطلحات المنطقية ، ومشيراً إلى بعض آرائه الخاصة ، وقد لجأ في ذلك كله إلى أبسط العبارات وأوجز التعريفات ، ولم يعمد إلى الغموض والإيهام والغرق في التفصيلات ، حتى إن الكتاب يبدو للقارئ ، كما لو كان من تأليف أحد المعاصرين .

والقسم الثاني من المخطوطة بعنوان « القول في العلم الطبيعي » وينقسم إلى عدة مطالع ( أبواب ) كل مطلع منها يتقسم بدوره إلى فصول ، ومن خلال تلك الأبواب والفصول ، يتناول الأبهري طبيعة الأجسام والحركة وغير ذلك من الموضوعات التي كانت تدخل آنذاك ضمن مباحث علم الطبيعة أو ما نسميه اليوم بالفيزياء ، والملاحظ في هذا القسم من المخطوطة ، أن الأبهري لا يكتفى بتريده أقوال السابقين عليه من العلماء ، بل يهتم بتقرير رأيه الخاص ، ويورد الأقوال الأخرى المناقضة ويفنّدها ، لينتهي إلى صحة ما ذهب إليه .

والقسم الثالث الأخير بعنوان « القول في العلم الإلهي » وقد سار فيه الأبهري على نفس الترتيب ، مبتدئاً بالكلام عن الجواهر والأعراض ، ثم فكرتى الكم والكيف وأنواع الكيفيات ، فنراه وهو يقول : « وأما الكم فهو إما متصل وهو الذي يمكن أن تعرض له أجزاءً بينها حدٌّ مشترك ، وإما منفصل وهو الذي لا يكون كذلك وهو العدد ، والمتصل ينقسم إلى ما يمتنع ثباته ، وهو الزمان ، وإلى ما لا يمتنع ، وهو ثلاثة أقسام : الخط وهو طولٌ فقط ، والسطح وهو طولٌ وعرضٌ فقط ، والثخن وهو طولٌ وعرضٌ وعمقٌ . وأما الكيف فأقسامه أربعة ، الأول الكيفيات المختصة بالكميات كالاتقامة والانحناء والزوجية والفردية للعدد . والثاني القوة

واللافتة فهي الكيفية التي نحو الانفعال كاللين . والثالث الكيفيات النفسانية ، وهي إن كانت غير راسخة تسمى حالاً - كالكتابة في أول الأمر - وإن كانت راسخة تسمى ملكة ، والرابع الكيفيات المحسوسة ، والراسخة منها تسمى انفعاليات سواء كانت في ابتداء الوجود كحلاوة العسل وحمرة الورد ، أو فيما بعد كملوحة ماء البحر ، وغير الراسخة تسمى انفعالات كحمرة الخجل وصفرة الوجه .»

وبعد ذلك يتوقف الأبهري عند فكرة الواحد والكثير ، فيوضح المراد بكل اصطلاح منها، ثم يتناول صفات الواحد ( الله ) والدلائل على وجوده ، وغير ذلك من موضوعات العلم الإلهي أو ما يسمى بالفلسفة الأولى<sup>(١)</sup>.

ومما لا شك فيه أننا مقصرون أشد التقصير تجاه الأبهري وتراثه المخطوط ، مما يجعلنا غافلين عن قراءة صفحة مهمة من صفحات التراث العربي الذي لا يزال - في أغلبه - مخطوطاً ، ونكتفى ، ونحن أصحاب هذا التراث ، بما يقدمه لنا الغرب من دراسات ونظريات وأفكار عن تراثنا ، لأن الغربيين اهتموا بالبحث فيه أكثر منا ! وهكذا صرنا نرى أنفسنا على النحو الذي يصوره الغرب لنا ، ونعرف ذاتيتنا بحسب ما يريد الآخر الغربي أن نعرفه .. وعلى أى حال ، ففيما يخص الأبهري ، فإننى أعلم أن باحثاً شاباً هو « عادل عبد السميع عوض » يعد في هذه الأيام رسالة ما جستير عن تطور منطق القياس الأرسطي في عصر الأبهري ، مع تحقيق نص رسالته « إيساغوجي » ، ولعل هذا الباحث يتمكن في المستقبل من تقديم صورة جيدة عن أثير الدين الأبهري ، ويقوم بنشر تراثه المخطوط .



(١) اعتمدنا هنا على مخطوطة ( عنوان الحق ) المحفوظة تحت رقم ٣١٣٤ بجامعة اسطنبول - مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة - وهي نسخة جيدة كتبت سنة ٧٠٩ هجرية .. وربما تكون هذه المخطوطة هي الوحيدة الباقية من مخطوطات هذا الكتاب .

كتاب عنوان الحق  
وبرهان الصّدف  
لقدوة أكابر العلماء اثير الدين  
الابهرى  
مرحمه الله

مكتبة جامعة اسطنبول  
مخطوطات  
١٣٠٤  
٤٠

مخطوطة جامعة اسطنبول

(صفحة العنوان)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الإمام الأجل العالم وحيداً صر  
 وفريد دهره امام الأئمة والعلماء فوه الكابرا الحكما ائمة الدين الأبهدي  
 نور الله ضلجه ، المحملة التي توحد بالعزة والبقا وتفرد بهما العظمة  
 والكبرياء الكرم التي افاضت بحوده قواعد الرجود وخبايا الاشياء وانخرج  
 بلطائف صنعه عجائب علم النور والضيأ وانصولة على رسوله محمد خاتم الأنبياء  
 وعلى آله واصحابه ودمعته النجباء وسلم تسليماً كثيراً ، اما بعد فهذا تلخيص  
 حريته لافهامنا في الدين ورفقنا بنا في طلب الصدق واليقين ولكل من يريد  
 واهب العقل نفيس كريمة وهمية عالية يطلب بها الحق من حيث هو بغير ريب  
 فه الدقائق التي استخرجتها من القوة الى الفعالة سبيل الاجازة ومينة عنوان  
 الحق وبرهان الصدق استغنيت بالله والى التوفيق القول مستغنية  
 وهوالة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر اعني تربية القلب وزيادته  
 تصديقات ليتأدى منها الى تصور اوجه الدين والضمير بوجهه وتصوره  
 التي في العمل والصدق هو الحكيم على الشئ ، اما بنفي او ايجاباً في العمل الى  
 التصور لسمي قولاً شارحاً والى التصور تسمية وتجب تقديم الاول على الثاني  
 لعدم التصور على التصور في تبيين التصور فتمية تصور ذلك الخلق عليه  
 او تصور امر صادق عليه والاولان بالجهل مطلقاً حكوماً عليه وهو بمنزلة  
 قولنا لا شيء من الجهول مطلقاً حكوماً عليه فليس بالاصح ما ذكرتم لكان  
 ذلك

بداية القسم الأول من المخطوطة ( في المنطق )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ البداية في العلم الطبيعي  
 وهو مرتب على مطامع المصلحة في ذات حقيقته الجسم والحواله اللازمة من نفسه  
 وفيه فصول خمس في ان الجسم لا يتكبد من اجزاء لا تتحرى واما من وجه  
 احدها انه لو فرض حرز من حرز فالوسط ان كان مانعا من بلات في الطرفين فباب بلاتي  
 احدها غير ما به بلاتي الاخر فيكون منفسا وقد فرض انهم منفسم هذا خلف وان لم يكن مانعا  
 فالطرفان متلافيان فلا يكون هناك وسط وطرف وقد فرض كذلك هذا خلف الثاني لو فرض  
 في ان متلافيان فان تلافيا بالاكثية فهما منفسمان وان تلافيا بالكثية لما كان  
 يجوز انهما على احد في المقدار فلا يكون الكل اعظم من الجزء هذا خلف الثالث لو فرض  
 في الايجري لكان واقعا في حصة فتشوا ما منه ان حصة غير ما منه ان اخرى يكون منفسما  
 وقد فرض خلاف هذا خلف الرابع لو فرض الجسم مركبا من اجزاء لا تتحرى فالدايرة العظيمة  
 من الرحي اذا تحركت حركتها لا تتحرى في الطبيعة ان تحركت اقل منه لزم انقسام ما لا يتحرى  
 وهو محال وان تحركت مثلا او اكثر منها لزم تمام حركتها الدائرة القطبية قبل تمام حركة  
 الدائرة القطبية فيلزم اما تفكك الرحي او تكون الدائرة القطبية هذا خلف فلجسم  
 لا يتكبد من اجزاء لا تتحرى لا يندفع بالخرجة الى ما لا يتحرى فيمكن انقسامه في الزم  
 الى الاكثية وربما امتنع ذلك للاعيان لسبب ونفرض فيها اجزاء مجردة فرض  
 ومن او اختلاف عرضين ما حقيقيتين كما في البلنة او اضافين كموازاة او مجازاة  
 لجسمين والممكن الغير المتماهي من القسمة لا يمكن الخروج الى الفعل وزعم قوم ان الجسم

بداية القسم الثاني ( في العلم الطبيعي )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْقَوْلُ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ  
 وفي مطالع المطلع : : واسم العلم الكلية المشتملة على تقاسيم الوجود وفي حصول  
 الفصل : : في الجوهري والعرض الوجود اما ان يكون في شئ لا يجزئ منه  
 شايعا بالكلية بحيث لا يصح مذاقته عنه ولا يكون كذلك فان كان الاول يسمى  
 الشايع المنسوب بلنظ في جالاته المنسوب اليه محال واحال ان كان متوقفا على المحل  
 سمي المحل موضوعا وكان عرضا وان لم يكن متوقفا عليه سمي المحل هيوييا والحال صورة والموضوع  
 والهويي يشتركان اشراك اخمين تحت اعم وهو المحل والعرض والحدوث يشتركان  
 اشراك اخمين تحت اعم وهو الحال والشئ اذا كان اعم من غير نسبت له الاعم  
 يخص من سلبت له الاخص فالأب يكون في المحل اخص من اللاكون في الموضوع اذا الكون  
 في المحل اعم من الكون في الموضوع والجوهر هو الماهية الممكنة التي اذا وجدت في الاعيان  
 كانت في موضوع والعرض هو الماهية التي اذا وجدت في الاعيان كانت في موضوع  
 والجوهر ان كان في المحل فهو الصورة وان كان محلا فهو الهويي وان كان مركبا منها فهو  
 والاقوال الجوهر مجرد واما العرض فان اشنع ثباته لثباته فهو الحركة وان لم يمنع فاما  
 ان يكون ماهية معقولة بالذات باسم الي الخبر وهو النسب او لا يكون ولا حلولا  
 ان يكون فالله للبحرئ لذاته وهو الكون وهو الكيف والحركة ان اضيفت  
 الى التفاعل سمي الفعل وان اضيفت الى المتفاعل سمي الاتفاعل واما النسبة  
 فيدخل فيها الابن وهو حصول الشئ في المكان متى وهو حصوله في الزمان والوضع

بداية القسم الثالث ( في العلم الإلهي )





## الفصل الواحد بعد العشرين ( مخطوطة طبيعيات ) :

### عَيْنُ الْحَيَاةِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْمِيَاهِ

#### لِلدَّهْمُورِيِّ

في مساء ليلة شتوية - دافئة - من أواخر سنة ١٩٨٩ خرجت مع صديقي المفكر الأصيل / سامي خشبة لندجلس على مقهى شعبي يمد كراسيه في ساحة مسجد أبي العباس المرسي .. كنا قد انتهينا من ندوة بقصر ثقافة التدوق ، بالشاطبي ، تحدث فيها الأستاذ / سامي خشبة عن ( ثورة المعلومات ) وكنت أديرها ، وأردنا مواصلة النقاش سويا ونبش « كناسة الدكان بعد رحيل السكان » فامتدت جلستنا المنفردة ، تحت أقدام أبي العباس المرسي إلى وقتٍ من الليل متأخر .

في ذات الليلة ناقشنا أمورًا كثيرة ، كان بينها مسألة بداية النهضة الحديثة في مصر والمنطقة العربية . فقلت له ما معناه : أظن أنه قبل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ، كانت هناك إرهاصات مصرية للنهضة ! فقال : لقد بحثَ المستشرق الأمريكي المعاصر « بيتر جران » هذه المسألة ووضع فيها بحثًا بديعًا بعنوان « الجذور الإسلامية للرأسمالية » فاستقصى جوانب الموضوع ، وقد نشر كتابه منذ بضعة أعوام بالإنجليزية ، ولم يُترجم - للأسف - للعربية .

بعدها بشهور قابلت بيتر جران في لقاء عابر لم يكن فيه مجال للخوض في هذه المسألة أو للسؤال عن الكتاب .. حتى جاءت سنة ١٩٩٢ لتحمل لنا المطابع في نهايتها ترجمة عربية للكتاب ، وصار الأمر متاحًا للتعرف إلى ( رؤية ) هذا المستشرق الأمريكي المعاصر<sup>(١)</sup> .

(١) نشرت الكتاب : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ( القاهرة - باريس ) بترجمة محروس سليمان ومراجعة د. رؤوف عباس . وقد جاءت الترجمة في شكل جيد ، وإن كانت تنقصها المراجعة الدقيقة خاصة فيما يتعلق بضبط المصطلحات وأسماء الأعلام .

يلخص بيترجران ( رؤيته ) في تقديمه للطبعة العربية فيقول : ما أزعجني <sup>(١)</sup> هو أن مَنْ كتبوا عن مصر لم يتخلوا عن عام ١٧٩٨ ( عام مجيء الحملة الفرنسية ) كبداية للتحديث في مصر ، بل ولم يفكروا في مجرد طرح الافتراض القائل : إن مصر كانت تتمتع بثقافة حية ، وإنه كان من الممكن أن تنجز عملية التحديث بنفسها .. وتحدياً لما يمكن أن نطلق عليه « نظرة تاريخية أوروبية المحور » وهى نظرة تنطوى على مفهوم أن العالم الثالث كان في سبات عميق حتى مجيء الغرب ، كان هدفي أن أبرهن على أن مجيء نابليون إلى مصر عام ١٧٩٨ لم يكن ذا أهمية كبيرة في التاريخ المصرى ، كما تزعم حركة التاريخ الأوروبية <sup>(٢)</sup>.

وبالفعل ، استطاع بيترجران أن يثير بقوة ذلك الفرض القائل بأن جذور النهضة الحديثة تشكلت داخلياً ، ولم يكن مجيء الحملة الفرنسية إلا عاملاً مساعداً مولد هذه النهضة التى تستمد أصولها من داخل مصر وفى إطار ثقافتها العامة السائدة آنذاك ، ولقد ركز بيترجران فى كتابه على تحليل الثقافة المصرية بكل مكوناتها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية فى الفترة الممتدة من سنة ١٧٦٠ إلى سنة ١٨٤٠ ميلادية ، مع التركيز على أشهر أعلام هذه المرحلة : الشيخ حسن العطار .

ومع ذلك ، فإننى أعتقد - من جانبى - أن إثبات هذه الفرضية كان يقتضى الرجوع قليلاً إلى الوراء ، لتحليل التربة التى أنبتت حسن العطار ومرحلته ، ولعل التركيز على اثنين من الأعلام السابقين قليلاً على ( العطار ) سيكشف عن الكثير ويؤكد أن العطار لم ينشأ من فراغ ، وإنما كان امتداداً لحركة فكرية ذات أصول مصرية خالصة وهذان العلمان هما : الإمام مرتضى الزبيدى ( صاحب موسوعة تاج العروس ، وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، بالإضافة إلى أكثر من مائة كتاب أخرى ) <sup>(٣)</sup> .. والشيخ أحمد الدمهورى ( صاحب المخطوطة التى نتحدث عنها وعنه فى هذا الفصل ) .

(١) يقصد بعد مرور سنوات على صدور الكتاب الإنجليزية .

(٢) بيترجران : الجذور الإسلامية للرأسمالية ( مقدمة الترجمة العربية ) ص ٩ ، ١٠ .

(٣) توفى الزبيدى سنة ١٢٠٥ هجرية . وقد علل بيترجران اهتمامه بالعطار دون الزبيدى ، بقوله : إننى أفترض دائماً أن كل بلد له طرقته الخاصة نحو الحداثة ، وأنه لا جدوى من الأفكار الشائعة عن « مجيء الغرب » =

في مجال التعريف بشخصية أحمد الدمنهوري، كان لدينا نص من شأنه أن يكشف الكثير من جوانب هذه الشخصية، ذلك أن أحد تلامذة الدمنهوري وضع ترجمة لشيخه سماها (الجواهر في مناقب أبي العباس أحمد الدمنهوري الشاطبي الشاطر) ولا تزال هذه الترجمة مخطوطة، ولم نثر عليها بعد.. ومع ذلك فلدينا ترجمة أخرى مهمة يمكن من خلالها التعرف إلى الدمنهوري؛ وهي الترجمة التي أوردها الجبرتي في تاريخه المسمى (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) وتكمن أهمية هذه الترجمة في أنها من وضع معاصر للدمنهوري، بل تلميذ له.. بالإضافة إلى إلقائها الضوء على الحياة العلمية في عصر الدمنهوري؛ وسوف نورد نص الترجمة كاملاً، مع وضع بعض الهوامش الشارحة عليه يقول الجبرتي في وفيات سنة ١١٩٢ هجرية:

وأما من مات في هذه السنة من أعيان العلماء والمشاهير، الشيخ الإمام العلامة المتفنون أوجد الزمان وفريد الأوان، أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري المذهبي<sup>(١)</sup> الأزهرى<sup>(٢)</sup>، ولد بمدينة دمنهور الغربية سنة ١١٠١ هجرية وقدم الأزهر وهو صغيراً يتيم لم يكفله أحد، فاشتغل بالعلم وجمال في تحصيله واجتهد في تكميله وأجازه علماء المذاهب الأربعة، وكانت له حافظة ومعرفة في فنون غريبة وتآليف، وأفتى على المذاهب الأربعة ولكن لم يُتتفع بعلمه ولا بتصانيفه لبخله في بذله لأهله ولغير أهله، وربما يبيع في بعض الأحيان لبعض الغرباء فوائد نافعة، وكانت له دروس في المشهد الحسيني في رمضان يخلطها

= وحيث أن هذه الرؤية هي رؤية الأقلية من المؤرخين، فقد رأيت أنه من المهم - استراتيجياً - أن أتبع بعمق مجرى حياة إحدى الشخصيات البارزة، على أن يكون قد عاصر مرحلة ما قبل ١٧٩٨ وما بعدها، كسبيل لبناء حجتي، ومن ثم فقد اخترت شخصية العطار. أما عن مرتضى الزبيدي، هذه الشخصية العظيمة، فكان بالتأكيد مقبولاً لدى، وربما كان اختياراً أفضل، إلا أنه بوفاته قبل مجيء الأوروبيين، ينتمي إلى الفترة المتأخرة من العصر العثماني، وهي الفترة التي أحاول أن أحللها، وأود أن أثير جدلاً أقوى حولها، متخذاً من مادة العطار أساساً (الجدور الإسلامية للأسسالية، ص ١١).

(١) يقصد: أنه كان يفتى على المذاهب الأربعة (الحنفية - المالكية - الشافعية - الحنبلية).

(٢) لم يكن الدمنهوري أزهرياً فحسب، بل تولى مشيخة الأزهر.

(٣) يقصد: كانت ذاكرته قوية الحفظ.

من الحياة في استنباط المباح

بالحكايات ، وربما وقع له حتى يذهب الوقت<sup>(١)</sup>. وولى مشيخة الجامع الأزهر بعد وفاة الشيخ الحنفى ، وهابته الأمراء لكونه كان قوَّالاً للحق ، أمَّا زابا المعروف ، سمحًا بما عنده من الدنيا ، وقصدته الملوك من الأطراف ، وهادته بهدايا فاخرة ، وسائر ولاية مصر من طرف الدولة كانوا يجتمعون ، وكان شهير الصيت ، عظيم الهبة ، منجمعا عن المجالس الجمعيات ، وحج سنة ١١٧٧ مع الركب المصرى وأتى رئيس مكة وعلمائها لزيارته ، وعاد إلى مصر وقد مدحه الشيخ عبد الله الإدكاوى بقصيدة يهئته بذلك يقول فيها :

لَقَدْ سَرَرْنَا وَطَابَ الْوَقْتُ وَأَنْشَرَحَتْ      صُدُورُنَا حَيْثُ صَحَّ الْعَوْدُ لِلْمَوْطِنِ  
فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ قَالُوهُ وَقَدْ جُمِدَتْ      بَدءًا وَعَوْدًا مَسَاعِيكُمْ بِبَلَا غَيْبِنِ  
فَأَنْتَ أَجْمَدُنَا وَأَنْتَ أَرْشَدُنَا      وَأَنْتَ أَحْمَدُنَا فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ<sup>(٢)</sup>

وقرأ المترجم (الدمهورى) على أفقه الشافعية فى عصره ، عبد ربه بن أحمد الديوى ، شرح المنهج<sup>(٣)</sup> وشرح التحرير<sup>(٤)</sup> ، على الشهاب الخليفى نصف المنهج وشرح ألفية العراقى فى المصطلح<sup>(٥)</sup> ، وعلى أبى الصفاء الشنوانى شرحى التحرير والمنهج والخطيب على أبى شجاع

(١) يتناقض الجبرتى هنا فى قوله: إن الدمهورى انهمك فى التدريس وإفادة الطلاب ، وإنه لم يُتسفع بعلمه ؛ لأنه كان ييخل به إلا على الغرباء ولعل هذه المسألة بحاجة إلى بحث دقيق يكشف المزيد عن أقوال الجبرتى

(٢) الأبيات من بحر البسيط .

(٣) يقصد كتاب « مناهج الطالبين فى فروع الشافعية » للنورى ، وعلى هذا الكتاب شروح لا حصر لها ( انظر : كشف الظنون ص ١٨٧٣ وما بعدها ) .

(٤) هناك عدة كتب فقهيّة تحمل عنوان « التحرير » أشهرها : التحرير فى أصول الفقه لابن همَّ الحنفى . ولعل المقصود هنا ، هو كتاب : التحرير فى الفروع لأبى العباس أحمد الجرجانى الشافعى المتوفى سنة ٤٨٢ هجرية .

(٥) الإشارة إلى قصيدة زين الدين عبد الرحيم العراقى ( المتوفى ٨٠٦ هجرية ) الألفية الشهيرة فى أصول الحديث النبوى ، وتبدأ أبياتها الألف بقوله :

يقولُ راجى ربه المقتدر      عبد الرحيم بن الحسين الأثرى

إويساغوجى<sup>(١)</sup> وشرح الأربعين لابن حجر<sup>(٢)</sup> وشرح الجوهرة<sup>(٣)</sup> لعبد السلام ، وعلى عبد الدائم الأجهور ابن قاسم على الأجرومية<sup>(٤)</sup> وشرحها والقَطْرَ<sup>(٥)</sup> والأزهرية<sup>(٦)</sup> وشرح الوردقات للمَحَلِّ<sup>(٧)</sup> ، وحر على الشمس الأطفحى دروسًا من البخارى<sup>(٨)</sup> ، وبعضًا من التحرير وبعضًا من الشمائل<sup>(٩)</sup> ، وبعضًا من شرح الأربعين لابن حجر ، وعلى الشيخ عبد الوهاب الشنّوانى ابن قاسم والأزهرية وعلى الشيخ الأرنطاطيقى للشيخ سلطان<sup>(١٠)</sup> ، وعلى الشمس الغمرى شرح البيهجة الوردية لشيخ الإسلام<sup>(١١)</sup> وشرح الرّملى على الزُّبْدِ<sup>(١٢)</sup> والمواهب للقسطلانى<sup>(١٣)</sup>

(١) يقصد شرح الخطيب على متن أبي شجاع ، وشرحه المقدمة المنطق المعروفة باسم (إيساغوجى) لأثير الدين الأبهري .

(٢) الأربعين للنووى وشرحها لابن حجر الهيتمى المتوفى ٩٧٤ هجرية . وعنوان الشرح : الفتح المبين بشرح الأربعين .

(٣) جوهرة التوحيد : منظومة في علم الكلام لإبراهيم اللقّانى المتوفى سنة ١٠٤١ هجرية والشرح لولده عبد السلام اللقّانى .

(٤) يقصد : شرح ابن قاسم على (المقدمة) لابن أجزوم النحوى .

(٥) يقصد : قَطْرَ النُّدى وبل الصُّدى ، وهى مقدمة فى النحو - كالأجرومية - لابن هشام النحرى المتوفى ٧٦٢ هجرية .

(٦) يقصد : المقدمة الأزهرية فى علم العربية لخالده بن عبد الله الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥ هجرية .

(٧) الوردقات فى الأصول ، الإمام الحرمين أبى المعالى الجوينى المتوفى ٤٧٨ هجرية ، وشرحها للشيخ جلال الدين المحلى الشافعى المتوفى سنة ٨٦٤ هجرية .

(٨) صحيح البخارى .

(٩) الشمائل : الشمائل النبوية والخصائل المصنطوية للإمام الترمذى ( أبى عيسى محمد ابن سورة ، المتوفى ٢٧٩ هجرية ) .

(١٠) المقصود ؛ أنه درس على نفس الشيخ (عبد الوهاب الشنّوانى) كتاب الأرنطاطيقى فى الرياضيات للشيخ سلطان .

(١١) يقصد ؛ درس على شمس الدين الغمرى شرح البيهجة . والبيهجة الوردية منظومة فى فروع الشافعية نظم فيها مؤلفها ( زين الدين عمر بن مظفر الوردى الشافعى المتوفى ٧٤٩ هجرية ) كتاب الحاوى الصغير فى الفروع لنجم الدين القزوينى الشافعى المتوفى ٦٦٥ هجرية ، نظمته فى خمسة آلاف بيت . أما الشرح المشار إليه ، فهو شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى المتوفى ٩١٠ هجرية .

(١٢) لعله يقصد الزبدة وهى كتاب « زبدة الأحكام فى اختلاف مذهب الأئمة الأربعة الأعلام ، لسراج الدين الفرنزوى الحنفى المتوفى سنة ٧٧٣ هجرية .

(١٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ( فى السيرة النبوية ) لشهاب الدين أبى العباس أحمد القسطلانى المصرى المتوفى سنة ٩٢٣ هجرية .

وسيرة<sup>(١)</sup> كلُّ من ابن سيِّد الناس والحلبي والجامع الصغير<sup>(٢)</sup> للسيوطي مع شرح المتأوى عليه وشرح التائية للفرغانى<sup>(٣)</sup> وشرح السَّعْدِ على تصريف العزى<sup>(٤)</sup>، وعلى عبد الجواد الميدانى الدرَّة<sup>(٥)</sup> والطَّيِّبَة<sup>(٦)</sup> وشرح أصول الشاطبية<sup>(٧)</sup> لابن القاصح والأربعين النووية والأسماء<sup>(٨)</sup> السهروردية وبعضاً من الجواهر الخمس للغوث<sup>(٩)</sup>، وعلى الورزازي شرح الصغرى والكتانى عليه وبعضاً من شرح الكبرى<sup>(١٠)</sup> مع اليوسى وبعضاً من مختصر خليل ولامية<sup>(١١)</sup> الأفعال، وعلى الشهاب النفاوى<sup>(١٢)</sup> دروساً من الجوهرة والأشمونى، وعلى عبد الله الكنكسى القَطْرَ

(١) السيرة النبوية .

(٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير .

(٣) شرح السعيد محمد بن أحمد الفرغانى (المتوفى ٧٠٠ هجرية) على تائية ابن الفارض في التصوف .. وهو - كما يذكر حاجى خليفة - الشارح الأول لها وأقدم المشايخين لابن الفارض (كشف الظنون ص ٢٦٥) .

(٤) هو شرح سعد الدين التفتازانى (المتوفى ٧٩٣ هجرية) على كتاب التصريف العزى - أو : العزى في التصريف - للشيخ عز الدين التفتازانى المتوفى بعد سنة ٦٥٥ هجرية .

(٥) هناك عدة مؤلفات بعنوان « الدرَّة » ولما كان الشيخ الميدانى متخصصاً في القراءات، فلعل المقصود هو ( الدرَّة المضيئة في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية ) لشمس الدين الجزرى، وهى أرجوزة نظمها المؤلف تكملة للشاطبية .

(٦) طيبة النشر في القراءات العشر، لشمس الدين الجزرى .

(٧) الشاطبية : أرجوزة شهيرة في القراءات، للشاطبى .

(٨) الأسماء الحسنى وأسرارها وخواصها .

(٩) في كشف الظنون ص ٦١٤ : الجواهر الخمس للشيخ أبى المؤيد محمد بن خطير الدين ، وهو مختصر ألفه بكجرات سنة ٩٥٦ ورتبه على جواهر: الأول في العبادة، والثانى في الزهد، والثالث في الدعوة، والرابع في الأذكار والخامس في عمل المحققين من أهل الطريقة .

(١٠) ربما يقصد ( التائية الصغرى ) و( التائية الكبرى ) وكلاهما قصيدة صوفية لابن الفارض .

(١١) هى لامية ابن مالك النحوى (المتوفى ٦٧٢ هجرية) في الأفعال، أولها :

الحمدُ لله لا أبغى بَدَلاً

حمداً يبلغ من رضوانه الأملأ

(١٢) في معجم المؤلفين (٩ / ٦٠) : محمد بن إسماعيل النفاوى المصرى المالكى المتوفى ١١٨٥ هجرية، فقيه مشارك في بعض العلوم، من آثاره : الأجوبة على الأسئلة الخمسة التى أوردها الدمهورى على علماء مصر .

للدنهورى

والشذور<sup>(١)</sup> والألفية<sup>(٢)</sup> والتوضيح وشرح السلم<sup>(٣)</sup> وشرح مختصر النوسى والمختصر والمطول<sup>(٤)</sup> والخزرجية والكافى والقلصادى والسخاوية والتلمسانية وألفية العراقى وبعض مسلم وأجازه فى بقية الكتب الستة وفى وزد شيخه «مولاى عبد الله السلجىاسى الشريف» وعلى محمد بن عبد الله السلجىاسى شرح الكبرى مع حاشية الیوسى والتلخیص ومثن الحكم وبعضاً من صحيح البخارى ، وعلى السيد محمد السمونى شيخ المالكية مثن العزىة والرسالة ومختصر خليل وشرحه للزرقانى ودروساً من الخرشى والشبراخيتى وأجازه بجميع مروياته وبالإنشاء فى مذهب مالك وعلى الفقيه محمد بن عبد العزيز الزیادى الحنفى مثن الهداية<sup>(٥)</sup> وشرح الكنز<sup>(٦)</sup> للزيلعى<sup>(٧)</sup> والسراجية فى الفرائض والمنار<sup>(٨)</sup> ، وعلى السيد محمد الريحاوى مثن الكنز شالكنز والأشباة والنظائر<sup>(٩)</sup> وشيئاً من المواقف<sup>(١٠)</sup> من بحث الأمور العامة

(١) شذور الذهب ( فى النحو ) لابن هشام النحوى المتوفى ٧٦٢ هجرية .

(٢) ألفية ابن مالك ( فى النحو ) لجمال الدين محمد الجيانى المعروف بابن مالك ، المتوفى ٦٧٢ هجرية ، وهى ألف بيت أولها :

قال محمد هو ابن مالك

أحمد ربه الله خير مالك

(٣) السلم المرونى فى علم المنطق ، لعبد الرحمن بن سيدى محمد الصغير . أرجوزة فى نظم إيساغوجى لأثير الدين الأبهري ، أولها :

الحمد لله الذى قد أخرجنا

نتائج الفكر لأرباب الحجا

(٤) المختصر والمطول ، شرحان لسعد الدين التفتازانى على كتاب تلخيص المفتاح .

(٥) الهداية فى الفروع ( فقه حنفى ) لبرهان الدين المرغينانى المتوفى ٥٩٣ هجرية .

(٦) كنز الدقائق فى الفروع ( فقه حنفى ) لأبى البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفى المتوفى ٧١٠ هجرية .

(٧) هو أول شارح للكنز : فخر الدين أبو محمد عثمان بن على الزيلعى المتوفى ٧٤٣ هجرية وعنوان الشرح : تبين الحقائق لما اكتنز من الدقائق .

(٨) منار الأنوار ( فى أصول الفقه الحنفى ) للنسفى .

(٩) الأشباة والنظائر فى الفروع ، لابن نجيم المصرى الحنفى المتوفى ٩٧٠ هجرية .

(١٠) المواقف ( فى علم الكلام ) لمعتمد الدين الإيجى المتوفى ٧٥٦ هجرية .

وأخذ عن الزعترى الميقات والحساب والمُجيب والمقنطرات والمنحرفات وبعضاً من اللمعة<sup>(١)</sup> وعلى السحيمي منظومة الوفق المُخمسى وروضة العلوم ، وعلى الشيخ سلامة الفيومي والجفميينى وعلى عبد الفتاح الدمياطى لُقَطَ الجواهر ورسالة قسطا بن لوقا في العمل بالكرة ورسالة ابن المشاط في الاسطرلاب ودُرَّابن المُجْدِي<sup>(٢)</sup> . وله شيوخٌ آخرون كالشهاب أحمد ابن الحبازة والشيخ حسام الدين الهندي وحسين أفندي الواعظ والشيخ أحمد الشرفى والسيد محمد الموفق التلمساني ومحمد السوداني ومحمد الفاسى ومحمد المالكى ، كذا في برنامج شيوخه المسمى باللطائف النورية في المنح الدمنهورية<sup>(٣)</sup> .

وأما مؤلفاته فمنها : اللبُّ المصُون بشرح الجوهر المكنون ، ومنتهى الإرادات في تحقيق الاستعارات ، وإيضاح المُبهم في معانى السُّلم ، وإيضاح المشكلات من متن الاستعارات ، ونهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف ، والحذاقة بأنواع العلاقة ، وكشف اللثام عن مخدرات الأفهام ( على البسمة ) وحسن التعبير لما للطيبة من التكبير ( في القراءات العشر ) وتنوير المقلتين بضياء أوجه الوجه بين السورتين ، والفتح الربانى بمفردات ابن حنبل الشيبانى، وطريق الاهتداء بأحكام الإمامة والافتداء ( على مذهب أبى حنيفة ) وإحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد ، والدقائق الأملية على الرسالة الوضعية ، ومنع الأثيم الحائر من التهادى في فعل الكبائر ، وعين الحياة في استنباط المياه ، والأنوار الساطعات على أشرف المربعات ( وهو الوفق المثينى ) وحلية الأبرار فيما نسّم على من الأسرار ، وخلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام ، والقول الصريح في علم التشريح ، وإقامة الحججة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة ، وفيض المَنان بالضرورى من مذهب النعمان ، وشفاء الظمان بسِرِّ قلب القرآن ،

(١) اللمعة في حل الكواكب السبعة ، لشهاب الدين الريشى المؤقت . وهناك أيضاً : اللمعة الماردينية في شرح الياسمينية .. وكلاهما في الفلك .

(٢) هذه المؤلفات الأخيرة ، في الرياضيات والفلك .

(٣) كان من عادة المشايخ - حتى وقت قريب - وضع مثل هذا الثبوت المسمى « المشيخة » للدلالة على الأهلية العلمية لكل واحد منهم ، وهذه المشيخة بالإضافة إلى الإجازات التى يحصل عليها العالم من مشايخه .. تشبه ما نسميه اليوم : شهادات التخرج .



للمنهوى

وإرشاد الماهر إلى كنز الجواهر ، وتحفة الملوك في علم التوحيد والسلوك ( منظومة في مائة بيت ) وإتحاف البرية بمعرفة العلوم الضرورية ، والقول الأقرب في علاج لسع العقرب ، وحسن الإنابة في إحياء ليلة الإجابة ( وهي ليلة النصف من شعبان ) والزهر الباسم في علم الطلاسم ، ومنهج السلوك إلى نصيحة الملوك ، والمنح الوفية في شرح الرياض الخلفية ( في علم الكلام ) والكلام السديد في تحرير علم التوحيد ، وبلوغ الأرب في اسم سيد سلاطين العرب .. وغير ذلك ، وغالبها رسائل صغيرة الحجم مثورة ومنظومة ، اطلعت على غالبها .

اجتمع الفقير ( = الجبرتي ) على المترجم ( = الدمنهوى ) قبل وفاته بنحو ستين<sup>(١)</sup> ، ولما عرفني تذكر الوالد ( = والد الجبرتي ) وبكى وعصر عينيه وصار يضرب يده على الأخرى ويقول : « ذهب إخواننا ورفقاؤنا » ثم جعل يخاطبني بقوله : « يا ابن أخي ادع لي » وكان منقطعاً بالمنزل ، وأجازني بمروياته ومسموعاته وأعطاني برنامج شيوخه ونقلته ، ولم يزل حتى تعلل وضعف عن الحركة . وتوفي يوم الأحد عاشر شهر رجب من السنة المذكورة ( = ١١٩٢ هجرية - ١٧٧٨ ميلادية ) وكان مسكنه ببلاق ، وصلى عليه بالأزهر بمشهد حافل جداً ، وقرأء نسبه إلى أبي محمد البطل الغازي ، ودفن بالبستان .. وكان آخر من أدركنا من المتقدمين<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

هكذا تدلنا ( وثيقة ) الجبرتي ، أو ترجمته للشيخ الدمنهوى على عدة أمور من شأنها استلفات النظر :

أولاً : أنها تكشف عن عالم الثقافة والمعرفة السائدة في عصر الدمنهوى ، تلك الثقافة التي تعكسها قراءاته على هذا الكم الكبير من الشيوخ في كل فن ، مما يعني أنه كانت هناك أجيال من العلماء المشتغلين بكافة فروع المعارف الدينية والدينية ، وإلى جانب الفقه نجد

(١) كان الشيخ الدمنهوى آنذاك في التاسعة والثمانين من عمره .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ( مطبعة الأنوار المحمدية - القاهرة ) ٣٢ / ٢ وما بعدها .

الطب ، ومع اللغويات نجد الطبيعيات .. وهكذا ؛ وقد كان هذا في جيل سابق للعطار والدمنهوري .

ثانياً : إن النظام التعليمي كان من الاتساع بحيث يسترعب ذلك اليتيم الذي لم يكفله أحد ، فيرفعه إلى مصاف العلماء وشيوخ الأزهر ؛ مما يدل على أن الاتساع العلمي كان يوازيه اتساع في نظم التعليم وكفاية وجوه الإنفاق عليه آنذاك بحيث يكفل قاعدة عريضة من المتعلمين من بينهم الأيتام من أمثال الدمنهوري .. فالرجل - بالقطع - لم يكن حالة فريدة ، بدليل هذا الكم الكبير من الأساتذة الذين تلقى عليهم .

ثالثاً : لم يقتصر دور الأزهر على الاشتغال بعلوم الدين ، وألا فإن ثلث قراءات الدمنهوري وجزءاً كبيراً من مؤلفاته ، تناول علوم الدنيا . وهي علوم لم تكن متطورة بالشكل الذي تناظر به العلوم الطبيعية في أوروبا ، لكنها كانت موجودة ويمكن تطويرها ذاتياً لو حدث نوع من الاحتكاك بالغرب آنذاك - بقطع النظر عن مسألة الغزو - وهو الدور الرائد الذي سيقوم به ، من بعد ، رفاعه رافع الطهطاوي وخير الدين التونسي .

رابعاً : إن مؤلفات الدمنهوري لقيت منا ، نحن الأحفاد الحاليين ، أكبر الإهمال رغم توفر نسخها الخطية .. فلم ينشر من هذه المؤلفات سوى أقل القليل ، وربما يكون شرحه على ( السلم المروتنق ) هو الكتاب الوحيد المطبوع ، وقد طبع بدون تحقيق ! .

والآن ، فلننظر في مخطوطة «عين الحياة في استنباط المياه» .

يبدأ الدمنهوري مخطوطته<sup>(١)</sup> بقوله : حمدًا لمن بفضله أبداع الكائنات وأحيا بمتته ، بالماء ، نوعي الحيوان والنبات . وصلاة على من استنبط من أشرف الأصلاب سيدنا ومولانا محمد .. وبعد فيقول المستمطر سحائب عفو مولاه العلي ، أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري الحنفي

(١) اعتمدنا هنا على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٨ / طبيعيات تيمور .. وهي تقع في ٨٤ صفحة من القطع المتوسط .

للمنهوى

المالكي الشافعي الخنيلي : هذا ما التمس منى واحد من المحققين ، وقدوة العلماء المدققين ،  
عمدة المحصلين لمذهب النعمان .. سيدى يوسف بن محمد الزعوانى ، ثم التونسى الخنفي ،  
إمام سلطان الأمراء وأمير السلاطين ، القائم على ساق الجد والاجتهاد في إحياء ما اندرس من  
معالم الدين .. من رسالة في علم استنباط المياه في غاية الإيضاح ، فأجبت له لذلك مع غاية  
اشتغال البال وتكدر خاطر من تراكم الهموم وسوء الحال راقماً ما يحضرنى في ذلك المقام ،  
ومثباً ما وقفت عليه من كلام الحكماء الأعلام ، ولم أقف على تأليف مستقل في هذه الصناعة ،  
بل نُبذُ ذُكُرت في علم الفلاحة استطراداً التميميم البضاعة ، وسميته « بعين الحياة في علم  
استنباط المياه » ، ورتبته على مقدمة وباين وخاتمة<sup>(١)</sup> .. » .

وفي المقدمة ، يشرح الشيخ المنهوى معنى « استنباط المياه » فيوضح أن الاستنباط هو  
الاستخراج ، وعلى ذلك فهذا العلم يقصد به استخراج المياه الكامنة في الأرض للانتفاع بها في  
إحياء النبات والحيوان .. وهو يلفت النظر إلى مسألة طريفة ، هي علاقة الإنسان بعناصر  
الطبيعة ، فمن ذلك مشابهة نفس الإنسان للنار ! ويستدل على ذلك بأن الإنسان يعيش في  
المكان الذي تكون فيه النار ، ويهلك حيث تنطفئ .. يقول الشيخ :

« ولذلك ، إذا أراد أصحاب المعادن والحفائر دخول فتقٍ أو مغارة ، أخذوا خشبة طويلة  
في رأسها شعلة ، وقدموها أمامهم ، فإن بقيت الشعلة دخلوها ، وإن انطفئت لم يتعرضوا  
لدخولها ، وأيضاً إذا أرادوا نزول جُبٍّ ، أرسلوا في ذلك الجب قنديلاً فيه مصباح ، فإن انطفأ لم  
يتعرضوا وإن بقي نزلوا .. » .

ولاشك في أن العنصر الفعال هنا هو « الأوكسجين » اللازم لبقاء النار مشتعلة ، واللازم  
أيضاً لعملية التنفس الإنساني ، وإذا كان الشيخ المنهوى لم يتفطن إلى هذا العنصر ، كما  
سيفتن الغريبيون ، إلّا أن ما يُحسب له هنا ، هو تسجيله لتلك الملاحظات الدقيقة .. ونحن  
نعرف اليوم ، أن كُلَّ اكتشافٍ علمي ، إنما يبدأ بالملاحظة ا .

(١) المنهوى : عين الحياة ، ورقة ٢ب ، ٣أ .

وفي المقدمة يتحدث الشيخ عن مهب الريح ، وطبيعة الرياح الشمالية والجنوبية ، وخصائص ريح الصَّبَا والدُبُور ، وما هو ممطرٌ وغير ممطر من الرياح ، كيفية تكوُّن السحب ، ويفسر أثر المياه الجوفية في حدوث الزلازل .

والباب الأول من المخطوطة « في بيان المواضع التي فيها ماء ، والتي لا ماء فيها ، والتي ماؤها قريب ، والتي ماؤها بعيد » فيعدُّ الدلائل على وجود الماء أو عدمه ، ويستخدم في ذلك التجارب الدقيقة بعيدًا عن أى تفكير غير علمي ، ويشرح خطوات كل تجربة .

والباب الثاني « في حفر الآبار وما يتعلق بذلك » وفي هذا الباب يقول : « ينبغي إذا كانت الأرض صلبة ، أن توسع استدارة البئر بأكثر من القدر المعروف .. وإن كانت رخوة فينبغي أن تضيق الحفر ، وتحفر على التراخي ، بأن يمسك الحفارون عن الحفر ساعة ثم يعودون إليه ، ويستمرّون على هذا الحال إلى ظهور الماء .. » .

ولا تخلو المخطوطة من آثار التفكير الخرافي القديم في بعض مواضعها ، فمن ذلك قوله: « للعيون التي ينقص ماؤها عن مقداره المعروف ، تؤخذ جارية دون البلوغ ، معها مزمار ، فتحاذى منبع الماء وتزمر ثلاث ساعات من النهار ، ثم تأخذ جارية أخرى طبلا ، فتوقّع به على غناء الجارية وتزمرها أربع ساعات ، فيكون مقدار الزمن سبع ساعات ، فإن الماء يكثر ويزيد عن ما كان أولا ! » وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن العقل الإنساني لم يتخلص من التفكير الخرافي إلا بعد مسيرة طويلة من الجهد العلمي الجاد ، ولا تزال آثار هذا التفكير سائدة عند البعض حتى اليوم ، رغم ما بلغه العلم من تقدُّم ، ولذا لا يمكن أن نلوم الشيخ الدمهورى كثيرا على ما يذكره من وسائل تجميع الماء في الآبار ، وهي مسألة لم يتمكن العلم إلى الآن من تقديم شيء بصددها .

وفى الخاتمة يعتمد الشيخ الدمنهورى على ما كتبه علماء العرب الأوائل ، كالقزوينى والإدريسى ، ليقدّم تصورًا عن أقاليم الأرض وأنهارها وجبالها ، ثم يضع تفسيرًا علميًا لحدوث الزلازل والبراكين ، فيقول : « إن الأدخنة والأبخرة الكثيرة إذا اجتمعت تحت الأرض ، ولا تصادفها برودة .. ويكون وجه الأرض صلبًا ليس فيه منفذٌ ولا مسام ، فالبخارات إذا قصدت الصعود لا تجد المسام والمنافذ ، فتتهزّزُ فيها بقاع الأرض وتضطرب كما يرتعد بدن المحموم عند شدة الحمى .. وربما ينشق وجه الأرض وتخرج من الشقّ المواد المحتبسة دفعة واحدة ، وقد يكون خروجها ببلدة فيخسفها » . وهو يرى أن الجبال سبب جريان الماء : « ولو فُرض عَدَمُ الجبال لكانت الأرض كرة لا غور فيها ولا نتوء ، فالبخار المرتفع لا يبقى فى الجو منحصرًا - على رؤوس الجبال جليدًا - إلى وقت يضر به البرد ، بل يتحلّل هواءً ، فلا يجرى الماء على وجه الأرض ، فافتضى التدبير الإلهى وجود الجبال لحصر البخار المرتفع من الأرض بين أغوارها ، ويمنعه من السيلان فيبقى محفوظًا إلى أن يفعل به ما تقدّم .. » .

ويرسم الشيخ خطوط الطول والعرض على النحو التالى : تقدّم أن الأرض كُرِّيَّة الشكل وحيزها وسط العالم ، فإذا توهمنا معدّل النهار قاطعًا للعالم ، حدث على بسيط الأرض دائرة عظيمة على موازاة معدّل النهار ، تقسمُ الأرض بقسمين متساويين ، جنوبي وشمالى ، يقال لها : خط الاستواء ، لأن زمان النهار مساوٍ لزمان الليل أبدًا فى ذلك الموضع ، والشمس إذا كانت مُساوِيَةً لإحدى نقطتى الاعتدالين ، مرّت فى سطح معدّل النهار على سَمْتِ رؤوس سُكَّانِهِ واعتدلّ الليل والنهار .. فإذا توهمنا أيضًا دائرة عظيمة تمرُّ بقطبى العالم وتقطع سطح المعدّل بقسمين ، وتمر بطرفى العمارة ، أعنى المشرق والمغرب ، حدث على بسيط الأرض دائرة عظيمة تقسمُ الأرض بنصفين ، وتنقسم الأرض بهاتين الدائرتين أرباعًا متساوية ، ربعين جنوبيين وربعين شماليين .. وأما طول البلد فهو قوس من دائرة معدّل النهار وبين دائرة نصف النهار المارة بسمت رؤوس أهل البلد ودائرة أفق القبة هى دائرة نصف النهار ، وأما عرض البلد فهو

قوس من دائرة نصف النهار ما بين معدل النهار وسمت الرأس .. ثم المعمور من الأرض منقسم سبعة أقسام يسمى كل قسم منها إقليماً .. » .

ويعدّد الشيخ أقاليم الأرض المعمورة ، فيذكر خصائص كل إقليم ومساحته .. مشيراً إلى أن هناك عمارة في الأرض خارج هذه الأقاليم السبعة ، قاصداً بذلك « الإسكيمو » وهو يصف أهل كل إقليم من حيث لون البشرة وطبيعة الأخلاق .. ثم يختتم مخطوطته ببعض الوصايا القرآنية والنبوية ، ويذكر طرفاً من أقوال الحكماء ، كقول أفلاطون : « اطلب العلم يعظّمك الخاصة ، واطلب المال يعظّمك العامة ، واطلب الزهد يعظّمك الجميع » .

\* \* \*

والورقة الأخيرة من المخطوطة ، عبارة عن خريطة فلكية يتوسطها قرص الشمس وحوله دائرة فلك البروج ، تحيط بها دائرة أكبر تضم مواضع الأقاليم المواجهة للبروج .. وهي خريطة ملونة بديعة الرسم .

وبعد .. فإن هذه المخطوطة هي نموذجٌ دال على أن العرب - في مصر - كانت لهم اهتماماتهم العلمية قبل مجيء الحملة ، فليس صحيحاً ما يقال من أن الحملة جاءت في وقت خلت فيه الديار العربية من أى اهتمامات علمية .

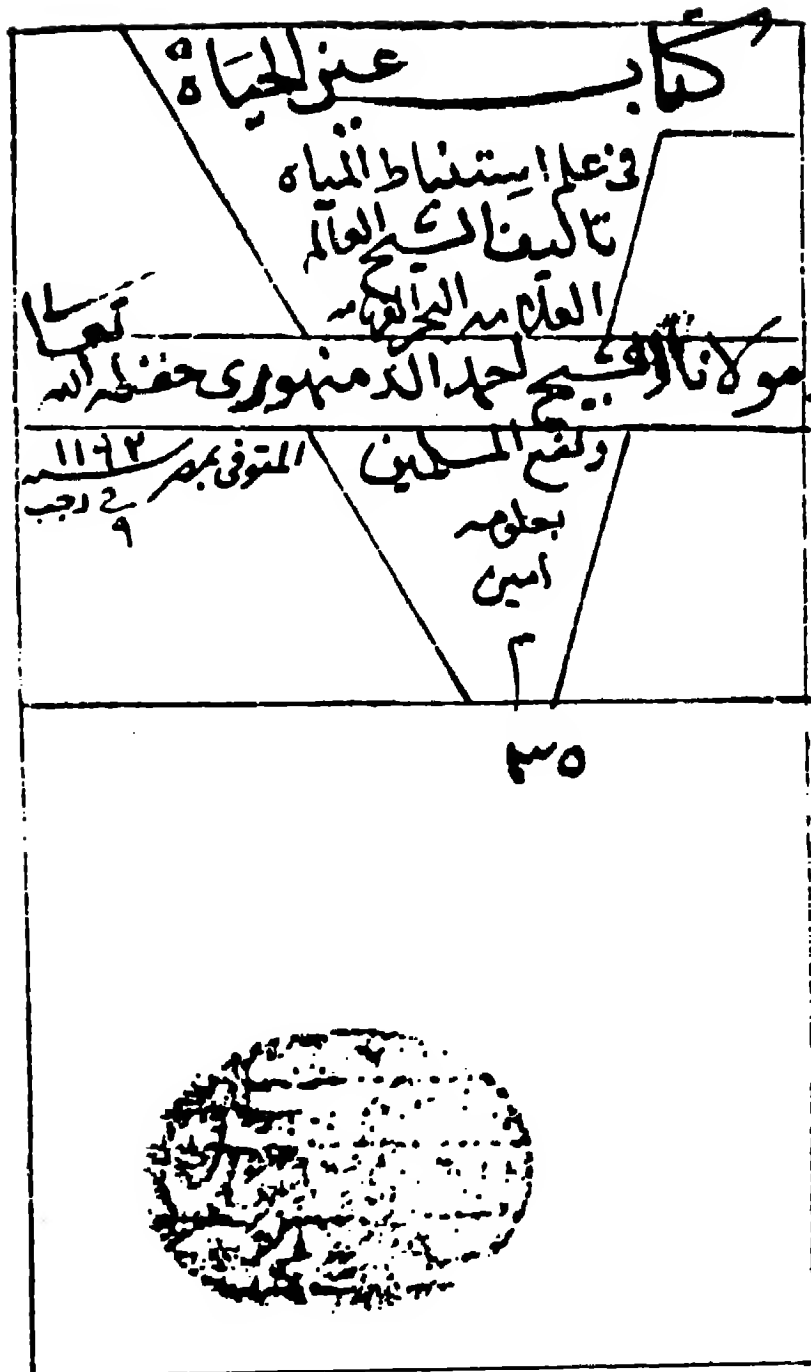
ولكن المخطوطة تثبت ، من جهة أخرى ، أن العالم العربي كان منعزلاً عما يجري في العالم الخارجى ، وأن العلوم العربية انعزلت عن الواقع وتقوّعت على ذاتها ، ولذلك جاءت العلوم الأوروبية أكثر تطوراً .. وهذا ما تؤكده إشارة الشيخ الدمنهورى في المخطوطة « أما ناحية المغرب ، فيمنع البحر المحيط السلوك فيه ، لتلاطم أمواجه وشدة ظلمته » هذا مع أن القارة الأمريكية كانت قد اكتشفت بالفعل آنذاك ، ولم يعد المحيط الأطلنطى هو آخر الحدود الغربية

للدنهورى

---

للمعمورة ؛ لكن انعزال الواقع العربى عما يجرى فى العالم ، وعدم تفاعل العرب مع مكتشفات الغرب ، كان السبب فى تخلفهم - نوعياً - عن العلوم المتقدمة ، مع أن مبادئ تلك العلوم كانت موجودة لديهم ، لكن العلم يتقدم باستمرار .. والويل للمتخلفين .





غلاف المخطوطة

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٨ / طبيعيات تيمور



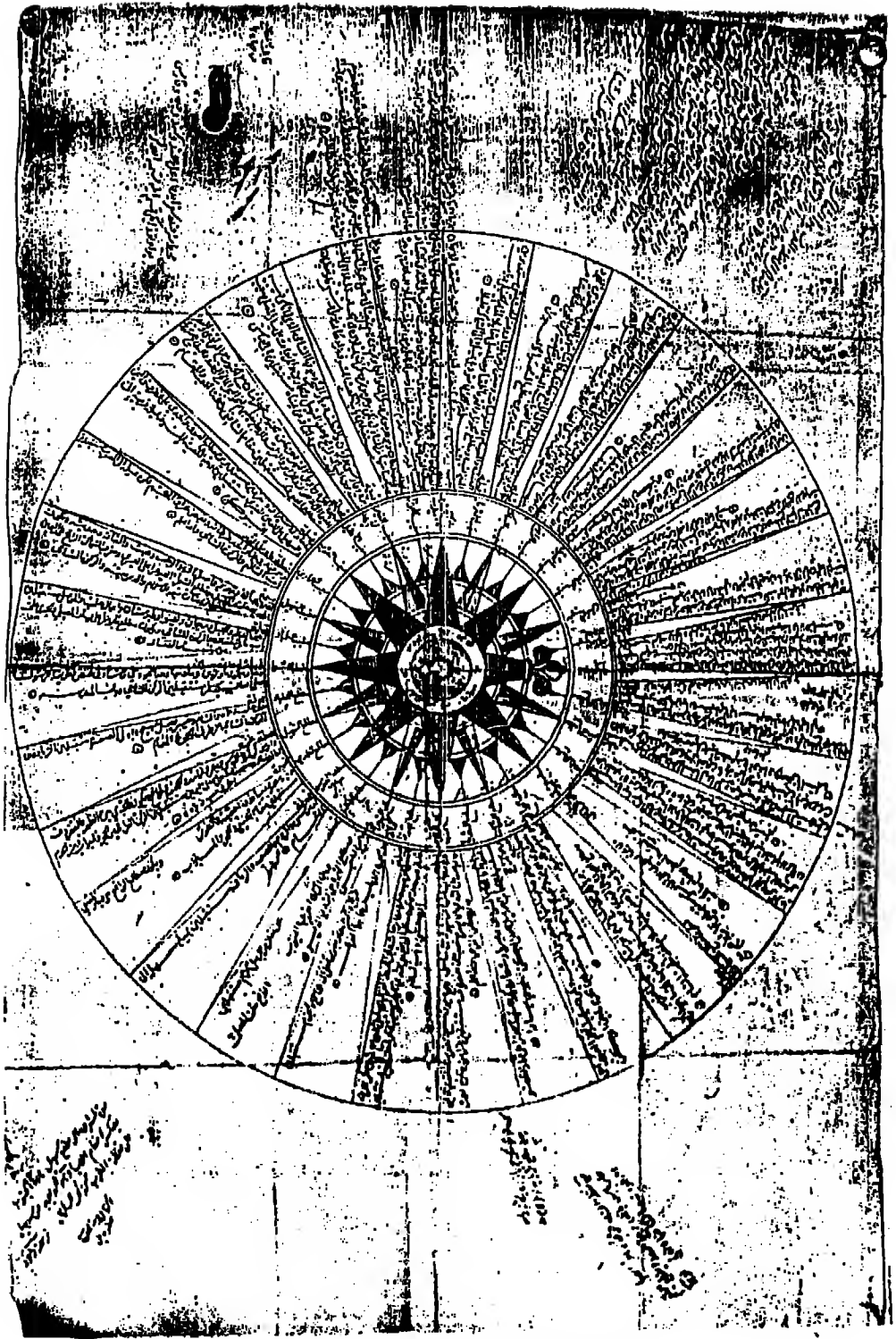


**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ اغْنِنِي**

حَمْدَ مَنْ يَفْضَلُهُ أَبَدَ الْكَائِنَاتِ وَأَجْرِي بِمَنْتَهُ بِالْمَأْتُونَ  
 الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَيَّ مِنْ اسْتَنْبَاطِ مَنْ  
 الْأَصْلَابِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمُنْقِذِ نَرَاهُ الْيَوْمَ الْحَسَابِ  
 وَعَلَى الدَّوَابِّ بِرَبِّيَا بَعِيعِ الْأَسْرَابِ وَالْتَابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ  
 بِإِحْسَانٍ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ وَبَعْدَ فَيَقُولُ الْمُسْتَمَطَّرُ بِحَابِ  
 عَفْوِ مَوْلَاهُ الْعَلِيِّ أَحَدِ بْنِ عَبْدِ الْمَنَعِ الدِّمَهَوْرِيِّ الْحَنْفِيِّ  
 الْمَالِكِيِّ الشَّافِعِيِّ الْحَنْبَلِيِّ هَذَا مَا التَّمَسُّ بِمِي وَاحِدٍ لِلْحَقِّقِينَ  
 وَقَدْ ذُقُوا الْعُقْلَ الْمَدْقُقِينَ عَمَلَةَ الْمُحْصِلِينَ لِمَذْهَبِ  
 النُّهْمَانَةِ الْفَائِقِ بِصَوَابِ فِكْرِهِ وَذَكَرَ بِرَبِّهِ سَائِرِ  
 الْأَقْرَانِ سَيِّدِي يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّغْوَانِيِّ ثُمَّ التَّوْنِسِيِّ  
 الْحَنْفِيِّ أَمَامِ سُلْطَانِ الْأَمْرَاءِ وَأَمِيرِ السُّلْطَانِينَ وَالْقَائِمِ  
 عَمَلِي سِنَاقِ الْجِدِّ وَالْإِحْتِمَادِ فِي أَحْيَا مَا أَنْدَرَسَ مِنْ مَطْلَمِ  
 الدِّينِ الْقَاطِعِ لِأَهْلِ الْبَغْيِ بِصَارِمِهِ وَسَيَّانَةِ الْمَقْبُضِ  
 عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ سَجَّاحِ حِلْمِهِ وَأَحْسَانَةِ الْبَاهِي حُسَيْنِ  
 ابْنِ عَلِيٍّ لَأَزَالَتِ الْأَغْصَانَ دَوْلَتَهُ مَوْرِقَهُ وَوَحْدِيْقَتَهُ

ملكه

الورقة الأولى من المخطوطة



الخريطة الفلكية الواردة بأخر المخطوطة

(صورة مصغرة)

## الفصل الثامن بعد العشرين ( مخطوطة طيبة ) :

### قَامُوسُ الْأَطِبَّاءِ وَنَامُوسُ الْأَبَاءِ

#### للقوصونى

تُثير إطلاقتنا على هذه المخطوطة قضيتين :

القضية الأولى : هى امتداداً لما تعرضنا له فى الفصل السابق ، أعنى ضرورة إعادة النظر فى أحكامنا العامة على العقلية العربية فى القرون المسماة بقرون التخلف ، فقد رأينا عند الكلام عن الشيخ أحمد الدمنهورى أن العلم العربى - فى مصر - لم يكن على هذا النحو المزعوم من التخلف ، وإنما كانت لدى علمائنا اهتمامات فى شتى صنوف العلم ، مما يكذب الدعوى بتخلفهم قبل مجيء الحملة الفرنسية .. وغنى عن البيان أن مستوى البحث العلمى العربى آنذاك كان أقل من مثيله فى بلدان أوروبا ، لكنه لم يكن منعدماً تماماً ، بدليل النهضة العلمية التى حدثت فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى ( أوائل القرن التاسع عشر ) والقفزة الحضارية التى قامت بها مصر فى عصر محمد على فأفزعت أوروبا ودفعتها للتخطيط لإجهاض مشروع محمد على فى مؤتمر لندن الشهير ، ولولا استعداد سابق ، وتهيؤ ، لما كانت العقلية العربية آنذاك قد استوعبت علوم أوروبا بهذه السرعة ، ولما كان الكيان الحضارى الناهض فى مصر والشام قد هدد أوروبا على هذا النحو الذى دفعها لاتخاذ التدابير اللازمة لتدميره ، وعلى أى حال ، فسوف نعود مع مخطوطة هذا الفصل ( قاموس الأطباء ) إلى الوراء قليلاً ، فتتوقف هذه المرة عند القرن الحادى عشر الهجرى ، الذى وُصف هو الآخر بأنه كان من عصور التخلف ، فنحاول أن نراه فى ضوء الجهود العلمية لأحد أعلامه فى مجال الطب ( القوصونى ) لعلنا نعيد النظر فى تهمة التخلف التى ألصقناها بالقرن الحادى عشر الهجرى .. اللهم إلا إذا أصررنا على النظر إلى التاريخ العربى بحسب تطور التاريخ الغربى الذى صار

اليوم بمثابة ( التاريخ العام للإنسانية ) وهذا وهمٌ كبير يسعى الغرب للترويج له ، فيصدِّقه ضعاف العقول وجهلة التاريخ<sup>(١)</sup> .

القضية الأخرى : هي واحدةٌ من القضايا المطروحة أمامنا اليوم ( في بلدان العرب ) أعنى قضية تعريب الطب .. وهي قضيةٌ تختلف فيها الآراء ، فالرافضون للتعريب يخشون من عدم قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات الطبية المعاصرة ، ويرون أن اللغة الإنجليزية هي لغة عالمية متقدمة تستطيع أن تساير التقدم العلمي العالمي في مجال الطب . والرأى الآخر يؤيد تعريب الطب ، ويراه ضرورة لا مفر منها لتأكيد الهوية ، فكما يدرس الطب في فرنسا بالفرنسية وفي ألمانيا بالألمانية .. إلخ ، لا بد وأن يدرس الطب في البلاد العربية بلغة هذه البلاد ولا يزال الخلاف يدور حول هذه المسألة ، وكل فريق يقدم حُججه وأدلته المؤيدة لرأيه ، ولا تزال القضية معلّقة ، فبعض البلدان العربية - مثل سوريا - أقدمت بالفعل على تعريب الطب ، بينما أغلب البلاد الأخرى في الوطن العربي تدرسه بالإنجليزية .. ولعله من المفيد لنا في غمرة هذا الخلاف الدائر حول تلك القضية ، أن ننظر في هذه المخطوطة بعين الاعتبار ، لعلنا نرى فيها ما يعين على وضوح القضية في أذهاننا ، ويسر اتخاذ الموقف الصائب بصدددها .

\* \* \*

مؤلفٌ مخطوطة ( قاموس الأطباء وناموس الألباء ) هو : رئيس الأطباء ، مَدِينُ بن عبد الرحمن القَوْصُونِي . هكذا ورد التعريف به في المراجع القليلة التي أشارت إليه<sup>(٢)</sup> ، مما يثير

(١) ويروج الغرب هذه الأيام الحاضرة ، لمقولة عجيبة صاغها باحث ياباني الأصل أمريكي الجنسية والتفكير ، يسمى ( فوكوياما ) .. هي مقولة : نهاية التاريخ ! وهي تزعم - باختصار - أن مسيرة التاريخ الإنساني قد وقفت عند النمط الليبرالي الغربي الذي تمثله ( أمريكا ) أصدق تمثيل ، وبالتالي فلا مجال لحركة جديدة في تاريخ البشرية ! .

(٢) باستثناء ترجمة القوصوني في الجزء الرابع من كتاب المحبى ( تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ) فلا نكاد نجد عنه إلا بعض الشذرات المتناثرة في :

- معجم المؤلفين لكحالة ١٢ / ٢١٣ .

- هدية العارفين للبغدادي ٢ / ٤٢٣ .

- كشف الظنون لحاجي خليفة ص ١٣٠٦ .

بعض الإشكالات التي أولها : لم توضّح المراجع المراد بلفظ ( رئيس الأطباء ) فهل تنسحب رياسته على أطباء مصر كلهم أم على مستشفى واحد بالذات ؟ وثانيها : أن بعض المراجع - كمعجم المؤلفين - تذكر أن لقبه « القيصوني » لا القوصوني ! وثالثها : أن كفاة الإشارات لم تذكر متى توفي ؟ .

وسوف نسعى فيما يلي إلى حلّ هذه الإشكالات ، كمحاولة للمزيد من التعريف بهذه الشخصية التي لم تحظ حتى الآن بأية دراسة في المكتبة العربية - ولا الاستشراقية - ولم يُنشر عنها ، أو لها ، أى كتاب ! وبخصوص الإشكالية الأولى نقول :

أما رياسة الطب ، فالثابت أن القوصوني كان مديراً للبيهارستان المنصوري في القاهرة ( المعروف في زمن القوصوني باسم : دار الشفاء ) فهل كان رئيس أطباء دار الشفاء فحسب ، أم عموم أطباء مصر ؟ إن الذى ذكرته المصادر صراحةً أنه كان رئيساً لأطباء مصر جميعاً ، هو قوصونى<sup>(١)</sup> آخر ، أعنى ( الشيخ محمد شمس الدين القوصوني طيب السلطان الغورى ومدير دار الشفاء المتوفى ٩١٧ هجرية ) بينما اكتفت المصادر بصدد « مدين القوصوني » بأنه : رئيس الأطباء<sup>(٢)</sup> .. ومع ذلك ، فإن دار الشفاء كانت أكبر مستشفى في مصر آنذاك ، وكان متولى إدارتها من الأطباء هو رئيس عموم أطباء مصر<sup>(٣)</sup> . وقد كان أول رئيس لهذا البيهارستان ، هو ابن النفيس ( رئيس أطباء مصر ) ثم تولى من بعده جملة من مشاهير الأطباء في كل عصر<sup>(٤)</sup> .

(١) ترك البغدادي - في هدية العارفين - المسألة معلقة ، فقال : رئيس الأطباء بمصر ! .  
 (٢) يقابل منصب « رئيس الأطباء » ما نسميه اليوم « وزير الصحة » وكانت مهامه تتمدد بين متابعة أحوال الصحة العامة ، وتخريج الأطباء الجدد وامتحانهم ، ومراقبة الأوقاف الخاصة بالمستشفيات ، وتفقد أحوال المرضى بها ، وإدارة المستشفى المنصوري الذى كان بمثابة مقر وزارة الصحة .  
 (٣) لا يزال هذا البيهارستان ( المستشفى ) قائماً إلى اليوم بموضعه في شارع بين القصرين بالقاهرة ، وهو بذلك أقدم مستشفى في مصر والعالم العربى . ويعرف اليوم باسم ( مستشفى قلاوون للرمذ ) وكان اسمه قبل ذلك ( دار الشفاء ) وعُرف في زمن إنشائه باسم ( البيهارستان المنصوري الكبير ) نسبة إلى المنصور قلاوون الذى أمر بتشيده سنة ٦٧٣ وبدأ العمل به بعد عام واحد من هذا التاريخ . وبخصوص تاريخ هذا البيهارستان خلال القرون الثمانية الماضية ، يمكن الرجوع إلى الفصل البديع الذى أفرده له الدكتور أحمد عيسى في كتابه : تاريخ البيهارستانات في الإسلام ( دار الرائد العربى - بيروت ص ٨٣ : ١٧١ ) وقد عدّد المؤلف أسماء الأطباء الذين تولوا رياسة البيهارستان ، ومن بينهم مدين القوصوني ، لكنه لم يذكر ( ابن النفيس ) أول رؤسائه ! .

أما بخصوص لقب ( القيصونى ) فقد انفرد به عمر كحالة<sup>(١)</sup> ، وهو ليس بحُجَّةٍ في مسألة الألقاب ، ولعل تصحيحاً وقع عند طبع الكتاب فانقلب اللقب من قوصونى إلى قيصونى .. وربما يكون لقب ( القوصونى ) نسبة إلى بلدة ( قوص ) الشهيرة بصعيد مصر ، وهى بلدة كانت لها مكانتها في القرون السالفة<sup>(٢)</sup> .

أما وفاة القوصونى غير المحددة في المصادر والمراجع ، فهى حالةٌ فريدة ، ففى غالب الأمر نجد تاريخ وفاة الأعلام محدداً بدقة في كتب التراجم ، أما تاريخ المولد فقد تسكت عنه التراجم ( نظراً لأنه لم تكن هناك سجلات للمواليد أما الوفاة بعد الشهرة فأمرها معروف ) لكننا في حالة القوصونى نجد العكس .. فقد أجمعت المصادر على أنه ولد سنة ٩٦٩ هجرية ، لكنها لم تذكر تاريخ وفاته . وقد ذكر المُجِيبى أنه كان حياً سنة ١٠٤٤ هجرية ، وقال في آخر ترجمته للقوصونى : ولقد سعيثُ جهدى في تحصيل وفاة صاحب الترجمة ، فلم أظفر ، لكن غاية ما حققت من خبره أنه كان في سنة أربع وأربعين وألف موجوداً في الأحياء ، كما يُعلم ذلك من تاريخه الذى وضعه ، والله أعلم<sup>(٣)</sup> . وربما يكون هذا الأمر الفريد بسبب شهرة والد القوصونى من جهة - ولذا أُرِخَّ الناس لمولد ابنه<sup>(٤)</sup> - ومن جهة أخرى بسبب اعتزال مدين القوصونى الحياة العامة في آخر عمره ، وانزوائه ، كما فعل العديد من معاصريه<sup>(٥)</sup> ، بحيث غاب تاريخ وفاته عن أهل زمانه .. والذى يرجح ذلك ، هو هذا الخبر الذى أورده ابن إياس

(١) معجم المؤلفين ٢١٣/١٢ .

(٢) يقول ياقوت الحموى عنها : قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة ، قصبه صعيد مصر ، أهلها أرياب ثروة واسعة ، وهى محط التجار القادمين من عدن .. ( معجم البلدان ٤ / ٤١٣ ) وهى اليوم بلدة تابعة لمحافظة قنا بجنوب مصر .

(٣) خلاصة الأثر ٣٣٣ / ٤ .

(٤) وقد نص القوصونى صراحة في آخر مخطوطة « قاموس الأطباء » على أن مولده كان سنة ٩٦٩ هجرية .

(٥) تكثر في أزمنة الاضطرابات والضعف الحضارى ، عملية انسحاب العلماء عن الحياة العامة في آخر عمرهم .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، بدايةً من الإمام أبى حامد الغزالى وحتى الدكتور جمال حمدان والدكتور عبد الرحمن بدوى .

للقوصونى

حين ذكر أن الأشرف قايتباى أمر ( فى شعبان سنة ٩٠٢ هجرية ) أن تقطع الحيات التى تصنع منها الأدوية فى بيهارستان قلاوون ، بحضرته ، حتى يتفترج عليها ، فأحضرها بين يديه فقطعت بحضرته وهو ينظر إليها ، ثم خلع ( = منح مالاً ) على رئيس الطب شمس الدين القوصونى وولده<sup>(١)</sup> .

والمعروف أن شمس الدين محمد القوصونى ، المذكور ، توفى سنة ٩١٧ هجرية ، مما يعنى أن فى أسرة ( القوصونى ) مشاهير قبل ( مدين بن عبد الرحمن ) ولا أحبُّ هنا أن أزيد فى الافتراضات غير المؤكدة ، وإن كان ثمة افتراض يطوف بذهنى .. هو : لماذا لا يكون رجلنا هو ( أبو مدين عبد الرحمن بن محمد القوصونى ) وبالتالي فهو ابن ( شمس الدين محمد القوصونى ) الذى خلع عليه قايتباى مع والده ، خاصة أن تاريخ الواقعة التى حكاها ابن إياس - سنة ٩٠٢ - يوافق بلوغ صاحب « قاموس الأطباء » الثالثة والثلاثين من عمره ، وهو سنٌ مناسب لحضوره واقعة قطع الحيات بوصفه مساعدًا لوالده رئيس الأطباء ، هذا محض افتراض ! .

والمؤكد - بعد كل هذه الترجيحات والافتراضات - أن القوصونى نشأ بالقاهرة ، ودرس على جماعة من مشاهير عصره ، فقد ذكر المٌجيبى أنه درس الطبَّ على يد أشهر أطباء عصره « الشيخ داود الأنطاكى صاحب التذكرة » وأخذ العلوم عن شهاب الدين أحمد بن أحمد المتبولى الشافعى ، والشيخ عبد الواحد البرجى .

وقد أضاف القوصونى فى خاتمة مخطوطته « قاموس الأطباء » إلى مشايخه : محمد شمس الدين الغيطى ، الشافعى المتوفى ٩٨٢ هجرية - جمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، المتوفى ٩٨٤ هجرية - بدر الدين محمد بن محمد الكرخى الشافعى ، المتوفى ١٠٠٥ هجرية - شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملى المتوفى ١٠٠٤ هجرية .. وهكذا

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ( اسطنبول ) ١ / ٣٥٠ - نقلا عن : تاريخ البيهارستانات ، ص ١٠٠ .

تلقي القوصوني الطب على أشهر أطباء العصر ، هو كطبيب ، تولى رئاسة البيارستان المنصوري ( دار الشفاء ) ومشیخة الطب بمصر ، بعد ابن الصائغ .

ويذكر المؤرخون للقوصوني مجموعة من المؤلفات التي لم تقتصر على الطب ، ففي الأدب كتب ( ریحان الألباب وریعان الشباب في مراتب الآداب ) وفي التاريخ ( تاریخ مصر <sup>(١)</sup> ) الذي توقف فيه عند سنة ١٠٤٤ - هجرية - على ما يقول المحيبي <sup>(٢)</sup> - وله في الطب كتابان ، الأول : طبيبات الأنباء في طبقات الأطباء . والآخر : قاموس الأطباء وناموس الألباء <sup>(٣)</sup> ، وقد انتهى منه سنة ١٠٣٨ هجرية .

\* \* \*

في مقدمة « قاموس الأطباء » يبدأ القوصوني بحمد الله تعالى : « الذي جعل لسان العرب قاموساً مديداً ، وناموساً مفيداً ، وفردوساً فريداً ، وبلجةً تستخرج منها صحاح الدرر .. » . وكأنه بذلك يلفت الأنظار إلى مقدرة اللغة العربية على التعبير عن دقائق كل العلوم ، وعدم قصورها عن اللحاق بما يتطور دائماً من المعارف .

ثم يتخذ القوصوني موقفاً تقدمياً حين ينتقد قول بعض معاصريه : « ما ترك الأوائل شيئاً للأواخر » وهي قولة رجعية كفيلة بتجميد العلم وتخلف المعرفة ، ولذا ينتقدها القوصوني بشدة ، موضحاً أن الاقتصار على ما يقدمه الأوائل في العلم والمعرفة هو نوع من السهو والتخلف ، فقد وضع الأوائل قواعد العلوم كي يأتي من بعدهم فيستكملوا الفروع ويحرروا الدقائق .

(١) ذكر القوصوني في خاتمة مخطوطته « قاموس الأطباء » أن له كتاباً آخر في التاريخ والتراجم بعنوان : الروح الباصر في بعض وفيات أهل القرن العاشر . وسوف يمر علينا بعد قليل أن له كتاباً في العشق ا .  
(٢) خلاصة الأثر ٤ / ٣٣٣ .

(٣) اعتمدنا فيما يلي على النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق ( وقد قام بجمع اللغة العربية بدمشق بتصويرها ) .. وكان الدكتور أحمد عيسى قد ذكر في كتابه ( تاريخ البيارستانات ص ١٦٥ ) أن في خزانة كتبه الخاصة نسخة مخطوطة من الكتاب . وتجدر الإشارة إلى أن مخطوطة الظاهرية نقلها محمود صدقي الناسخ بدار الكتب المصرية ( من نسخة أقدم محفوظة بالدار تحت رقم ٣٠ / طب ) سنة ١٣٤٠ هجرية الموافقة ١٩٢٢ ميلادية - كما هو مذكور بالطرزة الأخيرة من الجزء الثاني للمخطوطة .



بعد ذلك نرى القَوُصُونِي وهو يوضِّح لنا فضل علم الطب ، قائلاً : إن كُـلَّ عِلْمٍ يَشْرَفُ على غيره إما بحسب موضوعه ، ولاشك أن العلم الإلهي أشرف العلوم ؛ لأن موضوعه أشرف موضوع ، وهو ذات الله وصفاته ، والطب يجب أن يكون بعده ؛ لأن موضوعه هو بدن الإنسان الذي هو أشرف المواليد ؛ أو يكون شرف العلم بحسب شدة الحاجة إليه ، ولا شك أن الحاجة إلى الطب أشدُّ منها إلى غيره .. وما يُسْتَدَلُّ به على شرف الطب أيضًا ، أن الإنسان إذا عرف علم التشريح ، عرف قدر ما أودعه الله في البدن من الأسرار ، وهذا من أقوى الدلائل وأعظم الوسائل إلى الاعتراف بالخالق العظيم .

والعبارة الأخيرة في هذه الفقرة ، توضح تهافت رأى المستشرقين الذين زعموا أن الأطباء العرب لم يعرفوا التشريح ، وأن اكتشافاتهم لأسرار البدن الإنساني هي محض آراء نظرية .. فهاهو القَوُصُونِي يشير بما لا يدع مجالاً للشك ، إلى أن التشريح كان علمًا معترفًا به عند الأطباء العرب ، وأنه لا يخالف الشريعة الإسلامية ، بل هو دافع لمعرفة قدرة الخالق في صنع الأبدان ، وهذا الأمر نراه أيضًا عند غالبية أطباء المسلمين ، مما يعنى أن هؤلاء الأطباء - على اختلاف عصورهم - لم يُنكروا الاشتغال بالتشريح ، وإنما جعلوه مبحثًا أساسيًا من مباحث الطب ، وطريقًا لا غنى عنه في اكتشاف أسرار الجسم الإنساني .

ويوضح لنا القَوُصُونِي طبيعة الكتاب ، فيقول في مقدمته : شرعتُ في هذا الكتاب الذي لم يُنسج من قبل على منواله ، لما اشتمل عليه من ذكر أنواع المفردات من المعدن والحيوان والنبات ، إلى ضبط لفظه بما ذكره أئمة اللغة بأصح ضبط ، وذكر أسماء المركبات وما يُستعمل منها وصفة تركيب بعضها كالترزياق ، وذكر أعضاء بدن الإنسان وضبط كُـلِّ عضوٍ منها مع ذكر تعريفه وتشريحه والأوصاف المتعلقة به .. وذكر الأمراض وضبط كل مرضٍ منها وتعريفه وسببه وعلامته وعلاجه بحسب الوقت والزمان ؛ وقد رتبت الكتاب على ترتيب القاموس أبوابًا وفصولًا .

ولم يفت القَوُصُونِي أن يشير إلى الأصول التي اعتمد عليها في إخراج قاموسه الطبى ، وهو ما يعرف اليوم باسم ( الأمانة العلمية ) فنراه وهو يذكر المراجع الأساسية مثل : التهذيب

في اللغة للأزهري - المخصّص والمُحكّم في اللغة لابن سيده - لسان العرب لابن منظور -  
القانون في الطب لابن سينا - الشامل في الصناعة الطبية لابن النفيس .. وغير ذلك من  
أمهات كتب الطب واللغة .

\* \* \*

ومخطوطة ( قاموس الأطباء ) تقع في مجلدين .. ومن خلالها نتعرف على بعض المفردات  
التي يقدمها لنا القوصوني ، أو بالأحرى ، يقدم لنا خلاصتها :

\* في فصل الميم من باب الهمزة ، يحدثنا القوصوني عن أحد الأمراض النفسية التي  
تعرّض لها العرب بالدراسة والبحث ، ليثبت لنا كيف اهتم أجدادنا بهذا الفرع الطبي الدقيق ..  
يقول القوصوني في معنى لفظ « المالنخوليا » مانّصه : المالنخوليا ، بالنون الساكنة وفتح اللام  
الأولى وكسر الثانية ، اسمٌ لنوع من الجنون ، وهو لفظ يوناني معناه « الخلط الأسود » وهو سبب  
هذا المرض ، فسُمّيَ باسم سببه . قال الثعالبي في فقه اللغة : هو ضربٌ من الجنون يُحدث  
بالإنسان أفكاراً رديئة ، ويفلبه الخوف والحزن ، وربما صرّح ونطق بتلك الأفكار ، وخلط في  
كلامه ، وقال الأطباء : هو عبارة عن تغيّر الظنون عن المجرى الطبيعي ، وعلامته الفكر والخوف  
والفرع والتخيلات الرديئة وحُبُّ الوحدة والظلمة ، وعلاجه الفصد وترطيب البدن بالأغذية  
والأشربة وتقوية الدماغ والقلب بالمفرّحات ( الأدوية ) المعتدلة .. ثم يسهب القوصوني في  
بيان الأنواع المختلفة من الجنون السوداوى ، وعلامة كل نوع منها وعلاجه ، ثم يكشف عن  
الاتجاه العلمى والابتعاد في الطب عن الخرافة ، حين يختم كلامه عن هذا المرض النفسى بقوله :  
« قال بعض الأطباء : قيل : إن المالنخوليا تحصل عن الجن ، ونحن من حيث الطب لا نتقيّد  
بذلك .. » وذلك يعود بنا إلى العبارة الرائعة التي نراها عند ابن سينا - في كتابه القانون - حيث  
يقول فيها يزعمونه من أن هذا المرض سببه الجن : ما علينا من حيث نتعلم الطب ، إذا كان هذا  
المرض ينشأ عن جنٍّ أو غير جن ، بل نقول : إن سببه القريب هو تصاعد الخلط السوداوى إلى

الدماع .. إلخ<sup>(١)</sup>، ويبدو أن القَوُصُونِي كان يقصد ابن سينا حين قال: « قال بعض الأطباء » أو هو حفظ العبارة ونسى قائلها، فأشار إليه بقوله: « قال بعض الأطباء » كى لا ينسب الفضل في ذلك لنفسه .. وهذا درسٌ آخر في الأمانة العلمية التي صرنا نفتقدها اليوم في كثير من الأبحاث المعاصرة .

\* وفي فصل العين من باب القاف، يحدّثنا القوصونى عن مريضٍ نفسى آخر، هو العشق ! فيقول: « العشق - بالكسر - إفراطُ الحُبِّ، أو عُجْبُ المحبِّ بالمحبوب، قال أرسطو: هو عمى القلب عن عيوب المحبوب، وقال الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية: هو مأخوذ من العشقة، وهى اللبلاية التى تلتف على شجرة العنب، فهو يلتف بقلب المحب حتى يعميه عن النظر إلى غير محبوبه . وقال الشيخ (ابن سينا): هو مرضٌ وسواسى شبيه بالمانخوليا يجلبه الإنسان إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التى له، ثم أعانه على ذلك شهوته .. وقال بعض الحكماء: هو طمع يتولد في القلب وينمو مع حرص، وكلما قوى ازداد صاحبه في الاهتياج والتهادى في الطمع والحرص على الطلب، حتى يؤدي ذلك إلى الغمِّ والسهر، وعند ذلك يحرق الدم وتلتهب الصفراء ويستحيلان إلى السوداء، وهى مفسدة للفكر منقصة للعقل موجبة لرجاء ما لا يكون؛ وتمنى ما لا يتم، مؤدية إلى الجنون! وحيثتذ، ربما قتل العاشق نفسه، وربما مات غمّاً، وربما نظر إلى معشوقه فهات فرحاً.. »

على النحو السابق، ينتقل القوصونى من الدلالة اللغوية للفظ العشق، إلى الدلالة العامة له باعتباره مرحلة متقدمة من الحب، ثم يعرض لتلك الأمراض المرضية الجسمية الناشئة عن هذه الحالة النفسية - وذلك ما يعرف اليوم باسم: الأمراض السيكوسوماتية - والقَوُصُونِي في ذلك يستفيد من كل التراث السابق عليه، فيجمع على صعيد واحد آراء أرسطو الفيلسوف اليونانى، وابن عربى شيخ الصوفية الأكبر، وابن سينا شيخ الأطباء الرئيس؛ وكأنه يدرك أن المعرفة الإنسانية هى تراكمٌ إنسانى لا يقف عند حدودٍ قومية أو تخصصاتٍ علمية ..

(١) ابن سينا: القانون في الطب ٦٦/٢ .

ولم يتوقف كلام القوصونى عن (العشق) عند هذه الفقرة التى ذكرناها، وإنما يسهب بعدها فى بيان: أصل العشق وسببه - علاماته فى الجسم - صلته بالنبض - مَهَيِّجَاتِهِ - محاسنه - علاج الحاد منه .. إلخ، ويختم ذلك بإشارة إلى أنه أَلَّفَ فى العشق ومعانيه كتابا بعنوان: مُشْتَقَاتُ الْعِشَاقِ مِنْ أَسْوَاقِ الْأَشْوَاقِ .

\* وبعيدًا عن الظواهر النفسية وحقائقها الطبية، يقدم لنا قاموس القَوْصُونِي شيئًا من الصيدلة والعلاج بالأعشاب. فيقول فى فصل التاء من باب اللام: التَّمْلُولُ - كعصفور - بقل اسمه بالنبطية «فنابرى» وبالفارسية «برغشت» وهو شجر البهق، سمى بذلك لنتفه البهق (= مرض جلدى) نفعًا بيّنًا ظاهرًا سريعًا. وهو بقل برى ينبت فى آخر الشتاء ويكثر فى أول الربيع ويستمر إلى آخره، يؤكل مسلوقةً، وورقه أصفر من ورق الهندباء البرى، وثمره أبيض اللون، ويخلف بذرًا أغبر اللون دقيقًا، وهو - أعنى البقل - حار يابس فى الأولى .. قال الشيخ (= ابن سينا)، هو أنفع شىء للوضع أكلاً وضمانًا، يُذهب الكلف والبهق فى أيام يسيرة، وبهذا تعرفه العرب، ويفتح سُدَدَ الرئة والكبد والطحال، ومُطْلَقٌ للطبيعة ويزيل المنغص، وقال القرشى (= ابن النفيس): وهو ملائم للمحرورين والمبرودين معًا، لقرب مزاجه من الاعتدال.. إلخ.

\* \* \*

ويمضى «قاموس الأطباء» ليعرض عبر صفحاته، خلاصة ما انتهى إليه العلم العربى فى ميادين الطب والصحة العامة وأمور العلاج والفسولوجيا وتكوين الأعضاء وتشريح العظام والعضلات والصيدلة والموازن الطبية وخواص الحيوان .. وقد صيغ ذلك كله بلغة عربية سليمة.

وبعد .. فهل نقول عن عصر القَوْصُونِي: إنه كان عصر تخلف! وهل سنظل نختلف حول قضية تعريب الطب! وهل سيظل «قاموس الأطباء» مخطوطًا؟ .





الحمد لله الذي جعل لسان العرب قارة ساردا واما حوسا سفدا وورد ساذية وكبحه التفتيح  
صاح الدرر ولما سلكا وشفا مسلا وفضيا مضمنا وكشفا من كل اشترو عجا باسئرا وصيدا  
بسادور وضاهرها يعطف من انب نابع الثمر وفاقونا ويا وشفا ويا وارشا واسزيا باو يا على  
الجبائر والبراهمة حمد عبد نوز امد جنة بغير اسل السادة والسهة حلل الغفل والسيادة  
ويزنة الحسنة وزيادة وحة بطط في القضا والقدور وطلسا نه ترفيقه عن حبراج الاعراض والهم  
بفضله علم معالج الامراض والاعراض وانه ذكره مسرته حياين الجواهر والاعراض والاسان  
نفع وضرر واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي خلق الانسان من نطفة امشاج  
وركبه على اعدل ارجح من غير زاو له ولا علاج وشته به السبع والبهر واشهد ان سيدنا محمد  
عبده ورسوله السيد الاكظم والحبيب الاكرم والخليل الاكرم ما صفة خلاصة كتابه ومضربا في  
بقا تون شريفة تاغم من الاجسام وداوى بوجبه كلامه ما فسد من الانعام وفتح بابا لربنا  
ما انقلن من الاحكام وشته نه على ساير البشر صلى الله عليه وسلم وزاوه مشرفا وكرا لديره  
اولم اءادوا قوا مسل احسانه اير ما انفتت في اهب العكر لمن حقق ونظر وبد فيقول انشر المنكر  
بالجزو والتقصير الراجي عوربة الغريب دين بن عبد الرحمن العيب وارا الشفا بصره عقر الله كل امر  
وجعل عر كل امر ووقفه لكل محمود ميثاق واخر ما كل من التفت اتقن ولا كل من منعت احسن الغفل  
مراهب والهم مراتب والعلم بحبه زاجر وكم ترك الاول لا حشره وكيف لا وينفع العلوم ونه بعب  
وحشره يرا وترتيبها وتحقق المنقول منها والمعقول انما هو من نتاج العقول الال مسلاة لمن  
كله اضر بالعلم من قولهم ما ترك الاول لا حشرنا اذا كان المتأخر يتبع من العلم والتعلم ويقتره

مخطوطة قاموس الأطباء الصفحة الأولى - الجزء الأول  
نسخة الظاهرية (ملونة في الأصل)

قدرة المقدم هو سبب عظيم أو كحل مجتهد يصب في كل ما يشاء من العلم أو كثر عمل أو صغر عمل أو كان الأول أو ثان أو سبق  
في استخراج الأصول والتمهيد فالاخراشتغلوا بتفريع الأصول التمهيدية وكان الأول أو ثان أو سبق  
علي من بعدهم بالنسبة التمهيدية فالواخر قصروا حق من بعدهم بالتحقيق والتجريب الشئ وقد اجادوا وحده  
الزمان وفريد الاوان ذو التحقيق والعضادة والتدقيق والسبلة اوضح العيون من مجرد نشر الدين في كل  
حيثما لا ولم احسن بل من المزمع من المعرفة والرياء نشئت بقول احمد بن سينا ارب مستند  
النمان ولكن اقول لكحال ابو العباس الكمال وسوا القائل المحقق ليس بقدم العتد بفضل القائل ولا في ذاته  
يتقسم المصيب ولكن يعطى كل سبب اشئ قلت قوله القائل لغاية الخطي والمراو بقول اديب معرفة

النمان ولرواني وان كنت الامير رانه لالت بالم سيطرة الاذائق  
وقال ابن عمار رحمه الله  
انا ابن عمار لا اخفى على احد - الا على جبال سمس والعمر  
ان كان احسن في دهرى فاعجب - فز ايد الكتب يستحق الظهور

بذوان كل علم فانه يشرف على غيره اما بجم موضوعه ولا في كس ان العلم الالهى اشرف العلوم  
لان موضوعه اشرف موضوع لان الموضوع عنه فموضوعات اسد وصفاته والطب يجب ان يكون  
مجده لان موضوعه بن الانسان الذي هو اشرف مواليد الاركان والما بجم شدة  
الحاجة اليه في كل حين واوان في خبر وزمان ولا شك ولا ارياب عند ذوى الالهاب ان الحاجة  
الى الطب اشده منها الى غيره لان كل علم لا يمكن بحجده الابد صحه الا بان الانسانية وسلاستها  
من العطل البينة والفسانية مما يستدل على شرفه ايضا مور منها ان الانسان اذا عرفت  
علم الف شرح عرف قدر ما او وعده في هذا البدن الخيف واليسكل اللطيف الشرف من الاسرار  
الحقيقة الخيرة للعقول الزكية واذا عرف ذلك كذا كان ذلك لمن قوى الدلائل واعلم الوسائل  
الى اعترافه الخافى كالحكم الذي احسن كل شئ خلقه ومولخلاق العليم ومنها ان اذا اطع على ما في كل خلقه  
من اقسام الاستقام والارواح الما به من الامام وعلم انه سبحانه وتعالى وضع في معاينة كل واداء  
وكل الم متعاد ذلك طاعايتها به بمبذه البينة الضعفة والحلقة النجدة فذوال شيق كل لحظة من  
برمان الى برمان وكل لحظة من مشاهدة احسان الى احسان ومنها ان الطب يفيد الجاهل بالصحة  
والصحة الكافة والحياة مع القوية افضل منها مع المرض ومنها ان يوصل العظيمة والنعمة الى العجز  
وكلما كانت العظيمة افضل كان المصلحة لها افضل ومنها ان معطي الذهب اذا كان يسبي جواد فيقضي  
الصحة بذلك اولي ان يتادى ومنها ما صنع عند صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم انه تراه وى  
وامر الله وى فسن ام سلمة رضي الله عنها قالت كان الاصبب النبي ام قرة ولا شوكة الا وضع

## فصل العين

العَبَال كسحاب الورد الجبلى وهو يعظم ويفلظ خنى يطلع  
منه العصى قبل ومنه كانت عصاة سيد ناموس عليه السلام  
العجل بالكسر ولدا البقرة ومثله مجول بكسر العين وفتح  
الجيم المشددة وسكون الواو وجمع الأول مجول كقدر  
وقدور وجمع الثايف مجاجيل كسور وسناير ولحمه يتلو  
لحم الضأن في حردة الفدا واعتدال الدم المتولد منه  
ويصلح لجميع الأسماء .

العَسَل محرّكة لعاب النحل يذ كر ويؤنث وجمعه اعسال قاله  
ائمة اللغة وقال الشيخ هو طول خنى يقع على الزهر وعلى  
غيره يلقطه النحل وهو نجار يصعد فينفع في الجوف يستعمل  
ينغلف في الليل يقع عسلا وقد يقع العسل كما هو بجبال  
قصران ويختلف بحسب ما يقع عليه من النجر والمجر والظاهر  
يلقطه الناس والحنف يلقطه النحل وأظن ان لتصرف النحل  
فيه تأثيرا وانما يلقطه ليفتدى به ويدخره . ومن العسل  
جنس حريف سمرانتهب وقال الامام القرشى ان الرطوبات  
اذا اتصعت في النهار بحرارة الشمس ولم تكن كثيرة ولم يكمل  
تصعد ما بل بقيت معلقة في الهواء القريب من الارض  
لقلة الدخانية وغلبة البخارية وانطفت بحرارة الشمس  
فاذا اجار الليل بردت تلك الأجزاء لزوال المسخن لها  
فعدت بطبيعتها باردة متكاثفة ثقيلة هابطة الظاهر الأرض

الصفحة الأولى من الجزء الثانى

( نسخة الظاهرية المنقولة من نسخة دار الكتب المصرية )





الفصل الثالث بعد العشرين ( مخطوطة طبية ) :

## قانونُ الزَّمانِ في تَدبِيرِ الإنسانِ

لابن البيطار

قامت شهرة ( ابن البيطار ) على كونه واحداً من أهم الصيادلة والعشابين في تاريخ الإسلام ، بل لعله أهمهم على الإطلاق . وقد نال كتابه ( الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ) عناية كبيرة على مر العصور ، ونُظر إليه على أنه أحد أهم الكتب العربية في هذا المجال .. لكننا في هذا الفصل من الكتاب ، ومن خلال هذه المخطوطة من تراثنا المجهول ، سوف نرى ابن البيطار في ثوبٍ آخر ، هو ثوب الطبيب النطاسي ، لا الصيدلاني العنَّاب .. فلتتوقف أولاً عند ابن البيطار ومؤلفاته بعامّة ، ثم نلقى الضوء على مخطوطته ( قانون الزمان في تقويم الأبدان ) ونسختها الفريدة .

\* \* \*

إن أفضل مدخلٍ للتعرف إلى ابن البيطار ، هو تلك الترجمة التي أورد لها أكبر مؤرخٍ طبي في الإسلام « ابن أبي أصيبعة » وذلك لغزارة المادة التي قدمها المترجم من جهة ، ولأنه من جهةٍ أخرى كان معاصراً للمترجم له . نقرأ في عيون الأنباء :

هو الحكيم الأجلُّ ، العالم ، أبو محمد عبد الله بن أحمد المألقي<sup>(١)</sup> النباتي ، ضياء الدين ، ويُعرف بابن البيطار<sup>(٢)</sup> . أوحد أهل زمانه ، وعنلّامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره

(١) مألقة : مدينة كانت عامرة بالأندلس ، تقع على شاطئ البحرين ، الجزيرة الخضراء وألمرية ، يتسب إليها جماعة من أهل العلم ( ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٤٣ ) .

(٢) البيطار : المرادف القديم للطبيب البيطري - من البيطرة : طب الحيوان - ولم يكن عالمنا يشتغل بذلك ، إنما اكتسب هذا اللقب بانتسابه إلى عائلة « ابن البيطار » الأندلسية الشهيرة .. ( راجع بخصوص هذه الأسرة ، مقدمة إبراهيم بن مراد لكتاب : تفسير كتاب دياسقوريدوس - دار الغرب الإسلامي ، ص ١٨ ، ١٩ ) .

ومواضع نباته ونعت أسماؤه على اختلافها وتنوعها . سافر إلى بلاد الأغرقة<sup>(١)</sup> وأقصى بلاد الروم ، ولقى جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير وعابنه في مواضعه . واجتمع أيضًا في المغرب - وغيره - بكثير من الفضلاء في علم النبات وعابن منابته وتحقق ماهيته . وأتقن كتاب ديسقوريدس<sup>(٢)</sup> إتقانًا بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه ، وذلك أنني وجدت عنده من الذكاء والفظنة والدراية في النبات ، وفي نقل ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس فيه ، ما يُعجب منه . وأول اجتماعي به كان بدمشق ، في سنة ٦٣٣ هجرية ، ورأيت أيضًا من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعراقه وجودة أخلاقه ودرايته وكرم نفسه ، ما يفوق الوصف ويُعجب منه . ولقد شاهدتُ معه في ظاهر دمشق كثيرًا من النبات في مواضعه ، وقرأت عليه أيضًا تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس ، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئًا كثيرًا جدًا . وكنتُ أحضر عدة كتب من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن ، فكان يذكر أولًا ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صحَّحه في بلاد الروم ، ثم يذكر جُمَل ما قاله ديسقوريدس من نعتة وصفته وأفعاله ، ويذكر أيضًا ما قاله جالينوس فيه من نعتة ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك ، ويذكر أيضًا جُمَلًا من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعتة ؛ فكنتُ أراجع تلك الكتب معه ، فلا أجده يغادر شيئًا مما فيها . وأعجب من ذلك أيضًا ، أنه كان ما يذكر دواءً إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس ، وفي أي مقالة هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة .. وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وكان

(١) يقصد : اليونان .

(٢) هو ديسقوريدس - دياسقوريدس - العين زربي ، أصله من عين زربه .. عاش في القرن الميلادي الأول وتوفي في الربع الأخير منه . كان قد جمع خبرته النباتية في كتاب أسماه : هيولى الطب Materia Medica وهو الكتاب الذي ترجمه حنين بن إسحاق - وغيره - إلى العربية ، فاشتهر عند العلماء العرب باسم : كتاب الحشائش . وقد راجع الكتاب مجموعة كبيرة من الصيادلة العرب القدماء ، وشرحه واعتنى بتفسيره جماعة أخرى ، منهم ابن البيطار .



- كتاب المغنى في الأدوية المفردة<sup>(١)</sup>. وهو مرتَّب بحسب مداواة الأعضاء الآلة .
- كتاب الأفعال الغربية والخواص العجيبة<sup>(٢)</sup>. انتهى<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وعلى الرغم من أهمية هذه الترجمة التي دونها ابن أبي أصيبعة ، إلا أن هناك بعض الأمور التي يمكن استخلاصها من المراجع والمصادر الخاصة بابن البيطار ، والتي من شأنها أن تزيد من معرفتنا بهذه الشخصية المهمة .. فمن ذلك :

أولاً: كان مولد ابن البيطار سنة ٥٧٥ هجرية أو سنة ٥٩٣<sup>(٤)</sup> على اختلاف القولين دون سند ل كليهما ! وقد ذكرنا في مناسبة سابقة أن العديد من مشاهير العلماء كانوا مجهولي المولد . ومع ذلك فنحن نرجح أن يكون مولده سنة ٥٩٣ هجرية ، ذلك أن إشارة ابن أبي أصيبعة إلى أن ابن البيطار مات « فجأة » تجعل هذا التاريخ أقرب للصحة ، إذ لو كان مولده سنة ٥٧٥ هجرية ، لكان عند وفاته قد بلغ الواحدة والسبعين .. ومن يبلغ هذا العمر لا تكون وفاته « فجأة » وإنما هي أمر محتمل لا يثير دهشة . فالأرجح أنه مات في الثالثة والخمسين من عمره ، فجأة ، سنة ٦٤٦ هجرية ( وتاريخ وفاته متفق عليه ) .

ثانياً : نشأ ابن البيطار في الأندلس بين أسرة مشهورة بالعلم ، ودرس على يد جماعة من مشاهير الأطباء والعشابين منهم : أبو العباس ابن الرومية - ابن حججاج الإشبيلي - عبد الله بن صالح الكُتامي .. لكن علم ابن البيطار لم يكتمل إلا بعد ترحاله الطويل ، وهو لم يدون كتباً

(١) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً .

(٢) هو كتاب يعد - اليوم - في حكم المفقود .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ( مكتبة الحياة - بيروت ) ص ٦٠١ .

(٤) عرض إبراهيم بن مراد في مقدمة تحقيقه لتفسير كتاب ديا سقوريدس ( ص ١٩ ) لكلا التاريخين ، دون ترجيح لأحدهما .

لابن البيطار

إلا بعد استقراره في مصر والشام أيام حكم الأيوبيين ، وتلك سمة عامة في علماء ديار الإسلام الذين وفدوا من المغرب العربي ، فمعظمهم - من أمثال ابن البيطار وابن عربي والتلمساني وموسى بن ميمون - لم يضعوا مؤلفاتهم إلا بعد ما وفدوا على مصر والمشرق العربي .. لكن ذلك ، بالطبع ، لا يعنى أن بلاد المغرب والأندلس كانت خلوة من التأليف ، فهناك دوت أعمال ابن سبعين وابن رشد وبنو زهر وابن خلدون . لكن المناخ السياسى والاجتماعى في مصر والمشرق كان أكثر استقرارًا ومناسبةً للتأليف العلمى . وفي مصر والشام وضع ابن البيطار مؤلفاته ، وخلف من التلامذة المشهورين جماعة من أمثال ابن أبى أصيبعة وعز الدين السويدي صاحب التذكرة .

ثالثًا : حظى ابن البيطار بتقدير كبير في مصر والشام تحت ظل الأيوبيين ، ومُنَى - أيضًا - ببعض الحُساد والحاطين من شأنه ، فقد استنقص علمه عشابٌ مغمورٌ هو على بن يوسف التنوخى في مقدمة كتاب له بعنوان : ( الأشرف في صنعة الدرياق المنقذ للنفوس من التلف ) فقال ما نصه : اجتمعت بعبد الله بن البيطار المؤلف .. وباحثته طويلاً ، وقد علم مَنْ حضر مباحثتى معه تميزى مما لا أحتاج معه إلى زخرقة في القول ، وكان رحمه الله ، راويةً دون مباشرة ، لأنه اجتمع بى في أطراف جبال لبنان وطلب منى أدوية موجودة بين رجليه ، فعلمت أنه ناقل غير مباشر<sup>(١)</sup> ! .

وهكذا يبدو لنا أن تقنية النيل من الأعلام هى مسألة قديمة ، بل هى في واقع الأمر موروثه من الحَقْدَةِ القدماء في كل عصر .. فلم يكن ابن البيطار هو أول المشاهير الذين مُنوا بالحاقدين ، ولن يكون آخرهم . لكن الأمر الأغرِب في تقنيات الحقد ، هو أنها لا تقتصر على الخط من قَدْر العالم في علمه وخبرته ، وإنما تتعدى ذلك إلى تشويه ذاته وشخصه ؛ وقد كنت أظن أن آلية تشويه الأشخاص هى من الأمور المستحدثة في واقعنا المعاصر الذى يلجأ فيه

(١) نقل إبراهيم بن مراد هذه الفقرة من مخطوطة ( الأشرف ) وعقب عليها بما يدل على تماثلها .. انظر : مقدمة تحقيق تفسير كتاب دياسقوريدس ، ص ٢٨ .

ضعاف النفوس إلى النيل من الأعلام بتشوية شخصياتهم اعتماداً على حكايات مختلفة لا أساس لها من الصحة ، فيسهل عليهم بعدها نقد فكره وعلمه .. ثم ظهر أنها حيلة قديمة يقول إبراهيم بن مراد في مقدمة تحقيقه لتفسير ابن البيطار لكتاب ديسقوريدس : وأما النيل من سمعة ابن البيطار فيبرزه ما نسجه البعض من قصة حول وفاته ، فقد توفي في دمشق فجأة في شهر شعبان من سنة ٦٤٦ هجرية ( بين ١٩ نوفمبر و١٧ ديسمبر من سنة ١٢٤٨ ميلادية ) إلا أن ابن فضل الله العُمري قد انفرد بذكر قصة مليئة بالإغراب القصصى ، يقول : « وحكى أنه سمَّ نفسه فمات ، حدثني الحكيم أمين الدين سليمان بن داود المتطبب قال : كان الملك الصالح قد أعطى ابن البيطار ألف دينار لنفقتها على أثمان أدوية دعت إليها حاجته ، واجتناء حشائش شامية ورومية . فلما أتى ابن البيطار بيت المقدس ، رأى امرأة نصرانية اسمها مريم ، فأحبها وأنفق عليها ذلك المال حتى أنفده ، وأهمل حاجة الملك الصالح ، فلما قدم الملك الصالح أراد منه أن يدخل البلد في الصباح ، إلا أن ابن البيطار أحضر النصرانية ويات معها في أكلٍ وشربٍ واستماعٍ غناءٍ واجتماعٍ ، حتى كان الثلث الآخر من الليل ، فأخرج حشيشة معه سَخَنها في هونٍ ثم استَفَّها ثم نام وقال : غطوني ثم إذا أصبحتم لا تحطوا أشياء في الهون حتى غدٍ واغسلوه فإنه قد صار مسموماً . فلم يفهموا مقاله إلى أن أصبحوا فراوه ميتاً ، ففهموا ما كان قاله وغسلوا الهون . فلما دخل السلطان سأل عنه ، فحكيت إليه القصة فقال : لقد أساء بنا الظن وإن مثله لأفتديه بشطر ملكي ، والله لو علمت لأعطيته عشرة آلاف دينار يصرفها في لذته ، وكان أمتعنا بنفسه ا » يقول إبراهيم بن مراد : وفي هذه القصة إغرابٌ وخيال قصصيان غير خفيين ، فابن البيطار كما تظهره هذه القصة كان خائناً للأمانة ، مبتدلاً في أخلاقه متهتكاً في سلوكه ، وهذا يتناقض كلياً مع ما ذكره عنه ابنُ أبي أصيبعة ، فقد قال عنه : « ورأيْتُ أيضاً من حُسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعراقه وجودة أخلاقه وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويُعجب منه » ونعتقد أن ابن أبي أصيبعة ما كان ليقول عن ابن البيطار ما قال من ثناء على عشرته ومروءته وأعراقه وأخلاقه ونفسه ، لو كان ما نسبته إليه هذه القصة صحيحاً ، ثم إن ابن أبي أصيبعة أعلم بأحوال ابن البيطار وبسيرته من صاحب القصة ، وهو أمين الدين سليمان

لابن البيطار

ابن داود ، فهذا لم يعرف ابن البيطار ، لأنه عاش في النصف الثاني من القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن الهجري ، وكانت وفاته سنة ٧٣٢ هجرية ؛ يضاف لذلك أن سيرته كما أوردها ابن فضل الله العُمري - وقد ترجم له ترجمة موسَّعة وكان على صلة به - لا تخلو من المغامز<sup>(١)</sup>.

ونضيف لما سبق : أن الكثير من الحكايات ، التي أوردها ابن فضل الله العُمري في كتابه هذا ، الضخم : مسالك الأبصار<sup>(٢)</sup> . هي من نوع الخيال الروائي والقصص السائر ، وفي تراجم الأعيان بالكتاب كثير من هذه الحكايات المشوقة ! ومن جهة ثانية ، فإن استخدام ( تيمة ) الانتحار للحط من شأن الأشخاص ، لم ينفرد بها واضع قصة ابن البيطار .. ففى هذا العصر ، استخدمت نفس الطريقة مع أشخاص آخرين بغية الحط من شأنهم ، فقيل : إن ( ابن سبعين ) انتحر بمكة ! وقيل : إن ( السهروردي ) امتنع من التنفس بقلعة حلب حتى مات ! ومثل هذا كثير ، ولا ينبغي أن يُؤَبَّه له إلا في إطار البحث حول تاريخ الحقد .

ثالثاً : لم يذكر ابن أبي أصيبعة كافة كتب ابن البيطار ، فقد ذكر له خمسة كتب فقط ؛ وقد ذكرت المصادر والمراجع الخاصة بابن البيطار كتباً أخرى له ، هي : ميزان الطبيب ( مخطوطة فريدة محفوظة بمكتبة جامعة أو بسالا بالسويد تحت رقم ٥٨ ) - رسالة في التداوى من السموم ( مخطوطة بدار الكتب المصرية ) - الدررة البهية ( طُبِعَ بمصر قديماً ) .

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات المذكورة ، هناك كتاب ( قانون الزمان في تقويم الأبدان ) لابن البيطار .. وهو الكتاب الذي لم يذكره له أى مرجع أو مصدر ، بدايةً من ابن أبي أصيبعة وحتى يومنا هذا .

\* \* \*

لا توجد من ( قانون الزمان ) غير نسخة واحدة مخطوطة ، بمكتبة جامعة أو بسالا - لا أدري كيف ذهبت إلى هناك - وهي مصورة في دار الكتب المصرية عن تلك النسخة الفريدة .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٢) هذا الكتاب هو موضوع الفصل الثامن والعشرين ، فليُنظر هناك .

في هذه المخطوطة ، كما أسلفنا ، يبدو ابن البيطار في ثوب الطبيب لا العشاب . والحق أن الطب والصيدلة كانا في عصر ابن البيطار مرتبطين أشد الارتباط ، ومن النادر أن نجد طبيبا - آنذاك - لا علم له بالصيدلة ، والعكس .. لكننا نصِفُ علماء تلك المرحلة بما يغلب عليهم من فنون العلم ؛ فنقول مثلاً عن ابن النفيس : إنه كان طبيبا ، مع أن له اشتغالا بالصيدلة - وغيرها - ونقول عن ابن البيطار : إنه صيدلانيٌ عَشَّابٌ ، وهاهو يؤلِّف في الطب .. وغير هذا كثير .

وقد اتخذ التأليف الطبي في هذه المخطوطة نظاماً جديداً بالنسبة لعصر ابن البيطار ، هو نظام الجدولة ، فالمخطوطة بكاملها عبارة عن جداول طبية ، تعكس محاولة مبتكرة لتنظيم المعارف الطبية ونظمها في نسق واحد لا يعتمد على السرد الثرى وتوالى العبارات ، وإنما يضم الشتات في ( نظام ) واحد يكشف عن رغبة تنظيمية كامنة ، تسعى لتطوير شكل الكتابة العلمية ، وتعدُّ حلقة مهمة في تطور اللغة العلمية وانتهائها - في العصر الحديث - إلى الترميز الذى يستغنى تماماً عن اللغة .. وإذا كان الترميز في العلم قد استفاد من البحوث الحديثة في المنطق ، إلا أن كتابة ابن البيطار لا تقل عن المنطق المعاصر أهمية في مسيرة اللغة العلمية وتطورها .. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن ( قانون الزمان ) ليست المؤلف الوحيد لابن البيطار على هذا النسق المجدول ، فكتابه ( الدرة البهية ) عبارة عن جداول أيضاً ، وأيضاً فقد كتب ابن التلميذ البغدادي<sup>(١)</sup> - قبل ابن البيطار - بطريقة مماثلة في كتابه ( المغنى )<sup>(٢)</sup> الذى أورد فيه مجموعة من الجداول يحتوى كل جدول على ثلاثة أقسام الأول في المرض الواحد ، والآخر في أسبابه ، والآخر في أعراضه .. ثم يضع تحت الجدول فقرة نثرية متصلة في تدبير هذا المرض ، ويبدأ في جدول آخر لمرض آخر ، وهكذا جاء الكتاب نصف مجذول ! .

يبدأ ( قانون الزمان ) بدائرة كبيرة تحت البسملة وقبل الحمدلة ، تضم الأقسام الأربعة والأربعين للكتاب ؛ وكأنها فهرس دائرى ، ثم تتوالى الجداول على نحو ما سنرى في النماذج

(١) هو الحكيم الأجل موفق الملك أمين أبو الحسن هبة الله بن التلميذ ، أوجد زمانه في صناعة الطب ، ورئيس أطباء بغداد في وقته .. توفى سنة ٥٦٠ هجرية ( انظر ترجمته المطولة في : عيون الأنباء ، ص ٣٤٩ وما بعدها ) .

(٢) المغنى في الطب ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٣٥٣ / طب ؛ وهى مخطوطة لم تُنشر .



التالية ، حيث نقرأ في صحيفة العنوان بيان العلل والأمراض : حُمى يوم<sup>(١)</sup> - حُمى العفن وهي الدَّق - الأورام وأصنافها - الأمراض العارضة في ظاهر البدن لأسباب من باطنه ولا تختص بأحد أعضائه - الأمراض العارضة لظاهر الرأس والوجه - الأمراض العارضة لظاهر اليدين والرجلين - الجراحات والقروح - القروح وحرق النار وإخراج الأزجة والمداواة من الضرب بالسياط - نهش الحيوان ذى السم ولدغه - الأدوية القَتَّالة ( ثلاثة أقسام ) - الصرع وأقسامه - أمراض الدماغ ( قسمان ) - أمراض النخاع - أمراض الجفن ( قسمان ) - أمراض الملتحمة - أمراض القرنية - أمراض الحلق وما يعرض بين القرنية والجلدية - أمراض عصب البصر وأوجاع الأذن - أمراض الأنف والأذن - علل الشَّمِّ وأمراض اللسان - أمراض الشفتين والأسنان - تحريك الأسنان واللحم النابت بينهما وأمراض اللثة - أمراض الحلق والحنجرة وقصبة الرئة - نُفث الدم وأمراض غدة الأضلاع والحجاب - أمراض القلب - أمراض المريء وقم المعدة - أمراض المعدة ( ثلاثة أقسام ) - أمراض الأمعاء - أمراض الكبد - الاستسقاء وأمراض المرارة والطحال - أمراض الكلى - أمراض المثانة - أمراض الأنثيين والقضيب - أمراض الرحم وأقسامها - أمراض الرحم وعلاماتها - أمراض الرحم والثدى - أمراض الوركين والرجلين .

وبعد هذا الحصر العام في الجدول الدائري ، تأتي صفحات المخطوطة لتزيد جداولها الأمر تفصيلاً ، فأمام أمراض الدماغ سنجد في الجدول : السَّدْر - الدُّوَار - الصداع - السكتة - الكابوس - المالنخوليا - القطرب<sup>(٢)</sup> - العشق<sup>(٣)</sup> . وأمراض الوركين والرجلين :

(١) هي الحمى التي تشتد نوبتها يوماً وتهدأ في اليوم التالي ، وهكذا .

(٢) القطرب : المشى أثناء النوم .. وفي كتب اللغة ( مثلث قطرب ) وهو كتاب لأحد كبار اللغويين ، أطلق عليه أستاذه هذا اللقب ( قطرب ) لأنه كان يأتي الأستاذ في وقت متأخر ليسأله عن أشياء في العلم ، فقال له : « أنت قُطْرَبُ !! » وهو اسم لدودة صغيرة تسعى في الليل فقط ا .

(٣) نظر الأطباء العرب إلى ( العشق ) على أنه حالة مرضية - منذ عصر ابن سينا - نظراً لما يعترى العاشق من أمور غير طبيعية إذا اشتد به الحب .. راجع ما ذكرناه قبل صفحات .

قانون الزمان في تدبير الإنسان

عِرْق النَّسَا - النَّقْرَس عن حرارة - النَّقْرَس عن برودة - وجع المفاصل من برودة - وجع المفاصل من حرارة - الصلابة والنفخ في المفاصل - الافتراق .. وهكذا في الأقسام الأربعة والأربعين .

\* \* \*

وعلى النحو السابق تأتي مخطوطة ( قانون الزمان ) في هذه الجداول الدقيقة لتشهد بأن المعرفة الطيبة كانت في عصر ابن البيطار قد تَقَدَّمَت حتى وجب عمل التصنيفات والتقسيمات .. فهل نكرر القول بضرورة نشر هذه المخطوطة وتحقيقتها ودراستها في ضوء تصنيف العلوم عند العرب ؟ .











## الفصل الرابع بعد العشرين ( مخطوطة فلكية ) :

### كَيْفِيَّةُ التَّعْلِيمِ فِي مَعْرِفَةِ وَضْعِ التَّقَاوِيمِ

للريش

يردُّ الكثيرون أن القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي - كان مرحلة تحلُّف وتدهور علمي في ديار الإسلام .. وهذا وهمٌ عظيم ! فالحق أن المخطوطات العربية والإسلامية المدوَّنة في هذا القرن ، والآثار الباقية عنه ، تشهدان بأن الحركة العلمية ظلت مستمرة آنذاك في العديد من بلدان المسلمين .

وشبهة التحلُّف المزعومة ترجع إلى أمرين : الأول: أن الحركة العلمية في القرون السابقة كانت أنشط منها في القرن الثامن ، وكان عنصر الإبداع العلمي متوفرًا بشكل أكثر كثافة حتى القرن السابع الهجري - في شتى العلوم - حتى إذا جاء القرن الثامن ، كان الجهد العلمي العربي متجهًا بشكل واضح نحو التدوين والحصر ؛ لكن ذلك لا يعني التحلُّف العلمي بقدر ما يدل على استجابة العلم العربي لظروفٍ خاصة مثل انعدام المركزية العلمية وتدهور الواقع الاقتصادي في معظم البلدان وابتلاء المسلمين في مصر والشام والمغرب والعراق بحكامٍ من النوع الرديء ، وقد أدى ذلك إلى انكفاء العلماء على تدوين ما سبق من علوم القرون الخالية - لحفظه - واكتفائهم بالحفاظ على صيرورة البحث العلمي دون أن تواتيهم الفرصة لتطويره .

والأمر الآخر: الداعي للزعم أن القرن الثامن كان عصر تحلُّف في ديار المسلمين ، هو النقص الملحوظ في الدراسات التي تلقى الضوء على الحالة العلمية آنذاك .. ولا أظن أن في المكتبة العربية حتى الآن - على كثرة كتبها - كتابًا واحدًا يؤرخ للعلم العربي في القرن الثامن الهجري؛ وهذا أمر عجيب .









للريشى

وتقع المخطوطة في ٣٤ صفحة من القطع المتوسط ، وتشتمل على ثمان فصول - وخاتمة -  
 الفصل الأول منها بعنوان ( في رسم الدستور ) وفيه يقول الريشى : اعلم أنه جرت العادة أن  
 يقوم القمر ليوم يوم ، وعطارد لخمسة خمسة ، والبقية لعشرة عشرة ؛ فإذا أردت ذلك ، فاتخذ  
 أوراقاً عدتها أربعة عشر قائمة ، ثم ابتدء بدستور الشمس فسطر له نصف الصفحة الأولى ،  
 ثم بعده القم له اثنا عشر تحتة - لاثني عشر شهراً ، كل شهر صفحة - ثم عطارد له صفحتان ،  
 كل ستة أشهر صفحة ؛ والأربعة الباقية ، لكل كوكب صفحة ، والأربعة ( أوراق ) الباقية لكل  
 كوكب صفحة . ثم بعد ذلك ترسم صفحة ، وتسميها الدستور الجامع . ثم المازجات لها  
 صفحة ، والاجتماع والاستقبال له صفحة ، والأهلة لها صفحة ، وصفحة لانتقال الشمس في  
 الفصول - بغير رسم - وكذا الكسوف والخسوف ، وصفحة للسهام وطلوع الشجرى ومداخلة  
 التواريخ . فذلك ستة وعشرون صفحة ، منها ثلاثة عشر قائمة . فأما تسطير ذلك ، فهو أن  
 تقسم دستور الشمس في الطول بأربعة عشر قسمًا .. إلخ .

\* \* \*

ولا شك في أن الحسابات الفلكية اليوم قد اتخذت طابعاً أكثر دقة ، وتعتمد على آلات  
 الرصد المتقدمة ، ولكن ( النظرية ) نفسها لا تزال كما هي . ونحن إذ نلقى الضوء على مثل هذه  
 المخطوطة وندعو لنشرها - مع غيرها من مخطوطات التقاويم العربية - فإننا لا نعننى بذلك  
 الدعوة إلى الرجوع بعلم التقويم المعاصر إلى الوراء . إن ما ندعو إليه هو إخراج مثل تلك  
 الصفحات المخطوطة إلى النور ، كي نتعرف إلى حلقة مهمة من تطور علم الفلك وعمل  
 التقاويم ، وكى نكتشف المزيد مما قدمه العرب من تطوير في هذا الباب ، وكى نرى ( العقل  
 العربى الإسلامى ) فى تجلٍ من تجلياته المتنوعة .

أما عن مخطوطات ( كفاية التعليم ) فقد اعتمدنا هنا على نسخة دار الكتب المصرية ،  
 المحفوظة تحت رقم ١١٧ / ميقات .. وهناك عدة نسخ أخرى منها فى نفس الدار - وفى  
 مكتبات أخرى - فلفل محققاً له إمام بالفلك ، يقبل على النص فيشره محققاً بعد طول انتظار .

عدد سنتك جان ابراهيم ١٧٧٤

كتاب

كفاية التعليم في معرفة

وضع سقوط الامانة

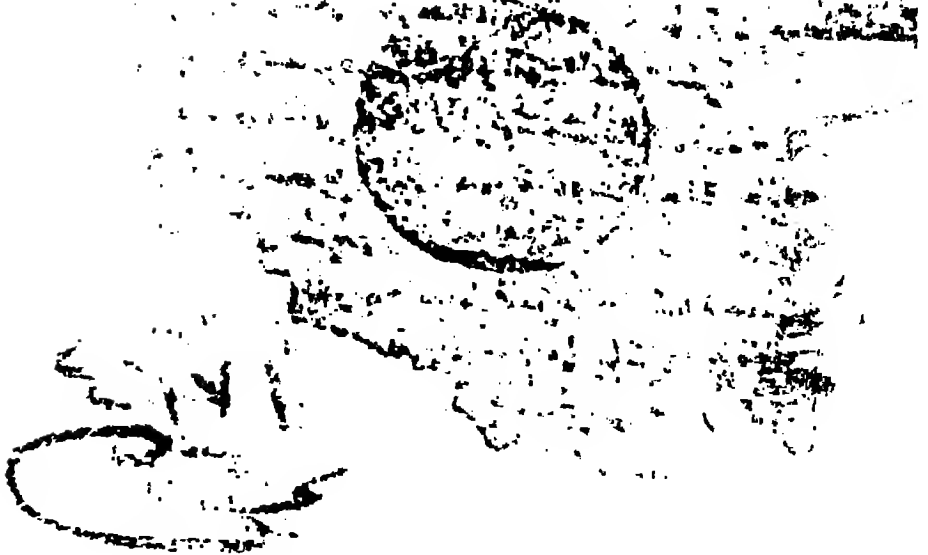
للعلامة الشيخ محمد

ابن تيمية

ابن الجوزي

ابن

ابن



١٧٧٤ مخطوطات الدار

غلاف مخطوطة كفاية التعليم

(نسخة دار الكتب المصرية)



ثم التعديل ثم المقوم ثم المهتد وأما القمر فتقسم جدا وله من الفصول  
 كالجهد والحدوي عشر قسمها الأول: الأعل كالتأية الأسماء لغة  
 بن الشمس والعشرة الباقية كل قسم يؤمن فيه ثلاث سفوف  
 وأما العرين فيقسم لثلاثة عشر قسم الأول الأعل لمدة الأيام ثم  
 الوسط ثم الخاصة ثم مركز ثم التعديل الأول أن ثبت ثم ذلك ثم  
 النسب ثم الخ من المد له ثم التعديل الذي ثم اختلاف المعدل  
 الأقرب ثم الخارج من الضرب ثم التعديل بالحكم ثم المقوم ثم الشهر  
 المهم ثلاثة يعنى هذه الأقسام الثلاثة من بعض بجسمها من  
 فيها من المراتب وأما بقية الكواكب الثلاثة العلوية وأثرها  
 يتقسم دستور كل منها بوزن الطول كالشمس ووزن العرض كخمس عشر  
 الأول الأعل للشمس والثاني للمقود بالمر ثم ثقب حركات الكواكب  
 ووزن الوسط والخاصة المعدل والتعديل الثاني واختلاف  
 المعدل الأقرب والخارج الضرب والتعديل الحكم المقوم ثم المهتد  
 وأما عطارد فدرسم دستوره في محتجين كما تقدم في العلوية  
 كما صنفه ستة أشهر كالأشهر بوزن ستة أشهر وأما الدسور  
 الجامع فيقسم بوزن الطول كالشمس ويعتبرها كل قسم فثلاثة أسطر  
 ستة للمرض خمسة وعشرون قسما بعضها أضيق من بعض أما الأول  
 الإيمر يؤمن فيه الشهر وفي الذي يليه انفقوا ثم مقوم ثم  
 ثم المعدل ثم الزهر ثم السنة الثالثة من الأولى لعطارد ثم مقولها  
 ثم مقومها ثم السنة الشهر الثانية وعقودها ومقومها ثم مقوم  
 الراس ثم قباية الارتفاع ثم ساعات النهار ثم نصفها ثم مقوم  
 العصور ثم الأيمان ليوم يوم والملاة بالشمس ثم الطوبى  
 ثم الزهر ثم عطارد في فتمين وأما المارجات فيقسم دستورها

الورقة الثانية

## الفصل الخامس بعد العشرين ( مخطوطة أصول دين ) :

### لُبَابُ الْمَحْصَلِ

#### لابن خلدون

للعلماء العرب والمسلمين مع الزمان شأنٌ عجيب .. فبعضهم ينال في حياته أعظم التكريم ، حتى إذا توفي ، طواه الزمانُ في زوايا النسيان . وبعضهم يعيش مغموراً ويموت مغموراً، ثم يرفع الزمان ذكره بعد حين . وبعضهم يروج اسمه مع الأيام ، وتعتاده الألسنة ، حتى يخلع عليه الزمان شهرة ربما لا يستحقها . وبعضهم يبُدُّ الزمان أثره وآثاره ، فينزوي وكأنه لم يكن .. والأمثلة على هذه ( الأفعال ) الزمانية كثيرة ؛ فهلا ذكرنا بعضها :

من نالوا في حياتهم أعظم التكريم ، ثم طواهم الزمان بعد وفاتهم : سيف الدين البَاخْرَزِي - أبو طاهر السَّلْفِي . الأول كان واحداً من تلاميذ نجم الدين كُبْرِي ، ثم ارتقى في المقام وذاع صيته حتى أن أمراء المغول أسلموا على يديه ، وكان له أكبر الفضل في كسر شوكة المغول ؛ ومن يقرأ ترجمة البَاخْرَزِي المطوّلة في سير أعلام النبلاء - للذهبي - يتعجب من علو مكانة الرجل في عصره ، وتودُّد الملوك إليه ، والدور الكبير الذي لعبه في حياته .. ثم يتعجب من نسياننا له اليوم<sup>(١)</sup> . وبالمثل كان الإمام المحدث العظيم « أبو طاهر السَّلْفِي » - وغيره من مشايخ السُّنَّة بالإسكندرية - يتم التخطيط لإزالة الحكم الشيعي من مصر وسيادة مذهب السُّنَّة ، على يد تلميذ السَّلْفِي : صلاح الدين الأيوبي .. ولقد عاش السَّلْفِي أكثر من مائة سنة ، وأخباره وسيرته كامنة في المصادر التي تؤرِّخ لعصره ، ومع هذا فلا يوجد اليوم - في المكتبة العربية - أي كتاب عنه ، ولا يكاد المعاصرون يعرفون عنه شيئاً<sup>(٢)</sup> ! .

(١) راجع ما ذكرناه عن سيف الدين البَاخْرَزِي في دراستنا الممهدة لتحقيق ( فوائح الجبال وفوائح الجلال ) لنجم الدين كُبْرِي .  
(٢) ذكر لي الدكتور / السيد عبد العزيز سالم أنه كاد أن يكشف عن مقبرة أبي طاهر السَّلْفِي بالإسكندرية ، لكن الحفائر توقفت ! .

ومن عاش مغموراً ومات مطموراً ، ثم ارتفع ذكره : محمد بن عبد الجبار النَّفَرِي ، فهذا الرجل لا يكاد أديبٌ أو شاعرٌ معاصر - ناهيك عن غالبية المثقفين - إلا وهو يشير إلى روعة كتابه المعروف المتداول : المواقف ، المخاطبات .. مع أنه قبل خمسين سنة ، لم يكن للنَّفَرِي ذكرٌ مشهور لدى الأدباء أو الصوفية ، ولم يحظ كتابه الجامع بين ( المواقف والمخاطبات ) بالعناية والشروح ، ولعل شرح عفيف الدين التلمساني عليه ، هو الشرح الوحيد . ثم يحقق المستشرق الإنجليزي جون آرثر آربري نصَّ المواقف والمخاطبات ، ويروِّج الشاعر ( الحدائي ) أدونيس للكتاب باعتباره نصّاً ( حديثاً ) فإذا بالنَّفَرِي على كل لسان .. ولولا نشرة آربري واحتفاء أدونيس ، لظل النَّفَرِي كما كان منذ وفاته : مغموراً مطموراً .

ومن راج اسمه هذه الأيام واعتادته الألسنة ، طائفة من أهل الولاية ومشايخ الطرق الصوفية الذين روى عنهم العامة من الكرامات المبهرة ما خلع عليهم اشتهاً فوق كل اشتهاً .. بينما لم ينل متصوفةٌ كبار - غيرهم - هذه المكانة والشهرة ، وتفصيل هذا الأمر يطول ، وليس هذا موضعه .

ومن بددَ الزمان أثره وآثاره ، فانزوى طائفة من الرجال يمرون في ذاكرتنا التراثية كالطيف . نقرأ مثلاً قول البيروني وهو يذكر مؤرخي العقائد والديانات : « ما وجدتُ من أصحاب كتب المقالات أحدًا قصد الحكاية المجردة من غير ميل ولا مراعاة سوى أبي العباس الإيراني شهري ، إذ لم يكن من جميع الأديان في شيء ، بل منفرداً بمخترع له يدعو إليه ! ولقد أحسن في حكاية ما عليه اليهود والنصارى ، وما يتضمَّنه التوراة والإنجيل ، وبالغ في ذكره المانوية وما في كتبهم من خبر الملل المنقرضة<sup>(١)</sup> .. إلخ » ونبعث اليوم عن الإيراني شهري ، فلا نجد عنه ذكرًا .. ونعلم أن للرجل كتابين ، لكننا لا نجد لهما أصولاً ولا خبراً في خزائن المخطوطات ، ولقد قضيت سنوات طويلة أنقب عن الإيراني شهري ومقالاته ، فلم أظفر بشيء ! .  
والآن .. كيف كان حال الزمان مع ابن خلدون ؟ .

\* \* \*

(١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ( عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الثانية المزورة ) ص ١٥ - وفي الطبعة الأصلية بتحقيق سخاو ص ٦ من الجزء الأول .



لاين خلدون

لا يمكن - اليوم - الكلام عن ابن خلدون بغير إسراف ، فقد نال الرجل في العقود الأخيرة من اهتمام المعاصرين مالم يتيسر إلا للقلائل من أعلام الرجال في الإسلام .. مع أنه ظل لعدة قرون في زوايا النسيان . فما سرُّ الاهتمام المفاجيء بابن خلدون ؟ .

يتخذ علم الاجتماع اليوم مكانة متميزة على خريطة العلوم ( الإنسانية ) التي تضم الفلسفة والتاريخ وعلم النفس والأنثروبولوجيا .. إلخ ، بل يحلو للبعض تسمية هذه العلوم باسم : العلوم الاجتماعية ؛ وذلك في مقابل العلوم الطبيعية التي تضم الفيزياء والكيمياء والفلك والطب . إلخ . وقد جرت العادة ، حتى سنوات قريبة ، أن يؤرخ لعلم الاجتماع ابتداءً من أوجست كونت ( ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ) الذي وضع مصطلح Sociologie , Sociology الذي ترجم العربية بعلم الاجتماع ، وعرفه في كتابه ( دروس في الفلسفة الوضعية ) بأنه : العلم الذي يتخذ له موضوعًا هو ملاحظة الظواهر العقلية والأخلاقية التي تتكون بها الجماعات الإنسانية وترتقى<sup>(١)</sup> .

وبعد وفاة أوجست كونت بعام واحد ، وبالتحديد سنة ١٨٥٨ ميلادية ، صدرت في مصر طبعتان - في نفس العام - لمقدمة ابن خلدون . وما لبثت طبعات ( المقدمة ) أن توالى ، فأصدرت بولاق طبعها سنة ١٨٦٨ ونشر الدكتور على عبد الواحد وإني طبعة محققة لها سنة ١٩٥٧ ، وما بينهما طبعات لا تقع تحت الحصر<sup>(٢)</sup> .. وهنا أعيد النظر في ابتداء علم الاجتماع ، وتحديد رائده الأول .

(١) د. غريب سيد أحمد : تاريخ الفكر الاجتماعي ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٨ ) ص ٢٣٨ .

(٢) عرفت مقدمة ابن خلدون في أوروبا أواخر القرن السابع عشر . وكان أول من تكلم عن المقدمة ومؤلفها هو درييلو عام ١٦٩٧ ، ثم نشر سيلفستر دى ساسى أجزاء من المقدمة مع ترجمة للفرنسية سنة ١٨٩٦ ، وقدم البارون دى سلان ترجمة كاملة لها سنة ١٨٦٨ بالفرنسية .. وتوالى ترجمات بعد ذلك في الإيطالية والألمانية والإنجليزية والبرتغالية والأوردية ( مرحبا : الجامع في تاريخ العلوم ، ص ٥٧٢ ) .

وكتاب ( المقدمة ) هو مدخلٌ فلسفى لكتاب ضخيم فى التاريخ جعله ابن خلدون بعنوان : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر<sup>(١)</sup> . وهو يقع فى عدة مجلدات ، اشتهر منها المجلد الأول الذى هو ( المقدمة ) التى أعلن فيها ابن خلدون تأسيس علم جديد أسماه : علم العمران .

يقول ابن خلدون : اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبرٌ عن الاجتماع الإنسانى الذى هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال .. ولما كان الكذب متطرقاً للخبر ، بطبيعته ، وله أسبابٌ تقتضيه .. فالقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار ، بالإمكان والاستحالة ، أن ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته ، وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضاً لا يعتدُّ به ، وما لا يمكن أن يعرض له ، فإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار ، والصدق من الكذب ، بوجهٍ برهانى لا مدخل للشك فيه .. وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه ، وهذا هو غرض هذا الكتاب ؛ وكان هذا علماً مستقلاً بنفسه ، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الإنسانى ، وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً . واعلم أن الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة ، أعثر عليه البحثُ وأدّى إليه الغوصُ .. ولعمري لم أقف على الكلام فى منحاه لأحد من الخليقة ، ولا أدرى غفلتهم عن ذلك .. ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً ، وأعثرنا على علم .. فإن كنتُ قد استوفيت مسأله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه ، فتوفيقٌ من الله . وإن فاتنى فى إحصائه ، واشتبهت بغيره فى مسأله ، فللناظر المحقق إصلاحه ، ولى الفضل ؛ لأنى نهجتُ له السبيل وأوضحت له الطريق ، والله يهدى بنوره من يشاء .

(١) طبع الكتاب بالقاهرة - بولاق - سنة ١٢٨٤ هجرية فى سبع مجلدات .

لابن خلدون

ونحن الآن نبيّن في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع ، بوجوه برهانية .. إلخ<sup>(١)</sup>.

وبعد أن يمضى ابن خلدون في بيان (قوانين) الاجتماع أو ما يسميه : علم العمران ، فيعرض لتطور المجتمع وأشكال السُلطة وأثر البيئة على المجتمعات وأسباب قيام الدول واندثارها والعلاقة بين الاقتصاد والسياسة .. وغير ذلك من (قضايا) علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ؛ نراه يَحْتَمُّ مقدمته بقوله : وقد كدنا نخرج عن الغرض ، فعزمتنا أن نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب - المقدمة - الذي هو في طبيعة العمران وما يعرض فيه ، وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاية ، ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيّد الله بفكرٍ صحيح ، وعلمٍ مبین ، يغوص في مسائله على أكثر مما كتبنا ؛ فليس على مُسْتَنبِطِ الفَنِّ إحصاء مسائله ، وإنما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه ، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً ، إلى أن يكمل<sup>(٢)</sup>.

تلك هي مقدمة ابن خلدون التي أسست علم الاجتماع وفلسفة التاريخ على نحو علمي دقيق ، جعلنا اليوم لا نؤرّخ لعلم الاجتماع إلا ابتداءً بابن خلدون .. وهكذا صارت لابن خلدون - مؤخراً - مكانة كبيرة في تاريخ العلم الإنساني ، وصارت لمقدمته تلك الشهرة الذائعة ، حتى أن دائرة المعارف الإسلامية تصف (المقدمة بأنها : ستظل دائماً أعظم مؤلفات ذلك العصر وأهمها من جهة العمق في التفكير ، والوضوح في عرض المعلومات ، والإصابة في الحكم ويظهر أنه لم يَفْقْهَ كتابٌ ما لأى مؤلّف إسلامي<sup>(٣)</sup>).

\* \* \*

(١) ابن خلدون : المقدمة (مطبعة الأزهرية - مصر ١٣٤٩ هـ) ص ٣١ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣٧ .

(٣) ألفرد بل : مادة « ابن خلدون » بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) المجلد الأول ص ١٠٠ - وفي العبارة شيء من المبالغة .

يبقى لنا ، بعد ما سبق ، أن نتعرّف إلى شخصية ابن خلدون ، وإلى كتابه : لباب المحصل ! .

أما ابن خلدون<sup>(١)</sup> ، فهو : أبو زيد وليُّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي التونسي القاهري المالكي . ولد في أول رمضان سنة ٧٣٢ هجرية بتونس ، ودرس الأدب والتاريخ وعلوم الدين على يد والده وجماعة من مشايخ بلاد المغرب ، ثم - كما يقول السخاوي - تعلّق بالخدم السلطانية<sup>(٢)</sup> .

كان أول منصب شغله ابن خلدون في الخدمة السلطانية هو وظيفة كاتب العلامة لدى سلطان تونس ، وكان آنذاك في الواحدة والعشرين من عمره . ثم مالبت أن ارتحل إلى فاس بعدما شبّت الفتن في تونس ، والتحق بخدمة أبي عنان المريني ، واعتقل قرابة عامين ، ثم أُخلى سبيله فعاد ليتولى وظيفة كاتب السر لدى أبي سالم المريني الذي عينه بعد فترة قاضياً للقضاة . وبعد مقتل أبي سالم يرتحل ابن خلدون إلى غرناطة ببلاد الأندلس ، فيتلقاه السلطان ابن الأحمر ويضمّه لحاشيته ؛ لكنه رحل إلى ( بجاية ) تلبية لدعوة أميرها أبي عبد الله الحفصي الذي عينه حاجباً له وفوّض إليه تدبير مملكته ، ولما سقطت بجاية بعد عام من نزحه إليها سنة ٧٦٥ هجرية ، تنقل ابن خلدون ببلاد المغرب وتقلّب في عدة مناصب وعانى من جرّاء صحبة السلاطين ، فاعتقل ونفى عدة مرات ، حتى سئم صحبة أهل الرياسة وزهد في مناصبهم ، فاعتكف في قلعة ابن سلامة ( وهران - الجزائر ) لتأليف كتابه في التاريخ « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » لكنه احتاج للمراجع فنزل إلى تونس بعد أن كتب « المقدمة » سنة ٧٧٩ هجرية بقلعة ابن سلامة .. وهنا نلاحظ أن المقدمة كانت عملاً تأملياً يغلب عليه التفكير الفلسفي<sup>(٣)</sup> ، بينما الكتاب نفسه كان عملاً بحثياً يغلب عليه الطابع الاستقصائي ؛ ولذا احتاج ابن خلدون

(١) خَلْدُون ، صيغة مغربية للتعظيم على غرار : عبدون ، حمدون ، زيدون .. إلخ .

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ٢ / ١٤٥ .

(٣) العجيب أن ابن خلدون يهاجم الفلسفة في مقدمته ! .

الكتب والمراجع عند كتابة ( التاريخ ) ولم يحرج لذلك وهو يكتب ( المقدمة ) ، ويبدو أن ابن خلدون كان قد ضاق تمامًا بالحياة في بلاد المغرب ، ويقال: إن حُساده أكثرها من السعاية ضده، وربما كانت أحوال الممالك المغربية وتقلبات السلطة قد أغمته .. المهم أنه نزل من تونس إلى الإسكندرية - قاصدًا الحج - سنة ٧٨٤ هجرية . يقول السخاوي : ثم قدم ابن خلدون الديار المصرية ، فحجَّ ثم عاد إليها ، وتلقاه أهلها وأكرموه وأكثرها ملازمته والتردد إليه ، بل تصدر للإقراء بالجامع الأزهر مُدَّة ، إلى أن قرَّره الظاهرُ برقوق في تدريس القمحية<sup>(١)</sup> بمصر، ثم في قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة ٧٨٦ هجرية ، فتتكرَّر للناس بحيث لم يبق لأحد من القضاة ما دخلوا للسلام عليه ، مع اعتذاره لمن عتبه عليه في الجملة ، وقتك في كثير من أعيان الموقعين والشهود ، وصار يعجز بالصفح ويسميه « الزجَّج » ، فإذا غضب على إنسان قال : « زُجِّجوه » فيصْفَع حتى تحمر رقبته .. وعُزل ثم أعيد ، وتكرر له ذلك ، حتى مات قاضيًا ، فجأة ، في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ٨٠٨ هجرية ، عن ست وسبعين سنة ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر .

وفي حياة ابن خلدون تفاصيل كثيرة ، أفاض فيها المؤرخون الأوائل والدارسون المحدثون .. وقد وضع هو لنفسه ترجمة ذاتية بعنوان : التعريف بابن خلدون . استقصى فيها الكلام على شيوخه ورحلاته وعلاقاته بأهل زمانه ، وقد طبعت هذه الترجمة في آخر كتاب العبر كما ترجمت للفرنسية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى .

ولابن خلدون مجموعة من المؤلفات ، بالإضافة إلى المقدمة والتاريخ والتعريف ، منها : تلخيص كتب ابن رشد - شرح قصيدة البردة - كتاب في الحساب - رسالة لتييمور لنك في وصف بلاد المغرب - شفاء السائل في تهذيب المسائل ( في التصوف ) - شرح قصيدة ابن عبدون الإشبيلي - طبعة العمران - رحلة .. وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوي بدراسة هذه الآثار والكتابات ، وأصدر عنها بحثًا مهمًا بعنوان : مؤلفات ابن خلدون .

\* \* \*

(١) يقصد : التدريس بالمدرسة القمحية بالقاهرة .

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ١٤٦/٢ .

وبعد هذه الإطالة - السريعة - على سيرة ابن خلدون<sup>(١)</sup>، نقف الآن عند كتابه: لباب

المحصّل.

المُحصّل؛ كتابٌ مشهور للإمام فخر الدين الرازى المتوفى ٦٠٦ هجرية .. عنوانه الكامل: «مُحصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين». وهو كتاب في أصول الدين وعلم الكلام، يقول الرازى في مقدمته: الحمد لله المتعالى بجلال أحديته عن مشابهة الأعراض والجواهر .. أما بعد، فقد التمس منى جمع من أفاضل العلماء وأمائل الحكماء أن أصنّف لهم مختصرًا في علم الكلام مشتملاً على أحكام الأصول والقواعد دون التفاريع والزوائد، فصنّفْتُ لهم هذا المختصر<sup>(٢)</sup>.

ويجمع الرازى في هذا الكتاب شتات الأقوال في أركان علم الكلام ومقدماته الضرورية وتقسيم الموجودات على قول الفلاسفة والمتكلمين وبيان ماهية الحياة والعقل الذى هو مناط التكليف والإدراك الحسى والمسائل المتعلقة بحدوث العالم وطبيعة الذات الإلهية والصفات وطبيعة النفس الإنسانية وخلودها واختلاف الفرق الإسلامية .. وغير ذلك من موضوعات.

وكان العلامة نصير الدين الطوسى، المتوفى ٦٧٢ هجرية، قد قام بمعارضة كتاب «المُحصّل» في رسالة يقول في بدايتها: .. وبعد، فإن أساس العلوم الدينية علمُ أصول الدين، الذى يحوم سائله حول اليقين، ولا يتم بدونه الخوض في سائرها كأصول الفقه وفروعه، فإن الشروع في جميعها يحتاج إلى تقديم شروعه .. وفي هذا الزمان لما انصرفت الهمم عن تحصيل الحق

(١) للمزيد عن ابن خلدون، انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٧/٧٦ - نفع الطيب للمقرى ٤/٦ - نيل الابتهاج للتنبكتى ١٦٩ - البدر الطالع للشوكانى ١/٣٣٧ - ظهر الإسلام لأحمد أمين ٣/٢٢٥ - دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصرى - مقدمة ابن خلدون بتحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى - حياة ابن خلدون لمحمد الخضر حسين - ابن خلدون ومقدمته لعمر فروخ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية لطف حسين 344 - 342 TT Brockelmann: Gieschechte.

وهناك، أيضًا، عدد من المقالات التى لا تقع تحت الحصر .. راجع: معجم المؤلفين لكحالة ٥/١٨٨ .  
(٢) الرازى: محصل أفكار .. نشرة طه عبد الرؤوف سعد ( مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، بدون تاريخ ) ص ١٥ .

لابن خلدون

بالتحقيق ، وزلّت الأقدام عن سواء الطريق ، بحيث لا يوجد راغبٌ في العلوم ولا خاطب للفضيلة .. ولم تبق في الكتب التي يتداولونها من علم الأصول عياناً ولا خبر ، ولا من تمهيد القواعد الحقيقية عيناً ولا أثر ، سوى كتاب المحصل الذي اسمه غير مطابق لمعناه ، وبيانه غير موصل إلى دعواه ، وهم يحسبون أنه في ذلك العلم كاف ، ومن أمراض الجهل والتقليد شاف ؛ والحق أن فيه من الغث والسمين ما لا يُحصى ، والمعتمد عليه في إصابة اليقين بطائل لا يحظى ، بل يجعل طالب الحق بنظره فيه كعطشان يصل إلى السراب ، ويصير المتحير في الطرق المختلفة آيساً عن الظفر بالصواب ؛ رأيتُ أكشف القناع عن وجوه أبحار مخدراته<sup>(١)</sup> وأبين الخلل في مكامن من شبهاته ، وأدل على عثّه وسمينه .. وأسّمى الكتاب « تلخيص المحصل » .. إلخ<sup>(٢)</sup>.

وراح الطوسي يتبع عبارات الرازي بادئاً بتعليقات مثل : خالف المصنّف<sup>(٣)</sup> سائر الحكماء في التصديق - في هذا الكلام مغالطة صريحة - هذه الدعوى غير صحيحة لم تقم عليها حجة .. إلخ .

ولكى تتضح لنا طبيعة الخلاف الفكري بين الرازي والطوسي ، لابد أن نشير إلى أن الرازي كان أشهر متكلم سُني في عصره ، وهو من أكبر ممثل ( الأشعرية ) ذلك المذهب الذي جعل من نفسه المتحدث الرسمي باسم أهل السنة والجماعة منذ تأسيسه الأول على يد أبي الحسن الأشعري . وفي المقابل ، كان الطوسي أكبر متكلم شيعي في القرن السابع الهجري ، وقد كان في ابتداء أمره على مذهب الشيعة الاثني عشرية ، ثم تحول إلى مذهب الشيعة الإسماعيلية بعدما اعتكف - أو اعتقل - بقلعة الموت معقل الإسماعيلية ؛ وعلى كلا المذاهبين ، فهو في المعسكر الفكري المقابل للأشاعرة وأهل السنة<sup>(٤)</sup> .. ومن هنا جاءت المعارضة لكتاب المحصل في تلخيص الطوسي .

(١) يقصد؛ الأفكار الدقيقة .. والمخدرات هن الفتيات المتواريات في الحدور والحيام .

(٢) الطوسي : تلخيص المحصل ( مكتبة الكليات الأزهرية ) ص ١٦ .

(٣) يقصد؛ الرازي .

(٤) أعتقد أن الطوسي كتب « التلخيص » وهو في المرحلة الأولى من منحى فكره الشيعي ، المرحلة الإمامية الاثنا عشرية .

أما ابن خلدون ، الذى نشأ فى محيط سُنَى أقرب إلى فكر الرازى ، فإنه درس كتاب «المُحَصَّل» على يد شيخه الأبلَى - المتوفى ٧٥٧ هجرية - ذى العقلية الفلسفية التى هى أقرب إلى فكر الطوسى . ومن هنا شرع ابن خلدون فى استخلاص «باب» كتاب المُحَصَّل ، متابعاً نص الكتاب وتعليقات الطوسى ، فى محاولة لتقويم الخلاف بين الرازى الأشعرى والطوسى الشيعى .. فكان يميل فى الأمور الفلسفية لرأى الطوسى - بعض الشيء - بينما يميل بصدد العقائد إلى رأى الرازى .

وكتاب «باب المحصل» وضعه ابن خلدون وهو فى حدود العشرين من عمره ، ولم يكن وقتها قد انشغل بالتاريخ والعمران البشرى ، وإنما بأصول الدين وعلم الكلام .. ولا توجد من «باب المحصل» غير نسخة فريدة فى العالم ، محفوظة بمكتبة دير الأسكورريال تحت رقم ١٦٠٩ / قديم - ١٦١٤ / جديد ، وهى بخط ابن خلدون نفسه .. وتبدأ المخطوطة بما يلى :

أحمد مَنْ تفرَّد بعظمته وكبريائه ، وتقدَّس بصفاته وأسيائه .. وبعد ؛ فإن العلوم كثيرةٌ ، والمعارف جَمَّةٌ غزيرةٌ ، وأشرفها العلم الإلهى الذى فاز عالمُهُ بالسعادة ، وأعدَّت له الحسنى وزيادة ، تفتقر العلومُ إليه ولا يفتقر إليها ، وتعوَّل فى مقدماتها عليه ولا يعوَّل عليها ؛ لا جَرَمَ كان الأولى صرف العناية إليه ، وإرسال سهم القرىحة عليه ؛ وكانت له مُدَّةٌ منذ ركبت ريجهُ ، وخبث مصابيحه ، فلا تجد إلا طالب علم ينيله رئاسة دنياه ، ولا يشتغل بأخراه ولا بأولاه ، إلى أن طلع الآن بسماته شمسُ نور آفاقه ، ومدَّ على الخافقين رواقه ، وهو سيدنا ومولانا الإمام الكبير العالم العلامة فخر الدنيا والدين ، حُجَّة الإسلام والمسلمين ، غياث النفوس ، أبو عبد محمد بن إبراهيم الأبلَى<sup>(١)</sup> ، رضى الله عن مقامه وأوزعنى شكر أنعامه<sup>(٢)</sup> .. قرأنا بين يديه

(١) لعل لقب «الأبلَى» نسبة إلى «الأبلة» وهى بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة (ياقوت : معجم البلدان ١/ ٧٧) وربما تكون النسبة إلى بلدة مغربية اسمها «أبل» .  
(٢) يُفهم من العبارة أن الأبل كان وقت كتابة المخطوطة لا يزال حيًّا ، مما يعنى أنها كُتبت قبل سنة ٧٥٧ هجرية .



لابن خلدون

كتاب (المَحْصَل) الذى صَنَّفَه الإمام الكبير فخر الدين ابن الخطيب<sup>(١)</sup>، فوجدناه كتاباً احتوى على مذهب كل فريق، وأخذ في تحقيقه كل مسلك وطريق، إلا أن فيه إسهاباً لا تميل هم أهل العصر إليه، وإطناباً لا تعول قرائحهم عليه، فرأيتُ بعون الله أن أحذف من ألفاظه ما يُستغنى عنه، وأترك منها ما لا بُدَّ منه، وأضيفُ كلَّ جوابٍ إلى سؤاله، وأنسج في جميعها على منواله؛ فاختصرته وهذَّبته، وحذو ترتيبه رتَّبته، وأضفْتُ إليه ما أمكن من كلام الإمام الكبير نصير الدين الطوسى، وقليلاً من بُنيات فكرى، وعبرْتُ عنها بـ «ولقائل أن يقول» وسميته لباب المحصَّل؛ فجاء بحمد الله رائق اللفظ والمعنى، مشيداً القواعد والمبنى. ورتَّبته على أركان، الركن الأول في المقدمات .. إلخ.

\* \* \*

وأول من اهتم بمخطوطة اللباب، الأب الأوغسطينى «لوسيانو روييو» أستاذ الفلسفة في دير الأسكوريال، إذ اختارها لتكون موضوعاً لرسالته للدكتوراة من كلية الفلسفة والآداب بمدريد، وقام بنشرها مع ترجمة للأسبانية صدرت سنة ١٩٥٢ ضمن منشورات معهد مولانا الحسن في تطوان - دار الطباعة المغربية - معتمداً في ذلك على نسخة الأسكوريال الفريدة.

وعن نشرة الأب «لوسيانو» يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى: جاءت هذه النشرة حافلة بالأخطاء، مما يستدعى الأمر معه إعادة النشر من جديد، على أساس هذه المخطوطة نفسها، لأنها - وهى بخط المؤلف - يجب أن تكون وحدها الأساس لنشر الكتاب<sup>(٢)</sup>.

ومنذ بضعة أعوام، حدَّثنى الدكتور عباس محمد حسن سليمان عن نيَّته تحقيق نص المخطوطة، والتمهيد لها بدراسة مناسبة عن ابن خلدون وشيخه الأبلَى .. ولكن الدراسة

(١) يُعرف فخر الدين الرازى بهذا اللقب، لأن والده كان خطيب بلاد الرى.

(٢) د. بدوى: مؤلفات ابن خلدون (دار المعارف بمصر، ١٩٦٢) ص ٨.

والتحقيق لم يظهر حتى اليوم ، ونأمل ألا يتأخر أوان ظهورهما ؛ نظراً للأهمية الفائقة للنص -  
والدراسة - في الكشف عن طبيعة الإطار المعرفي الذي نشأ فيه ابن خلدون ، والأسس  
( الكلامية ) التي انطلق منها ، وأعتقد أن ذلك سوف يلقي الضوء على الكثير من أفكار ابن  
خلدون التي وضعها بعد ذلك في مقدمته الشهيرة .



لِبَابِ الْمُحْضَرِّ  
أَهْوَالِ الدَّيْرِ تَصْنِيْبِ الْعَبْدِ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِ  
تَقْلِي الْعَتِيْبَةِ بِحَمْدِ سَوَاهِ الرَّاجِي عَفْوَهُ  
لَهُمْ جَزَاءُ الرَّحْمَنِ بِرَحْمَتِهِ خَلْدُونَ الْعِزْمِي  
مُغْفِرٌ لِدَعْوِهِ لَوْ الرَّبِّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
مُغْفِرٌ لِدَعْوِهِ لَوْ الرَّبِّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

مخطوطة الأسكوريال الفريدة

(صفحة الغلاف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَي سَيْرَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

أَحْمَدُ بْنُ تَبَرْدٍ بِعَقْمَتِهِ وَكَبْرِيَا بِهِ وَتَفَرُّهُ بِصِبَاةِ  
وَأَسْمَاءِ بِهِ وَتَنْزُورُهُ عَنْ مِثَابَةِ خَلْقِهِ بِفَرْمِهِ وَنَفَاقِهِ بِالطَّافِ  
بِجَلِّ شَيْبَةٍ عَالِمًا بِبَلَايِعِ عَدُوِّهِ مِثَالِ ذُرَّةٍ فِي أَرْضِهِ وَسَمَاءِ بِهِ  
وَرَوْسَعَتِ فِدْرَتَهُ الْمَمْنَاتِ بِبَلَاتِ بَشْرٍ عَنْ إِتْرَاعِهِ وَانْتِشَابِ  
وَدَلِّ خَيْرٍ وَثَمًا وَتَخْصِيصًا بِرَفْتِ كَمَا يَجَادُ عَلَى إِرَاءَةِ  
وَفَضَائِهِ وَأَمَلِي عَلَى أَوْلِي النَّبِيِّ الْفَرَسِيِّهِ الْمُخْتِمِ  
بِتَشْرِيهِ وَاعْتِقَابِهِ خَصْرًا عَلَى سَيْرِنَا مُحَمَّدٍ الْمُطَهَّرِ  
خَاتَمِ أَيْبِيَا بِهِ وَعَلَى آلِهِ وَرَاعِيَا بِهِ وَعَثْرَتُهُ زَاوِلِيَا بِهِ مَلَا  
بِأَيْمَةِ أَعْرَاهَا لِيَوْمِ لَفَاقِهِ **وَالْعُرْبَانِ** الْعَدُوِّ  
كَيْتَرِهِ وَالْمَعَارِفِ جَمَّةٍ غَزِيرِهِ وَأَشْرَمَا الْعِلْمِ كَالْمِ  
الْعُرْبَانِ عَالِمًا بِالشَّهَادَةِ وَاعْتَرَتْ لَهُ الْحَسَنُ وَزِيَادَةُ  
بِنْفَرِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَابْتِنْفَرِ الْيَمِينِ وَتَرَامِ مَقْرَمَاتِهَا عَلِي  
وَكَأَيِّدِهَا عَيْنًا كَأَحْبَرَمَ كَمَا فِي صَرْفِ عِنَا الْفَنَائِيَةِ

الورقة الأولى في المخطوطة

(بخط المؤلف)





عليهم سلطان ﴿<sup>(١)</sup> فكيف الواقع فيهم ، والناقد عليهم ما تأدب معهم بما تأدب به إبليس معهم حيث قال: ﴿ فبمرتك لأغوينهم أجمعين \* إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ <sup>(٢)</sup> لما عَلِمَ أن الله خُلصاء لا يخلص إليهم <sup>(٣)</sup> .

وفي « تفليس إبليس » يسوق ابن غانم المقدسي حُجج إبليس ، فيرد عليها ، وكأنه يحاوره ، يقول ابن غانم : ولقد أوقفته - يقصد إبليس - موقف الجدال ، ونازلته في معرك النزال ، فجعل يجول وأجول ، ولكنه أسس بنيانه على أساس الوسواس ، وأسستُ بنياني على قواعد ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ فجعل يُعاملني معاملة الطالب ويراوغني مراوغة الهارب .. إلخ <sup>(٤)</sup> .

ولم يكن ابن غانم هو أول من تعرّض لمسألة « إبليس » ، فقد سبقه - بقرون - صوفي آخر ، هو الحلاج ( أبو المغيث ، الحسين بن منصور ، المقتول ببغداد سنة ٣٠٩ هجرية ) فكتب فصلاً في « الطواسين » عن إبليس وجعله بعنوان : طاسين الأزل والالتباس <sup>(٥)</sup> وإن كان الحلاج قد اتخذ موقف الاعتذار واللوم لإبليس ، فإن ابن غانم المقدسي كان يهدف إلى إفحام إبليس إفحاماً تاماً ، وبيان تهاؤت حججه واحتجاجه بالقدر . لكن ابن غانم - بعد الحلاج - يعد أول من ساق العبارات ، والأشعار ، على لسان إبليس ، فجعله في « تفليس إبليس » يفصح عن نفسه ، ليتسنى لابن غانم بعد ذلك - الرد عليه ، وتعبق دفاعه ، وإفحامه .

وقد نُشر كتاب « تفليس إبليس » نشرة متواضعة بالقاهرة ( دار أنوار القرآن - مكتبة نجمة الحسين بالأزهر ، سنة ١٩٧٨ ) بعناية / عبد الله نجيب ، المدرس بجامعة الأزهر - وأضاف الناشر إلى الكتاب ، قصيدة ابن تيمية في حُكم القضاء والقدر .

(١) سورة الحجر ، آية ٤٢ .

(٢) سورة ص ، آية ٨٢ .

(٣) ابن غانم المقدسي : تفليس إبليس ، ص ١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٥) انظر « الطواسين » نشرة لوى ماسينيون ، باريس ١٩١٣ .

ولابن غانم المقدسى كتابٌ آخر ، بعنوان « منتخب فى مصايد الشيطان وذم الهوى » عمد فيه إلى اختصار كتاب « إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » لابن قيم الجوزية ، فلم يخرج فيه عن حدود الكتاب الأصيل ، واكتفى بانتخاب بعض نصوصه واختصار بعض مباحثه لتسهيل الانتفاع به .. وتوجد نسخة خطية من هذا المنتخب ، محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٩٩ / أخلاق تيمور ، وقد نشرها إبراهيم محمد الجمل ، وصدرت عن ( مكتبة القرآن بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣ ) .

\* \* \*

أما « الشجرة لإظهار الثمرة » فهى نصٌ مخطوط لم يُنشر من قبل ، توجد منه نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية ، تحت رقم ٣٥٦٢ / د .. وتمتاز هذه الرسالة عن مؤلفات ابن غانم المقدسى ، بأنها تأليفٌ خالص - فإذا كان « التفليس » هو معارضةٌ لكتاب ابن الجوزى ، و« المنتخب » هو اختصار لكتاب ابن القيم ، فإن « الشجرة » هى مؤلفٌ خاص لم يعتمد فيه ابن غانم على تصانيف السابقين .

فى هذه المخطوطة ، يستعرض المؤلف قصة الخلق بأسلوب رمزى أخاذ ؛ فينظر إلى الوجود على أنه شجرة نبتت من بذرة الأمر الإلهى « كُنْ » فأورقت حتى ظهرت ثمار ﴿ كل شىء خلقناه بقدر ﴾<sup>(١)</sup> وهو يمزج كلامه بالنص القرآنى مزجاً لطيفاً بليغاً ، فنراه - مثلاً - وهو يحكى قصة خروج آدم من الجنة ، متعرضاً فى ذات الوقت لمسألة إبليس ؛ يقول :

وأما إبليس ، فإنه مكث فى مكتب التعليم أربعين ألف عام ، يتصفح حروف « كُنْ » وقد وكله المعلم إلى نفسه ، وأحاله على حوله وقوته ، فكان ينظر إلى تمثال « كن » فيشهد من كافها كاف كفره وكبره ﴿ فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ويشهد من نونها نون ناريتة

(١) سورة القمر ، آية ٤٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٤ .



للتنس

﴿تَكْبِكْبُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ﴾<sup>(١)</sup> فلما نظر آدم إلى اختلاف أغصان هذه الشجرة ، وتنوع أزهارها وثمارها ، وتشبَّث بفصن ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> فنودى من ثمار التوحيد ، واستظل بظل التفريد و﴿لا تقربا هذه الشجرة﴾<sup>(٣)</sup> فأراد إبليس أن يوصله بفصنه ﴿فوسوس لها الشيطان﴾<sup>(٤)</sup> فأكلًا منها ، فزلق في مزالق ﴿وعصى آدم ربه﴾<sup>(٥)</sup> فاستمسك بفصن ﴿ربنا ظلمنا﴾<sup>(٦)</sup> فتدلَّت له ثمار ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾<sup>(٧)</sup> فلما نُودى يوم الإِشهاد على رؤوس الأَشهاد ﴿السُّتُّ بِرَبِّكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> فشهد كُلُّ عَلَى مَقْدَارِ مَا أَشْهَرُ وَأَسْمَعُ مِنَ الْخُطَابِ ، ثم اتفق الكُلُّ فِي الْإِيْجَابِ فَقَالُوا: ﴿بَلَى﴾ لكن الاختلاف وقع من حيث الإِشهاد ، فمن أَشْهَدَ كَمَا لِيهِ ذَاتُهُ ، شَهِدَ أَنْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٩)</sup> ومن أَشْهَدَهُ جَلَالِيَّةَ صِفَاتِهِ شَهِدَ أَنَّهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾<sup>(١٠)</sup> ومن أَشْهَدَهُ عِرَائِسَ مَخْلُوقَاتِهِ ، اِخْتَلَفَتْ شَهَادَتُهُمْ لِاِخْتِلَافِ الشُّهُودِ ، فَقَوْمٌ جَعَلُوهُ مَعْدُودًا<sup>(١١)</sup> ، وَقَوْمٌ جَعَلُوهُ مَعْهُودًا<sup>(١٢)</sup> ، وَقَوْمٌ جَعَلُوهُ مَوْلُودًا<sup>(١٣)</sup> ، وَقَوْمٌ جَعَلُوهُ حَجْرًا جَلْمُودًا<sup>(١٤)</sup> ، وَالْكَلُّ فِي ذَلِكَ عَلَى حَكْمِ ﴿قُلْ لَنْ يَصْبِيَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾<sup>(١٥)</sup> وَهُوَ مُسْتَنْبِطٌ مِنْ كَلِمَةٍ: كُنْ<sup>(١٦)</sup>.

(١) سورة الشعراء ، آية ٩٤ .

(٢) سورة طه ، آية ١٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٣٥ - سورة الأعراف ، آية ١٩ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ٢٠ .

(٥) سورة طه ، آية ١٢١ .

(٦) سورة الأعراف ، آية ٢٣ .

(٧) سورة البقرة ، آية ٣٧ .

(٨) سورة الأعراف ، آية ١٧٢ .

(٩) سورة الشورى ، آية ١١ .

(١٠) سورة الحشر ، آية ٢٣ .

(١١) الإشارة إلى المجسمة الذين قالوا: إن الله - تعالى - جسمٌ وحَدٌ ومقدار .

(١٢) الإشارة إلى اليهود ، القائلين : خلق الله آدم على صورة الرحمن .

(١٣) الإشارة إلى النصراني الذين قالوا بالوهمية المسيح .

(١٤) الإشارة إلى الوثنيين الذين عبدوا الأصنام .

(١٥) سورة التوبة ، آية ٥١ .

(١٦) المخطوطة ، ورقة ٣ ويلاحظ أنه في النص الأصلي لا يوجد فاصل بين الآيات والعبارات ، كما هو الحال

هنا .

ويتعرض ابن غانم المقدسى لأنوار النبى محمد - ﷺ - ومرتبته فى شجرة الكون ، فيقول : فأول ما عهد خولى<sup>(١)</sup> هذه الشجرة ، إلى أصل حبة « كُنْ » فاعتصر صفوة عنصرها ، ونحّضها حتى بدت زُبدتها ، ثم صفاها بصفات الصفوة حتى زال كدرها ثم ألقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها ، ثم غمسها فى بحر الرحمة حتى زال كدرها ثم ألقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها ، ثم غمسها فى بحر الرحمة حتى عمّت بركتها ، ثم خلق منها نور نبينا محمد ﷺ ، ثم زينَ بنوره المملأ الأعلى حتى أضاء وعلا ، ثم جعل النور أصلا لكل نور ، فهو أولهم فى السطور ، وآخرهم فى الظهور<sup>(٢)</sup> ، وقائدهم فى النشور ، ومبشرهم بالسور ، ومتوجهم بالحبور ؛ فهو مستودع فى ديوان الأُنس ، مُستقرٌّ فى رياض حَضرة القدس<sup>(٣)</sup> ، سترَ معنى روحانيته بستر جُثمانيته ، وغطّى عالم شهوده بعالم وجوده ، فهو مستخرج من الكون ، مستنبط لأجله الكون<sup>(٤)</sup> .

وعلى هذا النحو تسير المخطوطة ، فتعرض لمظاهر الخلق وحقائق الوجود ودقائق الإسلام واختلاف الأديان ، وغير ذلك من الموضوعات ، وفى آخر المخطوطة جمع الناسخ مجموعة من أشعار ابن غانم المقدسى ، منها تلك القصيدة ( من الخفيف ) :

يَا أُحْدَاةَ الْمَطِيِّ رِفْقًا فَإِنِّي      مِنْ جَنَابِ الْحَبِيبِ آتَسْتُ نَارَا  
خَفَّفِ السَّيْرَ بِالْمَطِيِّ وَدَعِّهَا      فَزَحَّةَ الْقَلْبِ تَخْلَعُ الْأَكْوَارَا  
جِئْنَ سَعْيًا إِلَى حِمَاكَ عَسَاهَا      بِخُطَاهَا تُخَفِّفُ الْأَوْزَارَا  
قَدْ أَتَيْتَاكَ لِلزُّبَارَةِ شُعْنَا      يَا مَزُورًا هَلْ تَقْبَلُ الزُّورَارَا  
لَوْ بَقِدِرِ الْأَشْوَاقِ زُرْتَاكَ يَوْمَا      لَسَعَيْنَا عَلَى الْجُفُونِ صِغَارَا

(١) الخولى ، القائم بأمر النباتات « الجنائى » والمراد به هنا : الله تعالى .

(٢) من هنا نقول للنبي ﷺ : يا أول خلق الله وآخر رُسل الله .

(٣) استخدم المقدسى هنا اصطلاح ( المستودع - المستقر ) وهو من مصطلحات الشيعة الإسماعيلية فى قولهم بالإمام المستودع والإمام المستقر .. راجع بخصوص ذلك ، د/ محمد على أبو ريان : الفكر الفلسفى فى الإسلام ( طبعة دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٨ ) .

(٤) المخطوطة ، ورقة ٦٠ أ .

للمقدس

مِنْكَ عَفْوًا يَمْحُو الذُّنُوبَ كِبَارًا  
لَاذَ بِالْجَارِ وَالتَّجَا وَاسْتَجَارَا  
ثُمَّ لَبَّى وَاسْتَمْسَكَ الْأَسْتَارَا  
بِمَعَانِيهِ حَيْرَ الْأَفْكَارَا  
يَطْلُوِي أَنْشَادُ الْآثَارَا  
فِي طَوَافِي أُنْبُلِ الْأَحْجَارَا  
لَكَ تَوَلَّتْ عَنْهَا الْقُلُوبُ فِرَارًا  
جَعَلَ الذُّكْرَ لِلْقُلُوبِ شِعَارَا  
قَبْلَ أَنْ يَغْرِفَ الْحَجِيجُ الْجَارَا  
يَجْتَلِيهِ غَامِ مَنْ يَنْهَمُ الْأَسْرَارَا  
عَنْ غَرَامِي لَا اسْتَطِيعُ اضْطِيبَارَا

قَدْ أَنْخَنَّا بِبَابِ جُودِكَ نَرْجُو  
وَلَنَا مِنْكَ حُرْمَةُ الْجَارِ لَمَّا  
مَنْ سَعَى بِالصَّفَا إِلَيْكَ اسْتِيَاقَا  
فَجَدِيدٍ بِأَنْ تُرِيهِ جَمَالَا  
أَنْتَ لَوْلَاكَ مَا حَبَسْتُ قُلُوصِي (١)  
لَا وَلَا طُفْتُ بِالرُّبُوعِ سُبُوعَا  
مَا الصَّفَا، مَا الْحَطِيمُ، مَا التَّبِيثُ لَوْلَا  
مَا وَقُوفِي عِنْدَ الْمَشَاعِرِ لَوْلَا  
رَمَيْتُ حَجْرَةَ الْهَوَى بِنُؤَادِي  
هَذِهِ كُلُّهَا إِشَارَاتُ سِرِّ  
يَا عَدُوِي دَعِ الْمَلَأَمَ فَإِنِّي

.. ومن أشعار ابن غانم الواردة بآخر المخطوطة ، تلك الأبيات في ليلة الإسراء ( من

الكامل ) :

فِي لَيْلَةٍ شَرُفْتُ بِطَالِحِ سَعْدِهِ  
مِنْ قَبْلِهِ كَلًّا وَلَا مِنْ بَعْدِهِ  
لَيْلًا وَمِيكَائِيلُ نَاطِمُ عَقْدِهِ  
جُمِعُوا لَهُ فَكَأَنَّهُمْ مِنْ جُنْدِهِ  
دَرَجِ الْعُلَا لَمَّا عَلَا فِي جَدِّهِ  
ذَانِ عَلَى قُسْرٍ الْمَزَارِ وَبُعْدِهِ  
سَمِعَ الْخِطَابَ وَلَمْ يَخْفَ مِنْ صَدِّهِ

سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى إِلَيْهِ بَعْبُدِهِ  
أَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ مِثْلَهُ  
جَبْرِيلُ حَامِلُ بُرْدِهِ لَمَّا سَرَى  
وَالْأَنْبِيَاءُ بِجَمْعِهِمْ وَيَعْدُهُمْ  
وَسَمًا إِلَى فَوْقِ السَّمَاءِ وَعَلَا عَلَى  
وَدَنَا إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ وَلَمْ يَزَلْ  
فِي قَابِ قَوْسَيْنِ دَنَا مِنْ رَبِّهِ

(١) القلوص : الإبل .

مَا زَاغَ ذَلِكَ الطَّرْفُ مِنْهُ وَلَا طَعَى  
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لَهُ وَقَدْ أَسْرَى بِهِ  
ذَلِكَ الْفُؤَادُ وَلَا عَدَا عَنْ حَدِّهِ  
لَيْسَ يُرِيدُ تَسْتَرًا فِي قَضْدِهِ  
هَيْهَاتَ يُخْفِي اللَّيْلُ طَلْعَةَ بَدْرِهِ  
أَوْ يَنْطَوِي نَشْرُ الْعَبِيرِ بِنَدْوِهِ<sup>(١)</sup>

وفي خاتمة المخطوطة قصائد غير هذه وتلك ، منها أبيات في المحبة الإلهية وفي زيارة البيت العتيق وفي شرف مكة والحجاز وفي فضل النبي عليه الصلاة والسلام .. وعلى الورقة الأخيرة :

« تَمَّ كِتَابُ الشَّجَرَةِ وَمَا يَتَمَلَّقُ بِهِ مِنْ كَلَامِ مُؤَلِّفِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَضِيَ عَنَّا بِهِ - إِنَّهُ  
وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ . »



(١) المخطوطة ، ورقة ٢٦ ب ، ١٢٧ .

(٢) المخطوطة ، ورقة ٢٧ ب .. والتَّنْدُ : نبات طيب الرائحة

شكرا لرسالة السبايا الشجرة لآظها المرمق

تأليفه العارف المحقق المبتقر المدقق

بجلاصة عصم ونسجة غنصا عصم

اوي محمد عز الدين عبد الله

ابن احمد بن غانم المقدسي

رضوانه عنده ورثا

وقنعنا به

وهدانا  
بهدا

طالع هذا الكتاب كافي في  
الكبر واليسر من غير الوقاية  
المزلة في رسمه وغنم ولولا  
لديه ولولا الدوله والبر والبر  
وعما تقدم من الحفظه من وراثة  
البر والبر والبر والبر

هذا الكتاب الظاهر التبري  
الذي له كافي في  
البر والبر والبر والبر  
البر والبر والبر والبر  
البر والبر والبر والبر  
البر والبر والبر والبر

غلاف مخطوطة « الشجرة »

نسخة بلدية الإسكندرية رقم ٣٥٦٢ / د

### لسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم الحافظ الموزع الرازي في ريد زمانه ورحب  
 مصر وادواته ان محمد بن عبد الله بن عبد السلام بن احمد بن عثمان المقدسي  
 رضى الله عنه ورضي عنه من احدى الذات الفردى الص  
 الذى يقدر من وجهه عن الجهات وقدمه عن الحاديات وقدم  
 عن الخطوات فييد من البركات وعينه عن النقطات واستعمل  
 عن الامتالات فيخرولة من الانقصالات وقد ربه عن الهموا  
 وادارته عن الشواهد الهزى لا تعد دصغاة كهدد الوصو قيات  
 ولا مختلف ارادته باختلاف المرادات كوزيكلية كبرهات الكاينات  
 واوجدتها جميع الوجودات فلا موجود الاستخرج من كنهها الالكنا  
 ولا - الاستخرج من سرها المصور قال في معار  
 لشي اذا اردناه ان يتصور له كن فيكون وبعد فاني نظرت بها  
 الكون وتكونينه والي المكون وتلويبه شرايت الكون كله شئ  
 اصله ركا من حبة كن قد لغت كاف الكونية بلعاج تون النحن  
 نحن خلقناكم فانعد من ذلك الية ذمقة انا كل شئ خلقناه بقده  
 فاطر سره تدين خصائص مختلفين اصلها واحد وهو الالادة وفيه  
 واخذ وهو الترادات فلما بنت اصلها ونبت فرعها ظهر عن  
 الكاف متصه في مختلفان كك الكالته اليوم اكلت لكم دينكم وكاف  
 الكفوية فمنهم من اذن ومنهم من كفر وظهر عن جهر النون نون النون ولا  
 العرفه فلما ابره من الالاد على كرم اذ ايقا بره من شئ كل يوم

روحی تگوز قد اداک  
تم کتاب الشیخة وما یتعلق به من کلام مولفہ رضی  
الله تعالیٰ عنہ ورضی عنابہ انه ولی ذکک والقائد  
معلیہ وعلی الله علی سیدنا ونبینا محمد خاتم المرسلین  
وعلی آلہ وصحبہ واهل بیتہ وحرزہ اجمعین  
وسلمہ تسلیمًا کثیرًا دایمًا ابدا  
الی یوم الدین ولله  
الله رب  
العالمین  
س

الورقة الأخيرة





## الفصل الخامس عشر ( مخطوطة طيبة ) :

### شَرْحُ تَقْدِيمَةِ الْغَرْبِ

#### لِلْبَغْدَادِيِّ

حاول بعض الغربيين المحدثين ، الترويج للفكرة القائلة: « إن اليونان القديمة هي مهد العلم والفلسفة » وبالتالي فإن العلم انطلق من الغرب القديم ، وهو الآن يبلغ قمة تطوره في الغرب المعاصر ، فلا فضل في تاريخ الحضارة لغرب القديم والحديث ، وكل ما فعله العرب في هذه المسيرة الغربية للحضارة ، هو أنهم حافظوا على أصول العلم اليوناني لعدة قرون ، حتى تسلمتها منهم أوروبا وهي تؤسس نهضتها الحديثة وتطور إسهامات اليونان .

ولا شك في أن ترديد هذه الأفكار ، قد صار اليوم يدعو للشفقة والسخرية من قائلها ؛ فقد أثبتت البحوث والدراسات - بما لا يدع مجالاً للشك - أن اليونان كانت مجرد حلقة من تطور الحضارة الإنسانية ، فقد استعارت علومها وفلسفتها من تراث مصر الفرعونية وممالك شرق المتوسط وبلاد الهند<sup>(١)</sup> ، فظل ذلك الإنتاج الحضاري السابق عليهم يتطور على أيديهم وبجهود علماءهم ، حتى التقطت أوروبا الحيط عبر مرحلتين ؛ الأولى أخذت فيها أوروبا من العرب إنتاجهم العلمي وترجمته من العربية إلى اللاتينية ، والثانية أعطت أوروبا لبلدان العرب - ردًا للجميل - حملات الاستعمار التي حرصت على أن تظل بلاد العرب متخلفة .

(١) في مقابل القائلين بالمعجزة اليونانية يقول الدكتور عبد الحلیم متصر : الباحث المنصف لا يمكن أن يغفل أمر المدنيات القديمة التي سبقت العصر الأغرقي وتقدمت عليه في التاريخ ؛ إذ لا يمكن أن تكون المدينة الأغرقية نشأت فجأة وبمعزل عن المدنيات الأخرى من بابلية وأشورية ومصرية فرعونية ، وقد كانت بين الأغرقي والمصريين القدماء صلات وتجارا وحروب .. وقد أنصف هيرودتس الملقب ( بأبي التاريخ ) هذه الحضارات عند ما قال : إن معظم فلاسفة الأغرقي القدامى أمضوا جانبًا من حياتهم في مصر وبلاد ما بين النهرين ( تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدّمه ، الطبعة الرابعة - دار المعارف ١٩٧١ ، ص ٢ ) وبخصوص تلك « المعجزة اليونانية » راجع : سارتون ، تاريخ العلم ( دار المعارف ) ١ / ٢٨٧ ، ٣٤٧ .

والمخطوطة التي تدور حولها السطور التالية ، وثيقة من وثائق الصلة بين اليونان القديمة والعرب من ناحية ، وبين العرب القدماء وأوروبا الناهضة من جهة أخرى .

\* \* \*

في أيام اليونان القديمة ، وفي جزيرة « كوس » سنة ٤٦٠ قبل الميلاد ، ولد الطبيب الشهير : أبقراط<sup>(١)</sup> . وقد تعلّم الطب من والده ومن غيره من أطباء الأسرة التي نشأ فيها ، أسرة « إسكليبيوس » التي احتكرت المعرفة الطبية واعتبرتها موروثاً خاصاً بها ، ولم تدوّن المعارف الطبية لئلا يطلع عليها غيرهم ، لكن أبقراط سوف يخالف هذه القاعدة (الأناية) ليصبح : أول مَنْ دَوّنَ علم الطب<sup>(٢)</sup> .

وقولنا : إن أبقراط هو « أول من دَوّنَ الطب » إنما ينسحب فقط على التاريخ اليوناني ، ولا يجوز إطلاقه على التاريخ البشري كله ، وإلا فقد دَوّنَ المصريون القدماء الطبَّ قبل أبقراط بقرون طويلة ، المهم ترك أبقراط مجموعة كبيرة من المؤلفات ، منها كتاب « تَقْدِمة المعرفة » الذي نقله العرب ضمن ما نقلوا من مؤلفات الطب اليوناني لأبقراط وجالينوس وغيرهما من مشاهير الأطباء اليونانيين (كما ترجموا أيضاً كتب الهند الطبية) وجعلوا من « تَقْدِمة المعرفة » أحد المقررات الدراسية التي لا بد أن يدرسها كل مَنْ أراد الاشتغال بالطب والتداوى .

(١) بخصوص أبقراط ، يمكن الرجوع إلى كتابنا : شرح فصول أبقراط ، لابن النفيس - مقدمة التحقيق ص ١٧ وما بعدها .

(٢) يذهب « ميشيل فوكوه » إلى أن اضمحلال الطب ، بدأ مع أبقراط . فمن خلال رؤية « شاعرية » يقرر (فوكوه) أنه : في فجر البشرية ، كان الطب يكمن في العلاقة المباشرة بين آلام المريض وبين ما يخفف هذه الآلام ، وهذه العلاقة يحددها الإحساس وتحمّتها التعرّيزة قبل أي تجربة .. أما الاضمحلال فقد بدأ مع الكتابة والأسرار ، أي مع انتقال المعرفة الطبية إلى المتخصصين ، كما جاء هذا الاضمحلال بسبب الفصل بين النظرة والقول ، أو بين الرؤية والمعرفة ، وباختصار ، يمكن القول بأن تاريخ هذا الاضمحلال إنما يبدأ مع أبقراط ، أكبر أطباء الأغرقيق في العصور القديمة أو يستشهد (فوكوه) بعبارة (مسكاتي) : إن الفلسفة قد تسللت إلى الطب ، كما انعدمت الملاحظة ، بعد أن تحول الطب إلى « نسق » على يد أبقراط (البنوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه ، للدكتور / عبد الوهاب جعفر - دار المعارف ١٩٨٩ - ص ٢١٢) .

وكلمة «تَقْدُمة المعرفة» تعنى التنبؤ بما سيكون عليه المرض في المستقبل، ويُشار إلى نفس المعنى باصطلاح آخر هو «الإنداز المرضى» وكان الأطباء يعتمدون في هذا الإنداز المرضى - أو تَقْدُمة المعرفة - على العرافة والكهانة والتنجيم<sup>(١)</sup>، حتى جاء أبقراط واعتمد في ذلك على الملاحظة الإكلينيكية الدقيقة ذات الطابع العلمى، فكان بذلك؛ أحد الذين حرروا الطب من الخرافة.

وكتاب «تَقْدُمة المعرفة» عبارة عن مجموعة من الفقرات الطبية ذات الطابع الموجز، تبدأ بقوله: «إنى أرى أنه من أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر، وذلك أنه إذا سبق فعلم، وتقدم فأنذر المرضى، كان خَرِيًّا بأن يوثق منه بأنه قادر على أن يعلم أمور المرضى، حتى يدعو ذلك المرضى إلى التقربة والاستسلام في يدى الطبيب، وكان علاجه لهم على أفضل الوجوه».

ونظرا للطابع الاختصارى الموجز الذى يميّز كتاب «تقدمة المعرفة» فقد أقبل الأطباء في العصور المختلفة على شرح عباراته وتأويل مقاصده، لما يعطيه من إمكانية استعراض الجديد من المعارف الطبية في كل عصر، فكل طبيب يفهم النص في ضوء ما توصل إليه من معلومات طبية، فيضع شرحه الخاص على «تقدمة المعرفة» وكأنه يصوغ معارفه هو، ويضع تصوراته ومعلوماته الخاصة.

ومن أهم الشروح على الكتاب، شرح الطبيب اليونانى «جالينوس» وقد تُرجم هذا الشرح إلى اللغة العربية منذ وقت مبكر، وقام بالترجمة «حنين بن إسحاق» بتكليف من الخليفة المأمون.. أما الشروح العربية فهى: شرح ابن أبى الصادق النيسابورى - شرح أمين الدولة ابن التلميذ - شرح مهذب الدين الدُّخوار - شرح عماد الدين الدُّنيسرى - شرح يوسف بن محمد التبريزى.. وقد وضع العلامة علاء الدين بن النفيس شرحين على مقدمة المعرفة<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: د/ عبد اللطيف البدرى: التشخيص والإنداز في الطب الأكدى (المجمع العلمى العراقى - بغداد ١٩٧٦).

(٢) انظر ما ذكرناه عن هذين الشرحين في استعراضنا لمؤلفات ابن النفيس، بالدراسة المنشورة مع تحقيقنا لكتاب: المختصر في علم الحديث النبوى (نشرة الدار المصرية اللبنانية - القاهرة) ص ٥٠ وما بعدها.

والشروح العربية على كتاب (تقدمة المعرفة) في حاجة إلى دراسة علمية تاريخية من شأنها أن تكشف الكثير عن تطور الطب العربي<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وللطبيب المسلم : موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (المتوفى سنة ٦٢٩ هجرية) شرح على كتاب تقدمه المعرفة<sup>(٢)</sup>. توجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٧٥١ / ل .. وهو ، كغالبية مؤلفات البغدادي ، لم يُنشر بعد .

يبدأ البغدادي شرحه بمقدمة يقول فيها : « الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين ، وبعد فراغى من ( شرح ) كتاب بقراط المعنون بكتاب الفصول ، رغبت إلى بعض من يجب حقه على .. أن أنهج ذلك المنهج في كتاب تقدمه المعرفة ، إذ كان تلو كتاب الفصول في الشرف والمرتبة ، فأجبت سؤاله ، وارتسمت ما قاله رجاء الأجر وحسن الذكر .. وأبتدىء بالدروس الثمينة التي جرت عادة الشرح أن يقدموها بين يدي كل كتاب يُقصد إلى شرحه ، وهى : الغرض المقصود من الكتاب ... » .

وعن غاية كتاب « تقدمه المعرفة » يقول البغدادي : « فغرض بقراط في كتابه هذا ، أن يفيدنا علماً بتقدمة المعرفة في الأمراض الحادة وما يتولّد منها ، بذكر مجمل من الدلائل والعلامات على أنواعها وأشخاصها ، وذلك بحسب الزمان الحاضر ، والمستأنف والآنف » . ثم يقول البغدادي إن هذا الكتاب : « جزءٌ عظيم الجدوى من صناعة الطب على رأى أرباب القياس ، وهو داخلٌ تحت القسم العملى من قسمي الصناعة ، وهو منه في تخوم القسم

(١) انظر ما سنقوله في هذه النقطة بأخر الفصل التالى .

(٢) توجد ترجمات وافية للبغدادي في المصادر الآتية :

عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ( بيروت ) ص ٦٨٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١٣٢/٥ - الأعلام للزركلى ٤/١٨٣ - كشف الظنون ١/١٢٣ ، ١٧٤ - ١٠٣٨/٢ - معجم المؤلفين لكحالة ١٥/٦ - ٤٠٠/١٣ .

وللدكتور / بول غليونجى كتاب عن البغدادي ، نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة (أعلام العرب) وهو كتابٌ لطيف مفيد .

العلمي ، إذ منه يتهياً لتشخيص الأمراض التي لا يمكن علاج الأبا .. أما مرتبته فإنه يجب أن يُقرأ بعد كتاب الفصول ؛ لأنه مقصور على تعرفُ توابع الأمراض الحادة ولوازمها ، ويجب أن يُقرأ بعده كتاب الأمراض الحادة ولوازمها ، لأنه يتضمن علاجها ، وأما عنوانه فتقدمة المعرفة ، وهو مُطلق لما فيه واسمه باليونان يورغن ينطبقون ، وترجمته مقدمة المعرفة ، وأما تعليمه فهو طريق التحليل بالعكس ، وأما اسم واضعه فهو أبقرات .. وهو الرجل العميق الفكر النقي الفطنة الفائق الفطرة ، المؤيد في قضاياها وأحكامه ، المذكّر بأحوال الطبيعة ، المحدث عنها بما فيها ، وقد وصفه جالينوس وأحسن ، فقال : إن جالينوس أدبه الدرس ، وبقرات أدبته الطبيعة ، وقال مرة أخرى : إن أبقرات انغمس في الطبيعة وسرى معها حتى انتهى إلى أعماقها ، وأخبر عما شاهد هناك <sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وسار البغدادي في شرحه على طريقة ( قال .. أقول ) حيث يورد أولاً كلام أبقرات مسبقاً بعبارة « قال أبقرات ... » ثم يضع شرحه على الفقرة ، وهو يلجأ أحياناً لطريقة ( الشرح الممزوج ) وفيه يُورد الكلمة الواحدة ، ويعقبها بعبارة شارحة .. ومن أمثلة الطريقتين في شرح البغدادي ( التعليم العشرون ) مانصه :

\* قال أبقرات : وقد ينبغي أن يُستدلَّ على مَنْ يسلم ، وعلى مَنْ يعطب من الصبيان ، ومن غيرهم ، كما يتبين من أمر كُلِّ واحدٍ من الأمراض .

\* قال الشيخ ( البغدادي ) : ابتداءً - أبقرات - من هذا التعليم إلى آخر الكتاب ، في وصايا نافعة للطبيب ، تفيدته التحذُّق والاستقصاء ، ولا يهمل ولو اليسير ، ولا يغفل ولو عن الحقير ، وينظر الأمر من جهاته كلها .. إلخ .

(١) من المبادئ الطبية الرائعة التي نادى بها أبقرات : قوله « دع الطبيعة تعمل » .. وقد تابعه في ذلك الأطباء المسلمون ، يقول بن النفيس : « ينبغي الأتعود الطبيعة الكسل ، بأن تُعالج كل انحراف عن حال الصحة وحيث أمكن التدبير ( العلاج ) بالأغذية ، فلا تعدل إلى الأدوية ، وإننا لا نُؤثر على الدواء المفرد دواءً مركباً ، لكننا قد نُضطر إلى التركيب » ، وفي ضوء هذه النظرة الأبقراطية المؤثرة في الأطباء العرب ، لا يمكن أن نتفق مع تلك الرؤية ( الشاعرية ) التي يقررها ( ميشيل فوكوه ) بقوله : إن انحطاط الطب بدأ مع أبقرات .

تلك هي الطريقة الأولى ، ومن الطريقة الثانية في المخطوطة :

\* قوله - أى قول أبقراط - وينبغي أن تتفطن بسرعة ، دائما ، لحدوث الأمراض ، أى الأمراض الوافدة من قبل اختلاط الهواء في فصول السنة ، فإن بعض الفصول قد يولد أمراضًا ، ويكون سببًا لشفاء أمراض آخر .. إلخ .

\* وقوله: « بسرعة » أى قبل فوات الأمر بقضائه (= وفاة المريض) .

\* وقوله: « دائما » أى في كل مرض .

\* \* \*

وبعد .. فتلك صفحة أخرى من تراثنا الطبي المهجور الذى سبق أن استفادت منه أوروبا<sup>(١)</sup> ، لا تزال تنتظر اليوم الذى تمتد إليها يد باحثينا .. وها هي مخطوطة أخرى من مخطوطاتنا العربية التى تنتظر التحقيق والنشر ، فهل سيأتى اليوم ؟ .



(١) ترجمت هذه المخطوطة ، مع غيرها من مؤلفات الأطباء العرب ، إلى اللاتينية في فجر النهضة الأوروبية (الرينسانس) .

## الفصل السادس بعد العشرين ( مخطوطة اصول دين ) :

### مخوُّ الشُّبهاتِ

للإبراهيم حلمى القادري

وَعَهْدًا قَدْ تَقَضَى فِي وَقَامِ	قَفَا نَبْكَ جَهَابِذَةَ الْأَنَامِ
وَدَمْعِي لِإِنْصِرَامِ الْعَهْدِ دَامِ	أَيَغْنَى مَا أَضْرَمَ مِنَ الْغَرَامِ
وَلَكِنْ أَيْنَ أَعْطَاؤُ الْأَنَامِ	خِيَامٌ قَدْ أَرَاهَا كَالْحِيَامِ
وَلَكِنْ لَا أَرَى غَيْرَ النَّعَامِ	وَطَرْفِي قَدْ يُسَارِعُ بِالنِّفَاتِ
وَعُثْبِي لِلدَّنْيِ مِنْ الْحَرَامِ	وَصَمْتِي عَنْ عِتَابِ الْحُرِّ جُرْمِ
وَعَايَةَ أَهْلِهَا جَمْعُ الْحِطَامِ	وَلَكِنْ أَيْنَ ذَلِكَ الْحُرِّ يَاوِي

هذه الأبيات - وغيرها الكثير - من شعر الشيخ إبراهيم حلمى القادري ، الإسكندراني المولد والمنشأ والإقامة والوفاة . ولد سنة ١٣٢٢ هجرية ، وتوفى وهو يصلى بتلاميده تراويح ليلة السابع والعشرين من رمضان ، سنة ١٣٩٠ هجرية .. رحمه الله .

وإذا كان الكثيرون يتساءلون اليوم : لماذا لم يعد في ديار الإسلام مشايخ كهؤلاء الذين نسمع عنهم ونقرأ في التراث القديم ؟ فإن الشيخ إبراهيم حلمى - وأمثاله - هم أوفى لإجابة على هذا السؤال .. فهم البقية الباقية من خلاصة المعرفة والفضل في تاريخ هذه الأمة . كما ورد في الحديث الشريف : « لا تزال طائفة من أمتي على الخير والحق حتى تقوم الساعة » .

جمعت شخصية الشيخ بين العالم والفقير والمربي والمحقق ، وكانت أوقاته موزعة بين التعمُّد والتربية والتأليف في العلوم الإسلامية ، فكان مجلسه اليومي في مسجده الكائن بمنطقة

( فيكتوريا ) بالإسكندرية ، أشبه ما يكون بالجامعة الدينية ؛ ففى يوم السبت من كل أسبوع يجتمع التلاميذ والإخوان حول الشيخ لتدارس كتب السنَّة النبوية ، ويوم الأحد لدرس الحديث الشريف ، والاثنين للفقہ ، والثلاثاء للتوحيد ، والأربعاء للتفسير ، والخميس للذكر ، والجمعة - بعد الصلاة - لقراءة ياسين .. وعلى هذا النحو ، سارت حياة الشيخ وامتدت فى تلاميذه من بعد وفاته إلى يومنا هذا .

ومع أننى لم ألتق بالشيخ أو أشرف لحظة برؤيته فى عالم الحس ، إلا أنى شغفتُ دومًا بالحديث والكتابة عنه ، لما رأيت فى مؤلفاته وسيرته العطرة وتلاميذه ، من دلالة على أن هذه الأمة لا تخلو من خير وبركة حتى قيام الساعة .. ولقد تحدثتُ عن طريقته القادرية فى كتابى ( الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر ) وتناولت أشعاره فى أحد فصول كتابى ( شعراء الصوفية المجهولون ) واليوم ، أتوقَّف عند مخطوطته - غير المنشورة - التى جعلها بعنوان : محو الشبهات عن مشروعية طلب المحو والإثبات .. وهى واحدة من المؤلفات العديدة للشيخ .

\* \* \*

ترك الشيخ مجموعة من المؤلفات ، المطبوع منها ثلاثة : مدارج الحقيقة فى الرابطة عند أهل الطريقة ، تكذيب المدعى بصحة رحلة الإمام الشافعى ، القرب فى محبة العرب .. والكتاب الأخير عبارة عن تحقيق علمى رصين لمخطوطة « القرب فى محبة العرب » للعلامة زين الدين العراقى - المتوفى ٨٠٦ هجرية - قدَّم له الشيخ بمقدمة وافية حول موضوع الكتاب ونسخه الخطية ، وأهمية دراسة اللغة العربية كمدخل لفهم الدين الإسلامى ، واختتم مقدمته بقصيدة من شعر الخمسات عنوانها « سمط مفاخر العرب » يليها نصُّ كتاب العلامة العراقى ، محققًا ، مضبوطًا ، مذيلاً بالهوامش .

وللشيخ طائفة من التآليف المخطوطة ، منها شرح لكتاب ( تعليم المتعلم طريق التعلُّم ) لبرهان الدين الزُّنُّوجى ، وكتاب « السير والسلوك » وكتاب « العدوى والوباء » الذى تعرَّض



فيه للمسائل الخلقية وأثر الصحبة والرفقاء في سلوك الفرد .. وله أيضًا : الرسائل الصغرى - مناقب الصُّدِّيق - مناقب الإمام الجيلاني - رسالة التوحيد - سهام الإصابة . بالإضافة إلى كتابه : محو الشبهات .

\* \* \*

لا يزال « محو الشبهات » في نسخته التي كتبها الشيخ بخطه ، وعلى غلاف المخطوطة يرد اسم الكتاب ، مفصلاً ، كالتالي : محو الشُّبُهَات عن مشروعية طلب المحو والإثبات وزيادة العمر والرزق والسعادة واستجابة الدعوات والكلام في القضاء والقدر ، أما في مقدمة الكتاب ، فقد قصر الشيخ العنوان على : محو الشبهات عن مشروعية طلب المحو والإثبات .

تقع المخطوطة في ١٥٧ صفحة من القطع الكبير ، وهي في جملتها عبارة عن تناولٍ لحقيقة قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ « الرعد / آية ٣٩ » وما يتعلق بها من مسائل الدعاء ، والحرية والجبرية ، والقدر ؛ وغير ذلك من القضايا الكلامية المتعلقة بعلم أصول الدين .

وفي مقدمة المخطوطة نرى الشيخ يتبنَّى الموقف الأشعري في مسألة الجبر والاختيار ، وهو الموقف المعروف باسم ( نظرية الكسب ) حيث يتم التوفيق بين حدود الحرية الإنسانية وقضاء الله وقدره ، على النحو الذي عبَّر عنه الشيخ بقوله : بل المؤثِّر قدرةُ الله ، لا علمه ، وقدرةُ العبد كَسْبًا واكتسابًا ؛ منح - الله - عباده الاستطاعة والاختيار ، ورفع عنهم إصر الإكراه والإجبار ، فلا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين ، ولا بقدرة مستقلة بل بتعلُّق القدرتين ؛ ومن رحمته أن جعل للعبد كَسْبًا في أمرى معاشه ومعااده (= آخرته ) فله الحجَّة البالغة على عباده .

ويوضِّح الشيخ في المقدمة ، أيضًا ، أن سبق قضاء الله وقدره ، لا يتعارض مع وجوب التضرُّع إليه بالدعاء كما ورد في قوله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ وقوله : « يا عبادي كلِّمكم

ضال إلا مَنْ هديته ، فاستهدونى أهدكم « وهو يحذّر من الوقوف في موقف الجبرية ، فيقول : طوبى لمن عرف ربه بالقدرة والعلم وسائر صفاته القديمة ، وأنه - تعالى - -نالتق لا يتغيّر ولا يتبدّل .. وعرف نفسه بالحدوث من العدم ، وأنه -العبد - مخلوقٌ كاسبٌ يتغيّر ويتبدّل ويقف عند حدّه ؛ وويلٌ ثم ويل لمن ينشغل بالقدر ، وعلمه مغيبٌ عنه ولا سبيل إليه ، ويهمل علم المُسرّر له من أثر اختياره ، ومن التكاليف الشرعية ، متعللاً بما كُتب عليه ؛ نعوذ بوجه الله تعالى من الخروج عن مناهج أهل الحق الواضحة ، والاعتزاز برعونات النفس المضلّة الفاضحة .

والكتاب ينقسم لقسمين ، يضم كل قسم منها خمسة فصول ، ففي القسم الأول نجد فصول ( الاستطاعة - أفعال العباد - العلم الإلهي - القضاء والقدر - أم الكتاب ، الفاتحة ) وفي القسم الثاني ( المحو والإثبات - تعميم المحو والإثبات - استجابة الدعوات - زيادة الأجل والأرزاق ونقصانها - السعادة والشقاوة ) .. وينتهي الكتاب بخاتمة حول ليلة البراءة « ليلة النصف من شعبان » وليلة القدر .

\* \* \*

ومن لطائف ما جاء في المخطوطة ، تفرقة الشيخ بين القضاء والقدر ؛ وذلك ما يورده الشيخ على النحو الآتي :

« القدر هو تحديدهُ الله تعالى - أولاً - كُلِّ مخلوقٍ بحدّه الذي يوجد عليه من قبحٍ وحُسنٍ وتغييرٍ وتبدّلٍ وانتقالٍ من شركٍ إلى إيمانٍ ، ومن شقاوةٍ إلى سعادةٍ ، والعكس . أما القضاء فهو إبراز الكائنات وإيجادها في الخارج ، بعد أن كانت معلومة لله تعالى بتفاصيلها ، على ما اقتضته حكمته الباهرة .. والقضاء من الصفات العلمية لله ، أما القدر فهو من الصفات الفعلية » .

ثم يقول الشيخ : وعلى هذا ، فيمكن دفع القدر بالقدر الذي هو ضدّه ؛ أما القضاء - بمعنى المقضى - فهو لا يتغير ولا يتبدّل ، فلا محو فيه ولا إثبات ، فالمحو والإثبات واقعٌ على القدر .

ويستدلُّ الشيخ على تلك المسألة الأخيرة ، بما ورد من ردِّ عمر بن الخطَّاب ، رضى الله عنه ، حين قال له أبو عبيدة بن الجراح لما أراد عمر الفرار من الطاعون بالشَّام : أتفر من قدر الله يا عمر ؟ قال : أفترُّ من قدر الله إلى قدر الله .

.. ونظرًا لوضوح النماذج التي نقدمها على الصفحات التالية ، فمن الممكن للقارئ أن يتابع عبارات الشيخ في مخطوطته الأصلية ، وبخطه ، وسوف نلاحظ أن الورقة الأخيرة تحمل رأى الشيخ في الإمام محمد عبده وتفسيره المشهور ( المنار ) حيث ينعى الشيخ إمعان التفسير في العقلانية والتأويل المتعسف .. بينما يسجل الشيخ إعجابه برأى الدكتور طه حسين - أحد رموز العقلانية والتنوير في مصر الحديثة - بصدده هذه المسألة ! .



محو الشبهات  
عن شريعة طيب المحو والاثبات  
وزيادة الصبر، والرزق، والسعادة واستجابة  
الدعوات، والسلام في القضاء والقدر

عنوان المخطوطة بصفحة الغلاف

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سمحت له العقول اقرا بفضة قدرته وكما  
جلاله ، وعجزت الألسن عن وصف ابداعه والحصار مواد رحمته وآثار  
جماله ، قيوم السموات والارضين مالك الملك ورب العباد ، العليم  
الحكيم المنفرد بالخلق والديجاد ، السميع المجيب لمن لبي امره فدعاه ،  
المتفضل بالتوفيق والعون لمن سلك سبيل هداه ، اللطيف الخبير  
المتصرف في ملكه وملكوته كما يريد ، الحكم العدل المنزه عن الجور والتقييد  
يحمو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ، ويبدل ويغير حسبما يقضيه  
الكسب والالتساب ، لا يتغير صفة اسماؤه باشتاء ولي ، ولا تتبدل  
صفة اشقائه باسعاد شقى ، يزيد في الدار راق والتجاهل ، ويرد  
البدر ويجول الدهوال ، قدر افعال عبادته على ما علمه حدوده منزه  
لا يرغم الذنوب ، وكسبه القلم في اللوح لا بالكم بل بالوصف ، لا يتوقف  
تجليات صفاته ومقضيات قضائه وقدره الدزلى ، ولا يزال متفضلا  
يا برار سنونات الموجدات بفيضه الذبدي ، وقد استوى بحلمه  
بما كان وما هو كائن وما سيكون ، فلا تخفى خافية اذ انكشف الظاهر  
والكمنون ، تنزهت صفات ذاته واسماؤه عن أن يظلمها عاقل ، وهن  
عن أن يلزم من محوه واشباهه انقلاب علمه جهلا كما ينوصه ذاهل او يتصوره  
لها صل ، فسبحانه من الة علمه القديم قد استتبع المعلوم والمفهوم بتعال  
شأنه عن أن يتغير علمه بتغير المعلوم ، أو أن يكون علمه عملة وقوم الافعال  
وهو المحيط بالمبدأ والآل والعمال بعد الحال ، وكيف وشان السابغ ان لا يؤثر في  
المتبوع منعا ولا ايجابا ، بل المؤثر قدرة الله لا علمه وقدرة العبد كسبا  
والكتسابا ، منح عباد الله استطاعة والاختيار ، ورفع عنهم اصر الاكراه  
والاجبار ، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين ، ولا بقدرة مستقلة  
بل بتعلق القدرتين ، ومن رحمته أن جعل للعبد كسبا في أمرى معاشه

الورقة الأولى من المخطوطة

فكاد ينقلب الى ضده ، ومن أمثلة المبالغة في تحكيم العقل في « تفسير المنار » ذكره أن الملائكة هي القوى والأفكار الموجودة في النفوس ، وأن المراد بسجود الملائكة لآدم هو تسخير القوى للإنسان في هذه الحياة ، وأن قصة آدم بما فيها من محاور الملائكة ، وتعليمه الاسماء ، وسجود الملائكة له ... الخ هي من باب « التمثيل » لأنها وقعت بالفعل ..... الخ

تم ذكره تناقضات ، ثم قال : والعجيب أن الدكتور طه حسين قال في عن الخضاع التفسير للعقل : « لي على الشيخ محمد عبده اعتراض ، فإن تأويله لنصوص القرآن ، وحرصه على أن يكون نص القرآن ملكاً عاماً لكل الملائكة للعلم الحديث ، مما يخالفه فيه ، فهو مثلاً يقول عن الحجارة الموصوفة في سورة الفيل بأنها من سجيل : إنها جراثيم وهذا توسع في تحكيم العقل ، والمسلمون الدوائل وهم صحابة الرسول لم يعرفوا هذا .

والله يفعل ما يشاء ، ولكن الإنسان يفعل ما يستطيع ، والإنسان الآن وصل إلى القنبلة الذرية والهدرو جينية والغازات السامة ، مما لم يكن العرب يعرفونه في ذلك الوقت ، قاله نخبونا بأنه أرسل هجارة من سجيل ، ولابد أن أخذ القرآن بلا تأويل ، وأن أقبل النص القرآني كما هو ، والعلم لم يحيط بكل شيء ، والله وحده هو الذي يعلم كل شيء »

تم أضاف الدكتور طه قوله : « إن بعض المستشرقين يذهب هذا المذهب ، فيقول : إن الفيل لم يكن فيلًا ، بل كان كائناً من قواد الروم جاء مع أربعه ، واسمه (أفيلس) ، وقد سميت لهذا من المسيو جاستون فيييت الذي كان مدير الدار المتأثر العربية » اهـ

تم ذكر فضيلة الدكتور ملاحظات على تفسير المنار لها قيمتها ، وهبني بكل من يرمه أم الكتاب الله الكريم أن يقرأ هذا المقال مرة بعد مرة ، ربح الله تعالى به حسنات الدكتور وهزاه احسن الجزاء أمبه

الورقة الأخيرة

## الفصل السابع بعد العشرين ( مخطوطة سيروتواجم ) :

### مُخْتَصِرُ غِبْطَةِ النَّاطِرِ

#### لابن حَجْرِ الْعَسْقَلَانِيِّ

تجمع هذه المخطوطة بين ثلاثة من الرجال ، منها اثنان من أعلام النبلاء في التراث العربي ، أما الثالث فهو رجل مجهول ! فالأول منهم هو المُتَرْجِمُ له في المخطوطة ( الإمام عبد القادر الجيلاني ) والثاني هو المُتَرْجِمُ ومؤرِّخ السيرة ( ابن حجر العسقلاني ) والثالث هو الرجل - المغربي ، كما يبدو من خطه - الذي اختصر أصل كتاب ابن حجر العسقلاني في هذه المخطوطة الفريدة : مختصر غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر .

\* \* \*

سبق لنا ، في أحد فصول هذا الكتاب ، أن تحدثنا عن الإمام عبد القادر الجيلاني المتوفى ٥٦١ هجرية<sup>(١)</sup> . كان ذلك بمناسبة الإطالة على مخطوطة مواعظه المسماة ( جلاء الخاطر في الظاهر والباطن ) وقد تحدثنا هناك عن مؤلفات الإمام الجيلاني ؛ وبقي لنا هنا أن نلقى بعض الضوء على شخصيته ، من خلال ما أورده ابن حجر عنه في ( غبطة الناظر ) واستبقاه صاحب المختصر .

ولابد أولاً من الإشارة إلى أن هذه المخطوطة الفريدة هي واحدة من مجموعة كبيرة من تراجم الإمام عبد القادر الجيلاني ، فقد حظى الإمام بالكثير من عناية المؤرخين ، وتخصَّصه المؤلفون بالترجمات المفردة التي يمكن معها أن نقرّر « أن الإمام عبد القادر الجيلاني هو صاحب أكبر قدر من الترجمات في التراث العربي » فمن ذلك :

١ - بهجة الأسرار ومعادن الأنوار ، للشطنوفي ( طُبع بمصر دون تحقيق ) وهو أشهر تراجم الإمام .

(١) راجع كتابنا : عبد القادر الجيلاني ، باز الله الأشهب ( دار الجيل - بيروت ١٩٩١ ) .

- ٢ - قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر ، للتادفي ( طُبع بمصر - دون تحقيق ) .
- ٣ - شمس المفاخر في الذيل على قلائد الجواهر ، للبخشي الحلبي .
- ٤ - خلاصة المفاخر في اختصار مناقب الشيخ عبد القادر ، لليافعي .
- ٥ - عقد جواهر المعاني في مناقب عبد القادر الجيلاني ، لأحمد بن عبد القادر<sup>(١)</sup> .
- ٦ - تحفة الأبرار ولوامع الأنوار في مناقب السيد عبد القادر وذريته الأكابر الأخيار ، لعلاء الدين الجيلاني .
- ٧ - صَمُّ الأزهار في الذيل على تحفة الأبرار ، لمحمد سعدى الأزهرى .
- ٨ - نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة سيدي عبد القادر ، لمُلا على القارى .
- ٩ - بستان الأصاغر والأكابر في ترجمة الشيخ عبد القادر ، لعبد الحى المغربى .
- ١٠ - رياض البساتين في أخبار الشيخ عبد القادر مُحى الدين ، لمحمد الأمين الكيلاني .
- ١١ - الشجرة النورانية بطريقة القادرية ، لعبد القادر القادري .
- ١٢ - الجنى الدانى في نبذة من مناقب القطب عبد القادر الجيلاني ، للبرزنجى .
- ١٣ - دُرُّ المفاخر في مناقب سيدي عبد القادر ، لعبد القادر العيذرؤوس .
- ١٤ - الشرف الباهر في مناقب الشيخ عبد القادر ، لمحمد اليؤينى .
- ١٥ - دُرُّ الجواهر في مناقب سيدي عبد القادر ، لابن الملقن .
- ١٦ - أنوار الناظر في معرفة أخبار الشيخ عبد القادر ، لأبى بكر الصديقى البغدادى .
- ١٧ - نزهة الناظر في أخبار الشيخ عبد القادر ، للنزيسى .
- ١٨ - روضة الناظر في ترجمة سيدنا الغوث عبد القادر ، للفيروز آبادى .
- ١٩ - روض النواظر في مناقب سيدي عبد القادر ، للزنجارى .
- ٢٠ - مناقب الشيخ عبد القادر ، للطالبانى .
- ٢١ - السيف الربانى في عنق المعترض على الغوث الجيلاني ، لمحمد بن عزوز ( طُبع بتونس سنة ١٣١٠ هجرية ) .

(١) مخطوط الإسكندرية رقم ١٦٠٩ / ب - وجاء في خاتمته : هذا كتاب موسوم بنزهة المناظر وبهجة الخاطرا .



٢٢- الإمام عبد القادر الجيلاني ، لأبي الحسن الندوي ( طُبع بالقاهرة - دار المختار الإسلامي).

٢٣- الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ليونس السامرائي ( طُبع ببغداد - مطبعة الأمة ).

٢٤- الشيخ عبد القادر الجيلاني ، لعبد الغفار العباسي ( طُبع ببغداد - على نفقة مؤلفه ).

ومالم نذكر عنه في هذه القائمة أنه ( مطبوع ) فهو إما مخطوط أو مفقود .. وينضاف لهذه القائمة ، مخطوطتان مجهولتا المؤلف محفوظتان بالمعهد الأحمدي بطنطا : الأولى تحت رقم ٢١٦ / ٦٨٣ عنوانها « مناقب سيدي عبد القادر » ، والأخرى تحت رقم ٢١٦ / ٦٨٤ وعنوانها « فضائل عبد القادر الجيلاني » الأولى مؤرّخة بسنة ١٠٠٥ هجرية ، والأخرى بسنة ١٢٦٩ هجرية . كما ينضاف لقائمة ترجمات الإمام الجيلاني ، مجموعة من الترجمات الشعرية التي ورد بعضها في كتاب ( سفينة القادرية ) وأشهرها القصيدة المطوّلة المعروفة باسم « قصيدة الباز الأشهب » لعبد الباقي العُمري - فرغ منها سنة ١٢٥٥ هجرية - ويوجد عليها شرح لشهاب الدين الألوسي بعنوان : الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب <sup>(١)</sup>.

ولابن حجر العسقلاني كتابان عن الإمام الجيلاني ، الأول بعنوان ( روض الزاهر في ترجمة السيد عبد القادر ) والآخر عنوانه ( غبطة الناظر في أخبار سيدنا عبد القادر ) وكلاهما مخطوط لم ينشر ، بل هو اليوم في حكم المفقود .. فلا يوجد بأيدينا إلا مخطوطة : مختصر غبطة الناظر .

والآن ، فلننظر في شيء من سيرة الإمام عبد القادر الجيلاني ، لتلمس هذه المكانة التي جعلت المؤرخين يفرّدون له هذا القدر من التراجم المفردة ، ناهيك عن أخباره المطوّلة في كتب التاريخ وسير الأعلام .

تروى لنا مخطوطة ( المختصر ) على لسان ابن حجر أن الإمام الجيلاني ولد ببجيان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وهو تاريخ غير صحيح ! فالواقع أن الإمام ولد سنة ٤٧٠ هجرية <sup>(٢)</sup>

(١) توجد منه نسخة خطية بمكتبة عباس عزّاوي ، تحت رقم ٩٠٩١ .

(٢) راجع مناقشتنا لهذه المسألة في كتابنا : عبد القادر الجيلاني .. ص ٣٤ وما بعدها .

وقد ورد في المخطوطة أن الإمام سُئل عن تاريخ مولده فقال : لا أعلمه حقيقة ولكنني نزلت بغداد وسُنِّي ثمانى عشرة سنة ، في السنة التي مات فيها التميمي ، شيخ الخنابلة . فإذا كان التميمي ( أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب الحنبلي ) قد مات سنة ٤٨٨ هجرية ، فإن مولد الإمام - بالتالى - كان سنة ٤٧٠ هجرية .. وذلك ما يتأكد من طريق آخر ، وهو أن الإمام توفي ، بإجماع المؤرخين ، سنة ٥٦١ هجرية وله من العمر تسعون سنة أو يزيد قليلاً ؛ فهو إذن مولود في السنة التي حدّدناها ، وليس في السنة الواردة في المخطوطة . والجدير بالذكر ، أن ابن حجر لم ينفرد بذكر هذا التاريخ غير المضبوط لمولد الإمام ، إذ وقع في نفس الخطأ مؤرخٌ مشهورٌ آخر هو ابن شاکر الکتبى الذى نصّ في كتابه ( فوات الوفيات ) على أن مولد الإمام كان سنة ٤٩١ هجرية .. وجَلَّ مَنْ لا يسهو .

وتحكى المخطوطة أن الإمام نشأ في أسرة مشهورة بالفضل وأنه تلقى العلم على يد جده « الشيخ الزاهد أبى عبد الله الصومعى .. وكان مجاب الدعوة ومن جلة مشايخ جيلان » وأن عمته ووالدته كانتا من أفاضل النساء ، بل رويت عن كليهما الكرامات التي ليس هذا موضع سردها ، ثم تصف المخطوطة هيئة الإمام فتقول ما نصه :

كان نحيف الجسم ، ربع القامة ، عريض الصدر واللحية ، طويلها أسمر اللون ، مفروق الحاجبين ، له صوت جهورى ، وسمت بهي ، وقدرٌ على ، يلبس زى العلماء ، ويتطيلس ، ويركب البغلة .

وتنقل المخطوطة عن الإمام عبد القادر الجيلانى قوله : كنتُ صغيراً في بلدنا ، فخرجتُ إلى السواد في يوم عرفة ، وتبعثُ بقر الحراثة فالتفتت إلى بقرة وقالت : « يا عبد القادر ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت » فرجعت فرقاً - خائفاً - إلى دارنا<sup>(١)</sup> ، فصعدتُ للسطح فرأيتُ الناس واقفين بعرفة ، فذهبتُ إلى أمى وقلت لها : « هيينى لله تعالى ، إنى أرى المسير إلى بغداد لأشتغل

(١) رويت هذه ( الكرامة ) عن غير واحد من الأولياء ، منهم إبراهيم بن أدهم .

بالعلم وأزور الصالحين « وأخبرتها بما جرى ، فبكت وقالت لى : « عندى ثمانون دينارًا ورثتها من أبىك . فتركك لأخى أربعين وخاطت فى دلقى - ثوبى - تحت إبطى أربعين ، وأذنت لى فى المسير ، وعاهدتنى على الصدق فى كل أحوالى ، وخرجت مودعةً لى وقالت : « يا ولدى اذهب فقد خرجتُ عنك لله ، وهذا وجهٌ لا أراه إلى يوم القيامة » فسرتُ مع قافلةٍ صغيرةٍ تطلب بغداد ، فلما تجاوزتُ همدان وجزنا بأرض فلاة - صحراء - خرج علينا ستون فارسًا فأخذوا القافلة - نهبوها - ولم يتعرَّض لى أحدٌ ، ثم مرَّ بى واحدٌ فقال لى : « ما معك ؟ » قلت : أربعون دينارًا ، فقال : « وأين هى ؟ » قلت : بخيطة تحت إبطى ؛ وظنَّ أنى استهزأت به ، فتركنى وانصرف . ومرَّ بى آخرٌ فقال لى : مثل الأول ، فأجبتُه بمثله ، فتركنى وانصرف . واجتمعنا عند مقدمهم - رئيس العصابة - فأخبراه بما سمعاه منى ، فقال : « علىَّ به » فأتى بى إليه ، وهم على نلٍ يقسمون أموال القافلة ، فقال لى : « ما معك ؟ » قلتُ : أربعون دينارًا ، قال : « وأين هى ؟ » قلت : بخيطة فى دلقى تحت إبطى ، فأمر فأخرجوها ، فقال : « ما حملك على هذا ؟ » قلت : إن أُمى عاهدتنى على الصدق ، فأنا لا أخون عهدها . فبكى وقال : « أنت لا تخون عهد أمك وأنا أخون عهد ربي » فتاب على يدي ، فقال له أصحابه : أنت كنتَ مُقدمنا فى قطع الطريق ، فأنت الآن مقدمنا فى التوبة ، وردُّوا للقافلة ما أخذوا منهم ، فهم أول من تاب على يدي<sup>(١)</sup> .

وتمضى المخطوطة فى سرد أخبار الإمام بعد نزوله بغداد ، فتحكى عن صلته بمشايخ وقته ، وأسائذته فى الطريق الصوفى ، ووقائع رحلته الروحية ، وشيء من كراماته .. وقد احتوت المخطوطة على بعض النصوص الجيلانية الباهرة ، مثل قول الإمام :

اسم الله الأعظم هو الله .

وإنما يُستجاب إذا قلت ( الله ) وليس فى قلبك غيره .

بسم الله ، من العارف ، بمنزلة ( كُنْ ) من الله .

(١) مختصر غبطة الناظر ، ورقة ٢٠٢ .

- الله .. هذه كلمة تزيل الهم .  
الله .. هذه كلمة تكشف الغم .  
الله .. هذه كلمة تبطل السُّم .  
الله .. هذه كلمة نورها يعم .  
الله .. يغلب كل غالب .  
الله .. مظهر العجائب .  
الله .. سلطانه رفيع .  
الله .. جنابه منيع .  
الله .. مُطَّلَعٌ على العباد .  
الله .. رقيبٌ على القلب والفؤاد .  
الله .. قاهرُ الجبابرة .  
الله .. قاحمُ الأكاسرة .  
الله .. عالمُ السِّرِّ والعلانية .  
الله .. لا تخفى عليه خافية ... إلخ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

أما مؤلف (غبطة الناظر) فهو أحد مشاهير الأعلام في تاريخ الإسلام ، وصاحب العشرات من المؤلفات المشهورة مثل : فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - تبصير المتنبه بتحريр المشتبه - إنباء الغمر بأبناء العمر - الإعلام بمن ولى مصر في الإسلام - الزهر النضر في أنباء الخضر - المرجمة الغيثية عن الترجمة اللثيمة .. وله من وراء ذلك ، قرابة ١٥٠ كتاباً ؛ يقع بعضها في عدة مجلدات . ولقد ترجم ابن حجر لنفسه ، فقال :

(١) يوجد اضطراب في النص الوارد بالمخطوطة ، ويمكن مراجعة النص الكامل - محققاً - في : ديوان عبد القادر الجيلاني ، ص ٢٤٤ وما بعدها .

لابن حجر العسقلاني

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ، العسقلاني ، الأصل ، المصري المولد والمنشأ ، نزيل القاهرة . ولد في شعبان سنة ٧٧٣ ، ومات أبوه في رجب سنة ٧٧٧ ، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل ، فنشأ يتيماً ولم يدخل الكتّاب حتى أكمل خمس سنين ، فأكمل حفظ القرآن وله تسع سنين ، ثم لم يتهيأ أن يصل بالناس التراويح إلا في سنة ٧٨٥ وقد أكمل اثنتي عشرة سنة .. وسمع صحيح البخاري على مسند النشاوري ، ولم يضبط سماعه ، ثم كان سماعه بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السلواوي .. وحفظ بعد ذلك كتباً من مختصرات العلوم ، ونظر في فنون الأدب ، فقال الشعر ، ونظّم مدائح نبوية ومقاطع .. ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من مسنديها - علماء الحديث النبوي - ثم حجّ ودخل اليمن ، فسمع بمكة والمدينة وينبع وزيد وتعز وعدن وغيرها .. ولازم الشيخ سراج الدين البلقيني إلى أن أذن له - في رواية الحديث النبوي - وأذن له شيخه زين الدين العراقي . ثم ولى درس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة - بالقاهرة - فأملى فيها .. ثم ولى مشيخة - مدرسة - البيبرسية ، ثم تدريس الشافعية بالمدرسة المؤيدية الجديدة ، ثم ولى القضاء في السابع والعشرين من المحرم سنة ٨٢٧ ، ثم عقد مجلس الإملاء في أوائل صفر منها إلى الآن<sup>(١)</sup> .

ولقد أوجز ابن حجر هنا ، وهو يترجم لنفسه ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ وبالتالي لم يوف نفسه قدرها ، وترك الحكم عليه للتاريخ وللمؤرخين من بعده ؛ وقد أوفاه هؤلاء بعض حقه ، وأفاضوا في الترجمة له . لكن ( أجمل ) ترجمة لابن حجر ، هي ما كتبه تلميذه المباشر شمس الدين السخاوي في ( الضوء اللامع ) وهي ترجمة تعدّ آية أدبية في مجال الولاء للأستاذ .. فلنختتم هذا الفصل بنصّ هذه الترجمة ، ولنتأمل في أسلوبها ، ولتعرّف من خلالها إلى بعض مناقب ابن حجر . يقول السخاوي :

(١) ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ، ص ٧٣ ( نقلاً عن مقدمة د. عدنان درويش لكتاب : ذيل الدرر الكامنة ، نشرة معهد المخطوطات العربية - القاهرة ١٤١٢هـ ، ص ١٥ ) .



( علماء الحديث ) بالحفظ ، وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث ، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصلين ( الكتاب والسنة ) وغير ذلك ، على مائة وخمسين تصنيفاً ، وورق فيها من السعد والقبول خصوصاً « فتح الباري شرح البخاري » الذي لم يسبق نظير أمرًا عجبًا ، بحيث استدعى طلبه ملوك الأطراف ، بسؤال علماء لهم في طلبه ؛ وبيع بنحو ثلثمائة دينار ، وانتشر في الآفاق . ولما تم « فتح الباري » لم يتخلف عن وليمة ختمه وجوه من سائر الناس ، إلا النادر ، وكان مصروف ذلك إليهم نحو خمسمائة دينار<sup>(١)</sup> .. وكان - العسقلاني - مصمماً على عدم دخوله في القضاء ، حتى أنه لم يوافق الصدر المناوي لما عرض ليعه - قبل القرن - النيابة عنه ( في القضاء ) ثم قُدِّر أن المؤيَّد ولأه الحكم في بعض القضايا ، ولزم من ذلك النيابة ، لكنه لم يتوجَّه إليها ، ولا انتدب لها ، إلى أن عُرض عليه الاستقلال بالقضاء ، وألزم .. فقبل واستقر .. وصرَّح بأنه جنى على نفسه .. وزهد في القضاء زهدًا تامًّا ، لكثرة ما توالى عليه من الأنكاد والمحن بسببه ، وصرَّح بأنه لم تبق في بدنه شعرة تقبل اسم القضاء . ودُرِّس في أماكن .. وولَّى مشيخة البيبرسية ونظرها ، والإفتاء بدار العدل والخطابة بالجامع الأزهر ثم بجامع عمرو ، وخزَّن الكتب بالمحمودية ؛ وأشياء غير ذلك .. وأمل ما يزيد على ألف مجلس ( من مجالس الحديث النبوي ) من حفظه ، واشتهر ذكره ، وبعُد صيته ، وارتحل الأئمة إليه ، وتبجَّح الأعيان بالرفود عليه ، وكثرت طلبته حتى كان رؤوس العلماء - من كل مذهب - من تلامذته ، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى ، وألحق الأبناء بالأباء والأحفاد ، بل وأبناءهم بالأجداد ، ولم يجتمع عند أحد مجموعهم ، وقهرهم بذكائه وتفوق تصورته وسرعة إدراكه واتساع نظره ووفور آدابه ؛ وامتدحه الكبار ، وتبجَّح فحول الشعراء بمطارحته ، وطارقت فتواه التي لا يمكن دخولها تحت الحصر - في الآفاق ، وحَدَّث بأكثر مروياته خصوصًا المطولات منها<sup>(٢)</sup> ، كل ذلك مع شدة تواضعه وحلمه وبهائه وتحريه ( الحلال ) في مأكله ومشربه وملبسه

(١) انظر تفاصيل الاحتفال في ( البدر الطالع ) للشوكاني ٢/ ٩٠ .

(٢) يقصد أنه اجتمع في مجلس التعليم عدة أجيال في وقت واحد .

(٣) يقصد : الأحاديث النبوية التي رواها ابن حجر عن السابقين بالإسناد .

وصيامه وقيامه ، ويذله وحسن عشرته ، ومزيد مداراته ولذيذ محاضراته ، ورضى أخلاقه ، وميله لأهل الفضائل ، وإنصافه في البحث ، ورجوعه إلى الحق ، وخصاله التي لم تجتمع لأحد من أهل عصره . وقد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامة والدهن الوقاد والذكاء المفرط وسعة العلم في فنون شتى ، وشهد له شيخه العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث ( النبوي ) وقال كُتُّ من التقى الفاسى والبرهان الحلبي : ما رأينا مثله ، وسأله الفضائل تغرى برمش الفقيه : أرايت مثل نفسك ؟ فقال : قال الله تعالى ﴿ فلا تركوا أنفسكم ﴾ . ومحاسنه جمة ، وماعسى أن أقول في هذا المختصر ، أو من أنا حتى يعرف بمثله !  
 خصوصاً وقد ترجمه ( أرخ حياته ) من الأعيان في التصانيف المتداولة بالأيدي : التقى الفاسى في ذيل التقييد<sup>(١)</sup> ، والبدر البشتكى في طبقاته للشعراء ، والتقى المقرئى في كتابه العقود الفريدة ، والعلاء ابن خطيب الناصرية في ذيل تاريخ حلب ، والشمس ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ، والتقى ابن قاضى شُهبة في تاريخه ، والبرهان الحلبي في بعض مجاميعه ، والتقى ابن فهد المكي في ذيل طبقات الحُفَّاظ ، والقطب الخيضرى في طبقات الشافعية ، وجماعة من أصحابنا كابن فهد النجم في معاجيمهم<sup>(٢)</sup> ، وغير واحد في الوفيات ، وهو نفسه في رفع الإصر<sup>(٣)</sup> ؛ وكفى بذلك فخراً . وتجاسرت فأوردته في معجمى والوفيات وذيل القضاة ، بل وأفردت له ترجمة حافلة لا تنفى ببعض أحواله ، في مجلد ضخيم أو مجلدين ، كتبها الأئمة عنى وانتشرت نسخها ، وحَدَّثت بها الأكابر غير مرة بكل من مكة والقاهرة ، وأرجو كما شهد به غير واحد ، أن تكون غاية في بابها ، سميتها : الجواهر والدرر ( في ترجمة ابن حجر ) وقد قرأت عليه الكثير جداً من تصانيفه ومروياته ، بحيث لا أعلم من شاركتى في مجموعها ، وكان ، رحمه الله ، يودنى كثيراً ، وينوّه بذكرى في غيبتى - مع صغر سنى - حتى قال : ليس في جماعتى مثله ،

(١) التقييد : كتابٌ مشهور لابن نقطة .

(٢) يقصد : في معجم شيوخهم .

(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر ، لابن حجر - وقد أوردناه فيما سبق .



لابن حجر السفلاي

وكتب لى على عدة من تصانيفى ، وأذن لى فى الإقراء والإفادة - بخطه - وأمرنى بتخريج حديث ثم أملاه<sup>(١)</sup>. ولم يزل على جلالته وعظمته فى النفوس ، ومداومته على أنواع الخيرات ، إلى أن توفى فى أواخر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين ( ٨٥٢ هجرية ) وكان له مشهد ( جنازة ) لم ير من حضره من الشيوخ ، فضلاً عن دونهم ، مثله ؛ وشهد أمير المؤمنين والسلطان فمن دونهما الصلاة عليه ، وقدم السلطان الخليفة للصلاة ، ودفن تجاه تربة الديلمى بالقرافة ، وتزاحم الأمراء والأكابر على حمل نعشه ، ومشى إلى تربيته من لم يمشى نصف مسافتها قط . ولم يخلف بعده فى مجموعته مثله ، ورثاه غير واحد بما مقامه أجل منه ، رحمه الله وإيانا . ومن نظمه بما قرأته عليه وأنشدنيه لفظاً ( من الطويل ) :

خَلِيلٌ وَلى العُمْرِ مِنَّا وَلمْ تُنْبِ      وَتَنوَى فَمَسَالِ الصَّالِحَاتِ وَلَكِنَّا  
فَحَتَّى مَتَى نَبْنِي بِيوتَنَا مُشِيدَةً      وَأَعْمَارُنَا مِنَّا تُهْدَى وَمَا تُبْنِي  
وقوله ( من الطويل ) :

أَخِي لَا تُسَوِّفِ بِالمَتَابِ فَقَدْ أَتَى      نَذِيرٌ مَشِيْبٌ لَا يُفَارِقُهُ الهَمُّ  
وَإِنَّ فِتْنَى مِنْ عُمْرِهِ أَرْبَعُونَ قَدْ      مَضَتْ مَعَ ثَلَاثِ ، عَدَّهَا : عُمْرَ جَمِّ

\* \* \*

والمخطوطة الفريدة - ولعلها الوحيدة - من كتاب ( مختصر غبطة الناظر ) محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ( المغرب ) ضمن المجموعة رقم ٣٣٠ / د . وهى مكتوبة بخط مغربى دقيق ، وتقع فى ٤٤ صفحة ، وبها تآكل فى وسطها وأطرافها .. وتلك واحدة أخرى من ( أفعال ) الزمان ، فالظاهر أن المخطوطة دوّنت فى زمن يعود للقرن العاشر الهجرى .



(١) يدل ذلك على ثقة ابن حجر فى السخاوى .







## الفصل الثامن بعد العشرين ( مخطوطة موسوعية ) :

### مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ

#### لابن فضل الله العُمريّ

بدأت معرفتي بهذا الكتاب الموسوعي المخطوط ، أيام كنت أنقُب في تراث ابن النفيس وأتسَم أخباره في كتب التاريخ وطبقات الرجال ، وكنت آنذاك في ضيق شديد من قلة المصادر التي تؤرِّخ لابن النفيس ، ومن اكتفاء المؤرخين بتناقل عبارات بعينها ، عنه ، دون إضافة شيء جديد ؛ لكن الضيق تبدّد ، واتسعت معرفتي بهذا العلامة العربي الكبير ، يوم وقعت على ترجمته الوافية وأخباره المطوّلة في موسوعة ابن فضل الله العُمريّ ( مسالك الأبصار ) إذ وجدت فيها أغزر المعلومات وأدقّ الوقائع الخاصة بابن النفيس ، مما فتح أمامي مجالات البحث في حياة الرجل وإسهاماته العلمية ، وقد لاحظت أن ابن فضل الله العمري يفرد في ترجمته لابن النفيس بأخبار لم ترد عند غيره من المؤرخين والمترجمين<sup>(١)</sup>.

ثم عاودت الاعتماد على ( مسالك الأبصار ) أيام كنت أبحث في أخبار عفيف الدين التلمساني ، تمهيداً لتحقيق ديوانه . ومرة أخرى وجدت ابن فضل الله العُمري يفرد بذكر أشياء عن التلمساني ، لم يرد ذكرها عند غيره ؛ ولكن شتّان ما بين المرتين ! ففي ترجمته لابن النفيس ، بالغ ابن فضل الله العُمري في ذكر فضائل الرجل ، ولم يورد في العَصَص من شأنه إلا خبراً واحداً مفاده أن ابن النفيس كان قليل البصر بأمر العلاج - وهو الخبر الذي ظهر لنا تهافته بأدلة كثيرة ! - وفيما عدا ذلك فبقية الأخبار تمتدح فضائل ابن النفيس العلمية والذهنية . وعلى العكس تماماً ، جاءت ترجمة العفيف التلمساني في ( مسالك الأبصار ) فباستثناء شهادة ابن فضل الله العمري بجودة شعره ، جاءت كل الأبناء حاطة من شأنه ، ولما كانت ترجمة

(١) تقع الترجمة في الجزء السابع من مخطوطة ( مسالك الأبصار ) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩ / تاريخ - وقد نقلها د. بول غليونجي كاملة في آخر كتابه عن ابن النفيس ( سلسلة أعلام العرب ) ص ١٨٦ وما بعدها .

ابن النفيس في مسالك الأبصار منشورة مشهورة<sup>(١)</sup>، فسوف نورد هنا نص ترجمة التلمساني التي لا نعتقد أنها نُشرت من قبل، نوردها لنرى (كم) الأخبار التي يذكرها عنه ابن فضل الله العُمري و (كَيْف) الحكايات العجيبة التي يقصها عنه.. ولنتأمل في الأسلوب البديع الذي يترجم به المؤلف للتلمساني:

ومنهم العفيف التلمساني، وهو سليمان بن عليّ.. رجلٌ قَلْبٌ وسحابٌ ممطرٌ خُلْبٌ، يباشر مرةً الخِدْمَ<sup>(٢)</sup> ويثابر مرةً على التخلُّق بالندم، ووقتاً حرصاً ووقتاً زهداً، وأونةً صاباً وأونةً شهيداً.

يتطوّر في هذا كله على غير نظام، ويتنقل في أحواله جميعها من غير استعظام، مختلف الأحوال مؤتلف الأقوال، يجيد الشُّعر لا لكلفٍ ولا نوال، ويطوف بالطلل لا لردِّ جوابٍ ولا سؤال، يكلف بليلٍ ولا ليليٍ وأتراها<sup>(٣)</sup>، ويهيم بجَزْوِي ولا جَزْوِي ولا تراها، صَّرح بهواه المقيّد الجمال المطلق، وبرح به الحب ولا حِبٌّ يُعرف ولا مليح يعشق، وإنما هي أسماءٌ سَمَّاهَا وأشياءٌ لا يدرك مُسَمَّاهَا، وأمورٌ ادعى أنها الحقيقة<sup>(٤)</sup> وهي الباطل، وقد خَيَّلَتْه - لا بل خَتَلَتْه - وقال: إنها الطريقة<sup>(٥)</sup>، وسلكتها جاهلاً لا يخبر أرضها فقتلته، سلك طريقة القوم<sup>(٦)</sup> بزعمه فأخطأها، واستسقى تلك السُّحْبَ فما قصد إلا أبطأها، وظنَّ أنها المعارف وهي النُّكْر.. وَجَدَ في زجاجة أهل الاتحاد<sup>(٧)</sup> نفثةً شربها وحده، وبقي في خمارها حتى نزل لحده. وتُحكى عنه، سامحه الله، أمورٌ متناقضة، وأحوالٌ متعارضة؛ وتمسُّكٌ بباطل، وتمسُّكٌ من حُلِيَّةِ عاطل، وتمتُّكٌ لا يليق بعامل، ولا يقبل عشرة ناقل؛ هذا إلى ارتكاب عظيم، واحتقاب حرايم؛ لا

(١) انظر الهامش السابق.

(٢) أي أنه كان يخدم السلاطين ويتولى الوظائف العامة.

(٣) الإشارة إلى الرموز التي استخدمها التلمساني في شعره.

(٤) الحقيقة: مصطلح صوفي يقابل الشريعة.

(٥) أي طريقة الصوفية.

(٦) القوم: الصوفية والأولياء.

(٧) مذهب القائلين باتحاد الله والخلائق (العالم) في وحدة تامة.

لابن فضل الله العمري

يزعه وازع ولا ينزعه عن قبح فعلاته نازع قليل المبالاة لمحدور الفضائح ، ومحظور القبايح ، والإصرار على المآثم الشنيعة والمحارم المخالفة للشريعة .

وبعد هذه ( الأوصاف ) التي خلعتها ابن فضل الله العمري على العفيف التلمساني ، راح يحكى عنه من عجائب الحكايات ما لا يمكن تصديقه ولا يتمكّن الباحث من تحقيقه ، بل يُتَشَكَّكُ في تصديقه ا ثم يعاود ذكر ( الأوصاف ) فيقول عن التلمساني : ويحكى عنه من هذا ومثله ، من سقوط الغيرة وعدم النخوة وقلة المبالاة ، وتساوى الخير والشر لديه والمدح والذم عليه ؛ ما تقشعرُّ منه الجلود وتعقم بمثله أم الدهر الولود .. وكان على هذا كلُّه ، وسرعة انجذابه في يد مُضِلِّه ؛ أديب دهره ورقيب التخوم على دُرِّه . إلا أنه خلط شهبه بالسُّمِّ الناقع ، وبنى بيوته في القفار البلاقع .. إلخ (١) .

هذه الحدة في تناول سير الأعلام ، ما بين إعجاب مفرط وانتقاص مدهش ، بالإضافة إلى الكثير من ( الحكايات ) التي جمعها ابن فضل الله العمري وهو يترجم للأعلام - خاصة من كانوا قريبي العهد بعصره - وذلك الأسلوب الأدبي البديع الذي كُتِبَ به ( مسالك الأبصار) .. كل هذا كان وراء اهتمامي بالكتاب ومؤلفه .

\* \* \*

مؤلف ( المسالك ) وفقاً لما اتفقت عليه المصادر ، هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان بن خلف .. بن عمر بن الخطاب ، القرشى ، العدوى ، الدمشقى ، الشافعى ؛ المعروف بابن فضل الله العمري . ولد سنة ٧٠٠ هجرية، وتوفى ٧٤٩ هجرية دون أن يكمل الخمسين من عمره (٢) .

(١) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٩٩/٧ وما بعدها .

(٢) انظر ترجمته في :

الدرر الكامنة ١/ ٣٣١ - شذرات الذهب ٦/ ١٦٠ - النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤ - معجم المؤلفين

Brockelmann III 176 - 205/2 - ٢٠٥ /٢

درس ابن فضل الله علوم عصره بالقاهرة ودمشق ، فسمع الحديث النبوي من كبار المحدثين آنذاك ، وأخذ الأدب عن والده وعن شهاب الدين محمود وشمس الدين ابن الصائغ الكبير وأبي حيان وابن الزملكاني والوادعي ، وتعلم فنون اللغة العربية على يد كمال الدين بن قاضي شُهبة ، وقرأ الأحكام الصغرى على ابن تيمية ، والفقهاء عن برهان الدين القزاري .. ويستلفت النظر في قائمة شيوخ ابن فضل الله ، أنه درس على يد الفقيه الحنبلي المجاهد ابن تيمية ( أحمد بن عبد الحلیم ، تقي الدين ، المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية ) وأن ذلك كان في شبابه المبكر - إذ توفي ابن تيمية وهو في السابعة والعشرين من عمره ، مما يعنى أنه درس على يده قبل ذلك ؛ لأن ابن تيمية قضى السنوات الأخيرة من عمره مشتغلاً بالجهاد الذى يعوق عن التدريس - وقد كان ابن تيمية يهاجم الصوفية بعامة والعفيف التلمسانى بخاصة ، حتى أنه كان يسميه ( الفاجر التلمسانى ! ) فالراجح أن ابن فضل الله تأثر برأى شيخه ابن تيمية في العفيف التلمسانى ، ولذلك انتقصه في ( المسالك ) هذا الانتقاص الشديد . ومع ذلك ، فنحن نعتقد أن ابن فضل الله كان ميالاً لحشد الحكايات السائرة عن أعلام الرجال وهو يترجم لهم وقد مرّ علينا من قبل ما رواه عن البيطار من حكايات عجيبة (١) .

ونعود لسيرة ابن فضل الله ؛ فنراه بعد أن استكمل درس الفنون والعلوم المتاحة في عصره ، يبرز نجمه في سماء الوقت ، ويشتهر أمره بين الرجال . يصفه العسقلانى بأنه « كان يتوقّد ذكاءً ، مع حافظيّة - ذاكرة - قوية ، وصورة جميلة ، واقترار على النظم والنثر ، حتى كان يكتب من رأس القلم - فوراً - ما يعجز عنه غيره في مدة ، مع سعة الصدر وحُسن الخلق ويُبشر المحيّا (٢) » . وقد أهّلته هذه الصفات لتولى المناصب العامة ، فصار كاتب الإنشاء بمصر ، وناب عن والده في وظيفة ( كاتب السر ) بمصر ، وكان يقرأ البريد للسلطان ؛ ثم وقعت له مع السلطان واقعة .

(١) راجع ما ذكرناه عند الكلام عن ابن البيطار ومخطوطته : قانون الزمان .

(٢) الدرر الكامنة ١ / ٣٣٢ - وقد ذكر ابن العماد شيئاً آخر ، إذ وصف ابن فضل الله العمري بأنه : كان قوى النفس وأخلاقه شرسة ( شذرات الذهب ٦ / ١٦٠ ) .



لابن فضل الله العمري

كان السلطان الناصر ينوي إسناد منصب ( كاتب السُرِّ بدمشق ) إلى علم الدين ابن قطب الدين ، وهو رجل نصراني ، فلم يرض ابن فضل الله العمري وحط من شأن علم الدين عند السلطان ، فلم يلتفت الناصر إليه .. فواجه السلطان بكلام غليظ وقام بين يده غاضبًا فقال : إنى خدمتك على حرام ! فغضب السلطان عليه ، وأبعده وصادر أملاكه وحدد إقامته بمنزله . فالتمس الرحيل إلى الشام ، فتحررت حفيظة السلطان الناصر ضده مرة أخرى وأمر باعتقاله ، وهنا زاد بعض الكُتَّاب الطين بلةً ، وزعم أن ابن فضل الله حين كان كاتبًا للسُرِّ ، زوَّر توقيعا .. فأمر السلطان باعتقاله وقطع يده ، فقطعت ( .. صفحةً أخرى من كتاب العلاقة الدامية بين المثقف والسلطة في تاريخنا العربي ) .

وقضى ابن فضل الله العمري عامًا في الاعتقال ، مقطوع اليد ، ثم أفرج عنه سنة ٧٤٠ هجرية ، واستدعاه الناصر وأخذ عليه عهدًا وأرسله إلى دمشق ليتولى كتابة السُرِّ - مرة أخرى ! - فظل هناك عامين يشغل ذلك المنصب ، لكنه قُبض عليه سنة ٧٤٣ طُلب إلى القاهرة لمحاكمته على الشكايات الكثيرة التي قُدمت فيه ، فشنع فيه أخوه علاء الدين ، فعاد إلى دمشق معزولاً .

وفي سنة ٧٤٩ هجرية خرج ابن فضل الله العمري من الشام قاصدًا الحج ، وكان الطاعون منتشرًا ، فهانت زوجته في الطريق فدفنها في القدس ، ثم استكمل طريقه إلى مكة ، لكنه ما لبث أن أصيب بحمى شديدة ، جعلته يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يقف بعرفة مع الحجيج .. خاتمة طيبة بعد حياة حافلة ! .

وترك ابن فضل الله مجموعة من المؤلفات التي حفظ الزمان لنا نسخها الخطية ، لكننا لم ننشر شيئًا منها ، فمن ذلك : التعريف<sup>(١)</sup> بالمصطلح الشريف ( مخطوطاته بمكتبات : دار الكتب المصرية ، لبيزج ، الأسكوريال ) النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية ( لبيزج )

(١) ويُعرف أيضًا بعنوان : عرف التعريف .

مختصر قلائد العقيان ( دار الكتب المصرية ) رسالة تشتمل على كلام مجمل في أمر مشاهير مماليك الفرنج عبّاد الصليب في أيام نور الدين زنكى وأواخر دولة المماليك .. تلك هى مؤلفاته التى ذكرها بروكلمان في موسوعته ( تاريخ الأدب العربى ) وذكر له العسقلانى وابن العماد : فواصل السمر في فضائل آل عمر .. وهو كتاب في أربع مجلدات . أما حاجى خليفة ، فقد ذكر لابن فضل الله هذه المؤلفات السابقة ، وأضاف عليها :

- نفحة الروض .
- صباية المشتاق ( ديوان مدائح نبوية ) .
- سفرة المسافر .
- ذهبية العصر ( في أخبار وأشعار أهل القرن الثامن ) .
- دعة الباكي وبقظة الساهى .
- الدعوة المستجابة .
- حُسن الوفاء لمشاهير الخلفاء .
- تذكرة الخاطر (٢) .

\* \* \*

أما أشهر مؤلفات ابن فضل الله العُمَري ، فهو كتابه الموسوعى الذى يقع في ٢٧ مجلداً ( مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ) والذى يعد من روائع التراث العربى . وصفه ابن العماد بأنه « كتاب جليل ما صُنّف مثله » وقال عنه ابن شاکر الكتبى : « كتاب حافل ما أعلم أن لأحدٍ مثله » وقال جورجى زيدان :

(1) Brockelmann III 175,176.

(٢) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، ص ٣٨٥ - ٦٦٨ - ٧٥٦ - ٧٦١ - ٨٢٩ - ٩٩٢ - ١٠٧٠ - ١٩٦٨ .



فضل الله - يخوض في التاريخ وفي الجغرافيا وفي الفلك وفي البحار والرياح والمعتقدات ، بل ويخوض في أسماء التراب والعفرار والرمال وصفاتها ، فتبهرك هذه الغزارة في المادة ، والحصر والترتيب ، فإذا انتقل إلى مواد الأدب والتراجم ، وجدت الدرية والذوق والرعى الشامل لتاريخ الأدب وروائع النصوص ، ثم تجرد مع عديد من المواقف الرأى والتمحيص والفكر الوهاج المستنير .

والمدحش ، أن جهود ابن فضل الله العمرى لم تقتصر على تدوين وتأليف هذه الموسوعة الهائلة ، بل له بالإضافة إليها عدة مؤلفات ! .

\* \* \*

وهناك قدر كبير من النسخ الخطية لكتاب ( مسالك الأَبصار ) وقد كان بدء الالتفات إليها - كالعادة - من جهة المستشرقين لا العرب ! فقد بدأ الاهتمام بالكتاب بعد أن لفت إليه الأنظار ، المستشرق الفرنسي « كاترمير » سنة ١٨٣٨ ، ثم قام شيخ العروبة « أحمد زكى باشا » بنشر الجزء الأول منه في القاهرة سنة ١٩٢٤ .. الجزء الأول فقط .

وعاد المستشرقون لاهتمامهم بالكتاب ، فنشر المستشرق الألماني « كلاوس ليش » الباب الثانى من القسم الخاص بممالك جنكيزخان ، وصدر هذا الجزء سنة ١٩٦٨ في مدينة فُشبادن الألمانية .. والجزء الخاص بمملكة مصر والشام والحجاز واليمن في زمن المماليك ، نُشر مرتين ! الأولى بعناية أيمن فؤاد سيد وأصدره المعهد الفرنسى بالقاهرة .. والثانية بعناية المستشرقة دوروتيا عرفولكس ، وأصدرته في بيروت ! النشرة الأولى لهذا الجزء صدرت سنة ١٩٨٥ ، والنشرة الثانية لنفس الجزء صدرت سنة ١٩٨٦ بعد عام واحد .. ومع هذا ، فلا تزال أجزاء الكتاب الأخرى ، التى تصل بعد تحقيقها إلى قرابة الخمسين مجلدًا ، مخطوطة لم ينشر منها شىء ! وهذه واحدة من المفارقات الهزلية في واقع تعاملنا مع التراث العربى .. كتاب كهذا يظل حتى اليوم - بكل أجزائه - مخطوطًا ، ثم ينشر جزء صغير منه مرتين في عامين متتالين ؛ فهل بعد ذلك فوضى ! .

لابن فضل الله العسرى

---

ولاشك في أن صدور هذه الموسوعة في أجزاء متفرقة ، من الأمور التي ينبغي للعرب المعاصرين أن ينجلوا منها .. فإذا كان إصدار هذا الكتاب اليوم قد يكلف العرب بعض المال وبعض الجهد ، فإن الكثير من المال ومن الجهد ، يضيع من العرب المعاصرين فيما هو أقل منفعة من الاهتمام بالتراث العربى .. بل ، فيما هو تافه وجالب للخزى والعار .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ  
تَمْرِ لِيَقِ الْأَزْكَرَ الشَّعْنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ

وَأُولَ مَا بَرَأ بِهِ مِنْهُمْ ابْنُ سَعْدٍ ، وَهُوَ الْمُنْتَخَرُ الْمَجِيدُ ، الْمُنْتَصَرُ لِمَجْمَعِهِمْ ،  
وَالْمُقْتَصَرُ عَلَى تَحْسِينِ فُسُحِهِمْ ، مِنْ أَوَّلِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ ، وَسَاقِمٌ إِلَى زِيَانِهِ فِي  
الْمِائَةِ السَّابِعَةِ ، مُرْتَبِعًا عَلَى الْمِائِينَ ، مُنْتَظِمًا لَهُمْ نَظْمَ الْعِقْدِ الثَّمِينِ  
وَأَوَّلُ مَا قَالَ إِذْ ذَكَرَهُمْ مَا صُوِّرَتْهُ شِعْرًا الْمَغْرِبِ مِنْ أَوَّلِ الدِّيَارِ  
الْمَصْرِيَّةِ إِلَى الْبَيْزِ الْمُهَيَّظِ ، وَالْجَاهِلِيَّةِ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ عَطْلَةً مِنْهَا  
هُوَ مِنْ شُرُوطِ هَذَا الْكِتَابِ ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ ، وَأَدْخَلَ مُضْرِبًا فِي تَسْمِيَةِ  
الْمَغْرِبِ لِسُنُوهِ حَظًّا الْعَجِيبِ ، وَقَدَّرَ ذُنُوعًا عَلَى مَزْدَكْرَانَ شَعِيدًا أَوْضَاعًا  
مُضَاعَفَةً مِمَّنْ أَهْلُهُمْ إِذْ كَانَ كَمَا بَأْنَا هَذَا لِلَّهِ الْبُحْرَ عَلَى غَيْرِ نَظْمِهِ ، وَلَا عَلَى  
حِدٍّ مُشْتَرِطَةٍ بَلْ بَيْنَهُمَا بُعْدًا مُتَرْتِبًا ، وَبِأَيِّ مَا بَيْنَ الْخَائِفَتَيْنِ وَلَعَلَّ حِلَّةَ كِتَابِ  
الْمَغْرِبِ تَأْلِيفَ ابْنِ سَعْدٍ وَمَنْ قَبْلَهُ لِأَجْلِ حُجَّتِهِ قَدْرًا لِدُنُوهِ ، وَلَا فَوَائِدَ  
الْأَدْوَانِ الشُّعْرِ ، هَذَا إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ كِتَابًا مِنْ عُلُومِ جَمَدٍ ، وَأَنْوَارِ سَمَدٍ ، وَتُرَاجِمِ  
أَعْيَانِ هُمُ النَّاسِ ، وَسَمِّ مِنْ شَيْبَتِ نَهْمٍ وَاسْتِطْرِدِّ فِي الْقِيَامِ ، تَمَا  
لَا يُخْلَمُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْتَصِفُ وَلَا تَزِيدُ فِيهِ إِلَّا قَوْلُ الْحَقِّ لَا الْمُسْتَعْفَى ، وَقَدْ  
جَعَلْنَا الْمَصْرِيَّ فِي إِخْرَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مُنْفَرِدِينَ عَلَى أَرَايَتِهِ وَرَأَاهُ ، وَعَلَى مَا قَضَى  
بِهِ عَلَيْهَا شَائِبًا الْقَدْرَ ، وَ سَوَاءُ الْجِلْظِ الَّذِي لَا يَنْبَغُ مَعَهُ الْجَمْدُ ، نَامَا تَجَمُّفُ  
أَهْلِ الْغَرْبِ مِنْ ذِكْرِ ابْنِ سَعْدٍ ،

عن الأثر  
رد المحتار

لوحه بعد تحريرها  
من المطبع الكبري عمه موله  
ناو المرحوم رحمه عمه عمه موله

تراجم شعراء المغرب  
أول الجزء ١٧ من مخطوطة باريس  
(المكتبة الوطنية ٢٣٢٧)

بخط المؤلف

فأولهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن زينب سالم الاموي مولاهم  
 جاءه - الم مولي الهام بن عبد الرحمن لا يدخل ابو عمر صاحب كتاب العقد  
 وهو عقد كلكه جوهره ومعدنا لانه لما عنده اظهره ما غابا غالي  
 فيه الناس ولا شيخ بما يطير عليه الف زاش بل خي عقده المنين عقده  
 لمن اشهب وحائبه حصاره عبي ارضت  
 الذهب وقد اشفت به ان سويد شعرا المعز بن المنصور المطرب  
 وقال هو بالاندلس امام ادباها وفازت شعرا بها وذلك  
 من شعره قوله

توحيشك فان وشعره للملح  
 وتلاوه سنة سنة والرسب  
 وتاشبه

ياذا الذي خط العذار تخذ سطرنيها جالوعا وبلا بلا  
 ما كنت اقطع ان يحظك صارم حتى زانت بعارضيك جبالا  
 وقوله وقال انه الذي لما سمعه المنيني حكم له به انه شاعر الاندلس وهو  
 يا لولوا شبي العقول ابقا وزنا شعربا الفلوب رقيقا  
 ما ان زانت ولا سمعت بمثله ذرا عود من الحياء عميقا  
 واذا نظرت الي مجاشد وجهه ابصرت وجهك لينا غرقيا  
 يا من تقطع حصن من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا  
 ومن شعره قوله  
 الا انما الدنيا عذبان ايكه اذا احضر منها جانب جف جانب  
 هي الدار ما الامال فيها فباع عليها ولا اللذات لامصاب  
 ولم تحن بالامر عيز قرينة وفرت عيون دمعها الان تاك

الورقة الثانية من الجزء ١٧

زهدا واوئة صابا واوئة شهد ستوزنله هذا كله على غير نظام ومنتقل  
 في اجواله جميعها من غير اشتعظام كتحالف الأحوال مؤلف الافوال  
 بعيد الشعلة للطف ولا نواك ويطوف بالظلال لا يزدحوا ولا نواك  
 ككف بلبي ولا لبني ولا الزايبا ونهيم بخروبي ولا جروي ولا ربنا  
 صبح بهواه المقيتد الجمال المطلق ويزج بد الحبت ولا حبت يعرف ولا مبلغ  
 يعشق رانما هي اسماء ستمهاها واشيا لا تدرك ستمهاها وامور ادعي  
 انها الحقيقه وهي الباطل وقا حيتكند لا يخنكند وقالها الطريفة  
 و سكتها جابلا لا يحترارضاها ففصلك سلك ضيقه القوم بزعمه  
 فاحظاها وانتق في تلك السحب فاقصد الابظاها وطنها المعازف  
 وفي الكز والنكرت ارب القوم ففرد بينه الكر وجند زجحة  
 اهل الانجاد نقته شرها وحق وبقي في حمارها حتى نزل الجح وحقه  
 ساجده الله امور متناقضة ولجوال متعارضة وتمسك باطل وبتك  
 مزجيه عاقل وبتك لا يلبق تعافل ولا يقبل عثرنا قل هذا الي  
 ارتكاب عظام واجتباب خرايم لانزعه وازرع ولا تزعده عن قبه فعليه  
 مارع دليل المسالاة مخذوز الفضاع ومحظوز القبايع والاضرار عني تمام  
 الشيعة والمجازم الحف الذي للتعويد وحيكي شيخنا شهاب  
 الدين ابو النناء محمود قال ما معناه قصدي في جماعه من الادبا وفي آخرها  
 عليه الباب اذن لنا من اخل الدار صوت ريخيم كانه صوت مرآه فدينا  
 اليه فزايانه قد حصب بديده ورضيه ولبس ثياب النساء عليه وحقه به

ترجمة العفيف التلمساني في المخطوطة



أو مع شربها تسقيت من ثمرة نخلها راض المعدة والاكهناس العارض  
 وعسدهن في وقت شربها بين يمين فحة الأعدا والذين يقيون الدم والذين  
 في وقت شربها من الشدة وجيوط الأكم إذا شرب مع الماء شرب قطن ذلك  
 المستعمل في وقت شربها الصمغ عسل القطنان إذا شرب مع الشراشخ من  
 في الحاريد والبراق الغوازي والحب المشترج وغيره وإذا شرب في وقت  
 مع شربها تطردون وإذا شرب مع الرث إذا ما جانت المعدة  
 الدمسة لغيره من ثيابان الكرم الطرية أو الحرقف وزنجبيل الدمعة  
 وما يفت على الحاريد إذا شربها وما رقت بان الكرم وما رقت  
 لقتل الجمل القصد التي ترفع منها البواسير ما من الثوب العسك وما من



صورة قضبان الكرم

مخطوطة بلدية الإسكندرية ٣٣٥٥/ج

كُتبت أوائل القرن التاسع الهجري



## الفصل التاسع بعد العشرين ( مخطوطة فلكية ) :

### نَهائَةُ الإِذْرَاقِ فِي دِرَايَةِ الأَفْلاكِ

#### للشيرازي

في فصل سابق تحدثنا عن العلامة نصير الدين الطوسي ( المتوفى ٦٧٢ هجرية ) باعتباره أحد العلامات المهمة في تاريخ العلم العربي الإسلامي ، خصوصاً في مجال الرياضيات والفلك ، وقلنا هناك : إن الطوسي بعد أن بنى أعظم المراصد الفلكية في عصره ، مرصد مراغة ، جمع فيه من علماء الفلك جماعةً من الفلكيين الذين تتلمذوا في الفلك والرياضيات على يديه ، وعلى يد هؤلاء التلامذة امتدت مدرسة الطوسي الفلكية في القرن الثامن الهجري .. وقد كان من أهم رجال هذه المدرسة : الشيرازي .

هو قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي الشيرازي ، ولد في شيراز سنة ٦٣٤ هجرية ، وتوفى في تبريز سنة ٧١٠ هجرية ؛ بعد حياة حافلة بالعلم<sup>(١)</sup>.

وهناك خلاف في اسمه الأول ، بين ( محمود ) و ( محمد ) .. فهو في طبقات الشافعية<sup>(٢)</sup> وفي بعض مواضع من كشف الظنون<sup>(٣)</sup> : محمد ؛ وفي بقية المراجع وأغلب المواضع من كشف

(١) جمع عمر كحالة ( معجم المؤلفين ١٢ / ٢٠٢ ) مصادر الشيرازي ، في : الأسنوي : طبقات الشافعية ٢ / ١٣٥ ، كتاب التراجم ١ / ١٢ ، مخطوطة الظاهرية رقم ٤٦١٦ / عام - طاهر الجزائري : التذكرة ١ / ٣٢٢ مخطوطة الظاهرية رقم ٤٩ - ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ / ٣٣٩ - ابن رافع السلمى ص ٢١٩ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٩ / ٢١٣ - أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٤ / ٦٥ - السيوطي : بغية الوعاة ص ٣٩٠ - حاجي خليفة : كشف الظنون ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٦٨٤ ، ١٢٣٥ ، ١٤٧٧ ، ١٦٩٥ ، ١٧٦٣ ، ١٨٥٣ ، ١٩٨٥ - الشوكاني : البدر الطالع ٢ / ٢٩٩ - الخوانساري : روضات الجنات ٢١٤ - طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ١ / ١٦٥ - جول رووانيت : تاريخ الموسيقى العربية ص ٢٣ - رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي ص ١٩٩ - فهرست الخديوية ٥ / ٢٢٥ - الزركلي : الأعلام ٨ / ٦٥ - محمد أسعد طلحس : الكشاف ص ٢٤ - كتبخانه ولي الدين ص ١٢٣ - كويرلي زاده ٥ / ٥٦ - البغدادي : إيضاح المكنون ١ / ٢٥٠ - كونتش : فهرس المخطوطات المصورة ٣ / ١٠٧ - هدية العارفين ٤٠٦ / ٢ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ٦ / ٢٤٨ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٣٩٢ .

الظنون<sup>(١)</sup>: محمود ! وقد أدى ذلك بعمر كحالة أنه ترجم للشيرازى مرتين ، الأولى تحت اسم ( محمد بن مسعود ) والأخرى تحت اسم ( محمود بن مسعود ) ولقد استفاض في الترجمة الثانية أكثر من الأولى<sup>(٢)</sup> ! .

وبعيدًا عن هذا الخلاف اليسير في الاسم الأول للشيرازى - حيث يتضح أن ( محمد ) هو محض تصحيف وقع فيه البعض - تتفق المصادر والمراجع على أنه نشأ في بيت علم ، فكان لأبيه وعمه اشتغال بالطب ، فقرأ عليهم المعارف الطيبة ، وتلقاها أيضًا من زكى الدين البركشائى ( أو : الركشاوى ) وشمس الدين الكتبى ؛ كان ذلك في شبابه المبكر .. وقد عمل الشيرازى في ابتداء أمره طبيبًا بمستشفى شيراز ، لكنه ما لبث أن تاق لدراسة الفلك والرياضيات ، فسافر إلى مراغة كي يدرس على نصير الدين الطوسى ، حتى يُقال: إنه لم يفته شىء من علوم الطوسى ، ولم يبق له حاجة علمية عنده<sup>(٣)</sup> .

وبعدما استكمل الشيرازى تحصيل العلوم ، تنقل في ديار الإسلام ؛ بل إنه زار بلاد الروم - حيث أكرمه حاكمها - ومصر ، ثم استقر فترة بسواس وملطية ، وتولى هناك منصب القضاء كما تولى بعض المناصب الدبلوماسية ، وعمل سفيرًا لبعض الحكام . ويبدو أنه أقام فترة بمدينة ( قونية ) حيث أخذ التصوف وسمع كتاب ( جامع الأصول ، للترمذى ) من شيخ قونيه الشهير ، تلميذ ابن عربى وربيبه : صدر الدين القونوى .

واستقر الشيرازى أخيرًا ببلاد المشرق ، واستوطن تبريز التى توفى بها . وكان امبراطور المغول ( غازان ) يعظمه ويصله بالأموال ، حتى إن دخله السنوى بلغ ثلاثين ألف درهم ؛ كان لا يدخر منها شيئًا ، بل ينفقها جميعًا على تلامذته كمعونة لهم على طلب العلم .

(١) راجع ترجماته المذكورة في الهامش الأول من هذا الفصل .

(٢) عمر كحالة : معجم المؤلفين ، الجزء الثانى عشر ص ٢٠ ، ٢٠٢ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

وكان الشيرازي شغوفاً بالموسيقى محباً للشطرنج<sup>(١)</sup>. يصفه ابن حجر بأنه : كان كثير المخالطة للملوك ، متحرراً ؛ وكان ظريفاً مزاحاً لا يحمل همّاً ، ولم يغيّر زى الصوفية ، وكان يجيد اللعب بالشطرنج ويديمه حتى في أوقات اعتكافه .. إذا صنّف كتاباً ، صام ولازم السهر ، ومُسَوِّدته مُبَيَّضَة<sup>(٢)</sup> ، وكان يخضع - يتواضع - للفقراء<sup>(٣)</sup> ، ويلزم الصلاة في الجماعة ، ويتقن الشعبذة ويضرب بالرباب ، ويورد المزيّلات - النكات - في دروسه ، كثير الشفاعات ؛ وكان بحرّاً من بحور العلم ، وأجود علومه الرياضيات ، وكان أحد أذكى العالم ، لقبه عند الفضلاء ( الشارح العَلَمَة ) .. وكان في الاعتقاد على دين العجائز<sup>(٤)</sup> ، يخضع للفقهاء ويوصى بحفظ القرآن ، إذا مُدِحٍ يخشع ، وكان يقول : أتمنى أن لو كنتُ في زمن النبي ﷺ ، ولم يكن لي سمع ولا بصر ، رجاء أن يلحظني بنظره .. وكان ذا مروءة وأخلاق حسان ومحاسن ، وتلامذته يبالغون في تعظيمه<sup>(٥)</sup>.

وللشيرازي ، على ما يصفه ابن حجر ، صفاتٌ تبدو متناقضة . فهو متصوِّفٌ زاهدٌ من جهة ، ومن الجهة الأخرى ظريفٌ مزّاحٌ يلقى النكات في دروسه . وهو متدين كثير الخشوع والاعتكاف ، لكنه - أيضاً - محبٌ للفنون يضرب الرباب ويصحب الشطرنج في خلوة اعتكافه ، ولا أدرى كيف ؟ فالشطرنج لا يلعبه الواحد منفرداً ، بل لابد من خصم ملاعب له ، فهل كان الاعتكاف جماعياً ! وهو يخالط الملوك ويجالس الصوفية .. مع أن الصوفية كانوا دوماً يحدرون من مخالطة الملوك . وهو بارع في العلوم ، محب لتلاميذه ، مُعَدِّقٌ عليهم ، ومتفننٌ في نفس الوقت في اللهو « لا يحمل همّ الدنيا » ويتقن الشعوذة ويحكى عنه أن صفى الدين المطرب غنّى له فمنحه ألفى درهم .. فهل هي صفات متناقضة ، أم هو التنوع الكبير في

(١) معجم المؤلفين ٢٠٢/١٢ .

(٢) يقصد أنه كان لا يراجع ما يكتبه ويضعه في صورته النهائية مرة واحدة .

(٣) يقصد : الصوفية .

(٤) يقصد أنه كان يتعد عن الخوض في قضايا الدين ويقبله كمسلّمات .

(٥) ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ / ٣٤٠ .

الشخصية الإنسانية التي لا تخلو في عموم البشر من سمات تتنوع حتى درجة التناقض ؟ وهل يمثل الشيرازي « حالة فريدة » بين علماء الإسلام ، أم أننا تعودنا على صورة العلماء جادين إلى درجة التجهُّم ؟ وهل هذه هي الصورة الحقيقية للعلماء ، أم أن المؤرخين احتفظوا فقط بالصورة الجادة لهم مع إسقاط الجانب المَرِح من حياتهم ؟! تلك تساؤلات تدعو للتأمل .

وترك الشيرازي مجموعة كبيرة من المؤلفات ( تتنوع ) بين أكثر من تخصص ، ففيها التفسير والطب والفلك والفلسفة والتصوف والمنطق . وقد ذكر له حاجي خليفة وكارل بروكلمان هذه المؤلفات :

- شرح حكمة الإشراف ، للسُّهُرُورُودِي ( في التصوف )
- فتح المنان في تفسير القرآن ( = تفسير العلامي ) يقع في أربعين مجلداً .
- حاشية على كتاب ( الكشَّاف عن حقائق التنزيل ، لجار الله الزمخشري - في التفسير ) يقع في مجلدين .
- مشكلات التفاسير .
- شرح مفتاح العلوم ، للسُّكَّامِي ( = مفتاح المفتاح ) .
- شرح مُنتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل ، لابن الحاجب .
- شرح التذكرة في علم الهيئة ، للطوسي .
- غرة ( درة ) التاج في الحكمة .
- شرح حكمة العين للكاتب القزويني .
- فعلتُ فلا تلم ! .
- شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا .
- مشكل الإعراب .
- رسالة في إثبات الواجب ( الله ) .
- رسالة في النار الفارسية .

- الزيج الجديد الرضوانى .
- الزيج السلطانى .
- رسالة فى حركة الدحرجة .
- شرح كليات كتاب القانون لابن سينا .

أما أشهر مؤلفات الشيرازى ، فهما كتابان فى الفلك : التحفة الشاهية فى الفلك .. نهاية الإدراك فى دراية الأفلاك . وكلاهما لا يزال فى نسخته الخطية ، كبقية مؤلفات الشيرازى التى لم يُنشر منها حتى اليوم صفحة واحدة ، وأظن أن الشيرازى نفسه لم تكتب عنه إلى اليوم صفحة واحدة فى بحث علمى معاصر ! .

\* \* \*

نالت كتب الشيرازى الفلكية من القدماء اهتمامًا كبيرًا ، فقام علماء الدين القوشجى والسيد الشريف الجرجانى بشرح كتاب ( التحفة الشاهية ) وقام سنان باشا بشرح ( نهاية الإدراك ) . وما يشهد باهتمام العلماء القدماء بالكتابين ، ذلك الاعتناء الكبير بنسخهما ، حتى توفرت لهما نسخ خطية كثيرة - لم نهتم نحن بها ! - فقد ذكر بروكلمان من مخطوطات ( نهاية الإدراك ) هذه النسخ الخطية : مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٨/٢٥١٧ ، مخطوطة المكتب الهندى بلندن رقم ٧٦٩٣ ، مخطوطة مانشتير رقم ٧٥١/ن ، مخطوطة مكتبة سليم أغا رقى ٣٨١ ، مخطوطة مكتبة كوبرلى زاده رقم ٧/٩٥٧ ، مخطوطة مكتبة فايز بك رقم ١٣٤٩ ، مخطوطة مكتبة داماد إبراهيم رقم ٨٥١ ، مخطوطة مكتبة لاله لى رقم ٢١٤٥ ، مخطوطة مكتبة بنى جامع رقم ١١/٢٢١ ، مخطوطة طبقا بو سراى رقم ٤/٣٣٣٣ ، مخطوطة الموصل رقم ٧١ ، نسخة أخرى بالموصل رقم ٢٣٥ ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٥ ، مخطوطة مكتبة الأصفية رقم ١٢١٤ / ١١ ، مخطوطة مكتبة بنكيبور رقم ١/٢٠٦٠ .. الخ . وإذا تأملنا فى هذا القدر من النسخ الخطية ، لآتضح لنا مقدار اعتناء العلماء المسلمين بالكتاب من جهة ، ولآتضح لنا - من الجهة الأخرى - أن أغلب هذه المخطوطات محفوظ الآن فى مكتبات أوروبا!

فقد تسربت النسخ الخطية إلى مكتبات العالم أيام الاستعمار ، وسطا المستشرقون عليها كما سطوا على غيرها ، فأودعوها جميعاً في مكتبات بلادهم على غفلة من أصحابها الوارثين .. وهكذا صار تراثنا المخطوط ، اليوم ، ملكاً لغيرنا لا نطمح أن نسترده .

\* \* \*

وحديثنا عن المخطوطة فيما يلي ، نعتمد فيه على النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كوبرلي زاده باسطنبول ، تحت رقم ٩٥٧ ، وهى نسخة جيدة ، مزدانة برسوم هندسية دقيقة .. وتبدأ هذه النسخة بما يلي :

« يقول أحوج خلق الله إليه ، محمود بن مسعود الشيرازى ، ختم الله له بالحسنى ؛ أما بعد حمد الله فاطر السموات فوق الأرضين عبرة للناظرين المتوسمين ومزينها بزواهر الثواب والمتحيرين ( يقصد : الكواكب المتحركة ) إلهاماً لدقائق صنعه فيها قلوب المستنصرين ، والصلاة على سيد الأولين والآخرين محمد ، وآله الطيبين الطاهرين . فإننى قد كنت برهةً من الزمان ، عازماً على أن أحررّ لنفسى ، ولسائر الإخوان ، فى علم الهيئة .. » .

وعلى عادة المؤلفين العرب فى كل التخصصات ، نرى الشيرازى وهو يؤكد فضل تخصصه ، ويجعله أشرف العلوم ، ويقرر ذلك بقوله : « إن شرف العلم ، إما يكون معلوماته ثابتة باقية غير متغيرة ، أو يكون الطرق المؤدية إليها ( أى : إلى المعلومات ) طرقاً يقينية مبرأة عن شوبٍ بمظنون ، أو بكترة فوائده ؛ وهذا العلم الذى نحن بصدده قد اجتمع له الفضل من هذه الجهات كلها .. » ثم يصف كتابه بأنه : « رسالة مغنية عن غيرها ، مشتملة على زيادة المبسوطات المؤلفة ، ولباب المجموعات المصنفة فى تركيب الأفلاك ، ومحتوية على ملخص ما وصل إليه ومحصل ما انتهى عنده منتهى الإدراك ، بحيث تكون تبصرةً للمبتدى وتذكرة للمنتهى ، بل عمدة لأولى الأبصار وغاية لذوى الأفكار » .

وقد أهدى الشيرازى كتابه - كما جاء فى المقدمة - إلى بهاء الدين محمد الجوينى ، قائلاً :



« رأيتُ أن أجمع الكتاب المذكور برسمه ليكون باقياً طول الدهر كاسمه .. إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً » وإهداء العلماء العرب مؤلفاتهم إلى الولاة والوزراء وسائر الحكام ، أمر كان شائعاً في القرون الماضية ، وهناك عدد لا حصر له من المخطوطات تشهد بذلك ، منها ما هو مثبتٌ للإهداء في العنوان ، مثل « الذخيرة الخوارزمية » التى أهدها البيرونى للسلطان خوارزم شاه ، ومنها ما يثبت الإهداء في المقدمة كمخطوطة الشيرازى التى نتحدث عنها . . وهذا الأمر - فى مجمله - يشهد بالاتصال الوثيق بين العلماء والحكام فى القرون السابقة ، فقد أولى الحكام عنايتهم الكبيرة للعلم والعلماء ، فكان افتخار أحدهم وشهرته ، بقدر رعايته لأهل العلم والأدب .. وهى مسألة استغنى عنها حكام اليوم بوسائل الإعلام .

ونعود للمخطوطة ، فنرى الشيرازى وهو يضيف أنه ، حين شرع فى تأليف « نهاية الإدراك » أشار إليه صديقه محمد بن عمر البذخشانى بضرورة أن يضم للكتاب شيئاً من الأرصاد الفلكية وكيفية استخراج حركة الثوابت والمتحركات فى الفلك ، وهو ما يعرف عند العرب بعمل « الأزياج » .. وأن تكون الألفاظ سهلة ظاهرة ليس فيها غموض ولا انغلاق ! يقول الشيرازى : فتلقيت مرسومه وأسعفت مأموله ، جمعاً بين المصلحتين واستزادة للعنايتين .

لكن الشيرازى يبالغ فى تقدير قيمة كتابه مبالغة كبيرة حين يذكر فى وصف الكتاب ما نصه : ولما كان هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا آتية أو شريفة إلا سخرها وأدناها ، لاشتماله على نهايات أفكار الأولين من المتقدمين والمتأخرين . إلخ « وهى - لا شك - ثقة كبيرة فى الذات ، واعتداد كبير بالنفس ؛ ولا نستطيع أن نحكم على هذه الثقة وهذا الاعتداد ، إلا بعد نشر الكتاب محققاً ، وبحث موقعه ومكانته فى تطور علم الفلك .







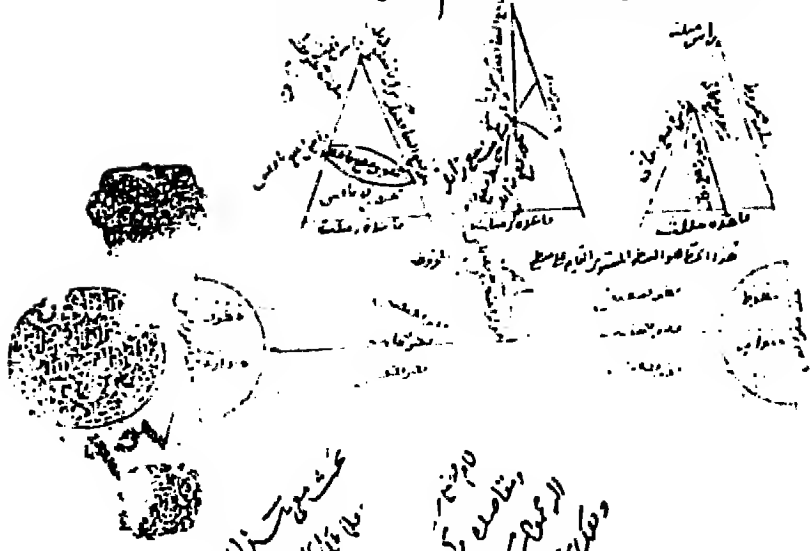
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ أَنْعَمْتَ فَبَرْدُ  
يَقُولُ الْحَجَّ خَلَقَ اللَّهُ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنْ مَسْعُودِ  
السَّيْرِ أَرَضَتْ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ بِالْحَيْسِي

أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ فَاطْرِ السَّمِ وَأَبِ فَوْقِ الْأَرْضِينَ عَجْرَةَ لِلنَّاطِلِينَ الْمُتَوَسِّمِينَ  
وَمِنْ بَيْنَاهُمَا بَرَزُوا هَرِ الثَّوَابِ وَالْمُتَحَيَّرِينَ الْهَامًا لِدَقَائِقِ صُنْعِهِ فِيهَا قُلُوبُ الْمُسْتَبْصِرَاتِ  
وَالصَّلُوقِ عَلَى سَيْدِ الْأَوْلَادِ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ فَاتَى قَدْ كُنْتُ  
بُرْهَانًا مِنَ الزَّمَانِ عَامَا عَلَى أَنْ يَهْتَرِ لِنَفْسِي وَسَائِرِ الْأَخْوَانِ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ الَّتِي فَازَ السَّعَادَةَ  
عَنَاهَا وَأَنْفَسِي فِي السَّقَاوَةِ جَاهِلِيًا لِكُونِهِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ لِأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ أَمَا يَكُونُ  
مَعْلُومَاتِهِ ثَابِتَةً بِأَقْبَعِ عَيْبَةٍ: أَلَمْ يَكُنِ الطَّرِيقَ الْوَحِيدَةَ الْيَهَاطِرَ أَيْ قَائِدَهُ مُهْرًا عَنْ  
شَرِّبَ بِظُنُونِ أَوْ عَشْرَةَ فَوَائِدِهِ أَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمَ الَّذِي يَصَدِّقُهُ فَلَاجْتِمَاعِ لَهُ  
الْقَضَلُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَانِ كَمَا لِيَأْتِيَ مَوْعَانَةً عَلَى حَسَنِ نَظَائِرِهِ وَأَتَمَّ دَوَامَ عَلَى مَا لِيَأْتِيَ  
وَأَكْرَهَ فَوَائِدِهِ عَلَى مَا لِيَأْتِيَ وَوَقَائِدِهِ بِرَاهِنِهَا لِكُونِهَا عَدِيدَةً أَوْ هُنْدَ مَبِينَةً إِسْلَافَ  
فِيهَا خِلَافَ بَرَاهِنِ الطَّبِيعِيِّ الْيَاقِينِي وَهَذَا الْمَبْرُجُ أَيْ قَائِدُ الْيَقِينِ الْيَقِينِ الْيَقِينِ الْيَقِينِ  
بِهِ أَمَّا الْجِهَانُ مِنَ الْقُنُونِ الْحَقِيقَةِ لِمَا أَشْهَدُ أَنَّ مِنَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ هَدْيٌ سَالَتْ  
مَعْنَاهُ عَنْ عَيْبِهَا مَشْتَمَلَةٌ عَلَى زِيَادِ الْمَبْسُوطَاتِ الْمَوْلُغَةِ وَبَابِ الْجُمُوعِ الْمَبْنِيَّةِ  
فِي تَرْكُوبِ الْأَفْلاكِ وَحَسْبُ يَدِهَا الْمَخْضَرُ مَا يَرْتَدُّ إِلَى الْبَيْتِ وَحَصْلُ مَا أَسْتَمِعُ عِنْدَ رُشْدِهِ  
الْأَدْرَاكُ يَحِثُّ يَكُونُ تَبَصُّرًا لِمَبْتَدَى وَتَذَكُّرًا لِمَبْتَدَى بَلْ عَمْدَةٌ لِأَكْرَمِ الْأَبْصَارِ  
وَعِثَانَةٌ لِلذُّرَى الْأَفْكَارِ وَكَأَنَّ الْعَوَاقِفَ شَاعِلَةً أَيْ بَارِدَةً حَالَهُ مَبْنِي وَبَيْتُهُ  
إِلَى أَنْ يَسْتَسْعِدَاتِ بَعْدَ آوِنَةٍ مِنَ الدَّهْرِ وَمِلَاوَةٍ مِنَ الْعَصْرِ وَقَدْ مَبِيتُ بِنَفْسِي  
بِمَضِّ الْعِنَاوَةِ بِهَا خَطُوبٌ مَعْصِلُهُ الدَّوَاءُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ نَعِيمِ الْإِمَانِي إِلَى الْقَلْبِ  
نَيْبِيلٌ وَلَا لِسُلُوكِ حَجَّتِهَا هَادِيَةٌ وَلَا دَلِيلُهُ بِالْإِنْصَابِ ثَابِتًا إِلَى عَالِي حَنَابِ مِنْ هُوَ  
خِلَاصَةُ الدَّهْرِ وَجَيْدُهُ وَضِعْفُ الْعَصْرِ وَزَيْدُ نَهْدِهِ أَعْنَى رَفِيعِ حَضْرَةٍ مِنْ هُوَ  
لِلزَّمَانِ مَبِينَةٌ وَكَاهِلُهُ مَجْمَعَةٌ وَمِنْ الْجِلَالِ بِهَا وَهُوَ وَجَيْدُهُ وَمِنْ الْكِبَالِ  
نَعْدِيدُهُ وَمَجْلَدُهُ بِشَيْءٍ فَظَاهِرُهُ حَسَنٌ وَبَاطِنُهُ تَقِيٌّ وَرُؤْيَاهُ مِنْ رِطَائِقِ عُنْدِهِ مَبْنِي  
فَمَا وَرِثَ الْأَدْوَحَةَ مِنْ تَارِخِهِ لِقَدْ طَارَ مِنْهَا الْخَصْلُ وَالْفَرْعُ مَجْمَعَتِي

المقدمة

الورقة الأولى من المخطوطة

# نصايه الادراك في درايه الافكار : لنظام العالم وطالبه من اشراقه



عاش من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى

انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك

انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك

انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك

انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك  
 انما كان كالموتى  
 من غير ادراك

مخطوطة نهاية الادراك

صفحة العنوان



## الفصل الأخير ( مخطوطة منطقية ) :

### الوَرَيقاتُ في المنطقِ

#### لابن النفيس

لابن النفيس مكانةٌ خاصة في تاريخ العلم العربي ، بل الإنساني على وجه العموم .. وله في نفسى تقديرٌ عظيم ؛ فقد انشغلت به وبترائه طيلة السنوات التسع الماضية ، وأبحرتُ كثيراً في جملة مؤلفاته التي تقع في آلاف الصفحات ، ويضمها قرابة مائة مجلد - المطبوع منها ثمانية ، والباقي مخطوط - فكنت ألمس عن قرب ، عبقرية الرجل المتجلية في أعماله المطبوعة والمخطوطة ، وأناكد مع الأيام من أننا نظلمه كثيراً حين نقصر التعريف به على أنه ، فقط : مكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل هارفي ، فالحقيقة أن لابن النفيس اكتشافات أخرى ، ونظريات لا تقل أهمية عن اكتشافه للدورة الدموية الصغرى ، بل والكبرى .. وللأمر تفصيلٌ يأتي .

ويزداد إعجابنا بابن النفيس حين نتعرف إلى الواقع شديد الاضطراب الذي عاش فيه - على نحو ما سنعرضه بعد قليل - ومع ذلك لم يقعد به هذا الواقع عن مواصلة جهده العلمي الجبار .. ولعلها تكون حُجَّة لنا اليوم ، نواجه بها المُبْطِئين المهووسين بتريد عبارات مثل : ليس هذا زمن الإبداع العربي .. ليس فينا فيلسوف عظيم .. لا فائدة من أى اجتهاد .. وغير ذلك من الأقاويل التي بلغت متنهاها على لسان أستاذ معاصر ، قال : إن أقصى ما نطمح إليه اليوم، هو أن نكون ( سوبر ماركت ) لأفكار الغرب ، ولا داعى لأية محاولات إبداعية ! على مثل هذه الأقاويل ، حسنة النية أو خبيثتها ، نرى ابن النفيس حُجَّةً مبطللة تدفعنا للعمل - كما عمل هو - رغم أنف أحوال الزمان .

وربما كان إعجابي بابن النفيس وتقديري له ، وراء اختيار مخطوطته هذه لتكون موضوع الفصل الأخير من الكتاب ، فيكون ذلك مسك ختامه واختتامه . وهي مخطوطة في المنطق ،

فلعلنا بها نستشعر أهمية المنطق والتفكير المنطقي في خضم هذه الفوضى المعرفية التي تشملنا اليوم ، أو نُشمل بها ! وعلى أى حال ، فإن الترتيب الأبجائى لعناوين فصول / مخطوطات الكتاب ، قد جاء بمخطوطة ( الورقيات ) في هذا الموضوع الاختتامى .. فلنبداً الآن في الكلام على المنطق ، ثم نلقى الضوء على ابن النفيس ومخطوطته .

\* \* \*

كانت الحضارات القديمة تستند - ولا شك - للمنطق ، لكن الفضل يرجع إلى الفيلسوف اليونانى العظيم أرسطو ( أرسطا طاليس ) في بيان مباحث المنطق واستقلاله كمعرفة خاصة مستخلصة من عصارة العقل الإنسانى الذى كان قد بلغ قمة تطوره آنذاك عند أرسطو .. كان أرسطو يقسم المعرفة للإنسانية إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم منها ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام ، كالتالى :

أولاً: العلوم النظرية Theoretical التى تضم الرياضيات Mathematics والطبيعة Physics وما بعد الطبيعة Mitaphysics.

ثانياً: العلوم العملية Practical وتضم الأخلاق Ethics والسياسة Politics والاقتصاد Economy .

ثالثاً: العلوم الشعرية Poetical وتضم الموسيقى Music والشعر Poetry والعمارة Architecture .

وبالإضافة إلى هذه الأقسام الثلاثة ، وضع أرسطو مجموعة من الأبحاث التى لا تدخل ضمن مباحث أحد العلوم .. بل هى آلة كل العلوم ، وأسماها أرسطو ( الأورجانون ) وسميت بعده بالمنطق Logic. ويضم أورجانون أرسطو ، أو مجموعة كتبه المنطقية ، ست كتب رئيسية هى :

١ - كتاب المقولات Categories ويعالج التصورات الأساسية .

٢ - كتاب التأويل Interpretation ويهتم بتحليل القضايا والأحكام .

٣ - التحليلات الأولى The First Analytical ويتناول عملية القياس .



- ٤ - التحليلات الثانية The Second Analytical ويعالج عملية البرهنة .  
 ٥ - كتاب الجدل Topics ويعرض للبرهان الاحتمالي .  
 ٦ - كتاب تفنيد الأغاليط Sophistical Refutations ويدرس الرد على الحجج السفسطائية  
 والمغالطات<sup>(١)</sup> .

ومع أن أرسطو كان يعرف المنطق المادى الاستقرائى Inductive Logic الذى يعتمد على  
 حصر الوقائع الجزئية وإصدار حكم عام عليها جميعاً ، إلا أنه كان أكثر اهتماماً بالمنطق  
 الصورى Formal الذى يركز على صورة الفكر واتساق المقدمات والتتائج المستخلصة منها ،  
 دون اعتناء كبير بزيادة الفكر وصدق النتيجة فى الواقع التجريبي .. ففى القياس الأرسطى  
 يمكن أن نقول :

كل العرب أحرار	=	مقدمة كبرى
كل المصريين عرب	=	مقدمة صغرى

∴ كل المصريين أحرار = نتيجة

هذا القياس يعتبر صحيحاً من وجهة نظر المنطق الأرسطى الصورى ، ولا يقدر فى ذلك  
 حقيقة أن كل العرب ليسوا أحراراً فى الواقع الفعلى ، ولا كل المصريين أحرار .. لكن أرسطو لا  
 يابه بصحة النتائج فى الواقع التجريبي الفعلى ، وإنما يهتم بصحة ( صورة ) القياس واستنباط  
 النتيجة من المقدمتين بعد استبعاد الحد الأوسط ( عرب ) منهما<sup>(٢)</sup> . بعبارة أخرى ، كان أرسطو

(١) د. ماهر عبد القادر : المنطق ومناهج البحث ( دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٥ ) ص ١٢ .

(٢) بخصوص المنطق الأرسطى ، يمكن الرجوع إلى :

- د. على سامى النشار : المنطق الصورى ( منشأة المعارف - الإسكندرية )
- د. عبد الرحمن بدوى : المنطق الصورى والرياضى ( النهضة المصرية - القاهرة ) .
- نقولا ريشر : تطور المنطق العربى ، ترجمة د. محمد مهران ( دار المعارف - القاهرة ) .
- روبر بلائش : المنطق وتاريخه ، ترجمة خليل أحمد خليل ( المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت )
- د. محمد مهران : مدخل إلى المنطق الصورى ( دار الثقافة - القاهرة ) .

يبحث عن النتائج في الذهن لا في الواقع ، في الصورة لا في المادة ، في الاتساق لا في الخبرة .. وكأنه قد استوعب كل المعارف في ذهنه ، ولم يبق له إلا توليد المزيد من المعرفة مما هو مخزون أصلاً في العقل ! ولسوف يُهاجم منطق أرسطو بعد ذلك هجوماً شديداً ، ويوصف بأنه منطق عقيم لا يؤدي إلى تطوير المعرفة ولا يؤدي إلى جديد . لكن المناطقة المعاصرين سوف يعودون مرة أخرى إلى بنية المنطق الصوري الأرسطي ليضعوه في إطار رمزي يتخذ الشكل الرياضي ؛ يقول الدكتور ماهر عبد القادر : حرص أرسطو على دراسة المنطق الصوري بطريقة دقيقة جادة ، وأما المنطق الاستقرائي فقد تضاءل الاهتمام به نظرًا للجاذبية الخاصة للمنطق الصوري ، ولاهتمام أتباع أرسطو وشراحه بالأفكار الأرسطية المتعلقة بالمنطق الصوري ؛ كما حرص مناطقة العصور الوسطى على دراسة الفكر من حيث صورته ، ولم يظهر الاهتمام بدراسة الجانب المادى ( الاستقرائي ) من المنطق إلا في مطلع العصر الحديث مع أبحاث فرنسيس بيكون ؛ ثم حدث أن تطور العلم في شتى فروعِهِ ، وجرت محاولات علمية من جانب المناطقة وعلماء الرياضيات ، ابتداءً من القرن السابع عشر ، لربط المنطق بالرياضيات ، وفي نهاية الأمر تُوجت كل تلك المحاولات بكتاب مبادئ الرياضيات Principia Methemata الذي أصدره برتراند رسل وألفرد نورث هوايتهد في الأعوام ١٠-١٩١٣ في ثلاثة أجزاء بات المنطق فيها يرتدى ثوب الرياضيات وأصبحت الرياضيات لا تنفصل عن المنطق ، وفقدت النقطة التي ينتهي عندها المنطق وتبدأ منها الرياضيات ؛ وهنا اكتمل نمو المنطق الرياضي بعد صراع مع التقليد<sup>(١)</sup>.

تلك هي - باختصار - مسيرة المنطق في العالم الغربي ، وهناك مسيرة أخرى للمنطق في تراثنا العربي الإسلامي .

\* \* \*

عرف العرب المسلمون منطق أرسطو مع فجر حضارتهم ، تلك الحضارة التي كانت ( الترجمة ) إحدى دعائمها الأولى ، فحين بدأ العرب ترجمة علوم السابقين عليهم - بلاد الشرق

(١) د. ماهر عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

لابن النيس

ومصر واليونان -- كان من الطبيعي أن يترجموا المنطق ، إذ كان اهتمامهم بالعلوم ، والمنطق هو :  
آلة العلوم .. وهكذا يمكن القول : إن انشغال العرب آنذاك بالمنطق ، لم يكن باعتبار  
المنطق ( علم ) أو ( فن ) مستقلاً بذاته ، وإنما لاعتباره بمثابة ( مقدمة ) للعلوم .

وفي بيت الحكمة ببغداد ، تلك المؤسسة التي رعاها الخلفاء العباسيون ، قام أشهر مترجم  
في تاريخ الإسلام ( حنين بن إسحاق ) بتشجيع من المأمون بن هارون الرشيد ، بترجمة جميع  
كتب أرسطو المنطقية ، وقد كانت بعض هذه الكتب قد تُرجمت قبل ذلك ، لكنها ترجمات  
ضعيفة غير كاملة كتلك التي أنجزها حنين بن إسحاق .. ثم قام المسلمون بترجمة شروح  
المنطق التي دوَّنها كبار شُراح أرسطو من أمثال تلميذه وخليفته ثيوفراسطوس ، والإسكندر  
الأفروديسي ، وفرفور يوس الصوري ، وثامسطيوس .

وظل الاهتمام العربي / الإسلامي بالمنطق يتسع ، حتى جاء القرن الرابع الهجري ليكون  
للمنطق منذ ذلك الحين كيانه المستقل في المحيط المعرفي ، لا باعتباره مقدمة لازمة لكل علم ،  
فحسب ، وإنما كعلم خاص له رجاله<sup>(١)</sup> ومدارسه وطرقه المتعددة .

ومع استقرار المنطق ، كعلم ، بين أصناف العلوم عند العرب ؛ كانت هناك مواقف  
متباينة من منطق أرسطو ، واختلف فيه أعلام العلماء بين مؤيد ومعارض ، واشتهرت مع الأيام  
بعض العبارات ، مثل قول مؤيدي المنطق : لا يوثق بعلمه من لم يدرس المنطق<sup>(٢)</sup> .. ومنها قول  
المعارضين : مَنْ تمنطق فقد تزندق ! والمجال هنا يضيق عن سرد حجج المؤيدين والمعارضين ،  
وهو على كل حال خلاف طواه الزمان ، ولم يعد قائماً بحال ، بل إن المنطق ذاته تطور اليوم  
تطوراً كبيراً ولم يعد في الصورة الأرسطية القديمة .. ولذا سنكتفي هنا بذكر تعريفات المنطق  
المشهورة عن أعلام الإسلام :

(١) أمثال : السجستاني ، متى بن يونس ، الأمدى ، الأبهري .. إلخ .

(٢) تُنسب هذه العبارة للغزالي ( حجة الإسلام ، أبو حامد محمد بن محمد ، المتوفى ٥٠٥ هجرية ) .

\* ابن سينا : المنطق هو الآلة العاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق به .. وهو الصناعة النظرية التي تعرفنا من أى الصور والمواد يكون الحدُّ الصحيح الذى يُسمَّى بالحقيقة حدًّا ، والقياس الذى يُسمَّى بالحقيقة برهانًا .

\* الفارابى : المنطق هو علم القوانين التى تهدينا إلى معرفة الصدق والكذب فى الكلام ، وتحوطنا من الخطأ والزلل فى المقولات .

\* الساوى : المنطق هو قانونٌ صناعى عاصم للذهن من الزلل ، مميّز لصواب الرأى عن الخطأ .

\* الغزالى : المنطق هو القانون الذى يميز صحيح الحد عن غيره ، فيتميّز العلم اليقيني عمّا ليس يقينيًّا ، وكأنه الميزان أو المعيار للعلوم كلها<sup>(١)</sup> .

ومع أن الحضارة العربية الإسلامية كانت أقرب إلى الأخذ بالمنطق الاستقرائى ومنهجه التجريبي ، وابتكر فقهاؤها طريقة القياس الأصولى ؛ إلا أن الاهتمام بالمنطق الصورى الأرسطى - ونظرية القياس بالذات - ظل ممتدًا طوال قرون الإسلام ، ولا نكاد نجد مرحلة تاريخية واحدة تخلو من إسهامات منطقية .. حتى فى القرون الأخيرة . وقد لخص الدكتور على سامى النشار ، مسيرة المنطق الأرسطى فى العالم الإسلامى ، بل مسيرة (المنطق) عمومًا ، حين اختتم بحثه الرائد « مناهج البحث عند مفكرى الإسلام » بقوله : انتقل المنطق الأرسططاليسى - الأرسطى - ومعه بعض العناصر غير الأرسططالية إلى العالم الإسلامى منذ فجره ، وسرعان ما عرض المسلمون للمشكلة التى عرض لها الأوروبيون المحدثون ، وهى : عمومية هذا المنطق وكليته ؛ هل هو قانون عام يجب التسليم به ، أم نستطيع أن نجد فى أسسه وعناصره من الضعف والأخطاء ما يخرجه عن أن يكون قانونًا كليًّا ؟ رأينا نحن أن معظم مفكرى الإسلام لم يقبلوا المنطق الأرسططاليسى ، كلٌّ من وجهة نظره ، ثم وضع كل فريق من هؤلاء المفكرين عناصر منطقية مبتكرة يمكن أن نعتبرها مذاهب منطقية كاملة .. والعلة الحقيقية لتقد

(١) انظر : د. على عبد المعطى ، المنطق ومناهج البحث العلمى ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ص ٢١ )

المسلمين للمنطق الأرسططاليسى ، أن هذا المنطق يقوم على المنهج القياسى الذى هو روح الحضارة اليونانية القائمة على النظر الفلسفى والفكرى ، والمنهج الاستقرائى هو المعبر عن روح الإسلام ، وبواسطة هذا المنهج الإسلامى الاستقرائى نستطيع أن نفسر عداوة الإسلام للفلسفة ، لأنه إذا كان الإسلام يتطلب المنهج الاستقرائى التجريبي وينكر أشد الإنكار المنهج البرهانى القياسى ، استطعنا أن نفسر بسهولة عدم نجاح الفلسفة فى الإسلام ، واعتبار ما يدعونهم « فلاسفة الإسلام » أو الشراح الأرسططاليسىين كالكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد ، وغيرهم ، مجرد امتداد للروح الهلينية - اليونانية - فى العالم الإسلامى .. وإننا لنعلم أن فرنسيس سيكون قام بعد ذلك بشرح المنهج الاستقرائى ، ثم بحث فيه جون ستوارت مل Mill محتذياً حذو العرب ، آخذاً لكل ماتوصلوا إليه ، مردداً عباراتهم وأمثلتهم .. المسلمون إذن هم مصدر الحضارة الأوروبية القائمة على المنهج التجريبي<sup>(١)</sup>.

ورأى الدكتور النشار جدير بالنظر والاعتبار ، ونحن نوافقه فى أن الاستقراء والمنهج التجريبي عند العرب كان مقدمة مهمة بالنسبة لأوروبا والحضارة الغربية ، لكننا نخالف استاذنا النشار فى أشياء ، منها : إن الإستقراء كمنهج كان موجوداً لدى اليونان وعند أرسطو أيضاً ، ومن بعده الرواقيين .. وإن العرب اهتموا بالاستقراء كمنهج للعلوم الطبيعية ، لكنهم أيضاً اهتموا بالمنطق الأرسطى الصورى القياسى بنفس الدرجة .. وإنه ليس صحيحاً أن (روح الإسلام) استقرائية تجريبية فحسب ، فهناك أيضاً السمة الصورية القياسية النظرية.. هذا إن صح ذلك التعبير الغامض : روح الإسلام ! فالحضارة الإسلامية شهدت تنوعاً وثراء لا يمكن معها إهدار وجهة نظر لصالح وجهة نظر أخرى .. وأخيراً : إنه ليس صحيحاً ما يقال عن « عداوة الإسلام للفلسفة » اللهم إلا إذا اعتبرنا إنتاج اليونان هو « كل الفلسفة وجوهرها » وهذا اعتبار مردود ، فلكل حضارة فلسفتها وحكمتها ؛ ورفض المسلمين للفلسفة اليونانية لا يعنى رفضهم للفلسفة من حيث هى محبة الحكمة ورؤية الله والعالم

(١) د. النشار : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، الطبعة الثالثة (دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٤) ص ٣٥١ وما بعدها .

والإنسان والانشغال بقضية الموت .. وغير ذلك من مفاهيم الفلسفة العامة ، أعنى الفلسفة من حيث هي ، لا من حيث تجلياتها اليونانية بالذات .

بقى لنا بعد ذلك ، أن نرى جانباً من الاهتمام الإسلامى بالمنطق الصورى الأرسطى ، متمثلاً فى جهد عالم علامة كان مجال تخصصه الأول هو الطب - أحد العلوم الطبيعية ذات المنهج الاستقرائى<sup>(١)</sup> - لكنه اهتم أيضاً بعلوم أخرى من بينها ( المنطق ) .. فىلى ابن النفيس ومخطوطة الورقيات .

\* \* \*

لا يسعنى الحديث عن ابن النفيس بغير إصراف ، فقد كتبتُ عنه مئات الصفحات ؛ ومع ذلك فسوف نحاول الإيجاز ، ونقتصر على ذكر الضرورى من التعريف به :

هو علاء الدين على بن أبى الحرم القَرشىّ الدمشقىّ المصرى الشافعى ، المعروف بابن النفيس<sup>(٢)</sup> . ولد سنة ٦٠٧ هجرية بقرية قرب دمشق اسمها ( القَرش ) وإليها نسبته ، ونشأ بالشام ودرس الطب هناك على يد عمران الإسرائيلى المتوفى ٦٣٧ هجرية ومهذب الدين الدخوار المتوفى ٦٢٨ هجرية ، ثم وفد إلى مصر وظل بها حتى وفاته : يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٧ هجرية .

فى القاهرة اشتهر ابن النفيس ونال مكانة كبيرة بين معاصريه ، وظل يترقى فى المناصب حتى صار ( رئيس أطباء مصر ) وكانت له مشاركة فى عدة علوم غير الطب ، كالفقه واللغة والنحو والحديث النبوى .. والمنطق .

(١) بخصوص المنهج الاستقرائى عند ابن النفيس ، انظر كتابنا : رسالة الأعضاء ( تحقيق ) ، ص ٤٨ .  
(٢) راجع : شذرات الذهب لابن العماد ٤٠١ / ٥ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٣٧٧ / ٧ - طبقات الشافعية للسبكي ١٢٩ / ٥ - البداية والنهاية لابن كثير ٣١٣ / ١٣ - معجم المؤلفين لكحالة ٥٨ / ٧ -

وقد عاصر ابن النفيس أحداثًا جسامًا ، وشهد زمنًا مضطربًا غاية الاضطراب ، ففى غضون سنوات حياته الثمانين ، حدث : انهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد واستباحتها على يد المغول - سنة ٦٥٦ هجرية - وتهديدهم لمصر بعد اجتياح الشام ، تزايد الحملات الصليبية على الشام ومصر ، زحف ملك النوبة على جنوب مصر ، اشتداد الصراع على السلطة بين المماليك وانهاء دولة بنى أيوب وقيام دولة المماليك البرجية ، انتشار الأوبئة فى مصر والشام .. لكن مصر فى عصره : استطاعت أن تلاقى تلك المصادمات وتخرج قوية ؛ فقد كسرت شوكة المغول فى عين جالوت ، وردّت هجوم ملك النوبة جنوبًا والصليبيين شمالاً ، وأسرت لويس التاسع فى المنصورة ، وشفيت من وباء سنة ٦٧١ هـ الفتاك ، وأقامت العيائر والمساجد والقصور والقلاع حتى صارت القاهرة : حاضرة العالم الإسلامى .. ولقد عاش ابن النفيس بالقاهرة وعاش كل ما ذكرناه ، وعانى ما عاناه معاصروه من واقع اجتماعى مضطرب ، ونزاع سلطوى لا يهدأ ، ومخاوف وانتصارات<sup>(١)</sup> .. ولم يشغله ذلك عن الاشتغال بالعلم والتأليف ، فكانت له تلك المجموعة المتنوعة من التأليف<sup>(٢)</sup> :

- ١ - الأسباب والعلامات ( كتاب مفقود ) .
- ٢ - بغية الطالبين ( مخطوط ) .
- ٣ - جامع الدقائق ( مفقود ) .
- ٤ - الحكمة ( مفقود ) .
- ٥ - رسالة الأعضاء ( مطبوع ) .
- ٦ - رسالة فى أوجاع الأطفال ( مفقود ) .
- ٧ - الرسالة الكاملة = فاضل بن ناطق ( مطبوع ) .
- ٨ - الشامل فى الصناعة الطبيعية ( مخطوط يقع فى ٨٠ مجلدًا ) .
- ٩ - شرح أيبيديما - الأوبئة - لأبقراط ( مخطوط ) .

(١) مقدمة تحقيق « رسالة الأعضاء » ص ١٦ .

(٢) انظر تناولنا التفصيلى لهذه المؤلفات فى مقدمة « المختصر فى علم أصول الحديث النبوى » ص ٩ : ٨٢ .

- ١٠- شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا (مفقود).
- ١١- شرح الأهوية والمياه والأماكن لأبقراط (مفقود).
- ١٢- شرح التشريح لجالينوس (مخطوط).
- ١٣- شرح تشريح القانون لابن سينا (مطبوع).
- ١٤- شرح مقدمة المعرفة لأبقراط (مخطوط).
- ١٥- شرح التنبيه للشيرازي في فقه الشافعية (مفقود).
- ١٦- شرح فصول أبقراط (مطبوع).
- ١٧- شرح الكتاب الثالث من القانون لابن سينا (مخطوط).
- ١٨- شرح كليات القانون (مخطوط).
- ١٩- شرح مسائل حنين بن إسحاق = ثمار المسائل (مخطوط).
- ٢٠- شرح معالجات القانون (مخطوط).
- ٢١- شرح معانى القانون (مخطوط).
- ٢٢- شرح مفردات القانون (مخطوط).
- ٢٣- شرح الهداية في المنطق لابن سينا (مفقود).
- ٢٤- طريق الفصاحة في النحو (مفقود).
- ٢٥- كتاب في الحتم (مفقود).
- ٢٦- كتاب في اللغة (مفقود).
- ٢٧- الكتب الأصولية (مفقود).
- ٢٨- كتب حفظ الصحة (مفقود).
- ٢٩- الكتب الموسيقية (مفقود).
- ٣٠- المختار من الأغذية (مطبوع).
- ٣١- المختصر في علم أصول الحديث النبوي (مطبوع).
- ٣٢- مفتاح الشفاء في طب العيون (مخطوط).



- ٣٣- مقالة في النبض (مفقود) .  
٣٤- المهذب في الكحل المجرب (مطبوع) .  
٣٥- مواليد الثلاثة (مفقود) .  
٣٦- الموجز في الطب (مطبوع) .  
٣٧- الوريقات في المنطق (مخطوط) .

\* \* \*

قبل الدخول إلى مخطوطة ( الوريقات ) التي هي المخطوطة المنطقية الوحيدة الباقية من أعمال ابن النفيس في المنطق - إذ شرحه لكتاب الهداية مفقود - تستوقفنا عبارة مهمة وردت في مسالك الأبصار ؛ يقول ابن فضل الله العمري : وكانت لابن النفيس معرفة بالمنطق ، وصنّف فيه مختصراً ، وشرّح الهداية لابن سينا في المنطق ، وكان لا يميل في هذا الفن إلا إلى طريقة المتقدمين كأبى نصر - الفارابي - وابن سينا ، ويكره طريقة الأفضل الخوننجي والأثير الأبهري<sup>(١)</sup> .

فما هي طريقة الخوننجي والأبهري التي كرهها ابن النفيس ؟ نحن نعلم أن الأوائل من أمثال الفارابي وابن سينا نظروا للمنطق نفس النظرة الأرسطية التي تجعل منه آلة للعلوم ومقدمة نظرية لا بد أن تسبق كل علم ، لكن المتأخرين - في القرن السابع الهجري - من أمثال أفضل الدين الخوننجي وأثير الدين الأبهري جعلوا المنطق علماً قائماً بذاته وفتأ له خصوصيته بين سائر العلوم والفنون . وعلى ذلك ، نفهم من عبارة ابن فضل الله أن ابن النفيس كان يعتبر المنطق مدخلاً للعلوم ، وليس علماً قائماً بذاته .. وذلك ما يتأكد فعلاً ، عند مطالعة مخطوطة الوريقات .

---

(١) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٩ / مجاميع ، المجلد السابع ، ورقة ٢٢٨ .

لا توجد من (الورقيات) غير مخطوطة وحيدة في العالم، هي النسخة النادرة الجيدة المحفوظة بمكتبة بوليان بأكسفورد تحت رقم ٤٦٩، وتقع في ٢٠٠ ورقة من القطع الكبير (الورقة صنفحتان) وهي غير مؤرخة، وإن كانت حالتها تدل على أنها ربما تعود لعصر المؤلف، وعليها تملك مؤرخ بسنة ١٠٤٤ هجرية، مسجل على الورقة الأولى بخط أحدث من خط النسخة.

ومن الورقة الأولى في المخطوطة نعرف أن لابن النفيس مختصراً في المنطق بعنوان (الورقيات) وهذه المخطوطة هي (شرح الورقيات) فابن النفيس يبدأ بما يلي: قال الفقير إلى الله تعالى، على ابن الحرم القرشي المتطبب، هذا كتابٌ شرحتُ فيه كتابي الذي عُرف بكتاب الورقيات، ولأجل تقرير مباحثه، افتقرتُ فيه إلى استعمال البراهين قبل تحقيقها؛ ورَبَّته على مقدمة وتسعة كتب، على ترتيب ذلك الكتاب. (يقصد: الورقيات).

وتشتمل المقدمة على ثلاثة فصول، تتناول: بيان الحاجة إلى المنطق - حَدُّ المنطق ومنفعته وأقسامه - بعض الشكوك على المنطق وحلها.. وكأن ابن النفيس في الفصل الثالث من المقدمة يدفع الهجوم على المنطق، فنقرأ:

الفصل الثالث في ذكر شكوك وحلها، الشُّكُّ الأول: لو كان المنطق يميِّز بين صحيح الحدِّ والقياس من فاسده، لما غلط المنطقي، لكننا نراه يغلط كثيراً حتى في المنطق نفسه. الشُّكُّ الثاني: المنطق إما أن يكون بجملته فطرياً أو بجملته مكتسباً، أو بعضه فطرياً وبعضه مكتسباً؛ والأول باطل؛ لأنه يلزمنا في تعلُّمه كُلفة - مشقة - والثاني يحوِّج إلى منطق آخر، والثالث إن كان البعض الفطري منه كافياً في اكتساب المجهولات وجب أن لا يحصل في الباقي منه غلط، وأيضاً فليُستغَنَّ عن ذلك الباقي، وإن لم يكن كافياً احتيج في الباقي إلى

(١) تدل هذه العبارة بما عليها من سمات التواضع، على أن النسخة التي بين أيدينا نسخة عتيقة كتبها المؤلف أو أملاها على بعض تلاميذه.. أما النسخ المتأخرة فتبدأ عادة بقول الناسخ: قال العالم العلامة، البحر الفهامة الإمام الرئيس علاء الدين بن النفيس.. إلخ.

لابن النفيس

منطق آخر ، الشكُّ الثالث : إن جماعة اكتسبوا علومًا ولم يحتاجوا إلى منطق ، ولولا ذلك لكان الناس قبل ظهوره جُهمًا بالعلوم النظرية .

الجواب .. عن الشك الأول : كون المنطق يميز بين الصحيح والفاقد من الحد والقياس ، لا يمنع غلط المنطقي إذا لم يراعه ، كالتحوي إذا لم يراع أصول النحو فإنه قد يلحن - يخطئ في الإعراب - وعن الثاني : أنه إذا وقع في البعض النظرى من المنطق غلطٌ لمن لم يراع البعض الفطرى ، ولو روعى حقَّ المراعاة لم يقع غلطٌ ، وإنما احتيج إلى البعض النظرى لتكون طرق الكسب - المعرفة - كثيرة ، فيكون الوصول إلى المطلوب سهلاً ، وعن الثالث : إننا لا ندعى أن الذهن لا يكفى في إصابة الحق ألبتة ، بل ندعى أنه قد لا يكفى .. فلا يحصل الوثوق إلا بالمنطق .

ثم تتوالى أبواب الكتاب وأقسامه ، فتقع في تسعة ( كتب ) منها ما ينقسم إلى فصول كثيرة ، ومنها ما لا ينقسم . وأولها ( كتاب إيساغوجى ) الذى ذكرنا في فصل سابق أنه مقدمة لمنطق أرسطو وضعها فرفوروريوس ؛ يقول ابن النفيس عن إيساغوجى :

هو كالمدخل إلى هذه الصناعة - المنطق - فلذلك قُدِّم ؛ وإنما افترقنا إلى الكلام في الألفاظ ، لأن بين اللفظ والمعنى علاقة ، ولذلك إذا فكرنا في معاني ، لا بد وأن نتخيل لها ألفاظاً تتميز بها ، حتى كأن المفكر يناجى نفسه ، ولذلك يختلف المعنى باختلاف اللفظ ، بل باختلاف هيئة اللفظ ، فإن قولنا : « ضرب زيدٌ عمرًا » مغاير في معناه لمعنى قولنا : « ضرب زيدًا عمرو » فوجب على المنطقي مراعاة اللفظ المطلق غير مقيد بلغة قوم إلا فيما يقل .

والكتاب الثانى هو ( قاطيغورياس )<sup>(١)</sup> أو المقولات ، ويبدأ ابن النفيس بقوله : ليس هذا الكتاب من المنطق ، إذ لا نظر للمنطقي في الحقائق الوجودية ، وإنما ذكره المعلم - أرسطو - لتكثر عند المتعلم الأمثلة ، فاقتدينا به .. والكتاب الثالث ( بارير مينياس ) أو العبارات ،

(١) وضعنا هنا عناوين الكتب بحسب رسمها في المخطوطة ، وقد ذكرناها على وجهها الصحيح ورسمها في الإنجليزية المعاصرة بأول هذا الفصل .

ويتناول الألفاظ المركبة في جمل وأقسام الجملة والقضية ، ويتوقف عند ( القضية الشرطية ) بوجه خاص ، وهي القضية التي يعرف المشتغلون بالمنطق - اليوم - أهميتها ، إذ هي الأساس الذي يقوم عليه المنهج الاستقرائي ، وهي الأساس الذي قام عليه المنطق الرياضي المعاصر ( اللوجستيقا ) حين نظر إلى القضية الكلية على أنها قضية شرطية متصلة ، بينما القضية الجزئية هي في الحقيقة قضية شرطية منفصلة ، فإذا قلنا : ( كل العرب أحرار ) فذلك يعنى ( إذا كان س عربى ، فإن س يكون حرًا ) وهو ما يعبر عنه في المنطق الرياضي المعاصر بصيغة :  $S \supset H$  عربى يتضمن أن س حر .. أو  $(F \supset G) \supset H$  والقضية الجزئية ( بعض العرب أحرار ) تعنى أنه يوجد فرد واحد على الأقل من العرب يكون حرًا ، يعنى ( إذا كان س عربى فمن الممكن أن يكون س حرًا ) وصيغتها المعاصرة :  $F \times G \times H$ .

والكتاب الرابع من البرقيات هو ( أنولو طيقا الأولى ) أو القياس ، وفيه يتناول ابن النفيس أشكال القياس وضروب كل شكل وهيئة المقدمات والحدود والنتائج .. والكتاب الخامس ( أنولو طيقا الثانى ) أو البرهان ، وفيه يقول ابن النفيس : سُمى هذا الكتاب بالبرهان وإن كان في الحقيقة كتاب الحدِّ والبرهان ، لأنهما يبينان فيه ، إلا أن المقصود فيه بالذات هو البرهان ، لأن المقصود في العلوم بالذات هو التصديق بأحكام الأشياء ، والغرض من هذا الكتاب هو إفادة الطرق الموقفة على التصديق اليقيني .

ثم يأتى كتاب ( طوييقا ) أو الجدل ، ويعرض ابن النفيس عبر فصوله لماهية الجدل ومفاهيمه المتعددة ، حيث يوضح أن الجدل هو : التسلُّط بالخطاب المشتتمل على قوة في الإلزام لقطع الخصم ، ثم يتناول الغرض من الجدل والمطالب الجدلية المختلفة وكيفية الاحتيال في القول ، بالإضافة إلى عملية القدح في الحدود والمقدمات .

والكتاب السابع ( سوفسطيقا ) أو المغالطات والسفسطة ، وفي بدايته يقول ابن النفيس : في منفعة هذا الكتاب ؛ كما أن الحقَّ الحَقُّ يُتعلَّم ليُعتقَد ، والخيرُ يُتعلَّم ليُستعمل ، كذلك الباطل يُتعلَّم ليُحترز منه ؛ كما يتعلَّم الطبيب السموم والأشياء الضارة ليجتنبها ويحترز عنها .

لابن النفيس

ويلي ذلك كتاب ( رطوبيقى ) أو الخطابة وما يخص المتحدث منها .. ثم ، أخيراً ،  
الكتاب التاسع ( قطوريقى ) أو القياس الشعرى الذى يقول فيه ابن النفيس : القياس  
الشعرى فائدته الحثُّ أو القبض بالتخييل ، من غير اعتبار صدق ؛ حتى لو استعمل فيه  
الصادق اليقيني ، لم يكن ذلك شعراً من جهة ما هو صادق ، بل من جهة تخييله ؛ فالتخيُّل من  
الشاعر بمنزلة الإقناع في الخطابة واليقين في العلوم .



كتاب سوفسطيافا وكتاب شظوريشفا  
في الخطايات والجدل والمقالات  
وغير ذلك واسد اعلم  
كتاب شرح

469

سنة 1044  
صار الآن لافق الزكي  
ان يوسف الحين ملكا  
من ابو ولد محمد

الارباب للنبي لا اله  
تعالى عليه ليجز الرشى  
للتطبيق على الله سنة

كتاب في المصنف

ملحقه بان فصل رظم كانه معاصرتهم من قسولم  
ولذنه احساقا كانه ما من السجالا معنوا بها العمل فحول  
بها كل معلول للبدية والعطلة رظم منقز والمكراب جهول  
محاذنه اصلا لنام وليكن له حورى طرقتهم اصبر  
مناسه قنطيد

101.  
Robertus Huntington.



غلاف المخطوطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 قال الفخر الى الله تعالى علي بن ابي الحزم القرشي المنطبي  
 هذا كتاب شرحت فيه كما في الذي عرفه كتاب  
 الورقيات ولاجل نقره بها حقه افتقرت فيه الى استعمال  
 البراهين قبل تحقيقها ورينته علي مقدمه وتسعه كتب علي  
 ترتيب ذلك الكتاب وانا اسأل الله التوفيق والعصمة

وهذه المقدمة تستعمل على فصول الفصل  
 الأول في بيان الحاجة الى المنطق العلوم المشهورة  
 الحاجة اليها معاومه الا المنطق فرأينا ان نبتدي بيان وجه  
 الحاجة اليه لاشك ان بالعلوم تحصل للنفس كمال وشرف  
 وذلك مطلوب فبنا حاجة الي تكميل نفوسنا بالعلم والعلم  
 علي قسمين علم عملي والغرض منه العلم بالحق لذات العلم به  
 وعلم عملي والغرض منه العلم بالخبر للعين به وكلاهما يكتفي  
 النفس باعتبار قوتها النظرية وبالعول بالخبر تكمل المنطق باعتبار  
 قوتها العملية وايضا كل علم فاما تصور واما تصديق لان

الورقة الأولى

هينه ازيل اغنه او لقبه صدقه وان لم يكن يلزمه المطلوب  
 فان القابل اذا كان قوله ظاهرا الصدق اذ عن له وخصوصا اذا  
 روجه الودع وحسن النظم وخصوصا اذا كان النظم موافقا  
 ولذيلها واذا اهد قلنا في غنونا المنطق بالحق هذا الكتاب  
 - فليحبه مستعينين بالله وصالهم الكتاب بحمد الله وعونه  
 والصلوة على محمد بن خلفه وعلى آله والسلام  
 ههنا

ما كهد النسخة  
 من فضله  
 من فضله  
 من فضله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم



## أهم المراجع

## أولاً : المطبوعات :

- ١- إبراهيم بن مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ( دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩١ ) .
- ٢- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ( دار الحياة - بيروت ١٩٦٥ ) .
- ٣- ابن البيطار : الجامع في الأدوية المفردة ( طبعة بولاق ١٢٩١ هجرية ) .
- ٤- ابن البيطار : تفسير كتاب ديسقوريدس ، تحقيق إبراهيم بن مراد ( دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٩ م ) .
- ٥- ابن تيمية : شرح كلمات من فتوح الغيب ، ضمن ( جامع الرسائل ) تحقيق د. محمد رشاد سالم ( دار المدني - جدة ) .
- ٦- ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر = تاريخ ابن خلدون ( طبعة بولاق ١٢٨٤ هجرية ) .
- ٧- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ( طبعة بولاق ١٣٢٩ هجرية ) .
- ٨- ابن العبري : تاريخ مختصر الدول نشرة الأب أنطون اليسوعي ( دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٣ ) .
- ٩- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ( دار الكتب المصرية ١٩٣٨ ) .
- ١٠- ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ( مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٠ هجرية ) .
- ١١- ابن سننار : دور الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق د/ جودت الركابي (دمشق ١٩٤٩ م) .
- ١٢- ابن سينا : القانون في الطب ( طبعة بولاق ) .
- ١٣- ابن كثير : البداية والنهاية ( مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٥٨ هجرية ) .
- ١٤- ابن النديم : الفهرست ، تحقيق / رضا المازندراني ( دار المسيرة - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م ) .
- ١٥- أبو ريان (د. محمد علي) : الفكر الفلسفي في الإسلام ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٨ م) .

- ١٦- الأصفهاني (أبو الفرج) : الأغاني (طبعة بولاق)
- ١٧- بدر (د. عبد الرحيم) : مقدمة ، محاضرات مؤتمر الصوفي وابن النفيس ، جامعة الأردن (دار الفكر - بيروت ١٩٩١ م).
- ١٨- بدوي (د. عبد الرحمن) : مؤلفات ابن خلدون (دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م).
- ١٩- بل (ألفرد) : مادة « ابن خلدون » بدائرة المعارف الإسلامية .
- ٢٠- البيروني (أبو الريحان) : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة (عالم الكتب - بيروت).
- ٢١- الجاحظ : البيان والتبيين (القاهرة ١٣٦٧ هجرية).
- ٢٢- الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تاريخ الجبرتي (مطبعة الأنوار المحمدية - القاهرة).
- ٢٣- جبران (بيتر) : الجذور الإسلامية للرأسمالية ، ترجمة محروس سليمان (دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر - القاهرة ١٩٩٢ م).
- ٢٤- جعفر (د. عبد الوهاب) : البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه (دار المعارف ١٩٨٩ م).
- ٢٥- الجيلاني (عبد القادر) : الفتح الرباني والفيض الرحاني (مطبعة البابي الحلبي - القاهرة).
- ٢٦- الجيلاني (عبد القادر) : فتوح الغيب (مطبعة البابي الحلبي - القاهرة).
- ٢٧- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (دار الفكر - بيروت).
- ٢٨- الحلاج : الطواسين ، نشرة ماسينيون (باريس ١٩١٣ م).
- ٢٩- الخضر حسين (محمد) : الرحلات (المطبعة التعاونية - بيروت).
- ٣٠- الخوانساري : روضات الجنات في أخبار العلماء السادات ، تحقيق أسد الله إسماعيليان (طهران ١٣٩٢ شمسية).
- ٣١- الذهبي : سير أعلام النبلاء (مؤسسة الرسالة - بيروت).
- ٣٢- السرازي (فخر الدين) : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة).
- ٣٣- رمضان (أحمد) : الرحلة والرحالة المسلمون (دار البيان - جدة).

- ٣٤- الزركان (محمد على) : عبد الرحمن الصوفي وأسلوبه في التأليف . ( محاضرات مؤتمر الصوفي وابن النفيس ) .  
الأعلام ( بيروت ) .
- ٣٥- الزركلي ( خير الدين ) : طبقات الشافعية الكبرى ( المطبعة الحسينية - القاهرة ) .
- ٣٦- سارتون : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ( دار الحياة - بيروت ) .  
تاريخ العلم : ترجمة لفيق من الأساتذة ( دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ) .
- ٣٧- السبكي : الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ( منشأة المعارف - الإسكندرية ) .
- ٣٨- السخاوي : طبقات الأمم ، نشرة لويس شيخو ( بيروت ١٩١٢ م ) .
- ٣٩- الشامي ( د. صلاح الدين ) : أعلام العرب في الكيمياء ( الهيئة المصرية العامة للكتاب - الألف كتاب ) .
- ٤٠- صاعد الأندلسي : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، تقديم كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النوز ( القاهرة ١٩٦٨ ) .
- ٤١- الطائي ( د. أحمد فاضل ) : الطغرائي ( مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٣ م ) .
- ٤٢- طشاش كبرى زاده : تلخيص المحصل ، نشرة طه عبد الرؤوف سعد ( مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ) .
- ٤٣- الطاهر ( علي جواد ) : مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ( دار النهضة العربية - بيروت ) .
- ٤٤- الطوسي ( نصير الدين ) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ( حيدرآباد - الدكن ١٣٥٠ هجرية ) .
- ٤٥- عاشور ( د. سعيد عبد الفتاح ) : ذيل الدرر الكامنة ، تحقيق د/ عدنان درويش ( معهد المخطوطات العربية - القاهرة ١٩٩٢ م ) .
- ٤٦- العسقلاني : مخطوطات فضائل بيت المقدس ( عمان ، الأردن ١٩٨٨ م ) .
- ٤٧- العسقلاني : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ( دار الثقافة - القاهرة ١٩٩١ ) .
- ٤٨- العسيلي ( كامل جميل ) : المنطق ومناهج البحث العلمي ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٤ ) .
- ٤٩- عطية ( د. أحمد عبد الحليم ) :  
٥٠- علي عبد المعطى ( دكتور ) :

- ٥١- عناني ( د. محمد زكريا ) : ديوان الموشحات الأندلسية ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ) .
- ٥٢- غليونجى ( د. بول ) : ابن النفيس ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة أعلام العرب )
- ٥٢- غليونجى ( د. بول ) : البغدادي ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة أعلام العرب ) .
- ٥٤- عيسى ( د. أحمد ) : تاريخ البيهارستانات في الإسلام ( دار الرائد العربي - بيروت ) .
- ٥٥- غريب سيد أحمد ( دكتور ) : تاريخ الفكر الاجتماعي ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٨ م ) .
- ٥٦- ( د. حسين محمد ) : أدب الرحلات ( سلسلة عالم المعرفة - الكويت ) .
- ٥٧- القادري ( إبراهيم حلمي ) : مدارج الحقيقة في الرابطة عند أهل الطريقة ( الإسكندرية ١٣٨١ هجرية ) .
- ٥٨- القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ( دار الآثار - بيروت ) .
- ٥٩- القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ( المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢ هجرية ) .
- ٦٠- كحالة ( عمر ) : معجم المؤلفين ( دار إحياء التراث العربي - بيروت ) .
- ٦١- كونييتش ( باول ) : آثار الصوفي ( محاضرات مؤتمر الصوفي وابن النفيس ) .
- ٦٢- مال الله ( علي ) : أدب الرحلات عند العرب في المشرق ( مطبعة الإرشاد - بغداد ) .
- ٦٣- ماهر عبد القادر ( دكتور ) : المنطق ومناهج البحث ( دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٥ ) .
- ٦٤- ماهر عبد القادر ( دكتور ) : دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٩١ م ) .
- ٦٥- مايرهوف ( ماكس ) : من الإسكندرية إلى بغداد ، مقالة ترجمها د. عبد الرحمن بدوي في كتابه : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ( وكالة المطبوعات - الكويت ) .
- ٦٦- المسحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ( القاهرة ١٢٨٢ هجرية ) .
- ٦٧- المقدسى ( ابن غانم ) : تفلين إبليس ( دار أنوار القرآن - مكتبة نجمة الحسين ، الأزهر ١٩٧٨ م ) .
- ٦٨- مرجبا ( د. عبد الرحمن ) : الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ( منشورات عويدات - بيروت ١٩٨٥ م ) .

- ٦٩- منتصر (د. عبد الحلیم) : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه (دار المعارف - القاهرة ١٩٧١م).
- ٧٠- مؤنس (د. حسين) : ابن بطوطة ورحلاته (دار المعارف - القاهرة).
- ٧١- نجيب (نجاجي) : الرحلة إلى الغرب والرحلة إلى الشرق (دار الحكمة - بغداد).
- ٧٢- النشار (د. علي سامي) : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام (دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٤).
- ٧٣- نلليانو (كارلو ألفونسو) : علم الفلك ، تاريخه عند العرب في العصور الوسطى (الدار العربية للكتاب - بيروت ١٩٩٣).
- ٧٤- هونكه (د. زيغريد) : شمس العرب تسطع على الغرب (دار الآفاق الجديدة - بيروت).
- ٧٥- اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان (حيدر آبار - الدكن).
- ٧٦- ياقوت الحموى : معجم الأدباء (دار إحياء التراث العربى - بيروت).
- ٧٦- ياقوت الحموى : معجم البلدان (دار صادر - بيروت).

## ثانياً : المخطوطات :

- ٧٨- إبراهيم حلمى القادري : محو الشبهات (مخطوطة مكتبة السادة القادرية النيازية بالإسكندرية).
- ٧٩- ابن أبى صادق النيسابورى : شرح فصول أبقراط (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة).
- ٨٠- ابن البيطار : قانون الزمان في تدبير الإنسان (مخطوطة بمكتبة جامعة أو بسالا - السويد).
- ٨١- ابن البيطار : رسالة في التداوى من السموم (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة).
- ٨٢- ابن خلدون : لباب المحصل (مخطوطة الأسكوريال - أسبانيا).
- ٨٣- ابن التلميذ : المغنى في الطب (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة).
- ٨٤- ابن الصبغ الجذامى : الديوان (مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط - المغرب).

- ٨٥- ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . (مخطوطات : دار الكتب المصرية بالقاهرة - المكتبة الوطنية بباريس - مكتبة البلدية بالإسكندرية) .
- ٨٦- ابن ميمون : عنوان الحق وبرهان الصدق (مخطوطة جامعة اسطنبول - تركيا) .
- ٨٧- الأبهري : الإفادة والتبصير (مخطوطة كوبريل زاده - تركيا) .
- ٨٨- أحمد السدمنهووري : عين الحياة في استنباط المياه (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة) .
- ٨٩- أحمد الريشي : كفاية التعليم في معرفة وضع التقويم (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة) .
- ٩٠- البغدادي : شرح مقدمة المعرفة (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة) .
- ٩١- بنو موسى بن شاكر : الدرجات المعروفة (مخطوطة نور عثمانية - تركيا) .
- ٩٢- الحسن السنجاري : هداية الرامي إلى الأغراض والمرامى (مخطوطة أحمد الثالث - تركيا) .
- ٩٣- الحسين الطغفرائي : جامع الأسرار (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة) .
- ٩٤- خالد بن يزيد : ديوان فردوس الحكمة (مخطوطة كوبريل زاده - تركيا) .
- ٩٥- الزهراوي : التصريف لمن عجز عن التأليف (مخطوطة خدابخش بنته - الهند) .
- ٩٦- الشيرازي : نهاية الإدراك في دراية الأفلاك (مخطوطة كوبريل زاده - تركيا) .
- ٩٧- الشيرازي : جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام (مخطوطة جامعة ليدن - هولندا) .
- ٩٨- عبد القادر الجيلاني : جلاء خاطر في الظاهر والباطن (مخطوطة جامعة القاهرة - المكتبة المركزية) .
- ٩٩- عبد الوهاب الحسيني : الروض المغرس في فضائل بيت المقدس (مخطوطي : عارف حكمت بالمدينة المنورة - مكتبة الدولة ببرلين) .
- ١٠٠- عز الدين المقدسي : منتخب في مصائد الشيطان وذم الهوى (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة) .
- ١٠١- عز الدين المقدسي : الشجرة لإظهار الثمرة (مخطوطة مكتبة البلدية بالإسكندرية) .
- ١٠٢- لاجين الحسامي : تحفة المجاهدين في العمل بالمبادئ (مخطوطة نور عثمانية - تركيا) .
- ١٠٣- محمد بن حوقل : صورة الأرض = المسالك والممالك (مخطوطة مكتبة أحمد الثالث - تركيا) .

- ١٠٤- محمد بن لاجين الحسامي : بغية القاصدين في العمل بالميادين ( مخطوطة مكتبة الفاتح - تركيا).
- ١٠٥- محمد بن لاجين الحسامي : بنود الرمح ( مخطوطة المكتبة الأحمدية بحلب - سوريا).
- ١٠٦- محمد بن منكلي : الأدلة الرسمية في التعابىء الحربية ( مخطوطة آيا صوفيا - تركيا ).
- ١٠٧- محمد بن منكلي : الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ( مخطوطة أحمد الثالث - تركيا ).
- ١٠٨- مجهول : الروضة الغنّاء في أصول الغناء ( مخطوطة الخزانة العامة بالرباط - المغرب ).
- ١٠٩- مجهول : مختصر غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر ( مخطوطة الخزانة العامة بالرباط - المغرب ).
- ١١٠- مجهول : تفريج الكروب في تدبير الحروب ( مخطوطة الفاتح - تركيا ).
- ١١١- مدين القوصونى : قاموس الأطباء وناموس الألباء ( مخطوطى : دار الكتب المصرية بالقاهرة - المكتب الظاهرية بدمشق).
- ١١٢- مرضى الطرسوسى : تبصرة أرباب الألباب ( مخطوطة أحمد الثالث - تركيا).
- ١١٣- موفق الدين بن المطران : بستان الأطباء وروضة الألباء ( مخطوطة مكتبة مجلس الشورى طهران ).
- ١١٤- نصير السدين الطوسى : تحرير المجسطى ( مخطوطة أحمد الثالث - تركيا ).
- ١١٥- التواجسى : عقود اللال في الموشحات والأزجال ( مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ).

### ثالثاً : المراجع الأجنبية :

- 116- Brockmann : Geschichte der Arabeschen Litteratur, Sup. Lieden .
- 117- De Slar : Catalogue des manuscrtis arabes .
- 118- Sarton : Introduction to History of Seince.





ملحق  
أصداء الكتاب  
في الصحافة العربية



كان لصدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، أصداء أكاديمية تمثلت في اهتمام الباحثين بها اشتمل عليه التراث المجهول من مخطوطات ، فقام الدكتور عباس سليمان - من جامعة الإسكندرية - بنشر مخطوطة ابن خلدون « لباب المحصل » ويعمل حالياً على نشر مؤلفات نصير السدين الطوسي.. وهناك أمثلة أخرى على تلك الاستجابة ( الأكاديمية ) لما طرحه الكتاب ، بيد أن الأصداء الأوسع انتشاراً للكتاب ، كانت في الصحافة المصرية والعربية ، حيث أحسن استقبال الكتاب ، وسال مداد الكُتَّاب حوله .. وبالإضافة إلى العديد من الإشارات الخبرية عن الكتاب ، نشرت مجموعة من المقالات عن التراث المجهول انتقينا منها هذه المقالات الأربع لإيرادها هنا ، إحياءاً لتقليد عربي قديم ، هو إلحاق تقریظات الكتب بأواخرها .

\* \* \*

### \* تراث يوسف زيدان \*

#### \* محمد مستجاب<sup>(١)</sup> \*

التراثيون نوعان : واحد يقودك لعالم التراث فيجعلك تكره أهلك وتكره اليوم الذى فكرت فيه أن تقرأ شيئاً من التراث ، ونوع آخر يقودك فى رفق عصرى ، ويسير أمامك مضيئاً لجوانب من التراث واسعة ومتألقة ، حتى تكاد ترفض أن تعود للمعاصرة ، بل وتكتشف أن التراث هو الروضة اليانعة التى تحرك العقل والوجدان ، وهو القوة الكامنة حول تحرير الفكر الإنسانى الحقيقى فى كل العصور .

من الطراز الثانى يوسف زيدان ، الذى اعتقدت لأسباب وهمية كثيرة : إنه عجوز يريح شيخوخته فى ظل التراث محتمياً بماضى من تدابير وأعاصير الحاضر ، وأن هذا الشيخ يوسف زيدان ( انظر لتركيب الاسم ذاته ) أفنى عمره فى الكتب الصفراء فى استعداد تام لكل فكر عصرى ، وهكذا غرر الزمن بى حتى التقينا فى الإسكندرية من أسابيع ، شاب أنيق لم يستشرف الأربعين ، واضح المعاصرة فى المظهر واللسان واللمحات الذكية الجادة ( التى لا تخلو من إيجاءات ساخرة ) ، بعدها وعندما عكفت على كتابه المتفرد : التراث المجهول - إطلالة على عالم المخطوطات - ازدادت ارتياحاً وحباً ، لماذا؟؟ لأن يوسف زيدان قال فى مقدمة هذا

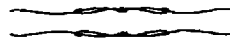
(١) جريدة أخبار الأدب ٢٥/١٢/١٩٩٤ .

الكتاب ( وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم انعدام الخطة المنهجية للتعرف به ) ، وذلك لأنه بعد انقضاء الفترة النشطة في نشر التراث ، أيام كانت مطابع بولاق الرائدة تخرج أمهات الكتب التراثية ، ومنها دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، والجمعيات العلمية العربية والاستشراقية ، وأعلام الرجال المتحمسين للتراث ونشره ... صار نشر التراث اليوم عملاً تجارياً لدى دور النشر ، دعائياً لأصحاب الأغراض ، غثا لدى المرتزقين من متأخري المحققين ، رديتاً في ثوب طباعته ، ويستثنى يوسف زيدان القليل مما أصاب به هذا الحكم ، لأن الغالب الأعم هو فوضويات نشر التراث ، واستخدام هذا النشر فيما لا يحجر العقل من ربة هيمنة للثقافة الصفراء عليه .

وكتاب التراث المجهول يكشف عن اجتهادات الأجداد في المجالات العلمية المختلفة ، اجتهادات فيها الكثير من الصواب ، وفي بعضها الكثير من الخطأ بحكم روح العصر المنتمية إليه ، لكثك - في كل الحالات - لا تمنع نفسك من الإحساس الدافق بالسعادة والحبور ( إلى حد المرح والسرور المعلن ) ، اقرأ ما يكشفه الدكتور يوسف زيدان في مخطوطة طيبة لابن المطران ( توفي في القرن الثاني عشر أي منذ ثمانية قرون ) عن آرائه وعلاجاته لليرقان واختلاط الذهن الدائم بالحُمى والصداع ( انظر الصداع في وضع عظام الرأس فإنها كثيراً ما تكون مسفطة أو حادة أو مستطيلة ، وكثيراً ما تحدث هذه الأوضاع سيلان المواد من الأذنين أو من العينين ) ، وإلى ذلك من حكايات عن كيفية تشريح قلب حيوان ( في بيت يكون هواؤه حاراً ) وعلاج الناصور وكيفية اقتلعه جراحياً .

ثم تتالى المخطوطات المجهولة طيبة ، وفلكية ، وفنون عسكرية ، وكيميائية ، وصوفية ، وأدبية ، وتاريخية ، وفي أصول الغناء ، وفي صورة الأرض ، وفي الفلسفة والمنطق ، وغير ذلك من صنوف المعرفة ، يعرض لها يوسف زيدان في ود صريح وكشف صريح ، يساعده على ذلك ثقافة واسعة وشاملة ، درس خلالها وكشف عن أغوار الماضي وقدرته الفائقة على إدراك فوضى ثقافة الحاضر ، متمثلة في ١٧ كتاباً بين محقق ومؤلف ، منذ عام ١٩٨٧ أي قبل حصوله على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية من جامعة الإسكندرية ١٩٨٩ وحتى الآن .

وأعرف أن كثيرين ارتادوا هذا الحقل غير هذا الباحث ، لكنه سيظل أكثرهم بشراً وتفتحاً ، وتألُقاً أيضاً .



## \* التراث المجهول

### \* سعد القرشي<sup>(١)</sup>

في كتابه الجديد (التراث المجهول) يتساءل الدكتور يوسف زيدان : هل التراث مجهول ؟

والإجابة الأقرب إلينا ، بعد طول الحديث والكتابة ( عن ) التراث ، مع التوصية باستبعاده أو دراسته أو استثناس أو نفيه أو محاكمته ، هي : لا .

إلا أن المؤلف يؤكد ، بالأدلة ، أن تراثنا لا يزال مجهولاً ، بحكم الواقع الإحصائي ، وبحكم الوعي به ، وبمنطق التعامل معه ، وبحكم اغترابنا عنه .. حيث مرّ التراث العربي « بمنحنيات كثيرة وارتفع وانخفض مع معدلات التحضر ، ولم يعرف ثبات الأحوال ، لكنه لم ينقطع .. حتى جاءت الحملة الفرنسية ، ومن بعدها الاستعمار ، فلَوّت أعناق الأجيال الجديدة - بقوة - بعيداً عن تراثها المتصل ، موجهة لها - بنفس القوة - نحو سياق الحضارة الغربية المعاصرة ، فكان ما كان من تقسيم لدول الإسلام وفقاً لأغراض الغرب ، وتحقير التراث » .

وهذا الكتاب ، تبدأ دار الأمين نشر سلسلة « تراثنا » ويقع الكتاب ، الذي اختار له المؤلف عنواناً فرعياً هو ( إطلالة على عالم المخطوطات ) في ثلاثين فصلاً ، في شتى العلوم والفنون والمعارف الإنسانية ، بهدف تقريب التراث منا ، أو تقريبنا إليه .. كما يهدف أيضاً ، من وراء ذلك ، إلى وضع نموذج سابق ، لعله يجعلنا نعيد النظر في طريقة التعامل مع الحضارة الغربية المعاصرة .



(١) الأهرام المسائي ٢٩/١١/١٩٩٤ .

## \* التراث المجهول

### \* شوقي جلال<sup>(١)</sup>

هذا كتاب من طراز فريد طالما تطلع إليه القارئ أو المثقف الواعى . إنه نموذج يهدف إلى تيسير ثقافة الماضى ، ومحاولة لاستعادة بعض الذاكرة الاجتماعية التى طمسها أحداث التخلف والتحلل داخل المجتمعات العربية والإسلامية ، وأحداث الاستعمار الوافدة من الخارج . إنه ببساطة وإيجاز كما يقول المؤلف : محاولة علمية جادة ، صادقة ومضنية فى آن واحد ، من أجل الوعى بالماضى وفهم الحاضر واستشراف المستقبل .

الكتاب يحمل عنوان « التراث المجهول - إطلالة على عالم المخطوطات » ؛ صدر عام ١٩٩٤ ضمن سلسلة « تراثنا » وهى سلسلة جديدة بدأت إصدارها « دار الأمين للنشر » - القاهرة . والمؤلف هو الدكتور يوسف زيدان أستاذ التصوف الإسلامى بجامعة الإسكندرية . له أكثر من سبعة عشر كتابًا ما بين تأليف ودراسة وتحقيق .. تشكل فى مجموعها ملحمة ثقافية علمية الطابع والهدف تشهد لصاحبها بعمق الفكر ، وأصالة الجهد ، وعلمية المنهج ، ونزاهة الغرض ، وموضوعية التناول وصدق الحب لفننه وتخصصه .

إن عالم التراث والمخطوطات يبدو على السنة عامة المثقفين نوعًا ن عالم الغيب . يسرفون فى الحديث عنه ولا يجيئون بشيء من علمه فهم غرباء عليه فكراً ونقدًا ودراسة وتحليلًا ، وهو غريب عنهم حجبتهم قرون الجهالة والاستبداد والجمود الفكرى فاستحال إلى أسطورة سقط عنها العقل والوعى الإنسانى المبدع . وبعد أن كان على أيدي أصحابه فى عهود الازدهار الفكرى منارة هادية لحركة المجتمع وقوة دافعة لنزخم ثقافى ثرى خصب ، وإسهامًا إنسانيًا حضاريًا جعل أبناء أوروبا يرددون المثل السائر فى العصور الوسطى « كلما اتجهت جنوبًا اقتربت من منهل العلم والحضارة » .. بعد هذا كله أصبح التراث عبارة غائمة ، وتعويدة كليلية ؛ وأضحت المخطوطات كلمة يعز على المثقف العام أن يعقل مدلولها . ونادرًا ما نجد مثقفًا عامًا اكتحلت عيناه بأحد المخطوطات ، تأمله بفكره واستعاد ذكريات عن أمجاد الماضى وظروفه وأسبابه .

(١) مجلة أكتوبر السنة ١٩ - العدد ٩٦٣ - الأحد ٩ أبريل ١٩٩٥ .

لهذا كله يصحبه المؤلف في كتابه هذا ذى القيمة الرائعة في رحلة ممتعة تمتد إلى كافة جوانب التراث العربى والإسلامى ليقدّم على طول صفحاته التى جاوزت ثلاثمائة وخمسين صفحة ثلاثين مخطوطة من ذخائر تراثنا المجهول المنزوى فى الخزائن الخطية ، انتظرت عقوداً بل قرونًا الباحثين ليستخرجوا الدرّ المكنون فيها ، وليستبينوا الشروط الوجودية للإبداع ، وهى التى تكشف فى مجملها عن العبقرية العربية فى تجلياتها المتعددة ، وتثير الكثير من القضايا المتعلقة بمفاهيم التراث وتصحيح جملة أفكار خاطئة استقرت فى وعينا المعاصر دون سند علمى .

### لماذا التراث المجهول ؟

ولكن لماذا عنوان « التراث المجهول » ؟ يقول المؤلف ذلك لأن إحصاء ما نُشر من تراثنا - محققاً أو بدون تحقيق - ومقارنته بما لم يزل مخطوطاً ، وبما ضاع مع الزمان ؛ يدل على أن نسبة المنشور المعلوم من التراث لا يزيد على خمسة بالمئة من مجموع التراث ، أو أقل من ذلك .. ثم يضيف « وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم الوعى به .. وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم منطق الإلغاء والتغيب ، هذا المنطق الذى ساء وأباد النظرة الموضوعية للتراث .. وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم اغترابنا عنه .. وتراثنا لا يزال مجهولاً بحكم انعدام الخطة المنهجية للتعريف به .. على هذا النحو صار التراث مجهولاً ، وعلى ذلك اخترتُ عنوان الكتاب .. فهل سيظل التراث كذلك ؟ » .

ويقع الكتاب فى ثلاثين فصلاً ، متباينة الطول حسب مقتضيات التعريف بالنص ومؤلفه ، وما يدور حولها من أفكار . وتهدف جملة فصول الكتاب إلى إلقاء نظرة عامة على التراث من خلال الجمع بين مخطوطاتٍ من شتى العلوم والفنون . ومن ثم جمع الكتاب بين دفتيه تعريفًا وعرضًا موجزاً قيماً وواقياً بثلاثين مخطوطة فى فنون مختلفة : كالطب والفلك والكيمياء وعددها أكثر من مخطوطات أخرى وردت فى الكتاب عن المعارف الدينية والأدب والتصوف .. وغلبة العلوم لا تأتى انحيازاً بل استيفاءً لنقص شائع نظراً لأن الاهتمام منصب دومًا على التراث الدينى حتى ظن البعض خطأً أن التراث هو ما تضمنته الكتب الدينية دون سواها .

ومن ميزات هذا الكتاب نادر المثل أن بعض الفصول تتعرض لأمرٍ لم تُطرح من قبل ، وفيها من التراث المخطوط ما لم يكتب عنه قبل ذلك سطر واحد ، ومن الشخصيات التراثية من طواهم الزمان وسها عنهم المعاصرون .

والإطلاقة على المخطوطات تعنى أن نتعرف على الكثير من ذخائر التراث العربى المنزوى فى الخزانات الخطية ، يشكو الإهمال ويهدده الفقر وتتصرف فيه يد الزمان ، ونعنى كذلك أن نعنى التراث وعياً موضوعياً علمياً وأن نتمكن من قراءة التراث قراءة صحيحة تكشف عن حقيقة تكوين العقلية العربية الإسلامية ، وتلمس ملامح شخصيتنا الحضارية وأن نفهم الماضى من حيث هو ظاهرة وجودية مشروطة ، ونبدأ من مرض الرجعى أو الحنين إلى السلف فكراً وعصرًا وحياة وكأننا نتشوق إلى الانسلاخ عن أسباب وشروط وجودنا .. وإنما الحياة امتدادا وتجدد فى إطار الفعالية الإبداعية المتنوعة .

وفصول الكتاب مرتبة على حسب التسلسل الألفبائى لعناوين المؤلفات الثلاثين ، وأغلبها مؤلفات مخطوطة لم تنشر من قبل . وحتى تكتمل متعة الرحلة لتكون متعة ذهنية وبصرية معاً زان المؤلف كتابه بعديد من اللوحات المصورة التى تعرض صفحات من المخطوطات يكتمل معها الإحساس بالمعايشة الحية ؛ كما استهل الكتاب بحوالى ست عشرة لوحة ملونة هى مجموعة من النماذج المزخرفة بديعة التلوين والتأطير المذهب والخطوط العربية المختلفة . وهذه مجموعة انتقاها المؤلف من نوادى المخطوطات القرآنية أراد بها أن تكون للقارئ وقفة تأمل مع جماليات التراث العربى قبل الدخول فى رحلة الفصول الثلاثين .

ويورد لنا المؤلف فى ختام كتابه ثبثاً بالمراجع ثم قائمة بأسماء المخطوطات ومؤلفيها إن وجدوا نظراً لأن بعضها مؤلفين مجهولين ، وتضمنت قائمة المخطوطات العناوين التالية التى نذكرها كمثال :

- نحو الشبهات ( مخطوطة مكتبة السادة القادرية النيازية بالإسكندرية ) لصاحبها إبراهيم حلمى القادري .
- شرح فصول أبقراط ( مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ) لصاحبها ابن أبى صادق النيسابورى .
- قانون الزمان فى تدبير الإنسان ( مخطوطة بمكتبة جامعة أوبسالا - السويد ) لصاحبها ابن البيطار .
- رسالة فى التداوى من السموم ( مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ) لصاحبها ابن البيطار .
- لباب المحصل ( مخطوطة الأسكوريال - أسبانيا ) لصاحبها ابن خلدون .
- المغنى فى الطب ( مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ) لصاحبها ابن التلميذ .
- الديوان ( مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط - المغرب ) لصاحبها ابن الضياع الجذامى .
- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . ( مخطوطات : دار الكتب المصرية بالقاهرة - المكتبة الوطنية بباريس - مكتبة البلدية بالإسكندرية ) لصاحبها ابن فضل الله العمري .
- عنوان الحق وبرهان الصدق ( مخطوطة جامعة اسطنبول - تركيا ) لصاحبها ابن ميمون .
- شرح مقدمة المعرفة ( مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ) لصاحبها البغدادي .



- نهاية الإدراك في دراية الأفلاك ( مخطوطة كوبريلي زاده - تركيا ) لصاحبها الشيرازي .
- صورة الأرض = المسالك والممالك ( مخطوطة مكتبة أحمد الثالث - تركيا ) لصاحبها محمد بن حوقل .
- الروضة الغناء في أصول الغناء ( مخطوطة الخزانة العامة بالرباط - المغرب ) صاحبها مجهول .
- تحرير المجسطي ( مخطوطة أحمد الثالث - تركيا ) لصاحبها نصير الدين الطوسي .

صفوة القول إن هذا الكتاب ، حسب رؤية المؤلف ، دعوة للقارئ العام كي يتعرف على الجوانب الراحية في التراث .. وللمثقف المعاصر كي يتفكر في القضايا المطروحة بين الشايات .. وللمحققين الجدد كي يقبلوا على نشر نصوص تراثية جديدة .. وللدارسين المتخصصين كي يتعمقوا فيما تضمنه المتن من موضوعات ، ونضيف إلى مقولته ولكي يتزودوا جميعاً بحس صادق لمعنى وموضوع التراث ، ولكي يزدادوا جميعاً عن ثقة ووعي اعتزازاً بتاريخهم المجهول الذي ظلمناه بجهلنا به وتقاعسنا عنه ، ولكي تمتد جهودنا بحثاً وتنقيحاً وتأويلاً إلى تراثنا في جميع الأحقاب الحضارية منذ فجر الوعي الإنساني في هذه المنطقة الموصوفة بحق بأنها مهد الحضارة .. نرفع عن تراثنا ظلماً وغبناً ، ويكون لنا في نهضتنا بفهمنا العلمي الإبداعى ساعد وأيد .

## التراث المجهول ( إطلالة على عالم المخطوطات )

عرض : مهدي بنديق<sup>(١)</sup>

« إننا كأمة قد تعاملنا طوال عصورنا التاريخية مع تراثنا بمنطق الإلغاء والتغيب » هكذا يستخلص المؤلف هنا حصيلة تجربته في تحقيق مخطوطات التراث العربي . فهو عاشق للتراث وله سبعة عشر كتاباً ما بين التأليف والتحقيق . والكتاب الذي بين أيدينا كرسه لتحقيق ونشر ثلاثين مخطوطة نادرة أغلبها لم ينشر من قبل .

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة يحدد فيها غاية البحث ومنهاجه مؤكداً خطأ « الانتقائية » التي درجنا عليها أنظمة وأفراداً في تعاملنا مع تراثنا الغني ، فالبلاذ التي تتعامل مثلاً بالمذهب السلقي تنكر من كتب التراث إلا ما كان متصلاً بما بين تيمية وسائر الحنابلة ، ونضيف نحن إلى قوله والأشعرية بوجه هام بتراثها الكلامي الذي يتوسط ما بين المعتزلة وبين أهل السنة . بينما

(١) مجلة العربي - العدد ٤٤٥ - ديسمبر ١٩٩٥ .

يرى المؤلف أن البلدان التي تدعى التقدمية لا تتعامل إلا مع التراث الاعترالي . وحتى الأفراد من الباحثين لا ينجون من هذه الانتقائية المتعسفة ، فإذا أعجب باحث باين رشد رأيته يخاصم الغزالي ، بل ويطالب الناس بألا يقرأوه بل ربما سُرد إذا رأهم يلعنونه ! والنتيجة فيما يرى المؤلف أننا نجهل تراثنا في مجمله ولا نعرف عنه إلا ما نرغب في معرفته بحكم ميولنا الثقافية أو بحكم ما يراد لنا من قبل المؤسسات الثقافية المهيمنة على تعليمنا وتربيتنا وهي مؤسسات محدودة بحدود البراجماتية والمذهبية فيما نرى أيضًا . بيد أننا نود لو أن مؤلفنا يفرق بين معرفتنا الضرورية لمجمل التراث وبين نقدنا الضروري أيضًا ، ذلك أن أحدًا لا يمكنه أن يقبل فكر « الجبرية » من السُّنة أو بالأكثر فكرة « الكسب » من الأشاعرة وفي نفس الوقت يصادق على غايات المعتزلة التي تستهدف التركيز على حرية الإرادة الإنسانية .

وينعى الدكتور يوسف زيدان - في مقدمة كتابه المهم هذا - غياب الخطة المنهجية للتعريف بتراثنا من حيث إن نشر هذا التراث في الآونة الحالية لم يعد يخضع إلا للاعتبارات التجارية أو الدعائية ! ويطالب ملحمًا بإنشاء هيئة عربية متخصصة تتولى مهام نشر التراث وتحقيقه . وهو ما يدعوننا إلى تساؤل جديد حول طبيعة هذه الهيئة المقترحة - مادام الوطن العربي منقسمًا على نفسه - وكيف ستتصرف لهذا الاتجاه أو ذاك إذا كان مبدأ الانتقائية سيطر هو الحاكم بيننا .. فأما إذا أخذ برأى يوسف زيدان القائل إن التراث كله يشكل وحدة واحدة لا نفاضل فيها بين جزء وجزء ، لكننا قد انتصرنا لمبدأ الاستمرار الثقافي ، فهل ينطبق هذا على عدم الانقطاع المعرفي وتظل قضايا الفتنة الكبرى كالمنزلة بين المنزلتين وقدم القرآن أو حدوثه والجبر والاختيار هي نفسها قضايانا المعاصرة ؟ أو ترانا سنقبل فحسب من تراثنا ما هو حي وصالح للتفاعل مع قضايا عصرنا مخلفين غير ذلك وراء الظهور وعندئذ نعود مرة أخرى إلى بدأ الانتقاء الذي ينعيه علينا د. يوسف ؟

أسئلة مهمة تنتظر حوارًا واسعًا بين مثقفي الوطن العربي من حيث إنه قد آن لنا حسم هذا الخلاف والانطلاق بعده إلى بناء حضارة عربية إسلامية جديدة لا تنقطع عن تراثها بالطبع وإنما تتركز على ما هو إيجابي فيه مضيئة إليه المبدع والجديد .

وتتصل رؤية المؤلف للتراث بمنهاجه في تصنيف وترتيب المخطوطات ، فإدراك الحب البالغ درجة العشق هو رائده في التعامل مع المادة العلمية المتوافرة لديه ، فإن مؤلفًا لا يسبق غيره ولا يتميز عنه سواء من حيث القيمة العلمية أو الشهرة أو التقدم زمانًا أو التأخر . الكل

سواسية كأسنان المشط ، فابن النفيس لا يسبق مؤلفاً مجهولاً ، وابن خلدون على مكانته الرفيعة يتأخر في العرض داخل الكتاب عن مؤرخ تلميذ لابن حجر العسقلاني هو الشيخ عبد الوهاب بن عمر الحسيني ، وحتى لم يشفع لابن خلدون أنه توفي في نفس العام الذي ولد فيه الحسيني .. لكن المنهج الصارم عند مؤلفنا هو الذي دعاه إلى ترتيب المؤلفين الترتيب - داخل كتابه - وفقاً للترتيب الأبجدي متسقاً في ذلك مع رؤيته « العادلة » لكل أعضاء المؤسسة التراثية دون تفضيل لأحد . بل وربها قاده العدل يرافقه التبصر إلى إنصاف مؤلفينا المجهولين . ذلك أنه حين يُنصف مؤلفنا العربي « المجهول » فإنه بذلك إنما يؤكد فكرته الأساسية التي تقول إن تراثنا مظلوم ومغيب إلى درجة الإلغاء .. وأى إلغاء وأى تغييب وأى ظلم أشد من تجاهل اسم المبدع برغم روعة إنتاجه وبديع أعماله !؟ ولكي يزيدنا د. يوسف شجناً على شجن نراه يذكرنا بأن حجم ما نعرفه من تراثنا المحقق والمنشور لا يزيد على خمسة في المائة من مجموع الإنتاج التراثي ! وهي حقيقة صادمة ومرعبة ومستفزة في آن . ولأن يوسف زيدان يعلم أن الغوص في أعماق اللج التراثي أمر ليس سهلاً على القارئ المعاصر فإنه يتتهج نهج الطبيعة ذاتها حين تغرى الناس على التقدم إلى المياه العميقة بتدرجها من رمال الساحل إلى التوسط ثم إلى ما هو أبعد .. فتراه يقدم مخطوطات صغيرة الحجم في أول الكتاب يتبعها بمخطوطات متوسطة الطول منتهياً إلى الثالثة الأطول والأعمق .

### شرح تقديم المعرفة للبغدادى :

مخطوطة طيبه كاتبها هو الطيب المسلم موفق الدين عبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ هجرية تعد وثيقة مهمة من وثائق الاتصال بين العرب واليونان القديمة ، فكتاب « تقديم المعرفة » ألّفه أبقراط أول من دون الطب في التاريخ اليوناني ، وهو بمنزلة « المدخل إلى العلوم الطبية » بلغة عصرنا . ونظراً لطابعه الاختصاصي فلقد راح الأطباء في كل العصور يحاولون شرح فقراته وتأويل مقاصده أو التعليق عليه إعجاباً أو نقداً . ومن عمدوا إلى نقده في قرننا العشرين فيلسوف البنيوية الأشهر ميشيل فوكوه حيث يقول : « إن اضمحلال الطب قد بدأ مع أبقراط لأن الطب الحقيقي كان يكمن في العلاقة المباشرة والخاصة بين آلام المريض وأوجاعه الذاتية وبين ما يخفف عنه آلامه .. فما يصلح لعلاج المريض بداء المفاصل لا يصلح لمريض آخر يعانى نفس الداء ، لكن التدوين جعل من التشخيص أمراً عامّاً وجعل من العلاج أمراً عامّاً كذلك » فكأنها ميشيل فوكوه يعترض على جعل الداء بنية وكذلك الدواء .

وأما البغدادي فلقد أخذ يشرح كتاب أبقراط قائلاً : إن طريقته هي طريقة التحليل بالعكس وإن من مبادئه الأساسية قوله : دع الطبيعة تعمل عملها حيث ينبغي ألا يتعود الجسم الكسل مكتفياً بالأدوية ومغتنياً بها عن الطبيب الداخلى للجسم . وهو مبدأ يتناقض مع رؤية فوكوه «الشاعرية» كما يسميها يوسف زيدان . والحقيقة أنه لا تناقض في رأينا بين مطلب فوكوه ومذهب أبقراط إلا إذا اعتبر الطبيب المعالج أن القاعدة العامة تلغى الحالة الخاصة المعروضة للعلاج وهو أمر لا يسأل عنه أبقراط ولا شارحه البغدادي .

عن « تحرير المجسطى » . مخطوطة فلكية :

كتاب « المجسطى » هو كتاب بطليموس الأشهر « التصنيف الضخم للحساب » وكلمة Megal تعنى « الضخم » ترجمها العرب بمعنى العظيم وحرفوها فونوطيقاً إلى « مجسطى » ، وأما تعبيرهم « تحرير » فالمقصود به المراجعة والتدقيق وإصلاح الأخطاء . ولقد قام عديد من الفلكيين العرب بهذه المهمة بالنسبة لكتاب بطليموس منهم جابر بن الأفلح الأشبيلي وعبد الرحمن الصوفي . أما المصلح الأشهر فهو العلامة نصير الدين الطوسى صاحب المخطوطة التى يعرض لها كتابنا . هذا العلامة الطوسى عاصر سقوط بغداد ٦٥٦ هجرية واعتقل بقلعة الموت على أيدي طائفة الإسماعيلية وتوفى عام ٦٧٢ هجرية بعد حياة حافلة بالنشاط العلمى والسياسى من بينها بناؤه لأكبر مرصد فلكى فى القرون الوسطى . لكن الأهم أن العلامة الطوسى هو الذى ساهم - بنقده لكتاب المجسطى - فى وضع الأساس العلمى لكوبرنيكوس الذى يعد صاحب الانقلاب الفلكى على نظام بطليموس . فمن المعروف أن النظام البطليموسى كان يعد الأرض مركز الكون واعتبر أن الشمس وسائر الكواكب السيارة تدور حول هذا المركز ( الأرض ) ، إلى أن جاء كوبرنيكوس وأثبت أن الأرض والكواكب السيارة هى التى تدور حول الشمس ، وما كان له أن يفعل لولا اطلاعه على الانتقادات التى وجهها الطوسى إلى نظام بطليموس .

تفريغ الكروب فى تدبير الحروب :

مخطوطة كتبها مؤلف مجهول هو فى الغالب أحد تلامذة المؤلفين العسكريين الكبار ممن عرفهم العصر المملوكى من أمثال محمد بن منكلى الناصرى نقيب الجيش فى زمن السلطان الأشرف ، وعبد الله بن ميمون مؤلف كتاب « الإفادة والتبصير لكل رام مبتدئ ماهر تحرير » ومرضى بن على الطرطوسى ، والحسن السنجارى ومحمد بن لاجين . ولا ندرى لماذا سقط اسم

مؤلف المخطوطة الرجل الذى تدل مقدمته على أنه كان من أصحاب الملقق والتفائق ( يعدد ثلاثين لقبًا للسلطان فرج بن برقوق المهديّ إليه المخطوطة ) وكذلك لأن مقدمته تدل على قربه من مكتبة السلطان ومعرفته لما فيها من نقص فى أبواب المعرفة . على أية حال لقد كانت مخطوطة مزجاة إلى السلطان فرج الذى أساء إلى الرعية وكان أقرب إلى الجنون منه إلى العقل حتى أنه حين قتل بيد السلطان شيخ المحمودى لم يحزن عليه أحد ، ولم يتوقف عنده ابن حجر العسقلانى فى « ذيل الدرر الكامنة » إلا بسطرين قائلاً : « ذكر من مات سنة خمس عشرة وثمانائة (هجريه طبعًا) فرج بن برقوق الملك الناصر بدمشق » .

فأما المخطوطة ذاتها فإنها تقع فى ١٥٢ ورقة ، ناسخها هو أبو الفضل بن عبد الوهاب السنباطى وهى موجودة فى مكتبة الفاتح باسطنبول . وممتها استعراض لفنون الحرب وأنواع القتال ونصائح للسلطان ( بصفته القائد الأعلى للجيش ) ولأمير الجند (بصفته القائد العام) . فهى توجيهات استراتيجية ومحاورات تكتيكية وربط جيد بين السياسة والحرب تذكرنا بتعبير كلاوزفيتز الشهير : إن الحرب هى سياسة بوسائل عنيفة والسياسة حرب بوسائل غير عنيفة ، لكن مؤلفنا ذا النزعة الشاعرية والصوفية يرى غير ذلك إذ يعلق - نعنى يوسف زيدان - على نصيحة المؤلف المجهول للسلطان : « لا تقا تل ما وجدت إلى الحيلة والخديعة سبيلاً » بقوله : ( وتلك قاعدة ميكيا فيلية ) ثم يخلص إلى أن فرج بن برقوق لم يستمع إلى النصائح الخاصة برعاية الرعية فلقى مصيره المحتوم وهو دون الرابعة والعشرين فاستحق التجهيل والتهميش من المؤرخين .

### جامع الأسرار للطغرائى :

الكاتب هو الشاعر فخر الكتاب أبو إسماعيل بن على ولقبه الطغرائى بمعنى صاحب الطفرة (بلغة عصرنا مقدمة الرسائل متضمنة البسمة ) فكان الشاعر يجيد كتابتها بخط جميل ، وفضلاً عن كونه وزيراً أيضاً فلقد وضع عدة مؤلفات فى الكيمياء بينها الرد على ابن سينا فى إبطال الكيمياء ومنها أيضاً هذا المخطوط « جامع الأسرار » ومن المؤسف أن يموت هذا العَلم مقتولاً بأمر السلطان محمود السلجوقى عام ٥١٥ هجرية .

ولأن العرب كانوا مشغولين بتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ( السيمياء ) ، فإن تلك المحاولات كانت خليقة بأن تعلمهم الكثير عن تركيب العناصر وتفاعلاتها وخصائص التركيبات المصنوعة . ومخطوطة كتاب « جامع الأسرار » تفصّل هذا كله ، ولكنها تفرص على أن

تظل الأسرار بين أيدي التلامذة دون العامة ، فتراها تستخدم الرموز وتُحْرَصُ على الكتمان والصمت ولهذا فهي تنتهي بقول المؤلف بالعبارة الشهيرة التي طالما استخدمها الفلاسفة « وهذا الكتاب مضمون به على غير أهله » . إنها واحدة من مخطوطاتنا التراثية التي تكشف عن جوانب في العقل العربي مطلوب منه أن يتجاوزها لكي يصبح العلم متاحًا لأبناء الأمة دون تمييز أو تفرقة بين خاصة وعامة .

### جلاء الخاطر في الظاهر والباطن :

صاحبها هو الباز الأشهب وغوث الأعظم القطب الكبير الصوفي عبد القادر الجيلاني المتوفى عام ٥٦١ هجرى ، وله ديوان ( حققه مؤلف كتابنا يوسف زيدان ونشره بالقاهرة عام ١٩٩١ ميلادى ) وله كتاب « الغنية لطالبي الحق » في معرفة الآداب الشرعية ، فأما المخطوطة التي يعرضها كتابنا فهي واحدة من مخطوطات القطب الكبير التي تسجل مجالس وعظه وإرشاده ، وقد أشار إليها المستشرق الألماني بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » . ومن بديع الأقول فيها ما ينصح به الجيلاني العلماء قائلًا : « يا عالم لو كان عندك ثمرة العلم وبركته لما سعيت إلى باب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها ، العالم لا رجلان له يسعى بهما إلى أبواب الخلق ، والزاهد لا يدان له يأخذ بهما أموال الناس ، والمحب لله لا عينان له ينظر بهما إلى غيره .. » ويقول لطالب الدنيا : « أنت أعمى . كيف تقود غيرك ؟ » . وهكذا تمضى المخطوطة تكشف عن بلاغة الإمام وعن عالم من الصفاء الروحي إلى درجة أن ابن العماد يصف صاحبها في ( الشذرات ) قائلًا معددًا فضائل الإمام : لقد تاب على يده معظم أهل بغداد وأسلم معظم اليهود والنصارى .

### ديوان ابن الصباغ الجذامى :

صَبَّ صَبَابَتَهُ شَهْوَذٌ      وَقَتْلُهُ فِيكُمْ مَبَاخٌ  
مَنَاهُ لَوْ أَسْعَفَ التَّمْنَى      مِنْ كَاسِرِهِ جَبْرُ الْجَنَاحِ

هذه الموشحة اللطيفة المعانى الرقيقة أسلوبًا ونظمًا لا تزال ضمن ديوان صاحبها بخط يده موجودة بالخزانة الملكية بالرباط ، نشر بعضها الدكتور محمد زكريا عنانى رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية في كتابه « ديوان الموشحات الأندلسية » ، وحقق الدكتور أحمد السنوسى بعض الأشعار الأخرى لهذا الشاعر الرقيق ابن الصباغ الجذامى الذى قتله أعوان

أبى دبوس أيام الخليفة المرتضى ( دولة الموحدين ) عام ٦٦٥ هجرية ، ولعل في إشارات يوسف زيدان إلى هذا الشاعر ما يحفز لنشر ديوانه كاملاً .

### الروض المغربي في فضائل بيت المقدس :

مخطوطة تاريخية ضمن خمسين مخطوطة نشرها الدكتور كامل جميل العسيلي في كتابه الصادر بالأردن بعنوان « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، بينما يذكرها أيضاً السخاوى في موسوعته « الضوء اللامع » ناسباً إياها إلى صاحبها الشيخ عبد الوهاب بن عمر الحسينى الدمشقى الشافعى المتوفى ٨٧٥ هجرية ، فهو زميل السخاوى وتلميذ ابن حجر العسقلانى . وقد اعتمد الحسينى في مخطوطته على مراجع كثيرة أهمها كتابات ابن عساكر والقاضى هبة الله والفزاوى والزركشى وصلاح الدين العلائى ، والسيوطى الذى مدح الحسينى كثيراً لدقته في وصف بيت المقدس بدءاً من أسماء المساجد وقصة بناء المسجد الأقصى ، إلى فتح عمر ابن الخطاب للمدينة ونهيه المسلمين عن دخول كنائسها ، إلى ذكر بناء مسجد عبد الملك ابن مروان .. إلخ والمخطوطة محفوظة بمكتبة الدولة ببرلين تحت رقم ٦٠٩٨ كما ذكر بروكليان .

ويعقب المؤلف يوسف زيدان على ذلك قائلاً : إذا كانت القدس اليوم أسيرة في يد إسرائيل ، فإن مخطوطة فضائل بيت المقدس أسيرة في يد ألمانيا .

### الوريقات في المنطق لابن النفيس :

هذا هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى والكبرى صاحب المؤلفات العديدة ذات التنوع والثراء ما بين طب وأحياء إلى فقه وحديث إلى لغة ونحو إلى منطق . هو علاء الدين على ابن أبى الحرم المعروف بابن النفيس المتوفى سنة ٦٣٧ هجرية بالقاهرة حيث كان يتولى منصب كبير أطباء مصر . والوريقات في المنطق مخطوطة ليس منها في العالم سوى نسخة وحيدة نادرة محفوظة بمكتبة بودليان بأكسفورد ، وهى مكونة من ٢٠٠ ورقة من الحجم الكبير والورقة الواحدة صفحتان ، مشتملة على مقدمة وتسعة كتب . وتشتمل المقدمة على ثلاثة فصول يتبين منها تفصيل ابن النفيس لطريقة الفارابى وابن سينا على طرائق معاصريه ، لأن الفارابى وابن سينا اعتبرا المنطق مدخلاً للعلوم بينما حاول المعاصرون لابن النفيس أن يجعلوه علماً قائماً بذاته . فابن النفيس يريد - أى المنطق - أن يكون آلة للعلوم ومقدمة نظرية ضرورية لكل علم حتى يتم به الانضباط المنهجى .

وبعد المقدمة تتوالى أبواب الكتاب التسعة منها ما يشتمل على فصول ومنها ما لا ينقسم. وأما صاحب كتابنا « التراث المجهول » فيدير حوارًا ذاتيًا حول ابن النفيس وحول « وريقاته » مؤكدًا أن حياة ابن النفيس وإنتاجه في ظل مناخ سياسي عاصف واضطراب كاسح ( سقوط بغداد على أيدي التتار وهجمات الصليبيين على مصر والشام وزحف ملك النوبة على جنوب مصر .. ) إنما هما أبلغ رد على من يرفعون راية التشاؤم والاستسلام في أيامنا هذه إزاء النكبات المتتالية علينا . وكيف لا ونحن لا نخرج لنا مما نحن فيه إلا بشحن الهمم واستنهاض العزائم لبث التفكير المنطقي في مجمل حياتنا اليومية ومنظومات سلوكنا الاجتماعية .

وبنفس الروح الغيورة على التراث والحريصة في آن على استكمالنا لنهضتنا المعاصرة ، يناقش يوسف زيدان أستاذه د. على سامي النشار فيما أورده بكتابه « مناهج البحث عند مفكرى الإسلام » معارضاً إياه - بمناسبة تعليقه على مخطوطة ابن النفيس - فيما ذهب إليه النشار من أن العرب رفضوا الفلسفة والمنطق واتخذوا من الاستقراء وحده منهجًا للبحث العلمى . ذلك لأن العرب اهتموا أيضًا بالمنطق وبالفلسفة كما اهتم اليونانيون من قبل بالاستقراء بجانب المنطق والفلسفة . وهو يرفض تعبير د. النشار « إن المنهج الاستقرائى هو المعبر عن روح الإسلام » لأن هذا التعبير غامض ، ولأن الحضارة الإسلامية عرفت تنوعًا وتراه يستحيل مع تلك المعرفة أن يقصر على سمتها لوناً واحداً من ألوان التفكير .

### مسالك الأبصار في ممالك الأمصار :

مخطوطة هائلة الحجم والقيمة .. تقع في سبعة وعشرين مجلدًا وتعد من روائع التراث العربى فهى موسوعة بمعنى الكلمة وصفها ابن العماد قائلاً : « كتاب جليل ما صنف مثله » . كتب عنها د. محمد زكريا عتاني مقالاً موجعاً بعنوان « لماذا تبقى مسالك الأبصار دون تحقيق ؟ » . وكان الدكتور أحمد باشا زكى قد استحضر منها نسخة كاملة من مكتبتى آيا صوفيا وطويقيو بالأستانة . وهو كتاب في التاريخ الطبيعى والجغرافيا ومواقع البلاد وتراجم العلماء والفقهاء ورجالات الحكم ، وبحوث في العلوم الطبيعية كالحیوان والنبات والمعادن ، ثم قسم للتاريخ البشرى حتى سنة ٧٤٤ هجرية فضلاً عن دراسات في الفلك والمعمار والعقائد وعلوم الدين والآداب واللغة .



---

ولقد نشر المستشرقون بعض أجزاء هذا السفر الموسوعي ، ولم ينشر العرب إلا الجزء الخاص بمملكة مصر والشام والحجاز واليمن في زمن المماليك .

وينعى المؤلف « يوسف زيدان » علينا - نحن العرب المعاصرين - تكاسلنا عن نشر تلك الموسوعة كاملة مذكراً بأننا ننفق الكثير من المال والجهد في ميادين أقل جدوى بل وربما كانت بلا جدوى . ولعلنا نضيف صوتنا إلى صوته منبهين إلى أننا ندخل عصر الثورة المعلوماتية ( وهي ثورة أخطر من كل الثورات السياسية ) ونحن مزودون بكنوز من العلم والمعرفة لكنها لا تزال مطمورة ، فلماذا لا نستخرجها الآن وقبل كل شيء لننتقل بها إلى عالم الغد المنفتح على كل ألوان الثقافات والحضارات الإنسانية ، يأخذ منها ويعطيها ويعيد إنتاجها بالتواصل والتفسير والتأويل ؟ . هكذا فعلت أوروبا في عصر نهضتها حينما ابتعثت تراثها الهيليني والهيلينستي . وهكذا ينبغي أن نفعل نحن بجانب ما نتفاعل به مع إبداع العصر .

\* \* \*

وبعد .. فإن أصدق تعبير يمكننا أن نختم به عرضنا لذلك الكتاب المهم والمفيد هو تعبير رائد علم الاجتماع شيخنا عبد الرحمن بن خلدون الذي يقول فيه : إن معرفة التراث هي العلم بكيفيات الواقع وأسبابها .





## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	- الإهداء
٧	- مقدمة الطبعة الثانية
١١	- مقدمة عامة
١٩	- نماذج فنية من مخطوطات قرآنية
٣٧	- بستان الأطباء وروضة الألباء
٤٥	- تحرير المجسطى
٥٣	- تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين
٦٣	- التصريف لمن عجز عن التأليف
٧١	- تفريغ الكروب فى تدبير الحروب
٨١	- جامع الأسرار
٨٩	- جلاء الخاطر فى الظاهر والباطن
٩٥	- جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام
١٠٥	- الدرجات المعروفة
١١٣	- ديوان ابن الصباغ الجذامى
١٢١	- ديوان فردوس الحكمة
١٢٩	- الروض المغربس فى فصائل بيت المقدس
١٣٧	- الروضة الغناء فى أصول الغناء
١٤٥	- الشجرة لإظهار الثمرة
١٥٩	- شرح مقدمة المعرفة
١٦٩	- شرح فصول أبقرات
١٧٧	- صور الكواكب الثمانية والأربعين

الموضوع	الصفحة
- صورة الأرض ( المسالك والممالك )	١٩٥ .....
- عقود اللآل في الموشحات والأزجال	٢٠٥ .....
- عنوان الحق وبرهان الصدق	٢١٣ .....
- عين الحياة في استنباط المياه	٢٢٣ .....
- قاموس الأطباء وناموس الألباء	٢٤١ .....
- قانون الزمان في تدبير الإنسان	٢٥٥ .....
- كفاية التعليم في معرفة وضع التقاويم	٢٩ .....
- لباب المحصل	٢٧٧ .....
- نحو الشبهات	٢٩٣ .....
- مختصر غبطة الناظر	٣٠١ .....
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار	٣١٥ .....
- نهاية الإدراك في دراية الأفلاك	٣٢٩ .....
- الوريقات في المنطق	٣٤١ .....
- أهم المراجع	٣٥٩ .....
- ملحق أصداء الكتاب في الصحافة العربية	٣٦٧ .....



## المؤلف

\* دكتور يوسف محمد أحمد طه زيدان ، ولد بسوهاج في ١٩٥٨/٦/٣٠ ونشأ بالإسكندرية ودرس بها حتى حصوله على دكتوراة في الفلسفة الإسلامية سنة ١٩٨٩ ، مدرس بكلية الآداب بدمههور - جامعة الإسكندرية ، عضو : اتحاد كتاب مصر - الجمعية الفلسفية المصرية الجمعية العالمية لتاريخ الطب بباريس .. مقرر لجنة العلوم الاجتماعية ببيتة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية .

### كتب الدكتور / يوسف زيدان

- ١ - المقدمة في التصوف ، لأبي عبد الرحمن السلمى ( تقديم وتحقيق )  
الطبعة الأولى : مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٩٧٨ .  
الطبعة الثانية : دار الجيل بيروت ١٩٩٧ .
- ٢ - عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ( تأليف ) .  
الطبعة الأولى : الهيئة المصرية العامة للكتاب ( سلسلة أعلام العرب ) ١٩٨٨ .  
الطبعة الثانية : دار الجيل بيروت ١٩٩٣ .  
الطبعة الثالثة : دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥ ( طبعة خاصة لطلاب جامعة الإسكندرية ) .
- ٣ - الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي دراسة مقارنة ( تأليف ) .  
الطبعة الأولى : دار النهضة العربية ببيروت ١٩٨٨ .  
الطبعة الثانية : مكتبة مدبولي بالقاهرة ١٩٩٦ .  
الطبعة الثالثة : دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧ .
- ٤ - شرح فصول أبقراط لابن النفيس ( دراسة وتحقيق ) .  
الطبعة الأولى : دار العلوم العربية ببيروت ١٩٨٨ .  
الطبعة الثانية : الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ١٩٩٠ .
- ٥ - شعراء الصوفية المجهولون ( تأليف ) .  
الطبعة الأولى : مؤسسة الأخبار بالقاهرة ١٩٩١ .  
الطبعة الثانية : دار الجيل ببيروت ١٩٩٦ ( طبعة مزيدة منقحة ) .
- ٦ - ديوان عبد القادر الجيلاني ( دراسة وتحقيق )  
الطبعة الأولى : مؤسسة الأخبار بالقاهرة ١٩٩١ .  
الطبعة الثانية : دار الجيل ببيروت ١٩٩٧ .

- 
- ٧- ديوان عفيف الدين التلمساني (دراسة وتحقيق) مؤسسة الأخبار بالقاهرة ١٩٩١ .
- ٨- قصيدة النادر العينية للجليل ، مع شرح النابلسي (دراسة وتحقيق) دار الجليل بيروت ١٩٨٨ .
- ٩- الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر (تأليف) الطبعة الأولى : دار الجليل بيروت ١٩٩١ .
- الطبعة الثالثة : دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥ ( طبعة خاصة لطلاب جامعة الإسكندرية ) .
- ١٠- عبد القادر الجيلاني ، باز الله الأشهب (تأليف) دار الجليل بيروت ١٩٩١ .
- ١١- رسالة الأضواء ، لابن النفيس (دراسة وتحقيق) الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة وبيروت ١٩٩١ .
- ١٢- المختصر في علم أصول الحديث النبوي ، لابن النفيس (دراسة وتحقيق) . الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة وبيروت ١٩٩١ .
- ١٣- المختار من الأغذية ، لابن النفيس (دراسة وتحقيق) . الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة وبيروت ١٩٩٢ .
- ١٤- شرح مشكلات الفتوحات المكية ، للعبد الكريم الجليلي (دراسة وتحقيق) . دار سعاد الصباح بالقاهرة ١٩٩٢ .
- ١٥- فوائح الجمال وفوائح الجلال ، لنجم الدين كُبُرى (دراسة وتحقيق) . دار سعاد الصباح بالقاهرة ١٩٩٣ .
- ١٦- التراث المجهول ، إطلالة على عالم المخطوطات . الطبعة الأولى : دار الأمين بالقاهرة سنة ١٩٩٤ . الطبعة الثانية : دار الأمين بالقاهرة سنة ١٩٩٧ .
- ١٧- فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (١٧٠٠ مخطوطة) الجزء الأول . معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٤ .
- ١٨- فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ( الجزء الثاني ) . معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٥ .

- ١٩- نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية .
- برنامج الأمم المتحدة للتنمية / U.N.D.P / الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٥ .
- ٢٠- فهرس مخطوطات رفاة الطهطاوى (١٤٥٠ مخطوطة) الجزء الأول .
- معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٦ .
- ٢١- فهرس مخطوطات رفاة الطهطاوى الجزء الثانى .
- معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٧ .
- ٢٢- فهرس مخطوطات رفاة الطهطاوى الجزء الثالث .
- معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ( تحت الطبع ) .
- ٢٣- فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (٥٠٠ مخطوطة) الجزء الأول : المخطوطات العلمية .
- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .
- ٢٤- بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية .
- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .
- ٢٥- التقاء البحرين ( نصوص نقدية ) .
- الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة وبيروت ١٩٩٧ .
- ٢٦- فهرس مخطوطات أبى العباس المرسى (الجزء الأول) .
- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٧ .
- ٢٧- حى بن يقطان ( أربع صيغ تراثية ) .
- الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة : الفلسفة والعلم ١٩٩٧ .

#### تحت الطبع :

- \* المتواليات : دراسة ونصوص فى التصوف .
- \* المتواليات : دراسة ونصوص فى تاريخ العلوم .
- \* المتواليات : دراسة ونصوص فى المتَّصل التراثى / المعاصر .
- \* المتواليات : مقالات فى الإشكاليات الزائفة .
- \* خطوط مشاهير الإسلام ( تأليف ) .
- \* الوريقات فى المنطق لابن النفيس ( تحقيق ودراسة ) .





General Organization Of the Alexan-  
dria Library (GOAL)

*Bibliotheca Alexandrina*



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

أش أبو المعالى (المجوزة) الجيزة - تل/فاكس: ٢٤٧٣٦٩٩

أش سويحاح من ش الزنازير (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - جيزة  
تليفون و فاكس ٥٦٣٤٦٩٩







تفخر دار الأمين بأن تقدم للقارئ العربي  
سلسلة كتب (تراثنا) التي تعنى بكافة  
فروع التراث العربي والإسلامي  
وتسعى لتبسيط أهم النصوص المحققة  
تحقيقاً علمياً رصيناً، بالإضافة إلى  
الدراسات الجادة في هذا المجال،  
وذلك إسهاماً من الناشر في إحياء

الحركة العلمية بالتراث على أسس علمية، وذلك تحت إشراف  
الدكتور يوسف زيدان مؤلف الكتاب الأول في هذه السلسلة  
التراثية التي صدرتها:

- حياوية بناني، بترجمة الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا
- ابن القطاع المتكفي للدكتور أحمد محمد سعيد الدليم
- حقيقة العبادة عند ابن عربي للأستاذ كرم أمين أبو كرم

وفي هذا الكتاب (التراث المجهول)

يصحبنا المؤلف في رحلة ممتعة تمتد إلى كافة جوانب التراث العربي  
والإسلامي، لتقدم ثلاثين مخطوطة من ذخائر تراثنا المجهول المنزوي  
في الخزائن الخفية، تكشف في مجملها عن العبقرية العربية في  
تجلياتها المتعددة، وتثير الكثير من القضايا المتعلقة بمناهج التراث،  
وتصنع جملة أفكار علمية استقرت في وصينا المعاصر  
دون سند علمي، ولا يملك القارئ بعد هذه الرحلة التراثية مع  
الدكتور يوسف زيدان، إلا أن يسأل نفسه هذا السؤال الذي بدأ به

الكتاب: هل التراث مجهول؟

الناشر

دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع DAR AL AMEEN

٨ ش أبو المعالي ( خلف المعهد البريطاني ) العجوزة ت / فاكس، ٢٤٧٣٦٩١  
١ ش سوهاج من ش الزقازيق ( خلف قاعة سيد درويش ) الهرم ت / فاكس، ٥١٢٤٦٩٩  
١٠ شارع بستان الدكة ( من شارع الالهي ) القاهرة ت، ٥٩٣٧٧٠٦